

الإنجيل المفقود

تأليف
محمد حسني يوسف
(عفا الله عنه)

الناشر
دار المعرفة
ت/ ٠١٠٥٢٢٦٤٠٤
توزيع دار نور الإيمان القاهرة
ت/ ٢٣٩٠٧٢٣٧



دار المعرفة

ت/ ٠١٠٥٢٢٦٤٠٤

رقم الإيداع

١٧٦٠٤
٢٠٠٧



لدراسات التي تصدرها الدار
بر عن آراء أصحابها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:٧٥]

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة:١٣]

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء:٤٦]

[فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية] (يوحنا: ٥-٣٩)

[فتشوا في سفر الرب واقرؤوا] (سفر أشعياء: ٣٤ - ٣٦)

[ألعلك تفهم ما أنت تقرأ] (أعمال الرسل: ٨-٣٠)

ص[إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أُدان أنا بعد كخاطئ] (رسالة بولس إلى أهل رومية ٣: ٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير والنذير هادي الإنسانية ورسول العالمية وعلى آله وصحبه ومن دعا إلى هديه وحمل مشعل دعوته إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الصراط المستقيم هو طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله فجعله موصلًا لعباده إليه، وسبيلًا إلى رضوانه وجنته، ولا طريق لهم إليه سواه بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا الطريق المستقيم؛ وهو إفراده بالعبودية فلا يشرك به أحد في عبوديته، والإقرار لرسوله محمد ﷺ بالطاعة والمتابعة وهذا كله مضمون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

وهذا هو الهدى ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل ولا دين له سواه. قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤]

فذلك هو الصراط المستقيم من الله، والسبيل المطروق الذي مر عليه الأنبياء والمرسلون ذلك هو الإسلام.

وتختلف نظرة الإسلام إلى الأديان والعقائد اختلافًا كليًا عن نظرة المسيحية ممثلة في الكنيسة، فقد عمد رجال الدين المسيحي إلى تلقين المسيحيين منذ طفولتهم أن المسيحية هي دين الله الوحيد، والصحيح الحق، وأن اليهودية هي تمهيد للمسيحية وأن ما عداهما من أديان كذب واختلاق، وبغض النظر عن المحاولات الأخيرة التي بدأها الفاتيكان للتقريب بين الأديان فلا يزال هذا

الاعتقاد ساريًا بين المسيحيين ويبشر به القساوسة في كنائسهم خاصة في العالم الثالث، ويعتقد المسيحي أن الله قد اختار أنبياءه من شعب إسرائيل، ليبلغ عن طريقهم رسالته وتعاليمه، وعلى ذلك نجد المسيحي يعتقد فقط في أنبياء بني إسرائيل وتعاليمهم الدينية وينظر إلى ما عداهم من أنبياء كمدعي نبوة.

واستخدمت الإرساليات التبشيرية كل ما استطاعتِ من وسائل، كما وجهت جهودها الكلية لهدم أصحاب الرسالات الأخرى من الأنبياء؛ فأسمتهم بالدعاة والكفرة حتى يرسبوا في أذهان المترددين عليهم أن (يسوع المسيح) هو الإله الوحيد وأحيانًا الرسول الوحيد الذي أرسله الله، ويكفي أن نقرأ ما كتبوه عن محمد ﷺ وعن الدين الذي أتى به، لنفهم أفكارهم الدينية التي استقرت في نفوسهم منذ الصغر، ونرى تحاملهم على صاحب هذا الدين ورسالته ، مما أعمى بصيرتهم ففشلوا في رؤية الحقيقة والتعرف على صحة ما ينادي به الأنبياء من غير بني إسرائيل.

ولم يتورع هؤلاء الكهنة في وقت من الأوقات عن تحريف القرآن، سواء عند طبعه باللغة العربية، أو ترجمته إلى اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات، بل ذهب بعض العلماء منهم إلى دس معلومات خاطئة في كتبهم عن محمد ﷺ وضلوا في دعوة غيرهم إلى معتقداتهم، وبذلك ضل أبنائهم عن الحق وعن الطريق الواضح المستقيم، لذلك كان كفر النصارى ناشئًا من جهلهم بالحق، وضلالهم فيه، فإذا تبين لهم الحق، ومع ذلك آثروا الباطل الذي هم عليه ، أشبهوا الأمة المغضوب عليها وهى أمة اليهود، إذ كانوا يعرفون أن محمدًا رسول الله كما يعرفون أبنائهم، لكن بإرادتهم الفاسدة من الكبر ، والحسد، وإيثار السحت، والبغي، كفروا بدعوة الإسلام ولم يقبلوها.. فإذا أشبههم النصارى في ذلك صاروا مغضوبًا عليهم فوق بقائهم ضالين.

أما المسلمون فيعتقدون بأن جميع الأديان السماوية في العالم بعثت من مصدر واحد مفرد، والقرآن الكريم يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسولًا إلى كل أمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦]

وكانت مهمة كل رسول أن يبين لأمته طريق الخير، ويحثهم على عبادته - سبحانه وتعالى - خالق السماوات والأرض، وهو الذي أسبغ على مخلوقاته حبًّا ورحمة، وهو الذي يرزقهم، وبالتالي لا يمكن أن يحابى خالق الكون أمة على أمة أو يفضل شعبًا على باقي الشعوب ، فيرسل إليه دون غيره رسولًا يحمل تعاليمه وأوامره، فالمسلم لا يكون إسلامه صحيحًا إلا إذا اعتقد بأن مصدر الديانات السماوية هو الله سبحانه وتعالى.

وأخيرًا:

تنكشف الأوجه مع دين الله الإسلام، وتُرفع الستار الذي تخفى وراؤه القسيسين والرهبان، حيث يقول القرآن الذي نزل من عند الرحمن على قلب رسول الإسلام ﷺ:-

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١]



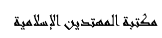
الفصل الأول
إنجيل يسوع المسيح

[احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة.. فإذا من ثمارهم تعرفونهم]

(متى ٧: ١٥ - ٢٠)

[لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل]

(رومية: ١٠ - ١٦)



الفصل الأول

فقدان إنجيل المسيح عيسى ابن مريم

يستمد النصارى عقائدهم وتشريعاتهم من مصدرين أساسيين هما:-

أولا: الكتاب المقدس.

ثانيا: قرارات المجامع المسكونية.

أما المجامع النصرانية فسوف نعقد لها فصلًا خاصًا للتعريف بها وما تقرر فيها من قرارات عقدية وبيان مظاهر التحريف العقدي في هذه القرارات.

وأما الكتاب المقدس ففيما يلي التعريف به وبيان أقسامه وذلك قبل أن نتناوله بالدراسة التفصيلية لبيان مظاهر التحريف العقدي فيه.

وينقسم الكتاب المقدس عند النصارى إلى قسمين:

القسم الأول هو: (العهد القديم) ويشمل ما يسمى بالتوراة والكتب الملحقة بها.. وعددها تسعة وثلاثون.

أما القسم الثاني: فيطلق عليه (العهد الجديد) ويحوي سبعة وعشرين سفرًا هي الأناجيل الأربعة (إنجيل متى - إنجيل مرقص - إنجيل لوقا - إنجيل يوحنا).

ورسائل الرسل: وتشمل رسائل بولس وعددها أربعة عشر رسالة إلى العبرانيين ورسالة يعقوب، ورسالتان بطرس الأولى والثانية وثلاث رسائل ليوحنا: الأولى والثانية والثالثة، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا اللاهوتي.

وقبل أن نتناول العهد القديم وبيان ما فيها وأناجيل العهد الجديد ورسائل الرسل بالدراسة وبيان ما فيه من التحريف العقدي نتيجة لضياع النصوص الأصلية في النصرانية - قبل ذلك لابد من الحديث أولًا عن إنجيل عيسى عليه السلام باعتباره يمثل النصوص الأصلية في النصرانية ويحتوي على العقيدة الصحيحة قبل فقدانه.

ففي كتابهم المعتمد من الكنيسة والقانوني في زعمهم ما يثبت أن للمسيح إنجيل ...

فأين هذا الإنجيل ؟!

فالأعداد التي ذكرها كتابكم والتي تثبت بها لا يدع مجالًا للشك أن للمسيح إنجيل هي:-

١- (وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) (مرقس١ - ١٤).

٢- وقال لهم (يسوع) اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدان، وهذه الآيات تتبع المؤمنين (مرقس ٦ : ١٥ : ١٧) .

٣-(إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمه المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح) (غلاطية ٦: ١-٧).

٤-(وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلًا.. ليبقى عندكم حق الإنجيل بل بالعكس إذ رأوا أنى اؤتمنت على إنجيل العزلة كما بطرس على إنجيل الختان) (غلاطية ٢: ٢ - ٧).

٥- (بل كما استحسنا من الله أن نؤتمن على الإنجيل هكذا نتكلم لا كأننا نرضي الناس بل الله الذي يختبر قلوبنا (تسالونكى الأولى ٤: ٢).

٦- (هكذا إذ كنا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضًا لأنكم صرتم محبوبين إلينا فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا نكرز لكم بإنجيل الله (تسالونكي الأولى ٢ : ٨ - ٩)

٧- (لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح (تسالونكى الثانية ١ : ٨).

٨- (حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي اؤتمنت أنا عليه) (تيموثاوس الأولى: ١-١١) .

٩- (بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولًا المفرز لإنجيل الله) (رومية ١:١).

١٠- (فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه) (رومية ١ :٩).

١١- (لأني لست أستحي بإنجيل المسيح) (رومية ١: ١٦).

١٢- (حتى أكون خادمًا ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرًا لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم) (رومية ١٥: ١٦).

١٣- (لقد أكملت التبشير بإنجيل المسيح) (رومية ١٥: ٢٠).

١٤- (وأنا أعلم أنى إذا جئت إليكم سأجيء في ملء بركى إنجيل المسيح) (رومية ٢٥-١٩).

١٥- (لكننا لم نستعمل هذا السلطان بل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقًا لإنجيل المسيح (كورنثوس الأولى ١٢ :٩)

١٦- (هكذا أيضًا أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون) (كورنثوس الأولى ٩: ١٤).

١٧- (فما هو أجري إذًا وأنا أبشر أجعل إنجيل المسيح بلا نفقة حتى لم أستعمل سلطاني في الإنجيل) (رسالة كورنثوس الأولى ٩-١٨).

١٨- (وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكًا فيه) (كورنثوس الأولى ٩-٢٣).

١٩- (وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به) (رسالة كورنثوس الأولى ١٥-١).

٢٠- (ولكن لما جئت إلى ترواس لأجل إنجيل المسيح وانفتح لي باب في الرب (كورنثوس الثانية ٢ :١٢).

٢١- (الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء إنارة إنجيل مجد المسيح) (كورنثوس الثانية ٤:٤) .

٢٢- (إذ هم باختبار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم وللجميع) (كورنثوس: ٩ - ١٣).

٢٣- (إذ قد وصلنا إليكم أيضًا في إنجيل المسيح) (كورنثوس الثانية ١٠-١٤).

٢٤- (فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذوه أو إنجيلًا آخر لم تقبلوه فحسنًا كنتم تحتملون) (كورنثوس الثانية ١ : ٤).

٢٥- (أم أخطأت خطيةً إذ أذللت نفسي كي ترتفعوا أنتم لأني بشرتكم مجانًا بإنجيل الله) (كورنثوس الثانية ١١ : ٧).

٢٦- (الذي فيه أيضًا أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم (أفسس ١ : ١٣).

٢٧- (وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام (أفسس ٦: ١٥).

٢٨- (ولأجلي لكي يعطى لي كلام عند افتتاح فمي لأعلم جهارًا بسر الإنجيل) (أفسس ٦ :١٩)

٢٩- (لأني حافظكم في قلبي في وثقي وفي المحاماة عن الإنجيل وتثنيه (فيلبى ١ : ٧).

٣٠- (لسبب مشاركتكم في الإنجيل من أول يوم إلى الآن) (فليبى ١ : ٥) .

٣١- (ثم أريد أن تعلموا أيها الأخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل) (فيلبى ١ :١٢).

٣٢- (وأولئك عن محبة عالمين أنى موضوع لحماية الإنجيل (فيلبى ١ :١٧).

٣٣- (فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح.. في روح واحد مجاهدين معًا بنفس واحدة لإيمان الإنجيل) (فيلبى ١ :٢٧).

٣٤- (وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معي لأجل الإنجيل) (فليبي ٢ :٢٢).

٣٥- (يا شريكي المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع أكليمندس أيضًا) (فيلبى ٤: ٣).

٣٦- (أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء) (فيلبى ٤: ١٥).

٣٧- (كما تعلمون في فليبى جاهرنا في إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله في جهاد كثير) (تسالونيكى الأولى ٢: ٢).

٣٨- (حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي اؤتمنت أنا عليه) (الأولى ثيموثاوس ١: ١١).

٣٩- (وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع الذي أبطل الموت وأنار الحيوة والخلود بواسطة الإنجيل) (ثيموثاوس ١: ١٠).

٤٠- (الذي كنت أشاء أن أمسكه عندى لكى يخدمنى عوضًا عنك في قيود الإنجيل) (فليمون ١: ١٣).

٤١ - (لأنه الوقت لا ابتداء القضاء من بيت الله فإن كان أولًا منا فما هي نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله) (رسالة بطرس الأولى ٤: ١٧)

وأخيرًا يقول كتابكم:

(لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل) (رومية ١٠: ١٦).

فأين هذا الإنجيل الذي تكلم عنه كتابكم كثيرًا والذى أأتومن عليه بولس المحرف للنصرانية؟

مما سبق نصل إلى نتيجة هامة جدًا وهي:-

١- أن بولس كان يرشد ويسجن متبعي المسيح وهذا ما يقر به أعمال الرسل (الإصحاح ٧ - ٨).

٢- كان بولس يهدد ويقتل تلاميذ المسيح انظر (أعمال الرسل ٩: ١)

٣- بولس كان قوي وذو مكانة وذو سلطة وذو ذكاءٍ ودهاء وشخصية قائدة وليست منقادة كما أنه كان جذاب ومؤثر في نفوس الناس بالإضافة إلى قوة شخصيته.

٤- كان بولس يحاول أن يلتصق بالتلاميذ ويكون منهم ولكنهم غير مصدقين له وخائفين منه (أعمال الرسل ٩: ٢٦).

٥- ولكن برنابا كان يصدقه ويحبه فجعل التلاميذ تطمئن له وهذا دليل على أن بولس كان مؤثر على برنابا (أعمال الرسل ٩ - ٢٧).

٦- وبعد كل هذه الأمور حاول بولس تحريف إنجيل المسيح الذي تكلم عنه مرقص (١-١٤)، (١٥: ٦ - ١٧) مرقس.

ولكن التلاميذ رفضوا وخافوا من بولس فأخذ بولس الإنجيل من مرقس وبرنابا.. ولذلك لم نجد ذكر لإنجيل المسيح بعد مرقس إلا في رسائل بولس وإنه الوحيد الذي أأتومن على هذا الإنجيل بالإضافة إلى أن أعمال الرسل تذكر أن بولس تشاجر مع برنابا ومرقس وذهب إلى سيلا.. فانقطعت أخباره وبعد ذلك ظهر بهذه البدع.. فكان بولس مؤثر ومخيف لتلاميذ الرب فانفضوا عنه إلا الطبيب لوقا الذي ليس من تلاميذ المسيح ولم يعاصره هو وبولس..

ولو دققنا في أعمال لوقا لوجدنا أنه يمجد بولس تمجيدًا أكثر من المسيح وفى هذا دلالة على تأثير بولس عليه.. بعد المشاجرة بين بولس وبرنابا لم نسمع شيء عن برنابا إلا إنجيل كتبه من أجل تحريف وتعاليم بولس ورفضته المجامع

النصرانية وحرمت تداوله.

ولو دققنا النظر في الرسائل الباقية سنجد أنها تحذر بطريقة خوف من أنبياء كذبة خرجوا إلى الأمم بتعاليم كاذبة:-

فيقول يوحنا في رسالته الأولى (٤: ١) (أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم).

ويقول بطرس في رسالته في نفس الرسالة (٢:١): (ولكن كان أيضًا في الشعب أنبياء كذبه كما سيكون فيكم أيضًا معلمون كذبة) وقال أيضًا في رسالته الأولى (٤: ١٧) (فما هي نهاية الذين لا يطيعون إنجيل الله).

وبولس اعترف اعترافًا صريحًا بأنه يكذب ليمجد الله (فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أُدان أنا بعد كخاطئ) (رومية ٣: ٧).

وفى هذا يقول القرآن الكريم عن اليهود وتحريفهم المدبر: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦].

ويقول أيضًا: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[البقرة:٧٥].

كما يعترف كتابكم بأنكم جعلتم المخلوق بقدر الخالق والخالق بقدر المخلوق أي جعلتم الناس أربابًا من دون الله (الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد أمين (رومية ١: ٢٥).

وفى هذا يقول القرآن الكريم:- ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[التوبة:٣١].

وحتى نثبت لكم صحة ما نقول فاتبعونا في الآتي بكل همة وتركيز وإنصاف:-

دعوة المسيح الحقيقية

إنجيل عيسى عليه السلام:-

كلمة إنجيل ترجع في أصلها على الكلمة اليونانية Evaghilion وهى مركبة من (ايوا) بمعنى مرحى، جيد، حقيقي، و(أنغليون) وهى عبارة بشارة أو التبشير بالفعل والمعنى (التبشير بالسعادة الحقيقية).

وإنجيل عيسى عليه السلام كما يثبته القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام وهو وحى أوحاه الله إليه فيه هدى ونور كما إنه لا يختلف في جوهره عن سائر الكتب السماوية من الدعوة إلى توحيد الله وهداية البشر كما أخبر القرآن الكريم في سورة آل عمران حيث قال:-

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾[آل عمران:١-٤]

هذا الإنجيل الحق (إنجيل عيسى عليه السلام) قد كان موجودًا في عصره وبعد رفعه وقد دعا المسيح عليه السلام بني إسرائيل إلى الإيمان به.

ولا يقتصر إثباتنا لإنجيل عيسى عليه السلام على ما جاء في القرآن الكريم بل جاء إثباته في الكتابات النصرانية القديمة والحديثة فقد جاء في إنجيل مرقس:-

(وبعد ما أسلمَ يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل) (مرقس ١ / ١٤ - ٢٠)

وذكره بولس أيضًا في رسائله منها قوله في رسالته إلى أهل تسالونيكى:-

(جاهرنا في إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله في جهاد كثير لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا من دنس ولا بمكر بل استحسنا من الله أن نؤتمن على الإنجيل

هكذا نتكلم .. ثم يقول: فإنكم أيها الإخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله) (تسالونيكى ٢ / ٢).

إلا أن هذا الإنجيل الذي نزل على المسيح عليه السلام لا وجود له الآن بين يدي النصارى وليس هو من ضمن الأناجيل المكتوبة التي يقدسونها ومع التصريح في أناجيلهم كما نقلنا آنفًا بوجوده وطلب الإيمان به وفى هذا يقول سفر أعمال الرسل عن بطرس ويوحنا في دعوتهما للسامرين من اليهود:- (وكما شهدوا وتكلما بكلمة الرب رجعا إلى أورشليم وبشرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسامرين)[1].

والمطلع على الأناجيل الأربعة وغيرها يجد أن كتابها قد استفادوا كثيرًا من الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام قبل ضياعه فنقلوا عنه بعض الوقائع التي لا طريق للعلم بها إلا بواسطة الوحي ثم أضافوا إليها من العقائد والآراء والتوجيهات ما ليس له أدنى صلة بالوحي المنزل أو كلام النبي المرسل بل كانت تحريفًا بالعقيدة بعد فقدان الإنجيل الأصلي كما سنوضح ذلك في هذا الفصل.

يقول أكهارت:- (كان في بداية المسيحية رسالة مختصرة في بيان أحوال المسيح ويجوز أن يقال: أنه الإنجيل الأصلي وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ولم تكن الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب).

ويقول (أتيين دينيه) - الرسام الفرنسي الذي أسلم بعد دراساته الواسعة في الأديان وبحوثه القيمة فيها:- (أما أن الله سبحانه قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه فالذي لا شك فيه أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له

---

(١) هذا النص مأخوذ من نسخة الكتاب المقدس المطبوعة في لبنان عام ١٩٢٢ م بعناية أغناطيوس زيادة / دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط وهى النسخة الأرثوذكسية ص ٨ / ٢٥.

أثر أو أنه أبيد)[١]

وفيما يتعلق بلغة إنجيل عيسى ﷺ فالواقع أنه لا يعلم بأي لغة بلغ المسيح رسالته على وجه التعيين، أهي الآرامية أم العبرية أو اليونانية ونحن نعلم أن كل رسول يرسل بلسان قومه، والنصارى يعتقدون ذلك أيضًا، لكنهم يتحيرون في تطبيق القاعدة على ذلك العصر الذي بعث فيه المسيح ذلك لأن كل يهود فلسطين وسائر بلاد الشام في ذلك الوقت كانوا ينطقون الآرامية وأما العبرية وهى اللغة القديمة فضاعت في عصر الأسر البابلي وأول الفترة الوسيطة المعقبة له.

أما اليونانية فقد كانت لغة أكثر يهود الجاليات خارج بلاد الشام وهم نسبة كبيرة جدًّا من يهود ذلك العصر إن لم يكن أكثرهم.

والأرجح عند الباحثين المعاصرين أن المسيح بلغ رسالته بالآرامية لكونها اللغة المستعملة في البلاد التي بعث فيها ولوجود عدد من الألفاظ الآرامية في الأناجيل اليونانية الموجودة بأيدي الناس اليوم.

واعترض على هذا بأنه لا علاقة بين إنجيل عيسى الموحى به من الله وبين أناجيل العهد الجديد ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكلمات الآرامية الموجودة في بعض أناجيل العهد الجديد كلمات نادرة وليست في نفس الوقت كلمات قديمة بل هيَ من النوع الدارج ككلمة (بشيطا) فهي آرامية دارجة سهلة غير اللغة الآرامية القديمة.

وعلى كل فليس في شيء من ذلك دلالة على أن إنجيل عيسى ﷺ كان مكتوبًا بالآرامية فليس للقائلين بأن لغة الإنجيل كانت الآرامية إلا ما يستندون إليه من أن هذه اللغة كانت هي اللغة المستعملة في البلاد التي بعث فيها المسيح.

---

[١] الأديان في القرآن الشريف ص ١٧٤ .

– أما عن كون الإنجيل مكتوبًا باللغة العبرية فهو فرض يورده قائله بأن يكون الإنجيل نزل بلغة علمائهم وكتبهم القديمة وهى العبرية حتى يتم التوافق بينه وبينها.

– أما عن فرض كتابة الإنجيل باللغة اليونانية: ففي الواقع أننا نجد في كتب النصارى القدماء ذكرًا لإنجيل العبرانيين وذكرًا لإنجيل كان بالسريانية وهي والآرامية لسان واحد لكن هذين الإنجيلين ضاعا ضياعًا كاملًا إلى يومنا هذا، ويستبعد أكثر الباحثين أن يكون الإنجيل الأصل باليونانية.

وأيًا كانت اللغة التي بلغ بها المسيح دعوته فهل كتب هذا الإنجيل على عهد عيسى ﷺ أم أنه نقل شفويًا في أول الأمر ثم كتب بعد فترة وجيزة ؟

يقول بولس إلياس اليسوعي:- (لا مشاحة أن الإنجيل انتشر أولًا شفاهًا ثم كتب بعد سنين [١]؛ ذلك لأن المسيح لم يثبت كتابة هذه البشرى التي طلع بها على العالم [٢]. بل إن أصحاب عيسى لم يتمكنوا من كتابة شيء يقال له إنجيل غير فقرات قليلة كانت محفوظة في صدور الآحاد ولم يتفكروا إذ ذاك في تحرير شيء من أصل دينهم [٣].

ومؤرخو النصرانية ورهبانها بل أساقفتها وباباواتها مجمعون على أن الرواية الشفوية للإنجيل في مستوى التدوين، بل ترجح عليه، ومعتمدة أكثر منه، وكل ما رووه من أقوال الحواريين كان مقصورًا على الرواية الشفوية، وإذا دوّنوا منه شيئًا فذلك لزيادة الثبات والرسوخ.

وينقل الشيخ أحمد عبد الغفور عطار عن عالمهم الشهير والمؤرخ الكبير

---

(١) يقصد بهذا أناجيل العهد الجديد وإلا فهم لا يقولون بأن إنجيل عيسى كتب بعد رفعه بسنين.

(٢) يسوع المسيح ص ١٤، ١٥ .

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١١ .

أريناوس (١٤٠-٢٢٢م) أنه قال: (إنه أخذ بالرواية اللسانية من بوليكر بوس وبوليكر بوس تلميذ يوحنا الحواري) ويقول: (لم أشهد حال أساقفة أورشلين مدونًا في كتاب بل ثبت برواية اللسان ووصل إلينا بالرواية اللسانية أن أغناطيوس - عندما ساقوه إلى روما ليقتلوه بإلقائه بين الوحوش حتى تفترسه - كان يعظ في طريقه الكنائس ويحذرها من البدع المنتشرة ويوصيهم بالتزام الروايات اللسانية التزامًا شديدًا ولرغبته في المزيد من الحفظ نصح بتدوين تلك الروايات)[1].

فمدار الأمر - عند النصارى - في أول النصرانية كان على الروايات الشفوية لأقوال عيسى على ألسنة الحواريين وتلاميذهم بصفة خاصة والمؤمنين بالمسيح بصفة عامة وذلك بعد فقدان إنجيل عيسى عليه السلام.

ولا يمنع ذلك من وجود بعض الكتابات التي يسجلون فيها شيئًا من وصايا المسيح عليه السلام وما يحفظونه في صدورهم مما كان يوحى إليه وربما كان من هذه الكتابات القليلة تلك الرسالة التي تحدث عنها أكهارت وقال: (إنه يجوز أن تكون هي الإنجيل الأصلي).

والواقع أن فقدان إنجيل عيسى عليه السلام في أول عهود النصرانية يعتبر فقدانًا للمصدر الصحيح الذي يرجع إليه النصارى فيما يعتقدونه من عقائد وما يتناقلونه من أقوال مأثورة عن المسيح عليه السلام في تلك الفترة الأولى التي كان مدار الأمر فيها على النقل الشفوي لأقوال المسيح ووصاياه.

وقد امتدت هذه الفترة سنوات عديدة قبل أن تظهر أناجيل العهد الجديد ورسائل الرسل، ومع وجود العوامل الثقافية والدينية والسياسية التي أدت إلى تحريف العقيدة النصرانية في عقول الناس وقلوبهم نتيجة لتأثيرها فيهم - مع

---

(١) الديانات والعقائد ص ٤٤٠ .

وجود هذه العوامل فإن ضياع إنجيل عيسى عليه السلام قد جعل الناس يفقدون بضياعه المرجع الأساسي الذي يرجعون إليه في معرفة عقيدتهم الصحيحة والذي يعصمهم من الوقوع في التحريف العقدي تحت تأثير هذه العوامل.

ومما يجدر ذكره هنا أن لفقدان النصوص الأصلية عوامل داخلية وخارجية أما العوامل الداخلية هي عدم محافظة النصارى أنفسهم علي كتابهم فضاع منهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَـٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[المائدة:١٤]. والنسيان دليل على الإهمال.

ومن العوامل أيضًا تسلط أصحاب الفرق على كتب مخالفيهم بالإحراق والإبادة.

وهناك عوامل خارجية من أهمها استمرار الاضطهاد من قبل الرومان على النصارى فترة طويلة وتعمدهم إحراق كتب النصارى وإتلافها وهذا لا يعطى اليقين بكل ما ينقلونه من أقوال المسيح عليه السلام خلال هذه السنوات الطويلة ومن ثم تقع منهم التحريفات العقدية تحت تأثير نسيانهم وفقدانهم للنصوص المحفوظة خلال هذه السنوات.

وقد أدى فقدانهم لإنجيل المسيح عليه السلام إلى فقدان النصوص الأصلية التي يرجعون إليها لتصحيح أخطائهم أو تذكيرهم بما نسوه من نصوص الوحي الإلهي.

إذا قارنا الإسلام والمسيحية أو على الأصح موقف الإسلام نحو المسيح وموقفا المسيحية نحو محمد نجد مفارقات هامة؛ فالمسلمون من جانبهم يعتقدون في عيسى كرسول عظيم كغيره من الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى وهم يحبونه ويحترمونه كما يحبون محمدًا ﷺ ويحترمونه.

أما المسيحيون فهم يرفضون محمدًا ﷺ بل لم يحاولوا إطلاقًا في كتبهم - إلا

العدد القليل منهم - التحدث باحترام ومحبة فشطوا في تحقيره بكافة السبل خاصة الكتاب الغربيون.

ونحن إذا ما درسنا حياة عيسى وحياة محمد دراسة منزهة عن الأغراض نجد أن كلا منهما قد نعم بكرم الله حتى حمله رسالته إلى البشرية وأن كلا منهما كرس وقته وحياته للتبشير برسالته سبحانه وتعالى والسعي لإنقاذ الإنسان من خطاياه وتجنيبه المعاصي والسعي من أجل نشر كلمة الله وإرادته في العالم.

حياة عيسى ورسالته:-

ولد عيسى عليه السلام قبل مولده الرسمي الذي تعترف به الكنيسة بنحو خمس أو سبع سنوات أي أنه ولد في الفترة ما بين العام والخامس قبل الميلاد:-

وهو ينتمي إلى عائلة متواضعة في فلسطين القديمة ويبدو أنه ولد في الخريف وليس في الشتاء.

لأن والدته ذهبت به إلى مذود الغنم فوضعته فيه إثر ولادته، ومن المفهوم أن الغنم لا تترك حظائرها إلى في الربيع أو الخريف حيث يوجد بعض الكلأ لترعاه في العراء.. كما أن البلح لا يتحول إلى رطب إلا بعد منتصف الخريف ومعنى ذلك أن عيسى عليه السلام قد ولد في يوم يقع في أواخر الخريف. أي ابتداء من أكتوبر حتى آخر نوفمبر وليس في (٧ يناير أو ٢٥ ديسمبر أو ٣١ ديسمبر).

ونحن هنا لسنا بصدد السنة أو الشهر الذي ولد فيه المسيح ، ولكننا بصدد حياته ورسالته، وللأسف الشديد لا نعرف كثيرًا عن سنوات حياته الأولى وكل ما نستطيع أن نقوله إن لوقا قد أشار في الإنجيل المنسوب إليه إلى أن عيسى قد زادت حكمته كما قويت بنيته وعظمت محبته في الله ومحبة الناس فيه وعندما بلغ الثانية والثلاثين وكان ظهر يوحنا المعمدان (في أيام رئيس الكهنة حنان وجيافاس كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية فجاء إلى جميع

الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب في سفر أقوال أشعياء النبي).

وقد لا نفهم هذه العبارة التي ترجمها الآباء اليسوعيون ولكننا إذا رجعنا إلى النسخة الإنجليزية نجد المعنى كما يلي في الإصحاح الثالث فقرات ٢، ٣، ٤ من إنجيل لوقا:- (وكان حنان وجيافاس قسيسين كبيرين وفى عهدهما أوحي إلى يحيى بن زكريا وهو في البرية فذهب إلى جميع البلاد عند الأردن وراح ينادى بالتوبة حتى يغفر الله خطايا التائبين وكما هو مكتوب في كتاب أشعياء الرسول).

وفي ذلك الحين الذي ظهر فيه يحيى المعمدان؛ أنزل الله الوحي على عيسى ليخبره بأن الله اختاره مسيحًا لليهود ليعيد الدين الحق، وليكمل سلسلة أنبياء بني إسرائيل.

ولم يكن بنو إسرائيل يجهلون دين الله ولكنهم كانوا يخالفونه ويخرجون على تعاليمه وأسسه وكان الفريسيون يقننون كل ما هو مخالف للدين ويجدون حيلة للخروج على تعاليم الدين إرضاء لأولي الأمر ولمنفعتهم وهكذا ضاعت روح الدين الحق وكان من بين ما ينادون به أن من يستهين بغسل يديه يهلك أو ينفى من الأرض فتصدى لهم عيسى وقال لهم:- (إنكم لترفضون وصايا الرب بأن تحافظوا على تقاليدكم).

وكانت لهم قواعد غريبة وعادات لا معنى لها يأتونها في السبت فمثلًا كان من حث الشخص أن يسير نحو ألفي ذراع في السبت ولا يزيد عليها مترًا، كذلك كان من الجائز أن يبتلع الخل ليعالج المريء إذا كان ملتهبًا، ولكن لم يكن له الحق في أن يتمضمض أو يتغرغر بالخل، وكان يجوز للطبيب أن يذهب لزيارة مريض في خطر ولكن لا يجوز له أن يضمد الجروح أو يلأم الشروخ أو

يعالج الكسور في السبت.

واستطاع عيسى عليه السلام في صبر شديد أن ينقد هذه العادات ويتخلص منها وكان يقول لهم: (إن السبت خلق لمنفعة الإنسان ولم يخلق الإنسان لمنفعة السبت أو لخدمة السبت).

وكان يقول لهم:- (تبًّا لكم أيها الكتبة والفريسيون أيها المراءون يا من تدفعون العشور بالنعناع والشبت والكمون ثم تتركون ما هو أعظم من ذلك من الشريعة والأحكام والرحمة والإيمان وكان الأجدر بكم أن تفعلوا ما تركتموه ولا تأتوا ما فعلتموه أيها القادة العميان يا من ترتعدون أمام البعوضة وتبتلعون الجمل ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون أيها المراءّون بما في داخله من فسق ودعارة أيها الفريسيون نظفوا ما بداخل الكأس فيكون نقيًّا نظيفًا كخارجه) (متى ٢٣: ٢٣ - ٢٦).

وقد هب الفريسيون والكهنة ومعهم الكتبة إلى معارضة عيسى عليه السلام بدلًا من أن يعترفوا به وتمادوا في عداوته حتى اجتمع أعداؤه الألداء وذهبوا إلى الوالى الرومانى وضغطوا عليه أن يصدر حكمًا بصلب المسيح.

وكان هذا الرجل الذي عامله اليهود كما يعاملون اللصوص وقطاع الطرق من الشخصيات العظيمة في تاريخ الإنسانية فقد عاش عيشة نقية نبيلة كلها رحمة ومحبة ومصالحة والنادر في ذلك الحين أن يجمع الإنسان بين التسامح والشجاعة مع الإصرار على تنفيذ كلمة الله خاصة فيما يتعلق بمواطنيه الذين أعرضوا عنه ولم يصدقوه، لقد كان عيسى رجلًا نبيلًا رقيقًا متواضعًا بعيدًا عن الأنانية يخدم أصدقاءه ويدعو إلى هداية أعدائه، ولقد كانت له معجزات وآيات ولكنه لم يتفاخر ولم يغتر بما وهبه الله، بل كان يشير دائمًا أبدًا إلى أن هذه المعجزات من فعل الله سبحانه وتعالى بل اعترف بقدرة البعض على إتيان مثل

هذه المعجزات وكان رحيمًا بالمخطئين والمعذبين، والحق أنه استطاع في جميع أعماله أن يخزي الشيطان.

حياة عيسى في الأناجيل الأربعة

نجد الإنجيل المنسوب إلى متى قد كتب ليخاطب اليهود، ودليل ذلك أنه أكثر من اقتباس الفقرات التي وردت في العهد القديم مع تفسيرها كما اهتم بوصف العلاقات بين عيسى واليهود.

أما الإنجيل المسمى بإنجيل مرقس فقد اهتم بأعمال عيسى في المقام الأول ثم بتعاليمه كموضوع مكمل لأعماله وهناك مدرسة تشير على أن ما جاء في هذا الإنجيل إنما هو تسجيل لبعض ما تفتقت عنه ذاكرة بطرس.

أما الإنجيل المنسوب إلى لوقا توجه بالكلام إلى الكفرة أو غير اليهود قبل كل شيء ويبدو أن لوقا ومتى اقتبسا ما جاء في مرقص حرفيًّا أو بعد تعديل طفيف ولا ينفي ذلك أنهما استخدما بعض مصادر أخرى.

أما الإنجيل الذي يحمل اسم يوحنا فيكاد أن يكون مقالًا بعض الشيء في اقتباس ما قاله عيسى ويختلف في سرده لسيرة عيسى كما وردت في الأناجيل الثلاثة الأخرى ويرى أساتذة العهد الجديد أن الإنجيل الذي يحمل اسم يوحنا وهو آخر الأناجيل الأربعة الرسمية قد كتب بعد أكثر من مائة سنة من مولد عيسى أي في القرن الأول بعد رحيله وبالتالي أصبحت أصالة هذا الإنجيل موضع شك كبير وتضارب بين علماء اللاهوت المسيحيين.

كما أن تنوع الأناجيل بهذا الشكل وورود الروايات المختلفة نفس القصص يدعونا إلى التساؤل: ما هي الظروف التي كانت سائدة في عهد المسيحيين الأوائل والتي أدت إلى ذكر كل قصة على الشكل التي ذكرت به في كل إنجيل.

وبالتالي نجد عمليات الاستنكار التي وردت في متى (الإصحاح ٢٣) لها

وجاهتها نظرًا لوجود تضارب بين العبارات التي نسبت إلى يوحنا المعمدان في إنجيل يوحنا (الإصحاح الأول ٢٠-٢٨) إنما تدل على التضارب بين المسيحيين الأوائل وبعض هؤلاء الذين ظنوا أن يوحنا هو المسيح؟

الواقع أن الأناجيل على وضعها الحالي تحول بيننا وبين معرفة تاريخ الحوادث التي مرت في حياة عيسى عليه السلام وحتى إذا ما سلمنا بأن الإنجيل الرابع قد عنى بذكر التواريخ نظرًا لأنه قارنها بالأعياد اليهودية (انظر يوحنا الإصحاح الثاني: ١٣، والإصحاح الخامس فقرة ١، والإصحاح السادس: ٤، والإصحاح العاشر فقرة ٢٣، والإصحاح ١٢: ١).

نجد هناك كثيرًا من الغموض فيما إذا كان كتبة الإنجيل قد عنوا من وراء الإشارة إلى هذه الأعياد معنى آخر، كما أن الأناجيل الأخرى في تأريخها الأحداث بمواعيد قريبة أو بعيدة من هذه الأعياد اليهودية قد تركت أشياء كثيرة دون حل.

فكل الأناجيل لم تعتن بعملية التسلسل التاريخي، ويرى بعض المتبحرين في المسيحية: أن رسالة المسيح الدينية لم تمتد سوى سنتين أو ثلاثة.

ومن المناقضات أن الأناجيل الثلاثة قد أرخت قصة تنظيف المسيح للمعبد في الأسبوع الأخير من حياته (انظر متى الإصحاح ٢١: ١٢) بينما يوحنا يشير إلى أن هذه العملية بالذات وقعت في مستهل رسالة عيسى المسيحية (انظر يوحنا ٢: ١٣ - ١٧). وفى تفسير ذلك ذهبت الكنيسة إلى حل وسط لا يغضب أحدًا فاقترحت حدوث عملية تنظيف المعبد مرتين.

الأولى: في حياته الأولى في مستهل بعثته.

والثانية: في أسبوعه الأخير.

وهذا مثل من أمثلة عديدة على التضارب التاريخي في الأناجيل الأربعة

ونحن وإن كنا نعترف بالمسيح وبأنه قام بدور بارز في تاريخ البشرية؛ فإن هناك أمورًا تستدعى العجب: منها أن معاصريه لم يسمعوا به كرسول فمثلًا المؤرخ اليهودي يوسفيوس لم يشر إليه إطلاقًا وإن كانت نسخة طبعت أخيرًا أشارت إليه ولكن ثبت أن هذه النسخة مزورة، كذلك المؤرخ الرومانى Tasitus والأديب الرومانى Pling لم يشير إليه إلا بكلمة عابرة في تعرضهم للمسيحيين الأوائل.

انظر دائرة المعارف البريطانية صفحة ١٠١٦ وهناك قصص عن حياة المسيح الأولى وردت في الأناجيل الأربعة تصفها دائرة المعارف البريطانية بأنها خرافية وبأنها غريبة تمامًا.

حياة المسيح الأولى:-

لعل أشد مراحل سيرة المسيح غموضًا تلك المرحلة التي مرت عليه قبل بلوغه الثلاثين ، فيشير لوقا الإصحاح ٣: ٢٣ إلى أنه كان في نحو الثلاثين من عمره عندما بشر برسالته، كذلك لا نجد في مرقص أو يوحنا معلومات عن ولادته أو طفولته، على حين يبدأ متى ولوقا سردهم لتاريخ المسيح بوصف مختصر لحياته الأولى ولكن لا تقارب أو تشابه بينهما فيما عدا ولادته من أمه العذراء في مدينة بيت لحم، ويصف متى زيارة المسيح ليوسف كما يصف لوقا زيارات للمسيح قام بها للسيدتين اليزابيث ومارى.

ويشير إلى متى الماجوسي ولوقا وإلى الرعاة، وقصة متى تضمنت لجوء المسيح إلى مصر في حين تضمنت قصة لوقا لجوء عيسى وهو طفل إلى المعبد ويلاحظ فلاسفة المسيحية أن لغة الإصحاحين الأول والثاني في لوقا تختلف عن بقية الإصحاحات، وبالتالي يفسرون ذلك بأن هذين الإصحاحين قد نقلا من مصدر آخر (من المحتمل والدة عيسى نفسه).

أما الإصحاحات الأخرى فنقلت من مصادر مختلفة، والنتيجة أن أساتذة المسيحية في الجامعات لا يستطيعون أن يؤكدوا شيئًا عن حياة المسيح كطفل أو شاب، بل نجدهم يشطون في القول فيؤكدون أنه جاء نتيجة إجتماع عضوى بين يوسف النجار والعذراء مريم . وعلى الرغم من الصعوبات التي يجدها المحققون في تحقيق ما قاله لوقا في الإصحاح ٢: ١ مع سجلات الرومان نجد الكثيرين من المفسرين يشيرون إلى أن المسيح عليه السلام ولد ما بين ٤ سنوات إلى سبع سنوات قبل الميلاد.

والسبب في هذا الخطأ التاريخي أن Di onysius قد أرخ عملية صلب المسيح في عام ٧٥٣ بعد تأسيس روما.

ولكن هيرود الذي أشارت الأناجيل إلى أن المسيح ولد في عهده توفى في عام ٧٤٩ وفق التاريخ الرومانى أي ٤ سنوات قبل الميلاد.

وأشار إنجيل لوقا في قصة عيد الميلاد إلى أنه ولد في عام ٧٤٧ بالتاريخ الرومانى أي ٦ سنوات قبل الميلاد وبالتالي يمكن القول بأن المسيح ولد ما بين ٤ سنوات وسبع قبل الميلاد وحتى إذا سلمنا أنه ولد في بيت لحم نجد أنه قد ذهب إلى الناصرية في الجليل كما أشار متى في الإصحاح ٢١: ١١ بأنه كان يعرف باسم المسيح الناصري لأنه تربى هناك في الناصرة.

علاقته بأسلافه:-

لقد جاء عيسى ليؤكد تعاليم اليهودية ومع ذلك نجده يختصم الكهنة اليهود في موضوعات أهمها البعث ، كذلك اختصم جماعة أخرى ذكرها لوقا في إصحاحه ٦: ١٥ وكانت هذه الجماعة تعرف باسم Zealots وكانت تكرس نفسها لإحداث انقلاب ضد الرومان وإعادة مملكة إسرائيل، وكثيرًا ما تردد القول بأن عيسى عليه السلام كان عضوًا في جماعة سرية تدين بمعتقدات خاصة

وتعاليم عقائدية ولكن أساتذة الدين المسيحي فندوا هذا الزعم من الناحية التاريخية والعقائدية.

مهمة عيسى عليه السلام:-

نقرأ ما بين سطور الأناجيل الأربعة وصفًا لعيسى بأن الله أرسله لمهمة خاصة وإن اختلفت الأناجيل في تعريف هذه المهمة الأمر الذي دعا فلاسفة المسيحية إلى الاهتمام بمسألة تطور الديانة المسيحية، وهذا التطور يحمل سؤالين:

الأول: هل كان تصوير عيسى بأنه المسيح في الأناجيل الأربعة المعتمدة من الكنيسة عملًا من أعمال الكنيسة في العهد الأخير وليس أيام المسيحيين الأوائل ثم أضفى هذا الوصف على عيسى بعد ذلك؟!

وإذا كان الجواب بالنفي؛ فمتى وفى أي ظروف ظن عيسى نفسه أنه المسيح المختار؟

ونجد لوقا إصحاح ٢: ١١ - ٢٦ ينسب إلى عيسى لفظ المسيح حتى في أيام طفولته.

في حين ينسب إنجيل يوحنا لفظ المسيح على أندراوس وهو أول من انضم من الحواريين إلى عيسى عليه السلام (يوحنا ١ - ٤١).

والواقع أن لقب مسيح قد استعير من العهد القديم ولكنه تطور خلال الفترة السابقة لعيسى مباشرة وحتى في ذلك الحين لم يكن لقب المسيح بارزًا لدى اليهود كما يدعى المسيحيون، وكان هذا اللقب يعنى لدى الشعب الخلاص والنجاة والترفع عن المعصية وأحيانًا الاستقلال وطرد الرومان ولا شك أن مثل هذا الأمل كان مصحوبًا بكثير من التطلعات أو على الأقل التمنيات بحدوث تغيرات أساسية في المجتمع.

وكانت هذه الآمال تترعرع دائمًا عندما يظهر زعيم وطني أو زعيم ديني ولا شك أن ظهور المسيح كزعيم ديني يأتي بالمعجزات قد أثار مثل هذه الآمال حتى وإن لم يكن المسيح المنتظر (متى ١٦ - ١٤) ولا شك أن قصة دخول عيسى القدس التي أوردتها الأناجيل الأربعة (متى ٢١ - ١)؛ وقصة إطعام الخمسة آلاف شخص التي وردت في إنجيل يوحنا (يوحنا ٦ - ١٤: ١٥) خير شاهد على هذه الآمال التي أثارها عيسى بين الناس ولم يكتف عيسى بإثارة هذه الآمال بل راح يفسرها مستفيدًا مما جاء في العهد القديم عن المسيح المنتظر ابن داود الذي يعيد المجد لمملكة أبيه.

وهذه القصة ملخصه تلخيصًا واضحًا في أشعياء إذ يشير إلى أن أوامر الله لإسرائيل لن تنفذ تنفيذًا كاملًا إلا على يد عبده الذي يتعذب ويبدو أن عيسى قد جمع هاتين القصتين وحدد مهمته بما جاء فيهما.

وهناك مسألة غريبة في تفسير مهمة عيسى هي تلك التي تسمى بأسرار المسيحية.

فبمقتضى لوقا (٤ - ٤١) كان الشيطان والجن أول من اعترفوا بعيسى كمسيح الله وأنه أمرهم بأن يحفظوا السر.

كذلك يصطنع مرقص الأعذار بالنسبة لقيصرية فيليبى (مرقص ٨-٣٠) وعملية التجلي (مرقص ٩-٩).

ونجد في متى بل في يوحنا أن عيسى كان صريحًا للغاية ولا يعمل على إخفاء مهمته (يوحنا ٤-٢٥: ٢٦).

ولا ندرى أيها أقرب إلى الصحة هل كان عيسى يحاول تكتم رسالته أو الإفصاح عنها، كذلك نستطيع أن نضيف على ما تقدم بعض التضارب إذ هناك ما يدل على أن عيسى لم يكن يفكر بأنه المسيح المنتظر بل عمد عن قصد على

إخماد جذوة الأمل التي التهبت في قلوب الناس بأنه هذا المسيح خاصة وأن الحواريين راحوا بعد موته يضفون عليه أوصافًا فضفاضة ويسندون إليه أقوالًا لم يتفوه بها.

والسؤال هنا إلى أي حد استطاع عيسى كإنسان خلال رحلته على الأرض إدراك مهمته الحقيقية ؟؟!.

يقول هؤلاء الذين يؤلهون عيسى: إن طبيعته الإلهية جعلته يدرك أنه المسيح سواء أكان هذا الإدراك كاملًا أم جزئيًّا في شخصه كإنسان وهنا يمكن الرجوع إلى مرقص (١٣-٣٢) إذ يقول على لسان المسيح إن كلماته لن تزول أبدًا، ولكن عندما تكلم عن القيامة قال: (علمها عند الله فلا يعلم بها أحد لا الملائكة ولا الابن ولكن الأب وحده) أي أنه ليس بالمسيح.

كان الشعب أيام عيسى ينتظر حلول معجزة أو شبه معجزة تخلصه من الأوضاع التي تردى فيها سياسيًّا أو اجتماعيًّا وأخلاقيًّا.

ولما كان عيسى أحد أبناء فلسطين ، فإنه كان أيضًا يأمل في حدوث تغييرات جذرية سريعة تؤثر على الوضع السياسي في فلسطين، ولسنا في حاجة هنا للدخول في مناقشات، ولكن يكفى أن نشير إلى أن كثيرين من الدارسين كانوا ولا يزالون يرون أن عيسى اعتقد بأن نهاية العالم كانت قاب قوسين أو أدنى في عهده وأن العالم بعد موته سيواجه محنة أو مصيبة تكون فيها نهاية الإنسانية.

بمعنى أن كلمات عيسى نفسها كانت تهدف إلى تصوير نهاية الإنسانية ولكن ذلك لم يتحقق حتى عهدنا الحاضر وراح أصحاب المعاذير يفسرون (النهاية) بأنها لا تعنى انتهاء العالم بل الهدف النهائي من رسالة عيسى، وهذه أعذار يسوقونها لمجرد التبرير ولكن لا معنى لها.

الأب وابن الإنسان:

هناك لقبان يجب أن نهتم بهما هما: الأب وابن الإنسان.

من المُسلم به أن كلمة أب تستعمل في الشرق الأوسط استعمالًا مجازيًا حتى الآن.

فليس بغريب أن ينادى طفل من الأطفال أو صغير في العائلة كبيرها بقوله أبونا فلان ولا تعنى هذه الكلمة أبوة عضوية ولكنها لقب يشير إلى التبجيل والاحترام وأن الشخص المشار إليه بالأب أو العم (على الرغم من عدم قرابته للشخص الآخر) يأتي في منزلة الأب أو العم.

وبالتالي يستحق التبجيل والاحترام وبالتالي أيضًا نستطيع أن نفسر كلمة الأب بأنها لقب مجازى يعنى الاحترام للشخص الذي أسند إليه.

كذلك كلمة الابن فهي مستعملة الآن كما كانت مستعملة منذ ألفى سنة لا تشير حتمًا إلى بنوة عضوية بل قد تشير بالإعزاز والحب نحو الصغير الذي يناديه الكبير بكلمة يا بني.

أما لقب ابن الإنسان فهو من الألقاب الرمزية التي تظهر في الديانة اليهودية وقد استخدمه كتاب الأناجيل الأربعة استخدامًا حرًّا للغاية عندما أدخلوه على أقوال عيسى عليه السلام.

وقد يعنى ابن الإنسان في بعض هذه العبارات ضمير أنا ويظهر هذا جليًّا في الإنجيل المنسوب لمتى (إصحاح ١٦ : ١٣) ولوقا (إصحاح ٩ : ١٨).

وفى أحيان أخرى يعنى لقب (ابن الإنسان) كلمة رجل وإنسان كما نجدها في مرقص (٢ : ٢٨).

وفى بعض الأحيان تشير إلى إنسان ضربت عليه الوحدة والذلة.

وفى الأحيان ثالثة نجدها تعنى نفس الفكرة الفارسية القديمة أي ظل الله

على الأرض أو نائبه في الأرض وظهر هذا المعنى في متى (٢٤: ٢٧ - ٣٠).

ولكن يبدو أن (عيسى) استعمل هذا اللقب ليتجنب الإحراج السياسي الذي كان لابد وأن يتعرض له لو استعمل كلمة المسيح ولقب ابن الإنسان يتكرر في الأناجيل الأربعة (٨٠ مرة).

ويحمل هذه المعاني المختلفة وقد استخدمه عيسى في معناه العام المعروف في اللغة الآرامية، كما استخدم لقب الأب إن كان حقًّا قد استخدمه بمعناه الدارج في نفس اللغة.

عيسى يتأثر بمعاصريه:-

أثار عيسى في جماهير اليهود عواطف شتى تبدأ بالتقدير والإعجاب وتنتهي بالكراهية والمقت له خاصة في أيامه الأخيرة.

وتشير الأناجيل إلى أن عيسى بفضل الآيات التي حباه الله بها والتي كانت شائعة في عهده مثل طرد الشيطان من جسم الإنسان (الزار) وعلاج بعض الأمراض قد جذب انتباه الناس كما فعل يحيى عليه السلام.

ولعل ذلك يرجع إلى هذه الآيات وإلى تعاليمه التي أراد أن يحيي بها أصول اليهودية وأكثر ما تميز به عيسى احتقاره لزعماء الدين كما أثار بتعاليمه في الناس الآمال في الخلاص وكانت له شعبية بدليل ما جاء في قصة دخوله القدس وما تلا ذلك من أحداث.

ونحن نعرف موقف عيسى من الشعوب غير اليهودية إذ أنه كرر مرارًا وتكرارًا أنه جاء لصفوة الشعب اليهودي بل يظهر في بعض فقرات الإنجيل أنه كان يكرر (أنصاف اليهود أو اليهود المخلصين).

ذلك ما قاله عن الحكام الملحدين انظر (متى ٢٠-٢٥) فالمقصود أن هؤلاء مما يدل على أن رسالته كانت محدودة الرقعة ولم تكن عالمية.

أما من يحتج بما جاء في يوحنا (١٢-٢٠) فالمقصود أن هؤلاء الناس لم يكونوا من الإغريق الوثنيين بل كانوا يهودًا يونانيين أو يهودًا من أصل يوناني.

وأما ما قيل عن أنه عالج بنت إحدى الفينيقيات (السوريات) (مرقص ٧-٢٤) وما جاء (متى ٨: ٥)، فإننا نرى هاتين القصتين على ديانة هذين الشخصين اللذين وردا في القصتين وقد يقول قائل: إن عيسى قد تنبأ بأن ملكوت الله عالمي وأنه لا يقتصر على اليهود ولكنه عنى أن ذلك كان سيحدث بعد رحيله وليس في أيامه.

والحق أن عيسى برغم ما يقال من أنه قد جاء برسالة عالمية إلا أن الأناجيل الأربعة التي كتبت بعد رحيله في فترة تتراوح ما بين ٧٠ إلى ١١٥ سنة تدل على أنه كان متشبثًا باليهودية وأنه عاش بين اليهود، وأن اليهود قبلوه كمخلص كما رفضوه بعد ذلك وأوعزوا بمحاكمته.

من هو الحواري الذي أحبه المسيح؟

لم يفصح الإنجيل عن اسمه أو شخصيته وليس هناك من كلمة تشير إلى أنه (يوحنا بن ربيدى) ولا شك أن هذا اللغز قد أدى إلى تضارب الرأي بشأن المؤلف الأصلي وبشأن الشخصية الأخرى التي استند إليها الأمر الذي يدركه لم يدركه الذين حرروا هذا الإنجيل لأول مرة.

قد يقول البعض: إن هذا المحبوب هو لازاروس وقد يكون من المرجح والأكثر تصديقًا أن هذا اللقب (المحبوب) لم يكن يقصد به أحد الحواريين ولكن أحد المحررين الذين حاولوا تكذيب أو حذف ما أشيع من أن الحواري المحبوب سيعيش في هذه الدنيا حتى يعود إليها المسيح مرة أخرى (الإصحاح ٢١: ٢٠-٢٣).

وبالتالي ينظرون إليه كمؤرخ معتمد وصادق باعتباره عضوًا في الجماعة التي

ورد ذكرها في الإصحاح ٢١: ٢ والتي تنص على تواجده في العشاء الأخير، وكان شاهد عيان على صلب المسيح، وأنه تشرف برعاية السيدة مريم في محنتها، وقد يكون من المحتمل وليس من المؤكد أن محرري هذا الإنجيل كانوا يعتقدون أن الحواري المحبوب هو يوحنا بن زبيدى.

ففي السنوات الأخيرة من القرن الثاني للميلاد اجتمع رجال الكنيسة وقرروا أن يوحنا كان أحد الحواريين الاثنى عشر وأنه كتب هذا الإنجيل كما كتب الرسائل الثلاثة المنسوبة إليه.

وبالتالي وجب على علماء المسيحية أن يمحصوا هذا القرار بدقة خاصة لأنه جاء في القرن الثاني بعد الميلاد وأن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا والرسائل المنسوبة إليه كانت قبل ذلك التاريخ مجهولة الأصل لا يعرف كاتبها قبل هذا التاريخ إضافة إلى ذلك أن الشواهد والقرائن التاريخية القديمة لا تدل على شخصية كاتب معين وإن كان الكاتب قد أسمى نفسه شيخ الكنيسة في الرسالة الثانية والرسالة الثالثة.

ويذهب قسيس الإسكندرية في القرن الثالث والمسمى DRONYEUIS إلى أن مؤلف هذا الإنجيل ليس يوحنا ويؤكد ذلك بوجود مقبرتين في أفسوس تضم كل واحدة رفاة حواري اسمه يوحنا.

ونحن أبناء القرن الحادي والعشرين لا نستطيع أن نتصور كتابًا يصدر دون اسم مؤلف أو ناشر ولكن الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل صدرت في أول الأمر دون ذكر اسم المؤلف ثم وضعوا أسماء مؤلفيها على حسب ظنهم في القرن الثاني وفق ما جاء في مخطوطة BODMER الثانية التي صدرت عام ٢٠٠ بعد الميلاد والتي وضعت اسم يوحنا إلى جانب الإنجيل المنسوب إليه .

والسبب في ذلك أن المسيحيين الأوائل كانوا على فطرتهم فكانوا يعتقدون

أن كل من يخط خطًّا في أمور دينية كان يفعل ذلك بوحي من الروح القدس أما الإنسان نفسه الذي كتب الإنجيل فهو مجرد أداه، أما الخطابات والرسائل فكان أمرها مختلفًا إذا نسبت إلى أصحابها أو ما أشيع بأنهم أصحابها على أن الإنجيل الرابع المنسوب إلى يوحنا قد ألمح إلى شخصية مؤلفه حتى يكون مقبولًا لدى جمهور الشعب في حين أن بقية الأناجيل لم تحمل أية إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى شخصية مؤلفيها .

أما عن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فأمر غير محقق على الإطلاق وقد أشار المسيحيون الأوائل إلى أنه كتب في القرن الثاني لوجود قطعة من نبات البردي وجودها تشير إلى هذا الإنجيل وبالتالي ذهب كتاب المسيحية في أواخر القرن الثاني إلى الزعم بأن هذا الإنجيل هو آخر الأناجيل المكتوبة وأنه يكمل الأناجيل الثلاثة الأخرى، وإذا أخذ هذا الإنجيل على أنه مستقل بذاته فإن تأخير كتابته إلى القرن الثاني تصبح أمرًا لا نستطيع تفسيره .

ويبدو أن كاتبه أو كتابه كانوا يتصفون بالحذق والنضج والتجربة في الاتصال الجماهيري وكانوا يتقنون أساليب المجاملة والمراوغة مما يدل على أنه أو أنهم كانوا من كبار السن إذ أن هذا الإنجيل يعكس على صفحاته تجربة غنية للمجتمع المسيحي في ذلك الحين.

وبالتالي يجزم أساتذَة المسيحية بأنه كتب في السنوات القليلة الأخيرة من القرن الأول أو السنوات الأولى من القرن الثاني.

والمقدمة الواردة في هذا الإنجيل والتي يشتم منها معارضة مرقص إنما ترجع إلى فترة تبدأ من القرن الثاني حتى القرن الخامس بعد الميلاد، ولقد أشار بيبسي إلى أن يوحنا قدم إنجيله إلى الكنيسة خلال حياته وهذه الإشارة تدل على أنه كان يوجد نزاع حول ما إذا كان هذا الإنجيل قد نشر بعد موت يوحنا أو في

حياته (انظر ٢١: ٢٣-٢٥٤). وبالتالي يمكن أن نستنتج أن مؤلف هذا الإنجيل إما أنه كتبه وهو في سن المائة وهو سن متأخر لا يسمح لصاحبه بالاتزان في الكتابة، وإما أنه كتب بمعرفة شخص آخر بعد ١٠٠ سنة من الميلاد.

وبالتالي تصبح الفجوة الزمنية بينه وبين عيسى طويلة جدًّا بحيث نستطيع أن نجزم بأنه ليس منزلًا بل من عمل الإنسان.

التعاقب الزمني للأحداث:-

لا تهتم الأناجيل بالتعاقب الزمني للأحداث .. فمثلًا الإنجيل المنسوب إلى مرقص يشير إلى قصة الصيادين في ١ :١٦-٢٠ ويشرح كيف دعا المسيح الصيادين الأربعة إلى اتباعه قائلًا لهم: (ستصيرون صيادي الناس) في حين أنه لم يكن يعرفهم ولم يختبرهم.

وبالتالي يكون سرد القصة على هذا النحو غير مستساغ لأنها تقوم على العفوية، ويختلف الإنجيل المنسوب إلى مرقص والإنجيل المنسوب إلى لوقا مع الإنجيل المنسوب إلى متى خاصة بالنسبة لقصة يونس فتقول ٨: ١١-١٢ من إنجيل مرقص:- (يعطى هذا الجيل آية ثم تركهم وصعد إلى السفينة ليمضى إلى الضفة الأخرى).

كذلك يقول إنجيل متى (لن يكون هذا الجيل آية).

أما إنجيل لوقا ٧: ٢٢ (فأجابهم عيسى قائلًا لهم: اذهبوا في طريقكم وانقلوا إلى يوحنا ما رأيتم وما سمعتم وكيف يرى الأعمى ويسير الأعرج ويشفى الأبرص ويسمع الأصم ويقوم الموتى ويكرز بالإنجيل للفقراء).

وجاء في إنجيل لوقا ١: ٢٠ (ولكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل إليكم ملكوت الله).

ومعنى ذلك أن هناك آية أو آيات قد قدمها المسيح فعلًا مما يتنافى مع ما سبق قوله من أن هذا الجيل لا يستحق آية وتعترف الكنيسة بوجود إضافات في الإنجيل المنسوب إلى مرقص خاصة الإصحاح ١٦: ٩ - ٢٠ .

ويؤكد الأب كانينجر وجود إضافات لم ترد في أي إنجيل آخر كما أنها تتعارض مع قول المسيح: مثال ذلك:-

أنه جاء ليهدى أبناء إسرائيل الضالين، غير أن الفقرات من ٩ إلى ٢٠ تتناول ظهور المسيح لتلاميذه بعد موته والدعوى أنه أمرهم بنشر المسيحية في العالم أجمع في حين أن ذلك يتنافى مع إعلانه أنه جاء لإعادة الضالين من بني إسرائيل إلى حظيرة الرحمن.

كذلك نجد الإنجيل المنسوب إلى لوقا يتعمد حذف الفقرات التي تتمشى مع اليهودية بعكس إنجيل مرقص الذي يبرز أكثر الفقرات تمشيًا مع اليهودية.

وترى دائرة المعارف البريطانية أن كاتب إنجيل لوقا كان وثنيًّا ثم آمن بالمسيحية، وترى أن إنجيل مرقص كتبه في الأصل يهودي على أنه استخدم بعض التعبيرات اللاتينية وأنه عنى من إنجيليه غير الفلسطينيين فاعتنى بشرح الفقرات الآرامية الأصل ويرى أسقف هيرا أن كاتب إنجيل مرقص كان يدعى بطرسًا وكان يعمل مساعدًا لبولس في نحو عام ١٥٠م وأن بطرس هذا لم ينل حظًا من التعليم.

التراث الكنسي:-

يقول كتاب الوحي: إن ابن زبيدى كتب سفر الرؤية ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة غير أن الشواهد التاريخية لا تشير إلى هذا الرأي إذ تستند الرسالتان الثانية والثالثة إلى شخص استعار لنفسه اسم شيخ الكنيسة.

والواقع أن الرسالتين الثانية والثالثة محط نقاش كبير ويقول DIONYSIUS

الإسكندرانى الذي عاش في القرن الثالث: أن هذه الرؤيا يجب أن ترفع من الكتاب المقدس وأن كاتبها يختلف في الأسلوب عن كاتب الرسالة الأولى ويشير تعزيزًا لكلامه على وجود مقبرتين في أفسوس.

يقال: إن يوحنا مدفون في إحداهما.

أما إبرانوس فيرى أن يوحنا قد مات عند تراجان في آسيا الصغرى، كذلك ليس هناك ما يؤكد ما جاء في يوحنا الإصحاح ٨: ٥٧ أن عيسى قد عاش حتى بلغ الخمسين ولا شك أن هذه الفقرة التي تشير إلى أن اليهود قالوا له كيف تدعى أنك رأيت إبراهيم وأنك لم تبلغ الخمسين بعد.. فهي فقرة كاذبة.

إذ أن عيسى عند موته لم يتجاوز الثانية والثلاثين وإذا كانت إحدى فقرات هذا الإنجيل قد أخطأت فإنه لا يصبح جديرًا بالثقة.

أضف إلى ذلك أن البيانات التي وردت به قد صيغت في قالب جدلي بقصد الدفاع عن الإنجيل وعن الرؤيا ضد النقد الموجه إليهما ولما كان المعيار الذي اتخذ لاعتبار أي إنجيل معتمدًا كنسيًّا هو معايشة كاتبه لعيسى عليه السلام وأن ما دون ذلك لا يجعل الإنجيل معتمدًا أو حتى أدبًا دينيًّا وعليه يكون إنجيل يوحنا عملًا غير ديني لأن كاتبه لم يواكب عيسى عليه السلام.

وقد وصف JUSTIN الذي عاش في عام ١٥٥ يوحنا بأنه أحد التلاميذ واشترط أن يكون يوحنا عمل بإنجيله وهذا أمر غير وارد على الإطلاق لأن إنجيل يوحنا ظهر في أوائل القرن الثاني في حين مات يوحنا قبل نهاية القرن الأول دون أن يترك وراءه إنجيلًا على الإطلاق.

كذلك هناك اختلافًا في الأسلوب واللغة بشكل ظاهر بين الرؤيا والإنجيل وإن استخدما فيما بينهما عبارات مشتركة مثل: (كلمة الله ، وماء الحياة، وحمل الله) وما كان أحد يظن في ذلك العصر أن يوحنا بن زبيدى هو الذي كتب

الإنجيل الرابع والرؤيا لولا أن الكنيسة نادت بذلك وأصرت عليه في القرن الثاني.

هل كان يسوع متزوجا ؟

في الإنجيل الرابع حادثة ذات صلة بزواج قد يكون في الواقع عرس يسوع هذه الحادثة هي بالطبع عرس قانا الجليل وهى حكاية مألوفة تمامًا. لكن مع كل مألوفيتها برزت فيها مسائل معينة مصاحبة لها تسوغ لنا النظر فيها.

من رواية الإنجيل الرابع يبدو لنا عرس قانا حفلة محلية متواضعة عرسًا قرويًّا نموذجيًّا يظل فيها العروسان مجهولين. إلى هذا العرس يدعى يسوع بصفة خاصة وهى شيء ينطوي على شيء من الغرابة ربما ذلك لأنه لم يكن حتى حينئذ قد باشر دعوته (أو كرازته بحسب المصطلح المسيحى) . لكن الأغرب من هذا أن تحضر هذا العرس أمه وأن يكون حضورها أمرًا مسلمًا به.

وهو بالقطع أمر ليس له تفسير.

أكثر من هذا أن مريم لا تقف عند حد الاقتراح على ابنها بل إنها تأمره أن يعيد ملء الخمر. فهي تتصرف كما لو كانت هي المضيفة:- (ومست الحاجة إلى الخمر لأن خمرة العرس نفذت فقالت ليسوع أمه: لم يبق عندهم خمر. فقال لها يسوع: ما لي ولك أيتها المرأة؟ ولم تأت ساعتي بعد. فقالت أمه للخدم: افعلوا ما يأمركم به) (يوحنا ٢: ٣-٤).

انصاع الخدم للأمر على الفور تمامًا كما لو أنهم اعتادوا تلقى الأوامر من مريم ومن يسوع.

على الرغم من محاولة يسوع البادية التنكر لأمه تظل كلمة مريم هي النافذة يقوم يسوع باجتراع أولى معجزاته الكبرى: تحويل الماء خمرًا.

بمقدار ما يتعلق الأمر بالأناجيل لم يكن يسوع حتى يومئذ قد كشف عما فيه

من قوى خارقة وليس هناك من سبب يدعو مريم إلى حسبان امتلاك يسوع لمثل هذه القوى. لكن حتى ولو كانت هذه القوى موجودة فلماذا تسخر مثل هذه المواهب الفريدة والقدسية لغرض فيه مثل هذا الابتذال ؟

وأهم من هذا لماذا يأخذ (ضيفان) اثنان في عرس على مسؤوليتها القيام بالخدمة وهى مسئولية تقضى العادة أن يتولاها صاحب الدعوة وهو المضيف اللهم إلا أن يكون عرس قانا الجليل هو عرس يسوع نفسه.

وفى هذه الحالة يكون من مسئوليته أن يعيد ملء الخمر. ثمة دليل آخر على أن عرس قانا كان في الواقع عرس يسوع نفسه . فبعد حدوث المعجزة مباشرة ذاق وكيل المائدة الماء الذي صار خمرًا ودعا العروس (يساوى العريس) وقال له:- (جرت عادة الناس أن يقربوا الخمرة الجيدة أولًا حتى إذا أخذ منهم الشراب قربوا ما دونها في الجودة. أما أنت فأخرت الخمر الجيدة إلى الآن) (يوحنا ٢: ٩ - ١٠).

يبدو أن هذه الكلمات قد خوطب بها يسوع . لكن الإنجيل يقول إن العروس (يساوى العريس) هو من خوطب بها. والنتيجة البينة هي أن يسوع والعروس هما الشخص نفسه.

عدم (عذرية) مريم ، واخوات يسوع:-

يوضح الباحثون والمؤرخون كيف نمت المسيحية . فالنصوص اليونانية التي كتبها أعضاء هذه الفرقة خارج فلسطين والمعروفة باسم الأناجيل تقص حياة مؤسس تلك الفرقة: فلقد ولد من عذراء بعد إنجابها عدة أطفال.

والحديث عن عذرية مريم يقول الباحثون إنه أضيف مؤخرًا في نصوص الميلاد بينما لا يقول مرقص أي شيء عنها، بينما قال بولس إن المسيح (ولد من امرأة) ولم يقل إنها كانت عذراء ويؤكد الباحثون هنا أن عبارة (العذراء) ناجمة

عن ترجمة خاطئة لكلمة عبرية هي HALAMAH ولا تعنى (عذراء) وإنما تعنى (سيدة شابة).

الحواريون ورفع المسيح إلى السماء مباشرة:

لقد أيد عيسى جماعات كثيرة من الشعب اليهودي ولكنه اختار عددًا من الناس توسم فيهم الولاء له وهذه الجماعة تختلف حجمًا من إنجيل إلى آخر.

فترى لوقا يشير في إصحاحين متواليين إلى الاثنى عشرة (لوقا ٩ - ١) وإلى السبعين (لوقا ١٠ - ١).

وهذا التضارب لا يجعلنا نصف في دقة تقرير لوقا عن المسيح، وأشارت الأناجيل في أماكن متعددة إلى الحواريين باعتبارهم الذين اتبعوا عيسى سواء كانوا على هيئة مجاميع غفيرة من الناس أو اثنى عشر شخصًا.

والحواريون الاثنى عشر الذين أشار إليهم مرقص (٣: ١٦-١٩) هم:- (سيمون ، وبطرس، وجيمس، وجون، واندرواس، وفيليب، وباثليمو، ومتى، وتوماس، وجيمس بن الفاوث، وساريوث، وسيمون الكنعانى، ويهوذا الأسخريوطى).

وعددهم ١٣، ونجد أقوالًا أخرى تستبعد يهوذا الإسخريوطى وتضع محله (ماثيوس) أعمال الرسل ١ - ٢٦.

كذلك نجد روايات تشير إلى أن (برنابا) كان أحد هؤلاء الحواريين كما سيأتي الكلام عنه في كتابنا (أوراق أخفاها التاريخ تكشف عن أسرار المسيح) وقد اختلفت الطوائف المسيحية في أمر بطرس هل هو من الحواريين أم لا .

ولنا أن نتساءل ما هو الدور الذي أسنده عيسى لهؤلاء التلاميذ؟

هل أراد عيسى أن يقيم كنيسة كما جاء في أقوال (متى ١٦-١٨ ، ١٦) على حين تنفرد دوائر أخرى مثل هذا الظن وتشير إلى أن عيسى لم يكن يريد كنيسة

جديدة إنما جاء ليعزز اليهودية ويطهرها من أرجاسها، ويرى البروتستانت أن عيسى أراد فعلًا أن ينشيء مدرسة جديدة أو كنيسة جديدة وليس حتمًا جماعة خارجة عن اليهودية.

أما الكاثوليك والرومان والأرثوذكس والإنجليكيون فيرون أنه أراد إنشاء كنيسة جديدة مستقلة عن اليهودية.

كان المسيحيون الأوائل يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى أنقذ نبيه عيسى ﷺ من الموت على الصليب وأنه لم يصلب إطلاقًا وهناك شواهد في (العهد الجديد) تشير إلى هذه الحقيقة ومن ذلك أن بولس لم يشر بشيء على القبر الذي حددوه للمسيح بل أشار إلى أنه فارغ، على أن أصحاب المعاذير المسيحيين يصرون على أن هناك كثيرًا من المشاكل التي لا تفسير لها مثل مشكلة البعث التي من أجلها نشأت الكنيسة المسيحية.

وكان المسيحيون القدامى يعتقدون بأن رفع المسيح لم يشع بين الناس ولكن عرفه عدد قليل من المؤمنين برسالته ، ولم يشهد أحد قط رفع المسيح غير بولس الذي كان في طريقه إلى دمشق، وبالتالي يمكن أن نقول أن عدم التسليم برفع المسيح في المسيحية إنما هو لأغراض شعوبية وليس هدفه تحقيق حدث تاريخي فلا يستطيع أي مسيحي مؤرخ أن يعلن أن المسيح قد رفع يقينًا إلى السماء، وكل ما يستطيع أن يقوله أن هذا الحادث هو ما آمنت به الكنيسة الأولى، كذلك من الصعب أن نحدد العلاقة بين رواية بولس، وما أوردته الأناجيل الأخرى من روايات، ويكفى أن نشير إلى أن إنجيل يوحنا يتفق مع الأناجيل الأخرى في هذا الشأن بل هناك من يقول بأن المسيح ظهر مرتين مرة في الجليل ومرة في يهوذا، وبالتالي يكون ما ورد في (أعمال الرسل ٢-٣٣) مشكوكًا فيه كل الشك وينفرد لوقا في (٢٤: ١٣) بابتكار صلة بين الأحداث التي روتها الأناجيل

وقيام الكنيسة، وهذه الصلة تعرف باسم (إنجيل الأربعين يومًا بعد عيد الفصح).

ويبدو أن مشكلة رفع عيسى إلى السماء دون صلبه استحوذت على تفكير كثيرين من المسيحيين وقد ورد ذكرها في (لوقا ٢٤: ٥٠-٥٣) وفى (أعمال الرسل (١-٩: ١١) و (مرقص ١٦ - ١٩).

* * *

المسيح في نظرهم

صورة المسيح عند المسيحيين الأوائل

للأسف الشديد ليس هناك في الوثائق ما يدل على مدى ممارسة المسيحيين القدامى تقاليد الكنيسة الحالية بشأن المسيح عليه السلام وكل ما هناك بعض قصاصات أو عبارات وردت في كتاب من هنا وكتاب من هناك مذهب يسمى بالمذهب الحواري نسبة إلى الحواريين، والذي ظهر في عَهد مبكر لا يتجاوز القرن الأول بعد الميلاد وهذا المذهب يشير إلى معتقدات الكنيسة المسيحية الأولى وخلاصته أنهم في إيمانهم يبنون عقيدتهم ليس على الملاحظة والحجج ولكن على العاطفة، ولا يدخل في إيمانهم أن عيسى قد وجد قبل أن يولد بمعنى أنه وجد مع الله قبل الخليقة وأنه مر في فترة من الذل تلك الفترة التي قضاها على الأرض وهذا المذهب ينكر حياة عيسى قبل ولادته كما ينكر ألوهيته.

هل المسيح هو ابن الله الوحيد ؟

أشارت الأناجيل الأربعة إلى أن عيسى هو ابن الله دون أن تسند هذا الزعم (لعيسى) نفسه وهناك بعض أحداث تشير إلى استخدام كلمة الابن استخدامًا مجازيًّا، وليس بمعنى البنوة العضوية ولكن كتاب الأناجيل ولاسيما بولس كان يقصد من البنوة تمجيد (المسيح) والغريب أننا نلاحظ أن كتاب الأناجيل قرنوا هذه البنوة بتعميد المسيح (متى ٣-١١) كذلك بولس في رسالته إلى أهل رومية (١-٤).

ويبدو من ذلك أن بعضهم سلم بأن كلمة ابن الله لا تعنى في العهد الجديد أن عيسى كان قد وجد قبل مولده ولكن يبدو (إنجيل يوحنا وبولس) أن هذا المعنى قد جاء ضمنيًّا وأن هذا اللقب قد ابتكر إغاظة في اليهود والذين لا يعتقدون في تعدد الآلهة ولكن العكس صحيح بالنسبة للوطنيين الذين كانوا يعيشون في ذلك العهد ويعتقدون بتعدد الآلهة وقد استخدم المسيحيون كلمة

الرب في وصف عيسى ومعناها بالإغريقية KYRIOS وهى تعنى الإله الخالق بل المولى أو السيد.

مجمعا نقيا والقسطنطينية:

منذ بداية المسيحية وهى تنوء بهؤلاء الذين يحاولون تفسير رسالة المسيح أو التعرف على شخصه وقد اهتمت الكنيسة كل الاهتمام بتفسير العهد الجديد وأخذت تحاول الرد على الآراء المختلفة التي تتمشى مع رأيها في المسيح وطبيعته ورسالته وقد اضطرت - بسبب اعتناق الكثيرين من الملحدين المسيحية ولترغيب غيرهم من المسيحية - إلى إيجاد تفسير ملائم لهم عن المسيح سواء من ناحية طبيعته أو شخصه.

ويبدو أن الكنيسة راحت تقرب بين رسالة عيسى والعقائد السائدة وبين هؤلاء الوثنيين حتى لا ينفر الملحدون من المسيحية، والنقد الذي وجه إلى المسيحية في ذلك الحين يدور حول طبيعة المسيح هل هو إنسان أم إله.

وكان المسيحيون الأوائل يهتمون كل الاهتمام بتأكيد إنسانية المسيح أي انتمائه إلى بني البشر وينادون، كما تقول دائرة المعارف البريطانية في ص ١٠٢٤ بأن (عيسى الناصري) كان رجلًا عاديًّا، وأنه تشرف بالرسالة عند تعميده على يد سيدنا يحيى (يوحنا المعمدان) وكان آخرون يقولون بأنه نال شرف التبني وليس البنوة العضوية بعد بعثه أي رفعه إلى السماء وكان كثير من المسيحيين الأوائل يريدون حماية عيسى عليه السلام من أن يظن الناس أنه صنع من مادة من مواد الأرض إذ كانوا يعتقدون أن ذلك الفكر شر مستطير.

وبالتالي أخذوا يفسرون وجوده كإنسان قائلين إنه كان يظهر كمظهر إنسان من ناحية الجسد فقط ولكن غالبية النزاع الذي جرى في حوالي القرن الثالث بعد الميلاد كان يدور حول شخصية المسيح من ناحية علاقته بالخالق.

وكان هناك بعض الآراء التي تؤكد بأن له شخصية منفصلة عن شخصية الخالق وأن هذه الشخصية تلاشت وأصبحت هيئة للإله الواحد وراحوا يقولون إن فكرة المسيح هي فكرة إلهية أو هيئة إلهية أو رؤية إلهية وذهب غيرهم إلى النقيض تمامًا من ذلك فراحوا يفصلون بين شخصيته والخالق سبحانه وتعالى وكانوا ينادون بأن المسيح أقل منزلة من الخالق وتعرض البعض الآخر إلى نظرية الكلمة (LOGOS) وخضعوه إلى مرتبة أقل من الخالق ولما استمر النزاع بينهم حول كنه المسيح وطبيعته وحول الكلمة ادعوا أنه أول خلق الله وأن الله استخدمه في عمل الأشياء كلها وبالتالي لم يكن المسيح نورانيًّا بل كان أميل إلى أن يكون إنسانًا عاديًّا.

وذهب آريوس أحد رجال الدين المسيحي إلى الادعاء بأن المسيح يتمتع بألوهية أقل من ألوهية الخالق، وهكذا انتشرت الآراء المتضاربة وكانت هناك النظرية الآرية التي تكاد أن تكون العقيدة الوحيدة التي شابهت الدين المسيحي في هذا القرن.

وتقول هذه الديانة التي عرفت باسم متراس والتي وجدت قبل النصرانية بحوالي ستة قرون وانتشرت من بلاد فارس حتى وصلت إلى أوروبا وامتدت إلى بلاد الرومان ثم وصلت بعد ذلك إلى بريطانيا.. تقول هذه الديانة: إن متراسًا كان وسيطًا بين الله والبشر وأنه ولد في كهف وأن مولده كان في ٢٥ ديسمبر وكان له اثنى عشر حواريًّا وأنه مات ليخلص البشر من خطاياهم وأنه دفن ثم بعث إلى الحياة وقام من قبره وصعد إلى السماء وأنه كان يدعى المخلص وأنه كان وديعًا كالحمل وأن أتباعه يعمدون باسمه، وفى كل عام يقام في ذكراه عشاء مقدس، وقد حاولت الكنيسة أن تكتسب إليها معتنقي هذه الديانة.

وبالتالي عقدت في أيام الإمبراطور قسطنطين الذي تنصر حديثًا لتوسيع

ملكه ولأغراض سياسية مؤتمرًا في نقيا عام ٣٢٥ حضره الكثيرون من المطارنة لاقتباس هذه النظرية في المسيحية، وقد تمكن أحد رجال الدين المدعو (اتناثيوس) أنه يحملهم على الاتفاق على أن المسيح خلق ولم يولد وعلى ذلك يصبح خالقًا وليس مخلوقًا وأكد هذا المجمع أن المادة التي يتكون منها عيسى هي من مادة الخالق وبهذا الشكل بدأت عملية تأليه عيسى مع رفض كونه في مرتبة أدنى من الخالق ولم يتمكن مجمع نقيا من الاتفاق على التفاصيل بل نشأت منازعات كثيرة بينهم ولكنهم بدءوا يؤلهون المسيح.

لم يحل مجمع نقيّا الخلافات والمنازعات التي كانت بين الطوائف المسيحية وإن كان قد جمع رأيهم في نقطة هي أن مادة عيسى هي من نفس مادة الخالق ومما زاد في تفاقم الخلاف أن السياسة بدأت تتدخل بين الكنائس المختلفة في تحديد تفسيراتها الدينية بعد أن تدخل قسطنطين في مجمع نقيّا وهنا وجد المسيحيون أنه لابد من إيجاد نظرية جديدة للتثليث حتى تلقى قرارات مجمع نقيا أكبر تأييد إذ كيف يكون عيسى من نفس مادة الخالق وما بال الروح القدس واتهم هذا المجمع بأنه لم يضع حدًّا للخلاف الناشب بين الطوائف المسيحية وأنه لم يوجد تفسيرًا معقولًا يفرق بين الخالق وعيسى.

وبالتالي عقد مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ م ورأى هذا المجمع أن هناك روحًا إلهية واحدة ولكن هناك ثلاثة أقانيم أو أشخاص آلهة هي:-

(الأب والابن والروح القدس) وأن لكل أقنوم استقلاله عن الآخرين ولكنهم جميعًا متساوون في أبديتهم وفى قوتهم ولكن هذه النظرية الجديدة جعلت وحدة الخالق معدومة وإن كانت قد أرضت الكنيسة من ناحية أن المسيح له شخصية قائمة بذاتها كما أن هذه النظرية الجديدة لم تحل علاقة المسيح بالخالق.

وبالتالي وجدت الكنيسة أن عليها إيجاد تفسير للعلاقة بين الأقانيم (الأشخاص) الثلاثة والعلاقة مع المسيح كإله ومعه كإنسان.

مجمع أفسوس وكاليدون:

لم تكن القرارات التي اتخذت في المجمعين السابقين حاسمة ومرضية لرجال الكنيسة على اختلاف آرائهم وبالتالي دعت الحاجة إلى اجتماعات أخرى وعمد المشرفون إلى عدم دعوة أصحاب الآراء الحرة من رجال الدين الذين لا يستطيعون أقلمة أنفسهم مع النظريات الدينية الجديدة خاصة نظرية التثليث التي بدأت تظهر في القرن الرابع الميلادي والتي حددت طريق المناقشات في مشكلة المسيح وهل هو إنسان أم غير إنسان ؟

وهل هو مستقل عن بقية الأقانيم (الأشخاص) أم هو جزء منها وما هي العلاقة بين المسيح كإله وبينه كإنسان ثم العلاقة بينه وبين خالقه أو يسمونه بالأب؟

واستخدموا كلمة طبيعة لوصف العلاقة بينه وبين الأب وفى هذا القرن الرابع رأوا أن هناك ثلاثة أقانيم كل أقنوم منها إله وأنها من روح واحدة ولكن من ناحية الطبيعة كانت هناك طبيعتان واحدة بشرية وأخرى إلهية.

واستمر الجدل في هذه الأمور التي لم تنشأ أيام عيسى والذي قال عن نفسه إنه ابن الإنسان حتى القرن الخامس الميلادي وبعضه غير مفهوم بالمرة وبعضه لتغطية حقائق كان يدين بها المسيحيون الأوائل وأرادت الكنيسة طمسها وكان أشد ألوان الخلاف ما كان يدور حول كيف يكون المسيح إلهًا وقد جاء لإنقاذ البشرية وضحى بنفسه من أجل هذا الهدف.

وكان يسمى نفسه أخًا لكل من يحدثه، ولا يسمح المقام هنا بالدخول في تفاصيل النزاع بين كنيسة الإسكندرية وغيرها من الكنائس ، خاصة كنيسة

أنطاكيا التي تمسكت بأن المسيح بشر من البشر ويكفى أن أشير إلى أن السياسة تدخلت مرة أخرى فكانت مصر تخشى أن تنجح أنطاكيا في الهيمنة على المسيحيين وبالتالي اتخذ القرار الخاص بكنه المسيح شكلًا سياسيًّا.

بلغ النزاع بين كنيسة الإسكندرية وأنطاكيا ذروته في شأن استخدم لقب (أم الإله) أو ما سموه (بحاملة الرب) نظرًا لأن مريم البتول كانت تصر على حد ما جاء في أقوال الرواة بأنها لم تلعب دورًا غير حملها المسيح ومن هذا راحت كنيسة أنطاكيا تفرق بين طبيعتي المسيح.

فرد قساوسة الإسكندرية بأن (نستورباس) قد قسم المسيح إلى شطرين شطر إله وشطر إنسان في حين أنه وحده لا تتجزأ واستمر الجدل بينهما فنادوا بعقد مجمع أفسوس عام ٤٣١ لتسوية النزاع وبعد أن عقد المؤتمر لم يستطع المشتركون فيه الوصول إلى حل في مسألة المسيح وبالتالي عقد مؤتمر كلقدونية في عام ٤٥١ بعد الميلاد وكان أساس التسوية ما شاع في الغرب من أن المسيح شخصيتان كما نادى بهما (البابا ليون الأول) بابا روما:

شخصية إنسانية بحتة ومتكاملة، وشخصية إلهية بحتة ومستقلة، ولا تطغى الشخصية الإنسانية على الشخصية الإلهية ولا العكس ولا يمتزجان أو تحل واحدة محل الأخرى ولا تفترقان ولا تنقصان وتحتفظ كل شخصية منهما بذاتها وتلبس المسيح كحلة كاملة وهكذا جاء الحل جامعًا من ناحية الشكر بين النقيضين ولكن ذلك لم يمنع الإسكندرية وأنطاكيا من مواصلة النزاع الذي سبق مجمع كاليبسيدون إذ فشل في تفسير هذه الصيغة.

وراحت الإسكندرية تصف أنطاكيا بالإلحاد وراحت أنطاكيا تصف الإسكندرية بنفس الشيء وراح الغرب يفسر الاتفاق بأنه وحدانية الرب في المسيح عيسى ابن مريم ووحدانية الإنسان في الرب.

لقد كانت هناك خرافات شتى منها خرافة شهيرة كانت تصف هذا الحل بأنه عبارة عن فدية مقنعة، وتناجى بأن الشيطان أسر الإنسان في جميع أنحاء الأرض بما أغرقه به من فساد وخطيئة وأن موت المسيح هو الفدية التي أخذها الشيطان لتحرير الإنسان.

وهناك خرافة أخرى تقول بأن المسيح دخل في نزاع مع الشيطان من أجل تحرير الإنسان، وكان الاتفاق بينهما أنه من ينجح في الصراع يصبح إلهًا وأن المسيح مات مصلوبًا أي أنه خسر المعركة مع الشيطان، وأن الشيطان أصبح إلهًا ولكن بعث المسيح من جديد وقضى على الشيطان وانتصر في المعركة ونجح في أن يهب الإنسان الخلود والأبدية ونادى هذا الرأي بأن الإنسانية اجتمعت مع الخالق وتولد عن اجتماعهما الرجل الإله عيسى وبين الخرافات الأخرى ما ينادى بأن عملية اتحاد الإنسان بالإله كانت بأمر الخالق.

وهناك بعض خرافات تؤكد أن الإنسان ما هو إلا بيدق في عملية المبادلة التي تمت بين المسيح والشيطان وفى وسط هذه المتناقضات التي تجمع على أن (المسيح) كان عدوًا للشيطان يجب أن نضع أمامنا صداقة المسيح للشيطان والتي تحدثت بها الأناجيل عندما اتفق المسيح مع الشيطان ألا يذيع بين الناس أنه المسيح.

وهناك مدارس ومذاهب مختلفة في المسيحية تتناول رحيل عيسى وبعثه وحياته وجميعها لا تتماشى مع المنطق بل تتضارب فيما بينها واستمر الحال هكذا إلى أن جاء (مارتن لوثر وجون كلفن) عندما ناديا بنظرية جديدة وفسرا كلمة الخطيئة بأنها قيد على إرادة الإنسان وكتب لوثر أناشيده لعيد الميلاد وعيد الفصح وكانت آراؤه تعديلًا لمبادئ كنيسة قائمة واختص كلفن نفسه بنظرية تقول بأن العقيدة المسيحية الأولى تنادى بأن عيسى إنسان تنطبق على ما جاء في

الإنجيل ولا تحريف فيها.

محمد ﷺ وعيسى عليه السلام:

التاريخ: إذا حاولنا أن نقارن فردًا بفرد آخر قد نجد المقارنة في بعض الأحيان كريهة إلى النفس وحتى إذا ما صممنا على أن نقيم هذه المقارنة فسرعان ما نجد أن عيسى الذي ورد اسمه في الأناجيل لا يمكن أن يقارن بمحمد ﷺ فبينما نجد محمدًا ﷺ شخصية تاريخية حقيقية حفظ لنا التاريخ كل تفاصيلها في كتب موثوق بها نجد أن حياة شخصية عيسى قد تسربلت في عباءة من الغموض فهناك كثير من الأساتذة المسيحيين الذين يرفضون فكرة الوجود التاريخي لعيسى ويعتبرونه شخصية أسطورية وحتى إذا ما اعتبرنا هذا الرأي متطرفًا ومجافيًا لما نعتقد فيه من أن سيدنا عيسى قد ولد في فلسطين فعلًا فإن معلوماتنا عن المسيح ضئيلة وغير مؤكدة وليس لدينا صورة واضحة عن حياته وشخصيته بل هناك أيضًا بعض الشكوك في تاريخ ميلاده ومكان ولادته وكيف كانت حياته الأولى حتى بلغ الثلاثين من عمره.

كما أن رحيله عن هذه الحياة قد تناولته الخلافات والمنازعات المسيحية فالأناجيل لا تسرد علينا إلا ما حدث له في بحر سنتين من عمره وحتى هذا القليل الذي تسرده يخضع للشك والنقد التاريخي.

ويقول الدكتور C.J.Cadoux الذي كان أستاذًا للتاريخ المسيحي في أكسفورد بكلية Mavkeneal إن الكثيرين من الأساتذة والنقاد المحدثين يجدون في محاولة الفصل بين الصورة التاريخية والصورة الأسطورية اللتين وردتا بالأناجيل من أجل بناء قصة عيسى المسيح على أسس تاريخية عملًا ميئوسًا منه فهو يبدو مما جاء في الأناجيل شخصية غامضة مجدتها هذه الأناجيل بقصد تثبيت وجودها.

المثل الكامل:-

أما إذا أخذنا القرآن الكريم أساسًا للبحث في شخصية عيسى ومحمد ﷺ فنجدهما رسولين على قدم المساواة ونجدهما رجلين صادقين نبيلين ملهمين على أن عيسى لم تسنح له الفرصة ليكون مثلًا كاملًا - يحتذي به البشر - لما يجب أن يكون عليه الإنسان في مختلف مناكب الحياة في حين أن محمدًا كان قدوة ومثلًا ونحن لا نشك في أن عيسى لو كانت سنحت له الفرصة والزمن لكان قد سلك مثلما سلك محمد الرسول ﷺ فكلاهما رسول من عند الله ولتفسير ذلك أقول:-

(لم تسنح الفرصة لعيسى لكي يتزوج فيصبح قدوة للأزواج نقتدي به، أو قدوة للآباء نقتدي به، كذلك لم ينتصر عيسى على أعدائه وبالتالي لم تسنح له الفرصة ليرينا كيف يكون تصرف المنتصر نحو عدوه الذي لم يأل جهدًا للقضاء عليه وعلى أتباعه، كذلك لم تسنح الفرصة أو الوقت لعيسى بأن يتقدم إليه أعداؤه ومضطهدوه ويطلبون رحمته وعفوه وبذلك لم يكن قدوة نقتدي به في مجال الصبر والعفو ولم يترفع عيسى على السلطة فيصبح حاكمًا نزيهًا مثاليًّا رحيمًا عدلًا ويرينا كيف يكون الحاكم العادل المثالي كذلك لم تسنح له الفرصة أو الوقت ليكون قاضيًا بين الناس ولكن محمد ﷺ كان حاكمًا وكان قاضيًا وكان كل ذلك).

ويجب أن نتجه نحو محمد ﷺ وليس نحو عيسى إذا ما أردنا أن نجد صورة للزوج الصالح، والأب المربي الفاضل، ورب البيت السعيد، والحاكم العادل الرحيم الذي لا تستهويه مادة ولا يقبل رشوة، بل ضرب لنا المثل للحاكم الذي يحكم بالعدل.

لقد شهد محمد ﷺ ألوان الاضطهاد وأعظم صور النجاح لقد أظهر في كل

حالة صبرًا منقطع النظير، وجلدًا لا مثيل له، وشجاعة لا تبارى، وحبًّا لأعدائه وعطفًا عليهم بوصفه داعية ذاق ألوان الاضطهاد.

وعاش ساعات بل أيامًا كلها يأس ومع ذلك احتفظ برباطة جأشه وكان قدوة في ذلك وأظهر الرحمة نحو ألد أعدائه وهم بين يديه لا يستطيعون مقاومته حتى كان قدوة في ذلك.

ولكن لم تسنح الفرصة لعيسى عليه السلام بأن يطبق الكثير من مبادئه وآرائه بل العكس فقد أمر أتباعه أن يبيعوا ملابسهم ويشتروا بأموالها سيوفًا (انظر لوقا ٢٢ : ٣٦) ولكنه لم يُرينا متى وأين يستعمل السلاح ؟ متى يكون الاستسلام ؟ وكيف نقاوم الطغيان والعدوان؟ وقد تصبح هذه المقاومة شغلنا الشاغل.

فمثلًا إذا ما اعتدى أحد على شيوخنا البؤساء أو نسائنا الضعفاء أو أولادنا المساكين وأخذ يذبح فيهم أو إذا اعتدى على حريتنا الدينية وحرمنا من أن نزاول طقوسًا أو منعنا من أن نزاول عباداتنا وما هو الحل؟

لقد كان الرسول ﷺ الشخص الذي أرانا كيف يكون الجندي الحق مخلصًا لله حاميًا للضعفاء لقد أرانا كيف يكون الكر والفر في ساحة القتال والصبر في أوقات الهزيمة والنصر.

كانت حياة عيسى مثل حياة محمد ﷺ في أول عهده بالرسالة ولكن عيسى لم يمتد به العمر لِيقدم لنا صورة عملية لتعاليمه ودعوته أو للتطبيقات الاجتماعية والاقتصادية لرسالته كما لم تسنح له الفرصة لنشر تعاليمه ويوسع مداها حتى تشمل أغلبية المواقف الإنسانية في الحياة أو أن يحاول القيام بالإصلاحات الاجتماعية العظيمة التي قام بها محمد ﷺ، وإن إنسان اليوم الذي يحاول أن يعيش كابن في عائلة أو زوج أو والد أو عامل بسيط أو مواطن أو جار أو مدافع عن أفكار جديدة وطرق جديدة أو ضحية لاضطهاد ديني أو

سياسي أو رجل في مركز المسئولية أو قائد ناجح لفريق من الرجال أو جنديًّا أو رجل أعمال أو قاضيًا أو حاكمًا.

إن كل هؤلاء سيجدون في محمد ﷺ نِعم القدوة ونِعم المثل ففيه تمثلت جميع أنواع قيادات الحياة والمواقف الإنسانية، أما عيسى فلم تسنح له الفرصة ليرينا كيف يكون قدوة لشعبه وكيف يكون مثلًا يُحتذى به في كل هذه الوظائف الاجتماعية.

الأناجيل والقرآن:-

ينادي المسيحيون والمسلمون على حدّ سواء بأن المسيحية والإسلام دينان سماويان أنزلهما الله على رسوليه عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ - ولا غرو فقد أعلن المسيح أن الرسالة التي أتى بها ليست من عنده وليست ابتكاره بل هي من عند الله سبحانه وتعالى.

فيقول الإنجيل المنسوب إلى يوحنا في (١٢: ٤٩) (من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الآخر لأني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم) ترجمة اليسوعيين من العبرية.

ولكننا إذا ما رجعنا إلى الترجمة الإنجليزية نجد معناها واضحًا (هناك من سوف يحاكم من يرفضني ولا يصدقني أو يصدق ما أنطق به إنه الله هو الذي سوف يحاكمه في الآخرة لأني لم أتكلم من وحى نفسي ولكن الأب الذي أرسلني قد أوصاني بما أقول وبما أنطق به).

ثم يقول أيضًا في ٨: ٤٠ يوحنا (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله، هذا لم يعلمه إبراهيم. أنتم تعلمون أعمال أبيكم. فقالوا له: إننا لم نولد من زنى لنا أب واحد وهو الله)

ترجمة الآباء اليسوعيين من العبرية.

ونجد نفس هذا المعنى تقريبًا بالإنجليزية إذ تقول الآيات من ٤٠ إلى ٤١ مترجمة عن النسخة الإنجليزية:-

(إنكم تتداولون في قتلي وأنا رجل أثبت لكم بالحقيقة التي سمعتها من الله وهذا لم يفعله إبراهيم إنكم تأتون ما آتاه آباؤكم من قبل ثم قالوا له إننا لسنا أولاد زنى فوالدنا واحد هو الله سبحانه وتعالى فقال لهم عيسى لو كان الله أباكم لأجبتموه فإني مسير من الله وقد أتيت من لدنه ولم آت من نفسي ولكنه أرسلني إليكم).

ونجد نفس المعنى في سورة الشعراء (١٩٢ - ١٩٤):-

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤].

ومن هذا نرى أن حقيقة كل من الإسلام والمسيحية إنما تتوقف على دقة الكلمات التي وصلت إلينا وبمطابقتها للأصل الذي نزل به وطريقة تسجيل هذه الكلمات بنصها الصحيح في الكتاب فإذا كانت الرسالة التي أوحى بها الله إلى أحد رسله لم تصلنا كما أوحى بها وتناولتها يد التعديل أو التحريف فإن العقيدة التي تضم مثل هذه الفقرات المحرفة تكون قد انحرفت عن الحقيقة والكلمات التي أوحى بها الله إلى عيسى عليه السلام وكذلك التي نزلت على محمد ﷺ وسنرى إلى أي مدى حفظ الله كتابه من التعديل والتحريف وإلى أي مدى أدخلت تعديلات وتحريفات على الكتاب الآخر.

وأخيرا: الإسلام والمسيحية:-

عندما يتعرض العلماء المسلمون إلى الأديان المقارنة بالبحث والدراسة إنما يتعرضون إليها من ناحية تختلف كل الاختلاف عن نظرة المسيحيين إلى نفس الموضوع.

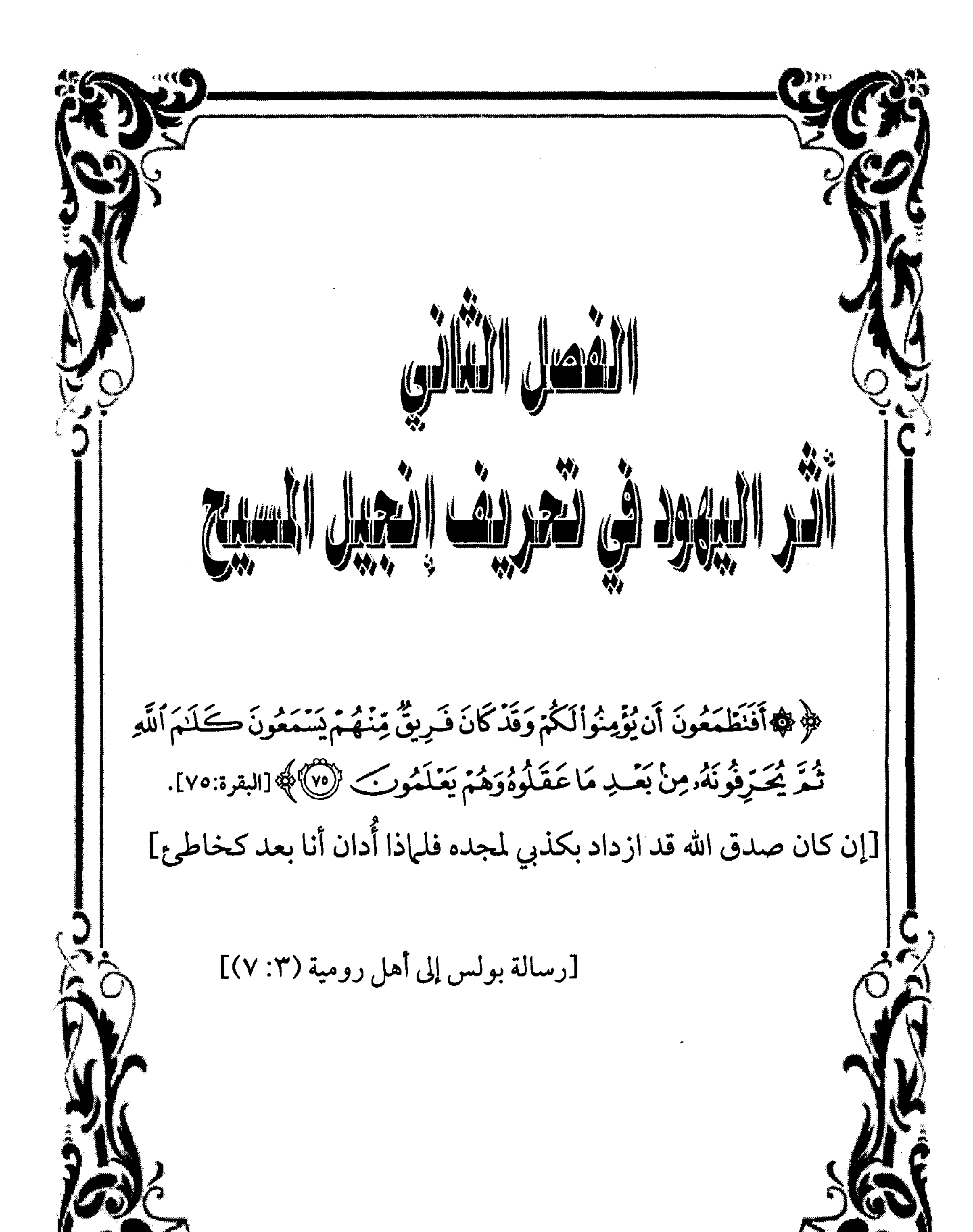
فالمسيحي ينشأ ويترعرع في جو مليء بالتعاليم والعقائد التي تنمى في فكره ووجدانه أن دينه هو الدين الحق وأن اليهودية جاءت لتعبد الطريق أمام المسيحية، وأن جميع الأديان فيما عدا الدين المسيحي باطلة وغير صحيحة وأن الله لم يصطف غير أبناء إسرائيل وحدهم لإبلاغ رسالته إلى شعوب الأرض.

وبالتالي يعتقد المسيحي بأن الأنبياء والرسل من غير بني إسرائيل منافقون مدعون كاذبون ولا يقف الأمر عند هذا الحد فنجد الإرساليات - المسيحية في أفريقيا وآسيا وجميع القارات الأخرى تجهد كل الجهد لتصوير أصحاب الرسالات الأخرى غير المسيحية في صورة الأشرار والمنافقين ذلك لكى يؤكدوا في عقول أتباعهم أو من يلوذون بهم والمترددين عليهم بأن عيسى كان الوحيد المعتمد من بين الرسل جميعًا ويكفى أن نقرأ كتبهم أو ما قالوه عن محمد عليه الصلاة والسلام أو ما كتبوه عن الإسلام لنرى طبيعة أفكارهم الدينية المترسبة في عقولهم من قبل، وكيف أن تحاملهم على الإسلام قد أعمى بصيرتهم عن الحقيقة بل لم يحجموا عن تعمد الخطأ في ترجمة القرآن خدمة لأغراضهم وإذا ما وجدوا ما يتشابه في دين مع دينهم شعروا بحزن وكآبة وأسرعوا في تفسير هذا التشابه بأنه نتيجة تأثير المسيحية في هذا الدين وكان أولى بهم أن يغتبطوا ويفرحوا.

والمسلمون من ناحيتهم يعتقدون في أن مبدع جميع الرسالات السماوية هو الله سبحانه وتعالى، بل إن الله أرسل لكل أمة رسولًا ليرشدها إلى طريق الحق والواقع أن الله سبحانه وتعالى الذي خلق العالم وتكفل به ورزق ما فيه من أحياء من إنسان ودواب وحشرات لا يفضل أمة على بقية الأمم فيختار منها وحدها رسلًا للعالم يحملون كلماته وتعاليمه، فكل العلم من خلقه والمسلم يعتقد في الرسل الذين أتوا برسالات من السماء، وقد يشعر المسلم بالألم

والأسى عندما يدرك أن اليهود والمسيحيين قد تجاوزوا عن بعض تعاليم الله الحقيقية. أو غيروا من كلماته وآياته كما أرسلها عن طريق موسى وعيسى، والقرآن الكريم يأمرنا أن نؤمن بموسى وعيسى إيماننا بمحمد ﷺ باعتبارهما مبعوثان يحملان رسالة السماء كذلك أمر القرآن المسلم أن يحترم ويحب موسى وعيسى كما نحترم محمدًا ﷺ ونحبه.

***



الفصل الثاني

أثر اليهود في تحريف إنجيل المسيح

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة:٧٥].

[إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أُدان أنا بعد كخاطئ]

[رسالة بولس إلى أهل رومية (٣: ٧)]

الفصل الثاني

أثر اليهود في التحريف

لقد كان لليهود أثر بارز في انحراف النصرانية عن التوحيد ووصولها إلى ما آلت إليه من انحراف في عقيدتها.. ومما لا شك فيه أن اليهود وهو الشعب الذي تتجلى فيه الأنانية دائمًا يكرهون كل من سواهم وموقفهم مع أنبيائهم ذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)﴾[آل عمران:١١٢].

فلا غرابة إذن أن نجد اليهود يقفون في وجه المسيح عليه السلام يعلنون له العداء وهو نبي من أنبيائهم لأنهم قد اعتادوا من قبل على مثل هذا الموقف وبقى اليهود يناهضون دعوة المسيح عليه السلام تلك الدعوة التي جاءت إليهم تردهم عن ضلالاتهم ومجاوزتهم الحدود وتعود بهم إلى شريعة التوراة ورسالة موسى عليه السلام وتحذرهم من الانهماك في الدنيا، وتذكرهم باليوم الآخر، بذلك الأسلوب الروحي الرائع. وهى مع ذلك كله جاءت لتخفف عنهم بعض أحكام التوراة ومع ذلك فقد رفض اليهود هذه الدعوة وما آمن معه منهم إلا قليل وأغروا به الحاكم الروماني ليقتله بعد أن حكم مجلسهم عليه بالقتل إلا أن الله تعالى أنجاه منهم.

وحاول اليهود من البداية اجتثاث الدعوة من جذورها إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك فلجأوا إلى أسلوب الدس والتحريف ليصرفوا رسالة المسيح عليه السلام عن القصد الأساسي الذي جاءت به ويجعلوا المسيحية دعوة عالمية وكأن الأمر لا يخصهم حتى يبقوا الشعب المتميز المختار.

بولس وأثره في تحريف النصرانية[1] :-

من خلال حديثنا عن أثر اليهود في انحراف النصرانية تبرز لنا شخصية لعبت دورًا بارزًا في تاريخ هذا الانحراف وأحدثت بلا شك انقلابًا شاملًا في المسيحية واستطاعت أن تؤسس ديانة تختلف تمامًا عن المسيحية التي جاء بها المسيح.

تلك هي شخصية القديس (بولس) ونظرًا لأهمية هذه الشخصية وخطورتها في هذا الموضع لابد لنا أن نتعرف على البيئة التي عاش فيها ومدى تأثير تلك البيئة على الأفكار التي جاء بها ثم نتعرف على نشأته وثقافته وقصة تحوله من اليهودية إلى النصرانية وأخيرًا لابد لنا أن نعرف عقيدته وأفكاره ودوره في تطوير المسيحية والحقيقة أننا ونحن نتحدث عن شخصية (بولس) إنما نتحدث عن المؤسس الحقيقي للمسيحية المعاصرة.

ومن الحقائق المقطوع بصحتها أن أنصار شاول الطرسوسى أو بولس وخصومه وإن كانوا مختلفين فإنهم يتفقون على أمر واحد ذي أهمية بالغة وهو خطورة شخصية بولس وعلى كبر دوره في تشكيل النصرانية الراهنة التي يعرفها الناس اليوم.

فالواقع أن بولس يعد أبرز شخصية في الديانة النصرانية بعد المسيح عليه السلام وذلك لما كان له من أثر بالغ في تحريفها وما آلت إليه كما سيتبين من خلال هذا الفصل .

---

(١) إنما اعتبرنا بولس من العوامل الداخلية بل من أهمها لأن النصارى يعدونه من المؤسسين لديانتهم مع أن حقيقته لا تعد وأن يكون محرفًا لدين المسيح بقصد أو من غير قصد. وتجدر الإشارة بأن من العلماء من يرى أنه مدسوس على النصرانية مثله مثل ابن حزم وغيره. فهو بهذا يعتبر من العوامل الخارجية وقدمت الاعتبار الأول ملاحظة لاعتقاد النصارى فيه.

١ـ اسمه:ـ

كان بولس يدعى باسم (شاول) وهو اسم عبري على اسم أول ملوك بني إسرائيل عندهم الذي كان أيضًا من سبط بنيامين.

ومعنى شاول في العبرية (المطلوب) أو (المرغوب فيه) واستمر يدعى بهذا الاسم حتى بعد أن اعتنق النصرانية بزمن ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم بولس واشتهر به وهو اسم روماني ومعناه (الصغير) [١] . وكان يلقب نفسه باسم بولس الرسول وبهذا الاسم عرف عند الأمم [٢].

ويرى ديورانت أن اسم بولس كان هو اللفظ اليوناني المرادف للاسم العبري شاول ولهذا ظل الاسمان على هذا الرسول منذ طفولته [٣] .

وقيل: إن اسم شاول هو الاسم اليهودي الذي دعى به من قبل والديه أما بولس فهو اسمه الأممي [٤].

٢ـ مولده:ـ

يتفق كتاب المصادر النصرانية المتاحة على أن بولس ولد بمدينة يونانية هي (طرسوس) عاصمة ولاية قيليقية وهى تقع حاليًا في جنوب تركيا على بعد ١٧ كم تقريبًا من البحر المتوسط [٥].

من أبوين يهوديين من سبط بنيامين وينتميان إلى فرقة الفريسيين [٦].

أي أنه من يهود المهجر أو من اليهود غير الفلسطينيين [١].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٦٩ .

(٢) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٧٤.

(٣) قصة الحضارة ١١ / ٢٤٩.

(٤) مختصر تاريخ الكنيسة ص ١ / ٨٦ .

(٥) كانت قديمًا على ضفتى نهر كيدنوس وكانت وقتئذ عند مصب النهر مرفأ ترد إليه بضائع كثيرة، غير أن ذلك النهر تغير مجراه لذا تعتبر الآن مدينة ثانوية بالنسبة إلى الميناء المجاورة. قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧٥ - ٥٧٦ .

(٦) حياة بولس ف.ب ماير ص ١٦، قاموس الكتاب المقدس ١٦٩، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ٣٢٧ نقلًا عن رسائل الرسل.

ونشأ ابنه على مبادئ هذه الشعبة الدينية المتحمسة، وكان والده مواطنًا رومانيًّا [٢].

ولم تتفق المصادر على تاريخ ولادته ويفترض أنه ولد بعد السيد المسيح (١٥) سنة [٣] . وقد تفاوتت تقديرات المؤرخين لتاريخ ميلاده بين السنة الأولى الميلادية وسنتي ٤ و ٦ [٤] . أي أنه كان من معاصري المسيح.

وذكر صاحب قصة الحضارة أنه ولد حوالي سنة ١٠م [٥]. وقيل إنه ولد ما بين عامي: ٥ و ١٥م [٦] . ولكنه لم ير المسيح طوال حياته [٧]. وقيل: إنه لم يدرك عيسى عليه السلام [٨].

٣ـ جنسيته:ـ

وسفر أعمال الرسل يفصل جنسيته وحياته بل إن أعماله أخذت الجزء الأكبر من هذا السفر فهو يتحدث فيه عن نفسه ويقول:- (أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة - أورشليم - مؤدبًا عند رجلي (غمالائيل) [٩].

و(غمالائيل) من أحبار اليهود عرفت مدرسته في القرن الأول الميلادي في القدس.

---

(١) دراسات في الملل والنحل ص ١٧.

(٢) قصة الحضارة ول ديورانت: ١١ / ٢٤٩ .

(٣) Lechrist Geneber ص ٢١٣ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦، الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٣٢٧ نقلًا عن رسائل الرسل.

(٥) قصة الحضارة ١١ / ٢٤٩.

(٦) قصة الحضارة السامية ص ٢٤٥.

(٧) دراسات في الملل والنحل ص ١٧.

(٨) تحفة الأريب ص ١٠٩.

(٩) أعمال الرسل ٢٢/ ٢

وفى السفر ذاته صرح بولس بيهوديته أمام المجتمع أنه يهودي فريسي (إحدى الفرق اليهودية المتعصبة الشهيرة) حيث قال: (أيها الرجال الأخوة أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات) [١].

ومن الملاحظ أن بعض النصارى أنكر يهوديته فمن ذلك قول ربنان وغيره: أن بولس هذا لم يكن يهوديًا وأنه تظاهر بدخول اليهودية كي يتزوج من بنت رئيس الكهنة واختتن لذلك فلما أبى رئيس الكهنة أن يصاهره دخل في النصرانية وادعى أنه رسول المسيح إلى النصارى [٢].

ورجح ويلز في معالم تاريخ الإنسانية أنه يهودي المولد وإن كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك [٣].

وهو مع هذا يدعى أنه روماني من ناحية جنسيته فقد ورد في ٢٢ من نفس السفر (فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانًا رومانيًا غير مقضي عليه فإذا سمع قائد المئة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلًا انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل لأن هذا الرجل روماني فجاء الأمير وقال له: قال لي أنت روماني؟ فقال: نعم) [٤].

٤ـ بيئته ونشأته العلمية والدينية:ـ

قبل الحديث عن نشأته تجدر الإشارة إلى البيئة التي نشأ فيها فقد كانت طرسوس مدينة نشطة كما كانت حلقة اتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين الشام ومفرق الطرق التجارية الهامة التي يرد إليها - بحكم موقعها هذا - في آن واحد من اليونان وإيطاليا والشام وقبرص ومصر سيل لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة.

---

(١) أعمال الرسل ٢٢/ ٢٥-٢٧.

(٢) دعوة التوحيد عرفة سالم وانظر دائرة المعارف للبستانى ٥/ ٦٩٩.

(٣) معالم تاريخ الإنسانية ٣/ ٧٠٥.

(٤) أعمال الرسل ٢٢/ ٢٥-٢٧.

وحاول ملوك الشام وخاصة أنطاكيوس (سنة ١٧١ق.م) أن يصبغوها بالصبغة الإغريقية غير أنه بقيت أساسًا مدينة شرقية وذلك على أقل في مجال المعتقدات السائدة وإن انتشرت فيها المدارس اليونانية وقام بين رحابها ما يشبه ما نسميه اليوم بالجامعة.

ويقول الجغرافي (سترابون) الذي كان معاصرًا لبولسٍ عن تلك الجامعة:- إنها كانت سببًا لشهرة المدينة في العالم اليوناني والروماني وكانت تنافس مدارس أثينا والإسكندرية وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية.

وكان أساتذة هذه الدراسات ينتمون إلى المذهب الرواقي وراحوا ينشرون مبادئه على نطاق واسع في شبه حملة تبشير ذات طابَع شعبي يتفق مع طرق تفكير الجماهير.

وهذا ما يفسر - كما سنرى فيما بعد - معرفة بولس للمبادئ الأولى للفلسفة الرواقية والوسائل الشائعة في الأساليب الخطابية لدى المفكرين اليونانيين على حد تعبير الكاتب النصراني شارل جينيبير.

وهو يرجح أن بولس لم يكن من رواد جامعة طرسوس ولا من دارسي الفلسفة الرواقية ولكن كفاه أنه عاش سني شبابه في الوسط الذي تشبع بالتراث اليوناني على أيدي أساتذة الفلسفة الذين جمعوا بين التفكير الفلسفي والأسلوب الخطابي ليتشبع بتلك الأفكار [1].

لكن انتقلت إليه بعض المبادئ الدينية والأخلاقية الروائية من بيئة طرسوس ويؤكد هذا المعنى د. هنتر أن بولس لم يتلق تعليمًا رواقيًا ولم يدرس الكتب اليونانية لأن الفريسيين لم يكونوا يسمحون بأن يتأدب أبناؤهم بهذا الأدب اليوناني الخالص.

(١) المسيحية جينيبير ص ٧٧، بولس وتأثيره في المسيحية ص ١٤-١٥.

ولو أن كاتب الرسائل - يعنى بولس - درس اليونانية لما كتبها بهذا الأسلوب اليوناني الركيك..

على أنه عرف كيف يتحدث بهذه اللغة بطلاقة تمكنه من أن يخاطب المستمعين له من الأثينيين وأن يشير أحيانًا إلى بعض الفقرات الموجودة في الأدب اليوناني [١].

ومن المدينة التي عاش فيها بولس وتلقى ثقافته يحدثنا الأستاذ (شارل جينى بير) عن بيئة تلك المدينة وثقافتها فيقول: (كانت (طرسوس) مدينة نشطة حلقة الاتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين الشام ومفرق الطرق التجارية الهامة التي تجلب إليها سيلًا لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة.

حاول ملوك الشام أن يصبغوها بالصبغة الإغريقية غير أنها بقيت أساسًا مدينة شرقية وذلك على الأقل في مجال المعتقدات السائدة وإن انتشرت فيها وازدهرت المدارس اليونانية وقام بين رحابها ما يمكن أن نسميه اليوم بالجامعة التي كانت سببًا لشهرة المدينة وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية) [٢].

وفى هذا الوسط قضى بولس سني شبابه حيث تشبع بشتى الفلسفات المنتشرة هناك.

(والبيئة الثانية التي عاش بولس بها هي بيئة القدس بجوار (غمالائيل) أي بمدرسة من ألمع المدارسَ اليهودية في ذلك العصر) [٣].

أما عن الحياة الدينية في تلك الفترة فكانت الثقافة الغالبة للإمبراطورية الرومانية هي الثقافة الهللينية [٤] . ولذا اتصف أكثر سكان هذه الإمبراطورية

---

(١) قصة الحضارة ١١/ ٢٤٦، بولس وتأثيره ص ١٥ .

(٢) المسيحية شارل جينى بير ص ٦٨ .

(٣) نفس المرجع ص ٦٩ .

(٤) الهللينية هى فكر نتاج العصر الذى وقع بين خروج الإسكندر الأكبر من اليونان.........=

المترامية الأطراف بالانتماء إلى ثقافة واحدة وتقاربت أجناس البشر مع كثرة اختلافاتهم الدينية والثقافية والجنسية تقاربًا كبيرًا.

وكانت للدولة الرومانية لغتان رسميتان:-

أولها اللاتينية - لغة إيطاليا القديمة - وهى أم اللغات الأوروبية الرومانية اليوم أي الإيطالية والأسبانية والبرتغالية والرومانية والفرنسية.

وثانيها: اللغة اليونانية وكانت هذه اللغة هي المقدمَة لعلاقتها بالحضارة اليونانية القديمة وآدابها وفلسفتها ولعلاقتها بالإسكندر الكبير وحركة الهللينية والتهلين.

واتخذت الإدارة الرومانية اللغة اليونانية لغة رسمية في أقاليمها الشرقية أي الواقعة شرق إيطاليا واتخذت الإدارة اللغة اللاتينية لغة رسمية في أقاليمها الغربية أي الواقعة غرب إيطاليا وبلاد الشمال الإفريقى إلى المغرب الأقصى.

وكانت جمهرة كثيرة من أهل الجليل يتكلمون الآرامية ويلفظون العبرية بلهجة عامية [(١)].

ونتيجة للظروف السياسية التي مر بها اليهود انتشروا في العالم أجمع حتى أصبحت لغة فلسطين يجهلها الكثير، وصارت اليونانية متداولة ومألوفة كالآرامية تمامًا [(٢)].

ولم تكن منطقة فلسطين منعزلة عن العالم الخارجى بحيث تتجنب تأثير الشعوب السريانية والكلدانية التي عاشت بجوارها وقد تأثرت بصلاتها

= لغزو العالم ٣٢٣ ق.م حتى سقوط الممالك اليونانية على يد الدولة الرومانية ٣٠ ق.م وتختلط فيه الفلسفات اليونانية بالمعتقدات والأفكار غير اليونانية لشعوب آسيا الوسطى والبحر المتوسط وكان على رأس هذا الفكر مدرستان من أكبر مدارس الفكر قاطبة وهما (الأبيقورية والرواقية) المعجم الفلسفى ص ٣٦٨.

(١) النصرانية، شاهين ص ٢٩ عبقرية المسيح ص ٥٣ - ٥٦ .

(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٢١ - ٢٢ نقلًا عن رسائل الرسل.

المستمرة بالفاتحين الإغريق واليونان الذين بسطوا نفوذهم على مصر والشام وتأثير وفود الحجيج التي تفد إلى القدس من أبناء الجالية اليهودية التي هاجرت إلى أطراف الدولة اليونانية واستقرت بها كل ذلك أدى إلى تشرب بني إسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ النصراني [١].

وكانت الفلسفات الفكرية التي كان يتحدث بها المثقفون في الإمبراطورية الرومانية شائعة في بلاد الجليل وحيث اختلط الغربيون والشرقيون كثيرًا قبل عصر الميلاد ببضعة قرون أكثرها الفيثاغورية والأبيقورية والرواقية [٢]. وهى مذاهب تتصل بسلوك الإنسان وعقيدته مما كان له أكبر الأثر في النصرانية [٣]. إضافة إلى البيئة السورية والفينيقية والتي كانت آنذاك مصبًا لكثير من الروافد والتيارات الفكرية والعقدية والأساطير [٤].

شوهدت في روما والإسكندرية ونابلس وبيت المقدس كل عبادة يدين بها البشر وغلبت عقائد الشرق على عقيدة روما وأتباعها وجاءت النصرانية بعد ذلك فلم تكن استثناء من تلك القاعدة بعد انحرافها . وإن كان المؤرخ (واند) يرى أن الطابع الوثني لم يكن له مثل ذلك التأثير الغالب في القدس بصفة خاصة وهو يرى أن هذا الوضع سيفسر لنا وضع النصرانية فيما بعد ناحية السهولة التي استطاعت أن تكيف بها نفسها مع احتياجات غير اليهود.

وزحفت على العالم الرومانى نحل متعددة من فارس وآسيا الصغرى ومصر

---

(١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٧٩ - ٨٠، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ٢٩.

(٢) انظر تحريف رسالة المسيح ص ٣٨٩.

(٣) محاضرات في مقارنة الأديان إبراهيم خليل ص ١٧، وانظر النصرانية شاهين ص ٢٨-٢٩.

(٤) كتاب يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ٨٠، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ٢٩.

وغيرها وشوهدت آثار العبادة المتراثبة الفارسية في أقصى الدولة الرومانية في المغرب [(١)].

كذلك اقترنت نحلة إيزيس المصرية بنحلة مترا الفارسية في غزو بلاد الرومان واليونان فسماها اليونان (ديمتر) ونحلوها صفتها المصرية وهى صفة الأمومة.. وشاعت عبادتها بين الرومان بين الذين اشتهروا بتقاليد الأسرة وكان للمراسم السرية التي تلازم كلا من نحلة إيزيس ومترا أثر كبير في تشويق الناس على انتحالها.

ويضاف على ذلك وجود النحلة الأورفية في ذلك العصر وهى في الأصل نحلة يونانية لكنها ما لبثت أن اصطبغت بالصبغة الشرقية في التقشف والأخوة الروحية وتحريم اللحم وعدم شرب الخمر إلا في مواسم القربان هكذا كان أشياعها في عصر ميلاد المسيح عليه السلام.

وقد كان أتباع هذه النحلة يزعمون أن (أورفيوس) زعيم النحلة يزور عالم الموتى ويعود منه وجعلوا لهم موعدًا يحزنون فيه على موته، وموعدًا يحتفلون فيه ببعثه، وهذا ما يشبه الاحتفالات الخاصة بموت وبعث (أودنيس) إله الربيع حسب زعمهم.

ومن هنا لاحظ علماء مقارنة الأديان أن (أتون) الإله المصري و(أدونيس) الإله اليوناني (وأودني) - بمعنى السيد أو الرب باللغة العبرية وهو اسم للإله عند اليهود - كل هذه الأسماء ترجع إلى مصدرها المصري القديم [(٢)].

وكل تلك كانت مصادر عدة مؤثرة في النصرانية.

---

(١) النصرانية شاهين ص ٢٥-٢٦.

(٢) انظر تاريخ المسيحية ص ٢٨-٣٠، أديان العالم ص ٣٠-١٦١ ففيه عرض مفصل للأديان في المناطق المجاورة والبعيدة ومحاضرات في النصرانية إبراهيم خليل ص ١٧-١٩-٢١، عبقرية المسيح ص ٣٦-٤٢، ٤٣ - ٥٢، ودراسة تحليلية ص ٩٤ - ٩٨، مشكلات العقيدة النصرانية ص ٤٢ - ٤٤، المناظرة الأولى الجوهرى ص ٩.

ومن عجائب هذا العصر - عصر المسيح ﷺ - أن الاعتقادات الوثنية في الإمبراطورية الرومانية لم تعد تتمتع بقوتها القديمة وكان العصر عصر الشكوك والتساؤلات الدينية عند كثير من الوثنيين في الدولة والمثقفين منهم خاصة.

وزعم غير واحد من المؤرخين أن من أكبر أسباب ضعف الوثنية ظهور الفلسفة الرواقية والأفلاطونية الحديثة.

ولعل من أسباب ذلك أيضًا تعرف الشعوب والقبائل على بعضها البعض وما نتج عن تعرفهم على أديان الشعوب والملل وما تتصف به هذه الأديان من وجود التشابه والاختلاف.

ويرى بعض المؤرخين أن ذلك جعل كثيرًا من الروحانيين ومعاصريهم يرغبون في دين عالمي يجمع بين الشعوب والقبائل، وأن تحقيق ذلك كان من مقاصد الفلسفة الهللينية فكان هناك فراغ روحاني كبير [١].

أما عن وضع اليهود الديني في تلك الفترة فقد تأثر هذا الوضع بالشعوب التي جاورها وفى هذا يقول صاحب بوتقة النصرانية (إن اليهودية السائدة في زمن المسيح لا يظن أنها كانت متطابقة مع ديانة العهد القديم أو مجرد تطوير لديانة إسرائيل القديمة) [٢].

ويذكر القس فهيم عزيز أن الفكر اليهودي قد حدث فيه تغير ضخم في موقف الشعب بعد السبي من جهة فكرتهم عن الله فكانت تجربتهم المرة قبل السبي تكمن في الأصنام وعبادتها ثم نبذت هذه الفكرة في بابل وظهرت آثار عقيدة زرادشت واضحة بين اليهود [٣]. بل إن اليهود لم يستطيعوا التخلص من

---

(١) انظر History and Thought of early church ص ٩.

(٢) انظر The crucible of Christianity ص ٢٣٦، وانظر دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية ص ٩٧.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ص ٤٩-٥٠.

آلهتهم المتعددة إلا بعد فترة طويلة أي بعد انتهاء السبي البابلي [1].

ويضيف إلى ذلك بعض الباحثين تأثير الوثنية الفرعونية وعقائدها والكثير من عقائد المصريين وشعائرهم [2].

وإن كان هناك من الكتاب من حدد التأثر باليونانية في اليهود الذين استقروا في الإسكندرية في حين أن الذين بقوا في فلسطين بقوا على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم [3]. ويخالفه في هذا القول الباحث الغربي (فرند) حيث يرى أن الحضارة الإغريقية جذبت اليهود وفى فلسطين نفسها بدأت نصوص التوراة تخف حدتها عندما ازدهرت التجارة اليونانية [4].

ومن قرأ نصوص التوراة تتأكد له وثنية بني إسرائيل من عبادتهم للأصنام في عهد يوشع بن نون والقضاة وعبادتهم للأوثان في عصر ملوكهم بنصوص من أسفارهم [5].

أما الدكتور فتحي الزغبي فقد تتبع في دراسته لتأثر اليهودية بالأديان الوثنية وديانات الشرق الأدنى القديم في بلاد الرافدين وسوريا، وديانات مصر القديمة وديانات اليونان والرومان، ثم تحدث عن قنوات الاتصال بين اليهود وأصحاب الديانة الوثنية عن طريق اتصال اليهود بمصر واتصالهم بشعوب فلسطين واتصالهم بالفرس مما أدى إلى تأثر اليهود بهم لا سيما فترات السبي والاضطهاد وفيها تم اختلاط اليهود بالشعوب الوثنية وتبع هذا الاختلاط

---

(١) راجع: التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٤٣ - ٥٢ .

(٢) دور اليهود ص ٤٥-٤٦.

(٣) الديانات والعقائد ١/ ٣١٨.

(٤) The rise of Christianity ص ١٦.

(٥) بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ص ٣٨٥، ٣٩٧ - ٤٠٤ وانظر مواطن الاستشهاد في الأسفار - خروج ٣٢/ ١-٥، نث ٤/ ٣-٤، عدد ٢٥/ ١-٣، مز ٦-١/ ١٩-٢٩، هوشع ٩/ ١٠، يشوع ٢٤/ ٢٣، قضاة ٢/ ١٩، ١٠-١٣، ٣/ ٥-٧، الملوك الثانى ٨/ ١٧-١٨، أخبار الأيام الثانى ٢١/ ٦ و ١١.

زواجهم من الوثنيات.

كما ذكر مظاهر الاتجاه الوثني لدى اليهود في عصر موسى والتي بينها القرآن الكريم:- ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾[الأعراف:١٣٨]، ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[الأعراف:١٤٨]، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[البقرة:٥٥]. وكان هذا من العوامل التي ساعدت على تأثرهم بالأديان الوثنية القديمة (١).

أما عن الوضع الديني في المنطقة المحيطة بطرسوس- من بحر إيجة غرب آسيا الصغرى قديمًا (تركيا حديثًا) وشرقًا حتى بلاد ما بين النهرين فنلحظ كثرة تعدد الآلهة وظهور معروفة لدى اليونانيين والرومانيين وأهم الآلهة التي كانت موجودة: أنيس في بلاد الفريجيين - تطلق على مقاطعة في غرب آسيا - وأدونيس في الشام، وتموز في بلاد ما بين النهرين، وأوزريس في مصر، وميترا في فارس.

وطبيعي أن يتبادر إلى الذهن عدة أسئلة بخصوص نشأة هذه الآلهة وتطورها، ويلخص شارل جينيير الوضع أن تلك البيئة شاع فيها فكرة موت الآلهة ثم بعثها في زمن معين (٢). واقترنت تلك الآلهة بآلهة أم تتمثل في الأرض أو الطبيعة الخصبة وعادة ما ترسم لها صورة جميلة تنم عن الطهارة والحنان والمحبة والبراءة.

ويجمع بين تلك الآلهة عامل مشترك فالأساطير تقتضي موتهم في مواسم معينة من السنة ثم بعثهم في مواسم أخرى وبالتالي يستثيرون عواطف المؤمنين بهم من الحزن إلى الفرح (٣). ولا شك أن هذه المسألة سوف تفيدنا كثيرًا في

---

(١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ١٠١ - ١٥٧ - ١٥٩ - ٢١٩، ٢٧٩-٣١٠، ٣٨٠-٤١٩، وانظر قاموس الكتاب المقدس ٥٩٤، ٥٩٥.

(٢) المسيحية ص ٩٣.

(٣) عبقرية المسيح ص٦٧، وفصل الوثنيات القديمة ص ٣٤٩.

بحثنا هذا فيما بعد.

أما عن العلاقة بين الإله والإنسان فيشرحها جينيبير بقوله: يتعذب الإله تمامًا كما يتعذب الإنسان ثم يموت كما يموت الإنسان، ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت إذ يبعث من جديد وأتباعه يمثلون رمزًا ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته على الأرض.

ونقل إلينا جوشتين وهو أحد المدافعين عن النصرانية في القرن الثاني الميلادي أن أسرار ميثرا احتوت على نوع من الشعائر بغرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن من النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك [1].

ويشير جينيبير إلى أن مأدبة القربان لا تعنى فقط الجلوس وإنما تذهب في رمزيتها إلى أبعد من ذلك إنها تعنى بالنسبة إلى المؤمنين طعامهم الإله نفسه وتشربهم بجوهره المنجى.

هذه باختصار نبذة موجزة عن الحياة الدينية في المناطق حول طرسوس أما عن طرسوس نفسها ومدى تأثرها بالمعتقدات السائدة مما حولها فينقل الدكتور (هـ تشبس) إن طرسوس كانت مركزًا لعبادة إله الزراعة ساندان الذي شابه الأديان الخفية تمامًا الذي قرنه أهل اليونان بهرقل وكان يقام في طرسوس مهرجان سنوي لتكريم ساندان حيث يبلغ الاحتفال ذروته عند التظاهر بإحراق تمثال هذا الإله.

وكانت فكرة بعثه إلى حياة جديدة هي محتوى هذا الطقس الديني مما يوحى على الفور بصلة قرابته مع عبادة أدونيس بالشام وأتيس في تركيا وأوزوريس في مصر وتموز في بابل حيث تشترك الآلهة جميعًا في معنى واحد هو الموت ثم القيامة منه [2].

---

(١) المسيحية جينيبير ص ٩٤ - ٩٩ .

(٢) بولس وتأثيره في المسيحية ص ٢٢٥ .

وهكذا نلاحظ أن المعتقدات الوثنية كانت فعلًا موجودة في طرسوس وهى تشبه غيرها من المعتقدات الموجودة في أجزاء الإمبراطورية.

وكما ذكرنا آنفًا أن موقع طرسوس الإستراتيجي بالإضافة إلى العلاقات التجارية مع المناطق الأخرى، كل ذلك جعل التيارات الفكرية والدينية يتم بكل سهولة، والتاريخ يحوى كثيرًا من الأمثلة على تبادل هذه التيارات والمعتقدات وهو ما سنتعرض له عند حديثنا عن بولس وما نادى به من عقائد وشعائر ومدى ارتباطها بما كان سائدًا في مدينته وما جاورها من معتقدات.

ولما بسطت روما سلطتها على منطقة الشام أصبح اليهود من رعايا الإمبراطورية الرومانية ووقعت مدينة طرسوس في حوزة روما فمنحت لبعض سكانها حقوق المواطنة الرومانية وكان والد بولس ممن نالوا هذه المواطنة [١].

وبناء على هذا يمكن القول بأن بولس يهودي الديانة يوناني الثقافة وله حقوق المواطن الرومانى لما سبق ذكره.

وقد أثرت هذه العناصر الثلاثة في تكوينه الفكري والثقافي كما سيتضح ذلك من خلال عرض نشأته.

وفيما يتعلق بنشأته يقول (ف.ب. ماير): إن بولس بدأ في الخامسة من عمره يقرأ الكتاب المقدس - أي التوراة - وفى السادسة من عمره أرسل إلى مدرسة أقرب معلم وفى العاشرة تعلم الناموس الشفوي وفى الثالثة عشرة صار أبًا للناموس بموجب طقس معين [٢].

ويرى صاحب كتاب تاريخ المسيحية أنه فكر في إعداد نفسه لكي ينخرط في سلك فقهاء الشريعة يوم انتقل من بلدته ليدرس تحت إشراف غمالائيل [٣].

---

(١) بولس وتأثيره في المسيحية ص ٢٢٥ .

(٢) حياة بولس ص٢٢ ويلاحظ أن هذا لا يعدوا أن يكون بناءً على ما هو معلوم من حال اليهود في ذلك الوقت مع أبنائهم لا أن هناك معلومات مدونة تتعلق ببولس في هذا.

(٣) تاريخ المسيحية ١/ ٤٠.

في حين يرى صاحب قصة الديانات أن نفسه كانت تهفو لكي يصبح ملاحًا - فقد كان يقضي معظم وقته على ساحل طرسوس يرقب السفن وهي تأتي من البحر المتوسط - ولكن أباه كان يرغب لابنه أن يصبح حاخامًا [١].

وبعد أن تعلم حرفة صنع الخيام وتلقى العلم في المجمع الديني القائم في المدينة أرسله أبوه إلى أورشليم وهناك كما يقول بولس عن نفسه إنه تعلم عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي الدقيق [٢] في الثانية عشر أو الثالثة عشرة من عمره [٣].

وقد خلف غمالائيل بولس في رئاسة السنهدرين وواصل السنة القديمة سنة تفسير الناموس ولقبه اليهود بها لم يلقب به إلا ستة رجال من بعده وهو (الربان) أي: (سيدنا) [٤]. وكان متطرفًا في ولائه للفرقة الفريسية [٥].

ويرى بعض المؤرخين رأيًا آخر في نشأة بولس العلمية وهو أنه تعلم في مجمع مدينته مستبعدين أن يكون من تلاميذ كهنة فلسطين لأنه قد وصل به الحال إلى أنه تجاهل وأنكر أساتذته في طور من أطوار حياته.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنه قد أحسن التعبير عن الروح اليهودية التي كانت تسود - كما بدا لهم - معابد المهجر المتأثرة بالفكر اليوناني، كما يغلب على ظنهم أنه تلقى فعلًا العلوم الخاصة بأصول اليهودية وأتى عليها وتدرج في الدراسات الدينية إلى أبعد حدودها ولكن في غير القدس من المدن فلم تكن فلسطين هي الموطن الوحيد للعلماء اليهود فمنهم من كان يقيم أيضًا في الإسكندرية كما أن منهم من كان يقيم في أنطاكية والدلائل عند هذا الفريق من

---

(١) قصة الديانات ص ٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) أعمال الرسل ٢٢/ ٣.

(٣) معجم الحضارات ص ٢٤٥.

(٤) قصة الحضارة ١١/ ٢٥٠.

(٥) قصة الحضارة ١١/ ٢٥٠ بتصرف.

الباحثين تشير إلى أن بولس قد أكمل دراسته بهذه المدينة الأخيرة.

ويستند هذا الفريق في رأيه إلى ما تغلب على ظنهم من أن بولس كان يعتمد على الترجمة اليونانية للتوراة وهى المسماة بالسبعينية [1]. وذلك يدعوهم إلى الاعتقاد بأن بولس لم يدرس النصوص المقدسة في مدينة القدس وإنما كانت دراسته لها في إحدى المدارس اليهودية في المهجر وعلى الأخص في أنطاكية والتي لا تبعد عن طرسوس كثيرًا فقد كانت المركز الفكري لأسيا الصغرى اليونانية كما كانت ميدان التلاقي والتجمع لأصحاب المذاهب والمعتقدات المتشابهة والمختلفة.

ويعلق الدكتور محمد أبو الغيط الفرت على الرأيين السابقين فيقول: لعله يكون من المستطاع أن نجمع بين الاتجاهين بقولنا: إن بولس عندما فرغ من تعليمه الديني في مجتمع مدينة - طرسوس - أرسله أبوه إلى أورشليم ليتم تعليمه في جامعتها الدينية، وبعبارة أخرى في مجمعها الديني طلبًا لأصول الدين اليهودي ثم أكمل دراسته في أنطاكية [2].

ونضيف إلى ذلك أن اقتصار بولس على ذكر تلمذته لغمالائيل لا يقوم دليلًا على أنه لم يتعلم في أورشليم كما ذكر شارل جينيبير فربما اقتصر على ذكر أهم أساتذته الذين استفاد منهم وتلقى العلم على أيديهم.

وتمتع بولس بصفاتٍ خلقية لعبت دورًا متميزًا ومهمًّا خصوصًا بعد تنصره ولا شك أنه اكتسب أيضًا بعض الصفات المهمة من خلال البيئة التي عاش فيها سنوات طفولته وشبابه.

---

(١) السبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم وقد تمت في حدود سنة ٢٨٢ ق.م وكان يهود المهجر يعتبرون النص السبعينى منزلًا تمامًا كالنص العبرى. المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٨.

(٢) دعوة التوحيد، عرفة سالم ص ٢٤٦ .

يقول ديورانت: (أما عقله فكان من طراز شائع بين كثير من اليهود فيه من نفاذ البصيرة وشدة الانفعال أكثر مما فيه من الدماثة.. وفيه من الإحساس القوى والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم والنظرة الموضوعية للأشياء) [1].

أما جينيبير فيرى أن بولس تميز بصفات كانت من أسباب نجاحه فيما بعد: الروح الحماسية الوثابة والمنطق المدرب على المناقشة وعزيمة لا تقهر [2].

وقد ذكر الشيخ أبو زهرة بعضًا من الصفات التي تمتع بها [3] . ونقل جينيبير أنه لم يكن يتمتع بصحة جيدة ولعل من تأثيرات مرضه أنه كان عصبيًّا حساسًا بما أثر على كتاباته وأسلوبه وعلى تحجر فكره أحيانًا [4].

وفي رأيي أن هذه الصفات لابد أن نضعها نصب أعيننا فيما بعد عند الحديث عن العقائد التي نادى بها بحيث تفسر لنا الكثير من الأمور الغامضة والتي تظهر منذ بدء تنصره إلى قيامه بدعوته وأخيرًا وفاته.

وسنشير إليها في حينها لبيان مدى علاقتها بهذه الصفات.

٥ـ موقفه في يهوديته من النصارى:

كان بولس قبل تنصره يهوديًّا فخورًا بشعبه وفريسيًّا مثاليًّا [5] وعدوًا لدودًا للكنيسة الناشئة [6].

وقد اشتهر بتعصبه ليهوديته، وينسب إليه سفر أعمال الرسل دورًا رئيسيًّا في اضطهاد النصارى، وأنه كان عدوًّا حانقًا على تلاميذ المسيح وحوارييه المؤمنين به الذين كانوا في نظر اليهود المتعصبين يحدثون خرقًا في صفوف الجماعة

---

(١) المسيحية جينيبير ص ٩٠.

(٢) محاضرات في النصرانية أبو زهرة ص ٨٦ – ٩٠.

(٣) Geneber ،Le Christ ص ٢٠٨.

(٤) قصة الحضارة ١١/ ٢٥٠ بتصرف.

(٥) راجع: رسالته إلى أهل فيلبى ص ٣–٥

(٦) راجع: رسالته إلى أهل غلاطية: ١/ ١٣ – ١٤.

اليهودية [١] وكان شغله الشاغل نيلهم بالأذى والاضطهاد والإبادة.

ويذكر صاحب الموسوعة النقدية أنه قد عارض النصرانية رغم أن تعاليم أستاذه - غمالائيل كانت تطالب برفع القيود عن رسل المسيح والكف عن اضطهادهم [٢] . وربما كان موقفه العدائي من رسل المسيح دليلًا على شدة غيرته على الناموس اليهودي وهو الشأن بالنسبة لكثير من الفريسيين فقد ورد عنه في رسالته إلى أهل غلاطية - (وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيره في تقليدات آبائى) [٣].

ثم إن أول إشارة لاسم شاول في سفر أعمال الرسل جاءت في الإصحاح السابع عند ذكر مقتل (استفانوس) الذي رجمه اليهود بعد اتهامه بالتجديف على موسى والناموس.

ففي سفر الأعمال - (فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصروا بأسنانهم عليه، وأخرجوه خارج المدينة ورجموه، والشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له (شاول) فكانوا يرجمون استفانوس .. وكان شاول راضيًا بقتله).

(أما شاول فكان يسطوا على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالًا ونساءً ويسلمهم إلى السجن).

وأخذ بولس يضطهد النصارى وحصل من السنهدرين على السماح له بالبحث عنهم في كل أرجاء سورية وهو ما تؤيده النقول السابقة من أنه أخذ السلطان من قبل رؤساء الكهنة.

ولكن ماكوبى في كتابه (صانع الأسطورة واختراع النصرانية) عند الحديث عن مشكلة بولس يقول قولًا يشكك في طبيعة العلاقة بين بولس ورئيس الكهنة .

---

(١) مختصر دراسة للتاريخ ص ٣٧٥ .

(٢) الموسوعة النقدية ص ٧٤ .

(٣) رسالة إلى أهل غلاطية ١/ ١٣ - ١٤ .

يقول: (لكن أي شخص له دراية بالوضع الديني والسياسي في المنطقة اليهودية في ذلك الوقت ليشعر بوجود مشكلة هامة هنا ذلك أن رئيس الكهنة لم يكن فريسيًّا ولكنه كان صدوقيًّا، وكان للصدوقيين عداوة مريرة مع الفريسيين . كيف يمكن لشاول بزعم أنه فريسى غيور (فريسى ابن فريسى) أن يعمل هكذا بمنتهى الود مع رئيس الكهنة ؟.

إن الصورة التي أعطيت لنا من مصادر عهدنا الجديد عن شاول والخاصة بحياته مثل تحوله إلى خدمة يسوع إنما هي متناقضة ومشكوك فيها، وما نسمعه ثانية عن شاول في الإصحاح التاسع أنه كان ينفث تهددًا وقتلًا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى الجماعات اليهودية بدمشق ليفوضه إذا وجد أناسًا رجالًا ونساءً من الذين تبعوا الطريق الجديد أن يسوقهم موثقين إلى أورشليم.

إن هذا الحادث مليء بالألغاز.. إذا كان لشاول مثل هذه القوة في السطو على الكنيسة اليهودية فماذا جاءته فكرة الذهاب إلى دمشق للسطو على الكنيسة هناك؟ ماذا كانت الضرورة الملحة لزيارة دمشق؟ وبجانب هذا ما هي نوعية السلطة القضائية التي كانت لرئيس الكهنة على مدينة غير يهودية مثل دمشق والتي تمكنه من إعطاء أوامر بالقبض وتسليم مجرمين في تلك المدينة؟

وفوق هذا يوجد شيء محير تمامًا في وصف العلاقة بين شاول ورئيس الكهنة أما لو كان شاول مواطنًا غير حكومي يريد أن يكون القبض على المواطنين وفقًا لخطة من تدبيره وهو يفاتح رئيس الكهنة بطلب السلطة بذلك.

ثم يقول ماكوبى - بعد هذا التشكيك في دور بولس في اضطهاد النصارى:- (من المؤكد أنه كانت هناك صلة رسمية بين رئيس الكهنة وشاول ويبدو أكثر احتمالًا أن الخطة كانت من صنع رئيس الكهنة ولم تكن من صنع

شاول وأن شاول كان عميلًا أو جاسوسًا سريًّا لرئيس الكهنة).

هذا ما يؤكده ابن حزم في كتابه (الفصل) حيث يقول: (وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى أن أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم والتوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام اتفقوا على أن رشوا بولس البنياميني - لعنه الله - وأمروه بإظهار دين عيسى ﷺ وأن يضل أتباعهم ويدخلهم إلى القول بإلهيته وقالوا له نحن نتحمل إثمك في هذا ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر)[١].

هذا هو موقف بولس من النصارى قبل أن ينتقل إلى النصرانية وهو موقف الاضطهاد الشديد لهم.

القصة التنصرية لبولس:-

يذكر الإصحاح التاسع من سفر الأعمال قصة التحول المفاجئ لبولس من اليهودية إلى النصرانية فيقول: (أما (شاول) فكان لم يزل ينفث تهددًا أو قتلًا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسًا في الطريق رجالًا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتًا قائلًا له: شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال: من أنت يا سيد؟

فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده فقال وهو مرتعد ومتحير: يارب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل)[٢].

ثم يذكر الإصحاح أنه نهض عن الأرض وهو مفتوح العينين لا يبصر

---

(١) الفصل ١/ ٣٢٥.

(٢) أعمال الرسل: ٩/ ١-٧.

ومكث كذلك ثلاثة أيام فلم يأكل ولم يشرب وكان في دمشق تلميذ اسمه (حنانيا) فأوحى إليه الرب أن يلتقي مع (شاول) فوضع يديه عليه فأبصر ووقع مع عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعامًا فتقوى وكان شاول مع التلاميذ في دمشق أيامًا وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أنه هذا هو ابن الله فبهت جميع الذين كانوا يسمعون [١].

فالقصة تذكر صراحة أن (بولس كان يهوديًّا يعلن عداءه على المسيحية الناشئة ويضطهد أتباعها وفجأة يتحول هذا العدو اللدود للمسيحية إلى مسيحي، بل واضع للاهوت المسيحية وللمرء أن يتساءل عن سر هذا التحول العجيب المفاجئ ويبدو أن (بولس) وقد عجز عن محاربة المسيحية بالعنف والاضطهاد قرر أن يلجأ إلى سلاح الدس والتدمير الداخلي فافتعل تلك القصة الخرافية الخارقة ليجعل منها وسيلة مناسبة لثبوتها مقصدًا مناسبًا له عند المسيحيين ويظهر من خلال القصة كذلك كيف استغرب السامعون لبولس رأيه الجديد في المسيح، ووصفه له بأنه ابن الله؛ لأنهم سمعوا شيئًا لم يكن معروفًا عند المسيحيين، ولم يسمعوه من تلاميذ المسيح ﷺ، ومع ذلك فقد استطاع (بولس) أن ينفذ على أوساط الشعب في القدس ويعمم أفكاره اللاهوتية الجديدة.

ولا شك أن هناك أوصافًا ومميزات لبولس ساعدته على تعميم فكرته وإقناع الجماهير بهذا الرأي الجديد ومن أبرز ما تميز به:

١- **الروح اليونانية**:- فهو قد عاش في بيئة طرسوس فأشرب فيها من الروح الإغريقية وكان لذلك أثر كبير على أفكاره.

ويقول الأستاذ (جيني بير):- (عاش بولس في وسط يتحدث باليونانية

---

(١) أعمال الرسل: ٩/ ١٠ - ٢٢.

ويستخدم كلمات مثل: - الله، عقل، منقذ، منطق ، روح، ضمير. فلم تكن هذه الكلمات غريب عنه وكان هذا الوسط يهتم بفلسفة معينة بقيت بعض أحكامها والكثير من مصطلحاتها في ذهن داعية المسيحية)[(١)].

٢- الديانة اليهودية:- فلقد تدرج بالثقافة اليهودية حتى منتهاها وقد سبق أن ذكرنا أنه تربى على أعتاب الفيلسوف اليهودي (غمالائيل) في القدس كما تشرب من اليهودية أسلوب الكيد والعمل في الخفاء.

٣- الجنسية الرومانية:- وهذه أعطته الجرأة فبينما كان غيره يسجن ويضطهد كانت هذه الجنسية ترفع عنه مثل هذا النوع من الاضطهاد.

ففجأة تغير بولس من ألد أعداء النصرانية إلى داعية من دعاتها ثم تبوأ مركز الصدارة في الدعوة على مبادئه التي تميز بها عن غيره من تلاميذ المسيح عليه السلام.

فبعد رحيل المسيح ببضع سنوات أعلن بولس فجأة أنه قد أصبح رسولًا للمسيح إثر حادثة وقعت له على طريق الذهاب إلى دمشق كما سيأتي لا يتحدث عنها هو إلا تلميحًا ولكن كاتب (أعمال الرسل) يبسطها في عدة مواضع بطرق مختلفة بعض الشيء[(٢)].

وكان السبب المباشر لهذا التحول رؤيا رأى فيها عيسى يلومه على اضطهاد أتباعه فوجد فيها برهانًا على خطئه في حق عيسى الذي كان يعتبره دجالًا يتمتع في الحقيقة بتأييد إلهي، وهكذا جعلت هذه الرؤيا من المضطهد تلميذ أو من الفريسى ابن الفريسى رسول الأمم على حد تعبيره[(٣)].

ولسنا نعرف تاريخ هذه الحادثة التي غيرت مجرى حياته تغيرًا جذريًا - معرفة دقيقة - فبعض المؤرخين يرجع أنها بين ٣٠ وبعضهم سنة ٣٨ وآخرون

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت: ١١/ ٢٦٢ .

(٢) أعمال الرسل ٩، ٢٢، ٢٦ .

(٣) الفكر الإسلامى ص ٨، ٩، حياة بولس، مرقص داود ص ٩١.

يضعونها بين هاتين السنتين [١].

ولقد ذكر سفر أعمال الرسل قصة تحول بولس إلى النصرانية في ثلاثة مواضع أحدهما على لسان لوقا - على لسان بولس في الإصحاحين الثاني والعشرين والسادس والعشرين.

والمواضع الثلاثة مجمعة على أن بولس - وهو في طريقه إلى دمشق مقتفيًا أثر النصارى للقبض عليهم - ظهر له المسيح وحمله الرسالة أو وعده بها - حسب قوله يقول لوقا في الإصحاح التاسع:- (وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتًا قائلًا له: أنت تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس [٢]. فقال وهو مرتعد ومتحير: يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدًا فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين ولا يبصر أحدًا فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب) [٣].

وفى الإصحاح الثاني والعشرين ذكر لوقا قول بولس (فحدث لي وأنا ذاهب ومقترن إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم

---

(١) راجع Le christs geneler، وانظر قاموس أكسفورد ص ٣٨٥، بولس وتأثيره ص ٣٠، وهذا لا يتفق مع تاريخ الميلاد الذي ذكروه لبولس فإذا كان من مواليد عام ١٥ ب . م يكون عمره أيام اضطهاده النصارى خمس عشرة سنة من عمره فكيف يقوى صبى على ذلك؟

(٢) **ترفس**: تضرب برجلك إلى الوراء، **ومناخس**: جمع منخس قضيب طويل في رأسه مسمار ينخس به الحيوان لتسرع في السير، والمعنى أن لا فائدة من معاندة كلمة الرب وهو شبيه بالمثل الحالي: العين التى تضرب المحرز تفقأ العين، معجم الألفاظ العسرة في الكتاب المقدس تأليف موريس جدعون حناحلو، غسان خلف، ص ٣٢ و ١١٨.

(٣) أعمال الرسل: ٩ / ٣ - ٩.

فسقط على الأرض وسمعت صوتًا قائلًا لي: شاول لماذا تضطهدني ؟ فأجبت من أنت يا سيد ؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني فقلت ماذا أفعل يارب ؟ فقال لي الرب قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل إذا كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق)[١].

أما في الإصحاح السادس والعشرين فقد ذكر لوقا على لسان بولس قوله:- (ولما كنت ذاهبًا في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك: نور من السماء أفضل من لمعان الشمس فقد أبرق حولي وحول الذاهبين معي . فلما سقطنا جميعًا على الأرض سمعت صوتًا يكلمني ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضهطدنى ؟ صعب عليك أن ترفس مناخس . فقلت أنا من أنت يا سيد ؟ فقال أنا يسوع الذي تضطهده ولكن قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادمًا وشاهدًا بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذًا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيبًا من المقدسين)[٢].

ونظرًا لأهمية ما يزعمه بولس من رؤية المسيح فمن المفيد أن نسلط الضوء على بعض أقوال رجال الدين النصراني المتخصصين في هذا الشأن بحيث نتناول المسألة من زاويتين تناقض الروايات في حادثة تحول بولس للنصرانية وأسباب تنصره وهو ما سنذكره في الفقرة التالية.

---

(١) أعمال الرسل: ٢٢/ ٦-١١

(٢) سفر أعمال الرسل الإصحاح ٢٢٠/ ٦ - ١١.

أما عن تناقض الروايات الأربعة الإجمالي [1] فقد حاول بعض العلماء التوفيق بين تعارض الروايات والموازنة بينها حيث ادعوا أن لوقا - مؤلف سفر الأعمال حسب افتراض علمائهم حصل على الروايات الثلاث من مصادر مختلفة: بولس نفسه، والكنيسة في القدس، والكنيسة في أنطاكيا، ولذا توجد بعض الاختلافات بسبب النقل الشفهي ولا تعارض بين الروايات.

أما الرأي الثاني فلا يعترف بما ورد في سفر الأعمال نظرًا للتناقض الواضح بين الروايات، واعتبروا شهادة بولس لنفسه في رسائله هي الأصل.

ولكن كما يقول وهيب البكرى: إن الرأيين لم يتعرضا لجوهر الموضوع وأساسه وهو مدى شرعية رسالة بولس وهل أصبح رسول الأمم فعلًا بعد هذه الحادثة [2].

وهو تناقض واضح فكيف يتم مساءلة رسولية بولس إذا لم يثبت بالسند الصحيح تاريخيًّا وقوع هذه الحادثة فعلًا.

ولعلنا عندما نناقض أسباب تنصره في الفقرة التالية نلقى الضوء على بعض الأسباب التي تجعل أمثال هؤلاء الباحثين يناقض بعضهم بعضًا.

أسباب تنصره:-

هنا أيضًا نجد اختلاف رجال الدين النصارى والباحثين حول أسباب تحول بولس من اليهودية إلى النصرانية .

وسنعرض هنا ثلاثة آراء رئيسية:-

الرأي الأول:- يقول أصحابه إن عملية تنصر بولس كانت بسبب (معجزة) إلهية بحتة بدون مقدمات، وبالتالي هم يعارضون القول بالمؤثرات النفسية

---

(١) راجع: التفصيل في هذه التناقضات: الاختلاف والاتفاق، عوض ص ٨، بولس وتأثيره ص ٣٣.

(٢) راجع: بولس وتأثيره ٣٣، ٣٤ .

والعضوية التي تقول إنه كان يعانى من: شوكة في الجسد أو ضعف الرؤية وأمراض أخرى.

وهناك من قال إنه كان يعاني من الصرع [١].

الرأي الثاني:- ويقول أصحابه إن هذا التغير الكامل الذي تم لبولس يكون على أثر استعداد نفسي سابق وأنه لابد وأن يكون هناك شيء ما في حياة بولس الأولى جعله يتحول هذا التحول الكبير [٢].

ويدخل تحت هذا الرأي التفسيرات التالية:-

أ- لم يستطيع أن يتحمل عبء الشريعة التي أثقلت كاهله.

ب- أنه من خلال اضطهاده السابق لتلاميذ المسيح تأثر بهم وبدعوتهم.

ج- أنه بسبب مشاكل عاطفية وفشل محاولاته في الزواج ويضيف إلى هذا جينيبير خصائص شخصيته المتقلبة والنازعة إلى التهيؤات الصوفية ثم التأثيرات التي تراكمت في أعماق اللاشعور لديه من تأثيرات أسرار طرسوس وأنطاكية التي عودته على فكرة المنقذ إضافة إلى تأثيرات أساتذته من اليهود.

ولعل محاولاته مع من كان يدعوهم لليهودية وإجاباتهم الغير مقنعة - على خلاف ما كان يجده من النصارى من القوة والثبات والتي كانت تمثل إجابات شافية لتساؤلاته - لعل كل هذا جعل من بولس مسيحيًّا بالاستعداد وداعيًا إليها - فيما بعد - بالإرادة المطلقة حيث أيقن أنه أبصر المسيح وتلقى منه ما تلقى من كلمات، واختص منه بالتشريف الأعظم أن يكون من الرسل [٣].

ومثل هذا الرأي رأى أيضًا (سيجمون فرويد) [٤] العالم النفساني إذ يقول:-

---

(١) راجع بولس وتأثيره في المسيحية ص ٣٦

(٢) سيرة بولس حبيب سعيد ص ٢٥ .

(٣) Le Christ، geneber ص ١٢٤ - ١٢٦، ٢٥٩ .

(٤) فرويد (٨٥٦ - ١٩٣٩م) طبيب فيلسوف نمساوى مؤسس علم التحليل النفسانى درس أهمية الدوافع والعواطف اللاشعورية انظر: المنجد في الأعلام ص ٢٥٦ .

(إن بولس قد التمس الإحساس بالذنب المتأصل في نفسه وفى الشعب اليهودي فبنى عليه مذهبًا انفصل به عن الديانة اليهودية وقد نجح في تجاوز السفر ورأى رؤيا في طريقه إلى دمشق) [١].

الرأي الثالث: يتزعم هذا الرأي دينان الذي فسر ما رآه بولس بـ (بضربة شمس) أدت إلى (هلوسة) [٢].

وزاد على ذلك أحد الباحثين الذي فسر تنصر بولس بأنه خليط من جميع ما أوردناه في الرأي الثاني، بالإضافة إلى ضربة شمس جعلته (يتخيل) الأشياء وكأنها ظواهر طبيعية خارجية [٣].

ونلاحظ على جميع هذه الآراء أن أصحابها يفترضون وقوع هذه الحادثة فعلًا وبالتالي فإن التفسيرات السابقة لرؤياه بأنها معجزة إلهية أو نتيجة عوامل نفسية أو غير ذلك مبنية على صحة ما أورده لوقا في سفر الأعمال تاريخيًا على الرغم من اختلاف حول ما يقوله عن رؤيته تلك.

والحقيقة أنا ما أراه سببًا في هذه (الحيرة) والتخبط بين الآراء يعود إلى نقطة غاية في الأهمية وهى: - أنهم - حسب ما هو متوفر لديهم من معلومات - يرون تناقضًا واضحًا بين سفر أعمال الرسل ورسائل بولس وهذا التناقض يشمل الناحية التاريخية والمنطقية بالإضافة إلى عدم وجود وثائق تؤيد ما يزعمه لوقا في سفر الأعمال أو بولس في رسائله هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن كونهم أمام نتائج عملية لما قام به بولس من نشاط واضح ونجاح ملموس يرون أنه لولا صحة إيمان بولس ورسوخ اعتقاد

---

(١) الموسوعة النقدية ص ٧٦ وراجع: أقوال أخرى لبعض الباحثين في الفكر اللاهوتى ص ٢٩-٣٠.

(٢) بولس وتأثيره ص ٣٧.

(٣) انظر قصة الحضارة ١١/ ٢٥٢.

حسب تصورهم - لما واجهت دعوته هذا الإقبال الواسع الانتشار.

وبالتالي أصبح التناقض بين ما هو (مكتوب) وبين نتائج العمل (الموجود) يضع الباحثين في (حيرة) يميلون بعدها إلى الواقع العملي.

ومهما يكن من أمر حادثة (طريق دمشق) وهل وقعت فعلًا أو أنها مجرد اختلاق من مؤلف سفر الأعمال ومهما يكن من أمر محاولة علماء النصرانية لتفسيرها لدى بولس فإننا نرى أن الأمر الأهم هو دراسة ما ترتب على هذه الحادثة الفاصلة وعلى دخوله في دعوة المسيح عليه السلام وما نتج عن تحريف لها حتى أصبح ما دعا إليه بولس يناقض تمامًا ما دعا إليه المسيح عليه السلام كأنهما ديانتان تختلفان في كل أمر من أمور الديانة وأصولها وقواعدها وكلياتها وجزئياتها.

وهذه النتيجة الحاسمة هي عين ما صرح به بولس نفسه في رسالته إلى أهل غلاطية حيث يقول إن تلاميذ المسيح المعتبرين في القدس لم يشيروا عليه بشيء ولم يزودوه بشيء من إنجيل عيسى عليه السلام الذي تركه لهم ويزعم أنهم أقروه على إنجيله الذي يبشر به [(١)].

بولس بعد تنصره وقبل لقائه بالتلاميذ:-

قد أسلفنا أن بولس كان يهوديًّا متشددًا ثم زعم أنه قد آمن بعيسى عليه السلام وقد كان إيمانه يقتضى منه أن يقضى أطول وقت ممكن - بعد هذا التحول العقدي والفكرى - في صحبة تلاميذ المسيح عليه السلام وحوارييه الذين تلقوا التعاليم منه والذين كانوا آنذاك أكبَر علماء الدين المسيحي [(٢)].

ولكن أقواله تؤكد أنه بقى فترة لا تقل عن ثلاث سنوات تفصلها عن قدومه إلى كنيسة أنطاكية حوالي سنة ٤١ م ذات الأغلبية غير اليهودية ولا

---

(١) راجع: غلاطية ٢/ ٧-٩ وبناء عليه فلا يستبعد أن بولس ادعى تلك الرؤيا وافتراها حتى تكون مدعاة ووسيلة لقبول الناس لما سيفتريه ويختلقه من أمور دينية مناقضة لدعوة المسيح وهو ما حدث فعلًا.

(٢) ما هي النصرانية ص ١٧١ .

نعرف عن هذه المدة سوى أمرين اثنين:

الأمر الأول:- أن بولس بعد هذا التحول في حياته لم يتجه فورًا إلى أورشليم وإنما استقر في جنوب دمشق وقام بعد ثلاث سنوات من حادثة طريق دمشق بزيارة (القدس) فأقام عند بطرس خمسة عشر يومًا ولم ير غيره من الرسل غير يعقوب أخي الرب ولم يتعلم منهما شيئًا.

الأمر الثاني:- أنه شرع في الدعوة بين الأمم بعد ذلك يقول في رسالته إلى غلاطية:-

(لكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحمًا ودمًا ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى العربية [1]، ثم رجعت أيضًا إلى دمشق ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يومًا ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب والذي أكتب به إليكم هو ذا قدام الله أنى لست أكذب فيه وبعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكية ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلًا يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلًا يتلفه فكانوا يمجدون الله فيّ) [2]

وهكذا يحرص بولس على تأكيد رسالة مهمة: هي استقلاله التام عن تلاميذ عيسى عليه السلام في تعاليمه وفى إنجيله فهو لم يستشر أحدًا منهم ولم يأخذ عنهم أي شيء يتعلق برسالته الجديدة أو إنجيله الجديد بل ولم يصعد توًّا بعد أن رأى المسيح وأمره بالتبشير بين الأمم - على حد زعمه - إلى أورشليم ليناقش تلاميذ

---

[1] ليكن ملحوظًا أن المراد من (العربية) ههنا منطقة جنوب دمشق التى كانت تطلق عليها آنذاك كلمة (العربية) تجوزًا (دائرة المعارف البريطانية ج١ ص ٣٨٩ مقالة بولس).

[2] غلاطية: ص ١/ ١٥ - ٢٤.

المسيح في الأمر ويناقش معهم أمور الدعوة.

وما ذكره بولس يطرح عدة أسئلة لا جواب عليها من هذه الأسئلة:-

أ- لماذا مكث ثلاث سنوات دون أن يذهب إلى أورشليم - على فرض صحة روايته - مع أن المنطق كان يقتضي منه أن يسرع بلقاء التلاميذ حتى يزف إليهم خبر رؤيا المسيح وتكليفه بالرسالة الجديدة ؟.

ب- لماذا اختار بطرس بالذات ؟ ولماذا الانفراد به وعدم السعي للقاء بقية التلاميذ ؟

ج- ماذا دار من أحاديث ومناقشات في هذه الاجتماعات الانفرادية المطولة؟

د- وما هي نتيجة هذه الاجتماعات ؟

هـ- والسؤال الخطير هو أن بولس صرح أنه لم يتعلم من الحواريين شيئًا فالسؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي مصادر معلوماته في دعوته وتعاليمه التي لا شك لم تنبني على تعاليم المسيح عليه السلام التي ورثها تلاميذه وأخص حوارييه.

ويلاحظ هنا أن كلام بولس قد يعارض ما ذكر في سفر أعمال الرسل على لسان لوقا حيث يدل سياقه بأن بولس ذهب على الفور إلى أورشليم دون انتظار حيث يقول:- (ولما وصل شاول إلى أورشليم (بعد حادثة طريق دمشق) هناك فخافوا منه إذ لم يصدقوا أنه صار تلميذًا للرب) [١].

فهذا قد يتعارض إلا إذا فهمنا أن البعدية في قوله بعد حادثة طريق دمشق بعدية غير مباشرة، أما إذا فهمت بأنها بعدية مباشرة فهو قد يتعارض مع ما ورد عند لوقا.

وتختلف التفسيرات لما ذكره بولس من رحلته إلى العربية بعد حادثة دمشق

(١) أعمال الرسل ٩/ ٢٦.

فيرى كاتب المقال في دائرة المعارف البريطانية أن بولس ما لبث أن شعر بالحاجة إلى العش في جو هادئ صامت يتمكن فيه من التفكير في موقفه فأمَّ مكانًا في جنوب دمشق.

وكانت القضية الأساسية عنده أن يفسر الشريعة (الناموس) في ضوء تجاربه الحديثة تفسيرًا جديدًا [١].

ويذهب صاحب كتاب تاريخ المسيحية أنه بقى ثلاث سنوات قبل ذهابه إلى أورشليم ليخلو هناك مع نفسه ومع ربه [٢].

أما المؤرخ الشهير (جامس ماك كينون) في كتابه (من المسيح إلى فلسطين) فيقول: إن السبب في ذهابه إلى العربية (نبطية) وكان الغرض المنشود من وراء ذلك - فيما يبدو من التبشير أن يدرس مضمونات عقيدته الجديدة ثم ذهب بعد ذلك بثلاثة أعوام إلى أورشليم حتى يجتمع ببطرس ويعقوب أخي السيد للتشاور فيما كان متبعًا في شأن المسيح من التقليد.

لكن هناك من العلماء من ينظر إلى ما ذكره بولس عن نفسه من حادثة الرؤيا وما يترتب عليها من نتائج ينظر إلى ذلك نظرة التشكيك ويعلق عليها تعليقات أخرى تدحضها وتشكك فيها وفى نتيجتها.

يقول تقي العثماني (ثم إنه إذا كان من المقرر بعثة (رسول ثورى) بعد سيدنا عيسى عن رضًا منه فلماذا لم يُعطِ سيدنا عيسى عليه السلام إلى ذلك إشارة على حين نرى أنه عليه السلام فيما تعتقد النصارى قد خبر بمناسبة عيد الفصح بنزول الروح القدس رغم أنه لم يكن حدثًا ثوريًّا ولكنه لم يخبر بمجيء بولس رسولًا).

ويقول الشيخ أبو زهرة: (إن ذلك ليس له نظير وليس له مشابه، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسل قط، وهذا العهد القديم الذي يؤمن به المسيحيون لم يذكر

(١) راجع محاضرات في النصرانية .
(٢) أعمال الرسل ٩/ ٢٦ - ٢٨ .

لنا رسولًا بعث من غير أن يكون في حياته الأولى(1) [illegible]

[illegible] رسالته

وإذا لم يكن للرسالة إرهاصات(2) [illegible] ما ينافيها

ويناقضها)(4) [illegible]

[illegible] بولس

بالتلاميذ [illegible]

٩- بولس مع تلاميذ المسيح

لا يوجد سند للاطلاع على أخبار لقاء بولس بالتلاميذ إلا طريقان: رسائل بولس نفسه، وسفر أعمال الرسل.

يذكر بولس أنه بعد ثلاث سنوات - من حادثة الرؤيا - سعى للتعرف على بطرس وأنه لم يجتمع بأحد من التلاميذ غيره. يقول (ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يومًا ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب)(2).

بينما يذكر سفر الأعمال أن برنابا قد قدمه إلى الرسل وشرح لهم التطورات التي وقعت له وطمأنهم وأزال خوفهم حتى أصبح بولس معهم كواحد منهم يدخل معهم ويخرج معهم في أورشليم.

ويذكر سفر الأعمال الرواية قائلًا: (فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم الرب يسوع)(3).

ويدل سفر أعمال الرسل على أن بولس وبرنابا كانا مترافقين لمدة طويلة

---

(1) راجع محاضرات في النصرانية.

(2) رسالته إلى غلاطية ١٨/ ١.

(3) سفر أعمال الرسل الإصحاح ٩/ ٢٧.

يقومان بالتبشير والتبليغ معًا [١].

أما كيف صدق برنابا بولس فهنا لابد أن نتذكر بعض صفاته التي تحدثنا عنها من حماسته وقوة إقناعه في قبول برنابا لدعوته [٢].

أما عن أفكار بولس في هذه المرحلة خصوصًا مع برنابا وقبل أن يقابل بطرس فلا يعلم بالتحديد كيف كانت وكيف فسر له رؤيته وتبشيره ؟ وما هي أفكاره بعد اجتماعه ببطرس لاسيما وقد عرفنا ببيئته التي نشأ فيها وأساتذته ويهوديته المتعصبة واضطهاده فكيف كانت خلفيته عن المسيح وتعاليمه التي لا يستبعد أن تكون مشوهة [٣].

ولا شك أن أفكاره بعد مقابلة بطرس تختلف عما كانت عليه من قبل وللأسف ليس لدينا أي معلومات تاريخية قد تساعدنا على معرفة كيفية تطور أفكار ومعتقدات [٤] بولس سوى ما ذكره جينيبير أن بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحي الأول وإنما عن طريق التجمعات اليهودية في بلاد الوثنيين والتي كانت أكثر مرونة من عقيدة أهل فلسطين وأكثر اتصالًا بتيارات التأليف بين الأديان [٥].

وهكذا نستنتج من أعمال الرسل أن بولس اعتمد اعتمادًا كبيرًا على تلميذين فقط من تلاميذ المسيح هما برنابا وبطرس، وأن برنابا لعب دورًا مهمًا للغاية في حياة بولس وأنه لولا برنابا لما عرف بولس [٦].

أما بخصوص اتصال بولس ببطرس فيرى وهيب البكري أن بولس حصل

---

(١) ١١/ ٣٠، ١٢/ ٢٥ والإصحاحات ص ١٣/ ١٤، ١٥.

(٢) انظر ص ١٣٩١١ .

(٣) راجع الإصحاح الثانى من أعمال الرسل.

(٤) راجع: بولس وتأثيره في المسيحية ص ٤٥.

(٥) راجع المسيحية ١١٠ - ١١٢.

(٦) المسيحية جينيبير ١٣١، بولس وتأثيره في المسيحية ص ٤٦.

في ذلك الاجتماع السري على ما كان ينقص من معلومات تتعلق بالمسيح عليه السلام وهذا هو السبب الذي جعله ينفرد ببطرس[١].

والسؤال هو:-

ماذا عمل الحواريون والتلاميذ تجاه انحراف بولس؟ ألم يكتبوا شيئًا ولم يدافعوا عن اعتقادهم وآرائهم؟ يقول الدكتور (أحمد شلبي): (الإجابة التي هي يقين لا يحتمل شكًّا وعلم لا يحتمل ظنًّا أن هؤلاء كتبوا وناضلوا ولكن أين ما كتبوه ؟ وأين أحاديثهم وشروحهم ودفاعهم عن آرائهم؟ الجواب أنه ليس في أيدينا شيء فلابد أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان في العصور المظلمة كما دمرت إنجيل عيسى أو قل إن بعض ما كتبوه ربما نجا من التدمير وأخفاه ذووه وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى انعقد مجمع نيقية حيث تقرر أن يختار من الأناجيل والرسائل الموجودة ما لا يعارض أفكار بولس وآراءه ودمر ما سواها[٢].

وهذه النتيجة المنطقية تحولت واقعًا عندما ظهر إنجيل برنابا في القرن السادس عشر من مكتبة البابا (اسكوتس) الخامس السرية الذي يحمل في صفحته الأولى العبارة الآتية:-

(أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد انتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائمًا مجوزين كل لحم نجس الذي ضل عدادهم أيضًا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي يسوع لكي تخلصوا

---

(١) راجع: بولس وتأثيره في المسيحية ص ٤٦ .

(٢) راجع المسيحية ١١٠- ١١٢

[illegible] يضللكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله وصليبه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً)[1] [illegible]

وكما ظهر بولس فجأة في قائمة المبشرين - التلاميذ - فإن كل من اصطدم به منهم يختفي ذكره فجأة من أعمال الرسل التي [illegible] (وهم [illegible] كل مفسري العهد) الجديد المذكورة التي أحداث للدفاع عن بولس [illegible] عند محاكمته[2] [illegible]

[illegible] وبدأ الخلاف بينه وبين التلاميذ فيتبادل التهم حتى مع بطرس الذي [illegible] بولس نفسه إلى الاجتماع به في أورشليم ويستدلون بعبارات بولس نفسه[3] [illegible] وهذا لم يلبث بعد أن توطد مركزه في مجتمع التلاميذ أن يتشاجر مع برنابا الذي كان له فضل تقديمه للتلاميذ وكان ذلك [illegible] اسم يوحنا [illegible] جهوده في الدعوة من سفر أعمال الرسل [illegible]

وقد ناقش العلماء أسباب الفراق بين بولس وبرنابا بما يطول ذكره[5] ولا مجال له هنا[4] بل وأكتفي بما ذكره النصارى من أن سبب الخلاف هو أن برنابا تشاجر مع بولس حول إنجيل جديد[6] [illegible]

وبعد انفصال بولس عن برنابا نجد حلقة مفقودة فلم يبين لنا سفر الأعمال [illegible] بولس [illegible] النصرانية [illegible] بولس إنجيله [illegible] فكم (أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح)[6] [illegible]

انفضاض التلاميذ عن بولس

[illegible]

(١) ما هي النصرانية ص ٢٠٣، وإنجيل برنابا ١/ ٢ - ٩.

(٢) تفسير العهد الجديد ص [illegible]

(٣) راجع: كورنثوس ١/ ١٢، غلاطية ٢/ ١١، وانظر دائرة المعارف ٧/ ٦٤٢.

(٤) ما هي النصرانية.

(٥) حياة برنابا ص ٣٧، وانظر حياة ورسائل بولس ص [illegible]

(٦) غلاطية ١/ ١٢، اكورنثوس ٧/ ٤٠.

فالذي يطالع رسائل بولس إلى أهل فيلبى وكولوسى وغلاطية ورسالتيه إلى تيموثاوس وتيطس يجد من ذلك الشيء الكثير. وقد طال مدى هذا الاصطدام وامتد قرونًا بعد موت بولس. إن القرون الثلاثة الأولى للميلاد هي قرون المعركة بين اتجاهين: بين النصرانية اليهودية، وبين النصرانية البولسية إلى أن جاء مطلع القرن الرابع فأصبحت النصرانية البولسية هي الغالبة[1] بل أكثر أنصار بولس وأحباءه قد انفصلوا عنه وتركوه. فكتب لتيموثاوس في رسالته الثانية قائلًا (إن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني)[2].

بل إن الدراسات الدقيقة التي قام بها الكاردينال (دانيلوا) تقول إن جماعة المؤمنين النصرانية اليهودية اصطدموا ببولس وكانوا يعتبرونه كخائن ويصفونه بالعدو المنافق[3].

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء المعارضين وهو ما سنعرض له عند الحديث عن الفرق التي ظهرت[4].

نشاط بولس في تأسيس نصرانيته الجديدة:

في هذا البحث نحاول التعرف على الأحداث التي تمت بعد لقاء بولس وبرنابا والرحلات الدعوية التي تبعت ذلك وأعماله مع ملاحظة أن هذه المعلومات ليست ثابتة تاريخيًا وأن ناقدي العهد الجديد أثاروا هذا التناقض ويحاولون إيجاد معلومات ثابتة تاريخيًا لكن دون جدوى وكل ما يعرض مبنى على الافتراضات والنظريات[5].

وحاول علماؤهم وضع مخطط لترتيب أهم الأحداث في حياته منذ تنصره

(١) راجع: رسائل الرسل ص ٣٤٩.

(٢) تيموثاوس الثانية ١/ ١٥.

(٣) رسائل الرسل ص ٣٥٠.

(٤) راجع تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ ص ٩٥.

(٥) راجع: بولس وتأثيره ص ٤٨ .

إلى وفاته - بناء على ما ورد في سفر أعمال الرسل وفى رسائله ذاتها من معلومات - على النحو التالي:-

١- تنصره	٣٣م [1]
٢- فترة انقطاع تام للمعلومات لا يعلم ماذا حدث فيها (ثلاث سنوات)	٣٣-٣٦م
٣- زيارته الأولى للقدس بعد تنصره	٣٦م
٤- فترة أخرى من انقطاع المعلومات عنه (١٠ سنوات)	٣٦م-٤٦م
٥- زيارته الثانية للقدس لتوصيل المساعدات التي جمعها لضحايا المجاعة	٤٦م
٦- رحلته التبشيرية الأولى	٤٦م-٤٩م
٧- زيارته الثالثة للقدس وانعقاد الاجتماع الخطير مع التلاميذ الذي أعفى الأميين من الختان	٥٠م
٨- الرحلة التبشيرية الثانية	٥٠م-٥٢م
٩- الرحلة التبشيرية الثالثة	٥٣م- ٥٨م
١٠- فترة سجنه في قيصرية	٥٨م-٦٠م
١١- ذهابه إلى روما للمحاكمة وتحديد إقامته في أحد المنازل	٦٠م-٦٣م
١٢- وفاته (لا يعرف تاريخها بدقة)	٦٣م-٧٦م؟

وبتأمل هذا الجدول نلاحظ أن الفترة التي لا تذكر المصادر الأساسية الأولى (سفر الأعمال ورسائله) أي معلومات عنها فترة طويلة جدًّا تصل إلى أربع عشرة سنة أي نصف حياته كداعية، وهذا أمر غريب جدًّا يزيد من غموض شخصية بولس الطرسوسي ويحجب قدرًا ضروريًّا من المعلومات المطلوبة عنه

(١) هذه محاولة اجتهادية تقديرية من العلماء؛ لذلك تتفاوت تقديراتهم في ذلك وتحدد لجنة الكتاب المقدس للنسخة الأمريكية أن تاريخ بولس كان سنة ٣٧م. راجع دراسات الملل الشرقاوى ص ٤٢ .

ويفتح المجال واسعًا للافتراض.

أعماله الدعوية:-

يذكر لنا لوقا في أعمال الرسل: أنه بعد أن جاء بولس إلى أورشليم والتحق بالحواريين وقبلوه بينهم بشفاعة برنابا أخذ يشاركهم في الدعوة وعرض آرائه لكن يظهر أن آراءه أثارت ضجة كبرى بين اليهود الذين يتكلمون اللغة اليونانية فحاولوا أن يقتلوه، واضطر بولس بسببها إلى الإسراع في مغادرة المدينة متجهًا إلى طرسوس مسقط رأسه [(١)].

وظل بولس في طرسوس ثماني سنين لا يعرف عنه خلالها شيء حتى جاء برنابا وطلب منه أن يساعده في الدعوة في أنطاكية فذهب معه [(٢)] . وظل الرجلان فيها لمدة سنة كاملة (٤٣ - ٤٤م) تابعهم فيها كثير من الناس وأصبحت أنطاكية في مدة وجيزة تفوق سائر المدن في عدد النصارى [(٣)].

وكانت الرحلة سنة ٤٥ تقريبًا بصحبة برنابا وابن أخته مرقس:- وفى هذه الرحلة فارق هو يوحنا ورجع إلى أورشليم [(٤)].

وانتهت الرحلة بسفرهما - بولس وبرنابا - إلى أورشليم لحضور المجمع النصراني الأول - حسب كلام أعمال الرسل الذي عقد فيها سنة ٥٠م برئاسة يعقوب أخي المسيح في كلامهم لبحث مشكلة الأمميين الذين دخلوا النصرانية وفيه أعفى الأمميون من الختان [(٥)].

ثم قام بولس برحلة ثانية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية للدعوة إلى

---

(١) أعمال الرسل ٩-٢٦-٣٠.

(٢) راجع: بولس وتأثيره في المسيحية في التشكيك ونقد هذا القول ص ٥٢، ٥٣ .

(٣) راجع التشكيك ونقد هذه المقولة Lechrist، geneber ص ٢٠٢.

(٤) راجع: حبيب سعيد في الأسباب التي جعلت يوحنا يترك بولس، سيرة رسول الجهاد ص ٥٦ ودراسة تحليلية ٢٢٧، ٢٢٨، انظر تفصيل هذه الرحلة . دراسات في الملل الشرقاوى ص ٤٣، القديس بولس، القس حارث قريصة ص ٣٠ - ٦٥ .

(٥) راجع تحريف رسالة المسيح ص ٨١.

رسالته وفيها كان افتراقه عن برنابا[١].

كما كثر فيها ادعاؤه الرؤى التي كان يدعى أن الرب يشجعه فيها على المضي في الدعوة.

ثم كانت رحلته الثالثة التي استغرقت وقتا طويلاً نسبيًا من سنة (٥٣-٥٨م) قصد بولس أفسس ومكث بها ثلاث سنين جاعلا منها قاعدة عمله ثم طرد من المدينة إثر تمرد حصل فيها، ثم زار للمرة الثالثة الكنائس التي أسسها في مكدونية وأخائية وأمضى ثلاثة شهور في كورنثوس وما جاورها وقد فكر بالتوجه نحو الغرب (إيطاليا وأسبانيا) ولكنه قرر العودة قبل ذلك إلى أورشليم لتسليم المسؤولين مبلغًا من المال جمعه من التبرعات[٢]. وفي خلال هذه الفترة كتب بولس رسائله إلى أهل غلاطية وكورنثوس ورومية.

يقول د. محمد الشرقاوي معلقًا:- (وكأن واضع سفر الأعمال أراد برواية هذه الرحلة أن يشبه بولس بالمسيح عليه السلام فاختار أحداثًا ونسبها إلى بولس قد نسب مثلها إلى المسيح مثل تعميد إثني عشر رجلاً وشفاء المرض وإحياء الموتى والعشاء الأخير، والخطبة الوداعية.. إلخ.

أما تفصيل ما نادى به من عقائد في تلك الفترة فسوف يأتي عند دراستنا لما أدخله في النصرانية من عقائد .. أما أهم الأعمال التي ظهرت في رحلاته فتمثلت في بناء الكنائس وجمع المال وقد ناقش الباحثون الأهداف من هذه الأعمال التي قام بها[٣].

محاكمته ووفاته:-

(٣) انظرها في بولس وتأثيره ٦٥٤ - ٦٦٣ ... ونشر في U.S.news إبريل ١٩٩١م ترجمة أ. أحمد سليم ...

في ربيع سنة (٥٨م) سافر بولس للمرة الخامسة إلى أورشليم[1] وفيها دبر اليهود مكيدة له، متهمين إياه بإدخال يونانيين إلى الهيكل[2]، وكانوا سيقتلونه لولا تدخل الضابط الروماني (ليسياس) لمعرفته بحقوق المواطنة الرومانية التي يتمتع بها، ثم أرسله (ليسياس) تحت حراسة قوية إلى (فيلكس) الوالي الروماني في قيصرية، وبقي أسيراً في قيصرية مدة سنتين كاملتين (٥٨م - ٦٠م) في انتظار محاكمته ثم طلب بولس كمواطن روماني[3] أن ترفع دعواه إلى القيصر فوافق الوالي على ذلك، فأرسل في خريف سنة (٦٠م) إلى روما ووصل إليها في ربيع سنة (٦١م) الموافق أوائل السنة السابعة لجلوس الإمبراطور (نيرون) على عرشه. وفي روما أمضى بولس سنتين كاملتين حتى سنة (٦٣م) أقام في سكن خاص استأجره، وقد منح له حرية استقبال الزائرين ودعوتهم.

هذه خلاصة ما ذكر في أعمال الرسل من (الإصحاح العشرين) إلى آخر السفر (الإصحاح الثامن والعشرين). وهنا يتوقف الكاتب عن ذكر بقية أيام بولس، ولم يذكر شيئاً عن نهاية حياته. فأثير جدل كبير بخصوص حياته فيما بين سنة (٦٣م) إلى وقت قتله فيما قيل إما سنة (٦٧ أو ٦٨م)[1].

ونقل يوسيبيوس إجماع النصارى القدامى على أن بولس قتل بقطع رقبته بحد السيف في عهد (نيرون) سنة (٦٧ أو ٦٨م)[2].

يقول ول ديورانت: (لسنا نعرف حقيقة التهمة التي وجهت إليه وأكبر الظن أنه اتهم بما اتهم به هو وزملاؤه في تسالونيكي وهو أنهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين: إنه يوجد ملك آخر يسوع وكانت هذه الجريمة الكبرى

---

(١) قصة الحضارة ١١/٢٣٨.

راجع: تاريخ الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ... ١٩٣٧

(٢) راجع تاريخ الكنيسة (يوسابيوس القيصري) ...

يعاقب عليها بالإعدام).[١]

ويذكر (دين إنج) أن بولس لم يكن أبدًا قديسًا محبوبًا في كنيسة روما[٢].

وقد قتل (بطرس وبولس) فيما قيل في وقت واحد وإن كان كلاهما قد قتل منفردًا. أما بولس فقد قطع رأسه عن طريق (أوستيان (Ostian) في المكان الذي يقوم عليه الآن دير لثلاثة ينابيع ولا يزال باقيًا أيضًا العمود الذي قيل إنه ربط فيه[٣].

وهكذا انتقل بولس من عدو إلى داعية ومن مبغض إلى مناصر لما أبغضه وهو أمر جدير بالدراسة لمعرفة التعاليم والعقائد التي جعلته المرجع الرئيسي في تفسير كل ما يتعلق بالديانة النصرانية.

رسائل بولس ومكانتها العقدية والتشريعية في النصرانية:

يختلف الكتاب والمؤرخون في تجسيم حقيقة ومدى الدور الذي قام به بولس في النصرانية فمنهم من يعتبره المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية بل ويرى أن النصرانية الحالية ليست إلا نصرانية بولوسية وهناك من يرى أن لبولس دورًا مساهمًا في تأسيس النصرانية ولكنه لا يصل إلى جعله مؤسسًا لها[٤].

ومهما يكن الأمر فإن كونه المؤسس الحقيقي لها أو غير ذلك يبرزه دراسة

---

(١) قصة الحضارة ١١/ ٢٦٨.

(٢) Ahistor and thought of early church ص ١٦، ١٧.

(٣) قصة الحضارة ١١/ ص ٢٦٨ وراجع، الأجوبة الفاخرة للقرافي حيث تفرد بالقول أن بولس ذبح نفسه بيده ص ٣٢٢ مع العلم أنه لا يوجد معلومة تاريخية تؤيد أي قول من الأقوال السابقة.

(٤) الموسوعة النقدية ص ٧٤، المسيحية شلبى ص ١٠٩، تاريخ المسيحية ١/ ٤٥، وإبطال ألوهية عيسى ص ٦٩، مع العقيدة والحركة والمنهج ص ٢٩٢، تثبيت دلائل النبوة ص ١٥٠، ما هي النصرانية ص ١٢٥، محاضرات في النصرانية أبو زهرة ص ٧٥، دراسات تحليلية ص ٣٨٨، الميزان في مقاومة الأديان ص ١٣٢ .

الآراء التي نادى بها والعقائد التي أصلها وما نتج عنها منذ تنصر إلى وقتنا الحاضر وهو في رأيي المعيار الذي يحكم عليه به بحيث يعتبر مؤسسًا فعليًّا تنسب إليه النصرانية أو مجرد صاحب دور فعال في حدود ما نادى به وما نتج عنه.

استقر رأى النصارى في أوائل القرن الخامس الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من أسفارهم وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة أي الموحى بها ويعتقدون أنها قد أوحاها الرب إلى كتابها بمعانيها لا بألفاظها وأطلقوا عليها اسم (العهد الجديد) للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم (العهد القديم).

فتسمية هاتين المجموعتين من الأسفار بهذين الاسمين هي تسمية متأخرة لاحقة لظهور النصرانية[1].

ومن بين السبعة والعشرين سفرًا أربع عشرة رسالة لبولس وهى التي نحن نصدد عرض ما فيها من عقائد وقد كتب بولس هذه الرسائل للمدن المختلفة ولبعض الأشخاص شارحًا فيها أفكاره وباسطًا أصول دعوته الجديدة وقد وضعت هذه الرسائل في العهد الجديد مرتبة حسب طولها أو وجازتها وهى كما يلي:-

(١) رسالة إلى أهل رومية (٢و٣) رسالتان إلى أهل كورنثوس (الأولى والثانية). (٤) رسالة إلى أهل غلاطية. (٥) رسالة أفسس ، (٦) رسالة إلى أهل فيلبى، (٧) رسالة إلى أهل كولوسى. (٨و٩) رسالتان إلى أهل تسالونيكى (الأولى والثانية). (١٠ و ١١) رسالتان إلى تيموثاوس (الأولى والثانية) . (١٢) رسالة إلى تيطس. (١٣) رسالة على فليمون. (١٤) رسالة إلى العبرانيين.

---

[1] راجع تحريف رسالة المسيح ص ٢٥٩ .

والرسالتان الأولى والثانية إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس تسمى بالرسائل الرعوية كما تسمى بالرسائل الجابلونية لأن موضوعها واحد، وتمثل مجموعة منفصلة مختلفة عن بقية رسائل بولس لأن هذه الرسائل الثلاث - مع الخطاب القصير إلى فليمون - كتبت إلى أشخاص بينما كتبت جميع رسائل بولس الأخرى إلى كنائس.

ويمكن القول دون تردد أن رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في النصرانية وأن التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكرارًا وصدى لآراء بولس وتشريعاته[1].

وقد كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية ما عدا الرسالة إلى العبرانيين فمن المتفق عليه أنه كتبت بالعبرانية ولكن أصلها مفقود.

وقد كتب بولس هذه الرسائل في أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة بعضها محدد التاريخ وبعضها غير محدد غير أنها تبدأ سنة ٥٤م وتنتهي سنة ٦٥م تقريبًا[2].

وقد شكك العديد من الكتاب في صحة نسبه العديد من الرسائل إلى بولس فمن ذلك التشكيك المجمل في تلك الرسائل قول (يوسابيوس المؤرخ): (فبولس مثلًا الذي فاقهم جميعًا في قوة التعبير وغزارة التفكير لم يكتب إلا أقصر الرسائل)[3].

فقوله: (أقصر الرسائل) يدل لنا على أن رسائله لم تكن بهذا الطول التي هي عليه الآن.

وكذلك ما نقله يوسابيوس نفسه عن أوريجانوس حيث قال عن بولس (الذي أكمل التبشير بالإنجيل من أورشليم إلى الليريكون فإنه لم يكتب إلى كل

(١) المسيحية شلبى ص ١٢٧ .

(٢) الأسفار المقدسة وافى ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) تاريخ الكنيسة ص ١٤٨.

الكنائس التي نعلم أنه لم يرسل سوى أسطر قليلة للتسالونيكيين التي كتبت إليها)[1].

لعل هذا النص [illegible] يشير إلى قلة محتوى رسائل بولس وأنها عبارة عن أسطر قليلة مع أن الموجود بين يدي النصارى يعدل الأناجيل الثلاثة: متى ومرقس ولوقا.

ومن التشكيك المفصل في صحة نسبة الرسائل إلى بولس ما قاله (ول ديورانت): (بعض هذه الرسائل لا يعرف كاتبها معرفة أكيدة، ومنها عدة رسائل تؤرخ بعام ٦٤م ولكنها في الحقيقة كتبت بعد ذلك التاريخ)[2].

ومنها ما نقله أحمد شلبي عن (فرديناند كرستيان بور) حيث قال عن رسائل بولس: (إنها كلها مدسوسة عليه عدا رسائله إلى غلاطية وكورنثوس ورومية)[3].

كما ذكر د. فهيم عزيز في كتابه (المدخل إلى العهد الجديد) اختلاف النصارى في نسبة عدة رسائل إلى بولس وهي: رسالتا أفسس وكولوسي، وكذلك رسالته الأولى والثانية إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس.

أما الرسالة إلى العبرانيين فهي التي تحوم حول نسبتها إلى بولس شكوك كثيرة[4].

ومن الملاحظ أن هذه الرسائل لم تجمع إلا حوالي سنة ٩٠م وقبل سنة ١١٠م وكانت كثير من الكنائس تحتفظ بأجزاء من هذه الرسائل ولم يكن من السهل أمر جمعها وترتيبها على نحو ما هي عليه الآن وكذلك لم توضع لها عناوينها إلا في وقت متأخر عندما جمعت ونشرت لتقرأ في الكنائس[5].

* * *

(١) تاريخ الكنيسة ص ٣١٧.

(٢) قصة الحضارة ١١ / ٢٠٥.

(٣) الإسلام والمسيحية في الميزان ص ٢٤٢.

(٤) انظر تفصيل الخلاف في الرسائل المذكورة في المدخل للعهد الجديد ص ٤٢٦ و ٤٧٦ و ٥٢٣.

(٥) تفسير العهد الجديد ص ١٠١.

وهذا أمر آخر يدعو إلى الشك في صحتها لأن معنى ذلك أن هذه الرسائل لم تعرف إلا بعد وفاة بولس بما يقارب الثلاثين عامًا مما يعطى مجالًا واسعًا للافتراء والزيادة والحذف حسب الأهواء.

وعلى كل حال سواء كانت نسبة الرسائل لكاتبيها صحيحة أو لا فإن آثار هذه الرسائل الأربع عشر المنسوبة لبولس في تحريف دين المسيح واضحة كل الوضوح بل أكثر تأثيرًا من الأناجيل فإن الأناجيل أسفار تاريخية وأما الرسائل فتعليمية وبولس بالذات هو المتهم الأول في هذا التحريف.

لهذه الرسائل قيمة كبرى من وجهة النظر النصرانية لأنها أول أسفار العهد الجديد كتابة وتدوينًا واشتهارًا إذ أنها كتبت قبل أقدم الأناجيل (إنجيل مرقص) بأكثر من ١٥ عامًا [1].

أمر بذلك بولس:- (أناشدكم بالرب أن تقرأ هذه الرسالة على جميع الأخوة القدسيين) [2]. وأيضًا (متى قرأت عندكم هذه الرسالة فاجعلوها تقرأ أيضًا في كنيسة اللادوكيين) [3].

ولهذا معنى مهم وهو أن أفكار بولس ودعوته قد انتشرت بين الناس من خلال تلك الرسائل قبل كتابة الأناجيل أو على الأقل قبل اشتهارها مما يكون له أخطر الأثر في صبغ الفكر والكتابات التي جاءت بعده بصبغته ودعوته.

***

(١) الإسلام والأديان ص ١٥٩ .

(٢) تسالونيكى ٥/ ٢٤.

(٣) كولوسى ٤/ ١٦.



الفصل الثالث

عقائد بولس المحرفة ودوافعه إليها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

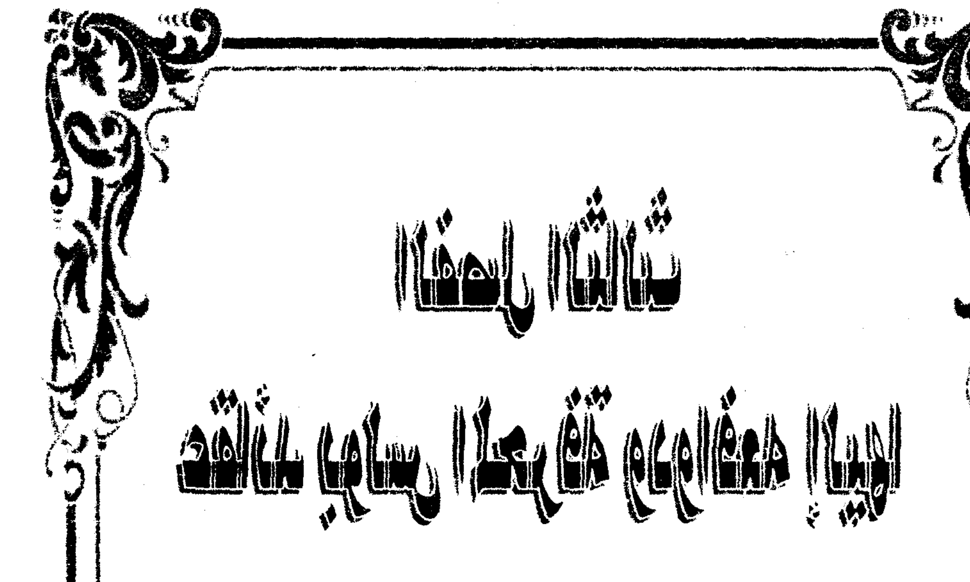
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

[الشورى:١٣]

وقال بولس لتفرقوا في دينكم:

[لأني لست أستحي بإنجيل المسيح]

(رسالة رومية ١ : ١٦)



الفصل الثالث

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الحشر: ٢١]

وقال [illegible]:

[illegible]

([illegible])

الفصل الثالث

اللاهوت المسيحي عند بولس

بعد دخول بولس في المسيحية بدأ يبعث برسائله إلى بلدان كثيرة فكتب أربع عشرة رسالة ومن خلال هذه الرسائل التي تنسب إليه نستطيع التعرف على عقيدته اللاهوتية.

ومن الواضح أن هذه العقيدة تختلف تماما عن عقيدة النصارى التي جاء بها المسيح عليه السلام يقول المؤرخ (ول ديورانت): (وقد أنشأ (بولس) لاهوتا لا تجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح، أما أسس هذا اللاهوت فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، وأنه لا ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله الذي كفر بموته عن خطيئته)[1] وهذه هي فكرة الخلاص المسيحية الخاصة ببولس، وهي فكرة جاء بها بولس من البيئة الفلسفية التي عاشها (إن الدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف النقاب عن مزيج من الأفكار اليهودية ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية)[2].

فكانت آراؤه مخالفة لما عرفه الناس عن المسيح وحوارييه يقول الأستاذ (جيني بير): (مع أن الحواريين الاثني عشر كانوا قد تملكتهم الحيرة في بدء دعوتهم عندما نظروا في النصوص المقدسة وكتب الأحبار فلم يجدوا كلمة واحدة تشير إلى إمكان قيام مسيح يعذب تعذيبا شائنا. كذلك أن موت عيسى في نظرهم ليس بالتضحية التكفيرية بينما في عقيدة بولس أن المسيح مات من أجل خطايا البشر)[3].

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت: ١١ / ٢٦٤ .

(٢) المسيحية جيني بير: ص ٧٠ .

(٣) المسيحية جيني بير: ص ٩١ .

وأدخل بولس إلى المسيحية طقوسًا كثيرة وذلك تلاؤمًا مع تلك البيئة التي لا تتصور دينًا بدون طقوس.

ومن هذه الطقوس التي أضافها بولس للمسيحية فكرة التطهر ومفهوم التضحية فقد أصبحت فكرة التطهر بالتعميد علامة الدخول بالمسيحية وتضحية الرب بنفسه لأجل خطايا البشر توجد بين الأتباع وبين إلههم في نظرهم وتبين أنهم جسم واحد أمامه ومن هذه الطقوس أكل الخبز جماعة والشرب جماعة ، يقول بولس في إحدى رسائله:- (كأس البركة التي تباركها أليست هي شركة دم الخبز الذي نكسره فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد) [1].

وفكرة الخطيئة الموروثة لم يكن اليهود يعرفونها وجاء بها بولس من الفلسفات الوثنية، يقول الأستاذ (جيني بير): (كانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) والبوتريوس (المنجى) تطلق على آلهة الوثنيين وكان لفظ كريوس (الرب) الذي سمى به بولس المسيح تطلقه الطقوس اليونانية السورية على (الميت المفدى) ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا المسيح بجسمه أن يؤمنوا إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين) [2].

ونستطيع أن نجمل إضافات بولس إلى المسيحية بنقاط هي:-

١- جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم ولو أدى ذلك إلى تساهله في بعض التشريعات التي كانت تضايق الوثنيين كالختان والسبت وتحريم الخنزير فأبطل الختان ونقل العيد الأسبوعي ليوم الأحد ليوافق الشمس عند الوثنيين وأباح أكل لحم الخنزير.

---

(١) كورنثوس الأولى: ١٠/ ١٦-١٧ .

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت: ١١/ ٢٦٤-٢٦٥.

٢- إخراج المسيحية من البساطة اليهودية إلى تعقيدات الفكر اليونانى.

٣- فكرة الخطيئة الموروثة (وهى أن كل إنسان مذنب منذ ولادته لأنه يعتبر وارثًا لخطيئة آدم وقد أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليكفر عن خطيئة الناس بموته على الصليب فداء لهم.

٤-(أدخل بولس عقيدة الكلمة (اللوجوس) التي كان يقول بها (فيلون) اليهودي في الإسكندرية كما أدخل عقيدة التجسيد وعقيدة الخلف بالكلمة من أقدم العقائد ويمكن الرجوع بها إلى كهنة ممفيس) [١].

إلى غير ذلك من اصطلاحات وطقوس أدخلها (بولس) للمسيحية ويتضح تاريخها الوثني وممارسة الوثنيين لما يماثلها من قبل.

يقول صاحب قصة الحضارة: إن المسيحية لم تقض على الوثنية، بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها) [٢].

لقد استطاع بولس صاحب الدراية في السياسة والابتكار تلك الصفة التي اكتسبها من يهوديته استطاع أن يُكون مسيحية جديدة على حساب عيسى عليه السلام وينشئ لها عقيدة لا تمت لعقيدة المسيح عليه السلام بصلة واستطاع أن يقنع الناس أن عيسى ابن الله.

يقول (بيرى Berry) (لقد كون شاول المسيحية على حساب عيسى فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية، وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة منهم وأدخل صورًا من فلسفة الإغريق ليجذب إليه أتباعًا من اليونان وعيسى أصبح ابن الله، حملت به أمه العذراء حملًا غير طبيعى واحتلت صورى العذراء والمسيح مكانًا مقدسًا احتلته قديمًا صورتا (حورس)

---

(١) النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت طهطاوى .

(٢) قصة الحضارة ول ديورانت: ١١: / ٢٧٥ .

و(أورنبيلنرهيا) [illegible]⁽١⁾ [illegible]

[illegible] على الدهشة والاستغراب أن (بولس) استطاع أن يحتل هذه

المكانة في المسيحية [illegible] وتعلم أنه ليس من

تلاميذ المسيح ولا من حوارييه، بل إن المسيح [illegible] الأرض وبولس [illegible]

[illegible] المسيحيين، وقد ورد في سفر الأعمال قصة قتل اليهود أحد أتباع

المسيح [illegible]

(وكان شاول راضيًا بقتله وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على

الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا

الرسل وأما (شاول) فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً

ونساء ويسلمهم إلى السجن)⁽٢⁾

[illegible] لم يكن من الرسل [illegible] يقول (ولز

WELIS) في كتابه (مختصر تاريخ العالم): (كان القديس⁽٣⁾ بولس [illegible] أعظم

[illegible] عقلية

عظيمة وكان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية فنقل إلى المسيحية كثيرًا

من الأفكار [illegible]

وبعد هذا العرض السريع لحياة بولس وبيئته وثقافته وإضافاته للمسيحية وأسلوبه في التزوير والتبديل يتضح لنا أن اليهود هم الذين دفعوه ليغير معالم المسيحية ويجعلها ديانة جديدة منفصلة عن اليهودية مليئة بالأفكار الوثنية.

وإن المتمعن في قصة تحول بولس إلى المسيحية التي رواها سفر الأعمال ليحس بهذه الحقيقة، فأسلوب الخداع الذي سلكه عرف به اليهود في كل

---

(١) انظر الأديان العالمية، الإسلام والفلسفات القديمة ص ١٨١

(٢) الأعمال: ٨ / ١، ٣.

(٣) الإسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي: ص [illegible]

عصورهم أسلوب النفاق والتكتم وعدم اطلاع غيرهم على حقائق الأمور كما يصفهم الله تعالى:

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٢-٧٣]

.. ولقد قارن الأستاذ (أحمد شلبي) بين موقف (بولس) وبين موقف عبد الله ابن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وأشعل نار الثورة ونشر المبادئ الفاسدة ما كان يعجز عن عمل جزء قليل منه لو ظل على يهوديته، ولكن الفرق بينهما أن أفكار عبد الله بن سبأ لم تستطع أن تعيش وتنمو كما نمت أفكار بولس، ذلك لأن القرآن كان محفوظًا ومكتوبًا وهو حجة حاسمة للإسلام، أما إنجيل عيسى فضاع بين طيات الأحداث فلم يكن للمسيحية ما يحميها من هذه الصدمات العنيفة التي أنزلها بها أعداء من الداخل وأعداء من الخارج فانهزمت مسيحية عيسى وقامت على أنقاضها مسيحية بولس)[1].

وفي ذلك أيضًا يقول الدكتور (السقا): (وبعد رفع عيسى إلى السماء اجتهد اليهود في ضياع دعوته ما وسعتهم قوتهم إما بالسلاح وإما بالفكر ولما كانوا على يقين من ضياع الدعوة بالسلاح إذ كانوا تحت سيطرة الرومان لجأوا إلى الفكر يلبسون به الحق بالباطل ويحرفون به الكلم عن مواضعه تظاهروا بالنصرانية وبدأوا يفكرون فظهر منهم بولس وهو يهودي الأصل)[2].

ومن أبرز الأدلة على أن (بولس) بتحريفاته للمسيحية إنما انطلق من يهوديته أن أول ما حرفه من الإنجيل قضية أنهم اليهود الذين يريدون للنبوة أن تقتصر على بني إسحاق وهم يجدون في توراتهم البشارة بنبوة محمد ﷺ ومنها ما ورد في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية: (يقيم لك الرب إلهك نبيًا من

---

(1) المسيحية: أحمد شلبي: ص ٢٤٦.
(2) أقانيم النصارى: السقا: ص ٨٥

وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون)[١].

ومنها أيضًا: (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران)[٢].

(وسيناء إشارة إلى رسالة موسى حيث كلَّمه الله، وساعير إشارة إلى فلسطين حيث بعث الله عيسى عليه السلام، وفاران جبل بمكة إشارة إلى محمد ﷺ الخاتمة.. وهذه البشارة يؤكدها القرآن الكريم يقول:

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾[التين:١-٣].

حيث يقسم الله تعالى بمواطن الرسالات الثلاث: بالتين والزيتون إشارة إلى أرض فلسطين الشهيرة بهاتين الشجرتين مشيرًا بذلك إلى رسالة عيسى عليه السلام، وبطور سيناء حيث كلم الله موسى عليه السلام، وبمكة البلد الأمين التي ابتدأ فيها الوحي ينزل على نبينا محمد ﷺ.

فماذا كان عمل اليهود إذن حول هذه القضية ؟ وكيف يمكنهم صرف النظر عن رسالة محمد ﷺ عند مجيئها وهم يعلمون أنه ليس منهم بل من أبناء إسماعيل؟

وإجابة لسؤالنا هذا يقول الدكتور (السقا): (وبعد نهاية عيسى عليه السلام وقد تأكد اليهود العبرانيون أن الابن أو الابن آت من بعده ولكن يكون ألبتة من آل داود ادعوا أن الابن هو عيسى وما كانوا به بعارفين وغيروا نسب عيسى عليه السلام من هارون من جهة الأم إلى داود من جهة يوسف النجار خطيب مريم وذلك لقصر النبوة على بني إسحاق إلى الأبد وتشكيك الناس في النبي الآتي من ولد إسماعيل)[٣].

---

(١) الثنية: ١٨/ ١٥.

(٢) الثنية: ٢٣/ ٣.

(٣) انظر الإسلام أمام افتراءات المفترين توفيق على وهبة: ص ٣٠ من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٣٩٨١ هـ.

ويظهر هذا في الإصحاح الأول من رسالة بولس إلى العبرانيين حيث ادعى بولس فيها أن نبوءة الابن خاصة بالمسيح عليه السلام حيث يقول فيها ما نصه: (الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكل شيء الذي به أيضًا عمل العالمين صائرًا أعظم من الملائكة لأن لمن من الملائكة قال قط أنت ابني وأنا اليوم ولدتك؟ وأيضًا أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا[1].

وينقل لنا الأستاذ (السقا) عن العلامة (جردنر) وآخرين تفسيرهم لهذه العبارات فيقول: (وقوله (اليوم) يدل على أن الزمان كان في عين الله كطرفة عين، وأنه ينظر إلى الأزل كأنه ابتدأ اليوم.. وقد شبهت الولادة في الآية بولادة روحية أزلية لا تزال مستمرة حتى اليوم ولا يخفى أن موضوع الكلام هنا حقائق روحية ولما كانت علاقة المحبة بين أقنومي الله والكلمة أشبه بالعلاقة بين الأب والابن أمكن التعبير عنهما بلفظ الولادة بشرط أن نتذكر أن هذا التعبير مجاز)[2].

وبناء على ذلك فإن اليهود قد عمدوا إلى تحريف الأناجيل وإدخال مفهوم البنوة هذا مع مخالفة لما كان معروفًا عندهم في تفسير البنوة التي وردت في التوراة وهو التفسير المجازى، عمد اليهود إلى كل هذا الهوى في أنفسهم يعلمون بطلانه هو إنكارهم المسبق لرسالة خاتم النبيين محمد ﷺ ولصرف الأنظار عنها ذلك لأن اليهود كانوا ينتظرون هذا المنتظر الذي بشرت به التوراة ويسمونه (مسيا) فخافوا على اليهود إذا بقوا في هذا الانتظار أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وبذلك لا تبقى لهم رياسة ولا سيادة فما كان ذلك منهم إلا حسدًا من عند أنفسهم.

---

(١) العبرانيين: ١/ ١-٦

(٢) أقانيم النصارى السقا ص ٣٧-٣٨.

ولقد كان بولس من أوائل المجاهدين في هذه المهمة مهمة طمس النصرانية وتحريفها عن أصولها الحقيقية من توحيد وتعاليم [illegible] لا تتفق مع الحق ولا مع الوحي فأبدل التوحيد بعقيدة تثليثية وأضاف إلى العقيدة فلسفة وثنية. [illegible]

هل يمكن أن يسمى ما وصفه بولس أسسًا لاهوتية للعقائد النصرانية المعاصرة.[1]

من مال إلى القول بأن بولس هو المؤسس الحقيقي للنصرانية نظر إلى أن ما كتبه هو أساس العقائد النصرانية.

أما من نظر إليه على أنه مجرد داعية إلى النصرانية فإنه يرى أن ما دعا إليه مجرد آراء دعا إليها بشكل عملي أكثر من كونها أسسًا لاهوتية.

يقول (الشرفي): (إننا كثيرًا ما نعثر عند الدارسين المسيحيين على عبارة (علم اللاهوت البولسي) مما ينبئ بوجود نظام لاهوتي شامل ومتكامل عند بولس وليس الأمر كذلك في الواقع فقد كانت اهتماماته عملية في المقام الأول ولم يكن آراؤه تخلو من التردد وعدم التماسك ومن التناقض أحيانًا)[1].

ومهما يكن من أمر هذه الفروض فقد تضمنت رسائله وأقواله جملة من العقائد النصرانية التي كان لها أكبر الأثر في تشكيل النصرانية بعد المسيح عليه السلام حتى وإن لم يكن يقصد إلى تحقيق هذه الغاية.

وإذا أردنا أن نحدد شخصية بولس كداعية إلى النصرانية فيكفي أن نأخذ في الاعتبار أنه كان [illegible] الفريسي [illegible] بتعاليمها وآدابها ودعا لها وحذق فيه.

---

(١) الفكر الإسلامي ص ٢٥.

ثالثاً: أنه الرجل اليوناني الذي نشأ في بيئة يونانية [illegible] ديانات وعقائد وآداب، وهو الذكي البارع والواسع الخيال، ولا شك أنه قد ألم بمعارف عصره سواء الدينية منها أو الفلسفية.[1]

ومن خلال النظر في دعوته يمكن تحديد أهم العقائد التي نادى بها وهي:-

١- تجسد المسيح.

٢- صلب المسيح تكفيراً للخطايا وقيل إن بولس هو الذي أوضح فكرة الخطيئة الأولى.[1]

٣- ألوهية المسيح وبنوته لله.

٤- عالمية النصرانية لم تعد ديناً لبني إسرائيل بل هي دين عالمي.

٥- إلغاء شريعة موسى بما فيها الختان.[2]

عقيدة التجسد (الحلول والاتحاد):

قبل التفصيل في هذه العقيدة وما أدت إليه تجدر الإشارة إلى تحديد معنى كل من الحلول والاتحاد لارتباطها بمفهوم عقيدة التجسد جاء في كتاب التعريفات للجرجاني ما نصه: (الحلول نوعان: سرياني وجواري، فالحلول السرياني هو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كطول ماء الورد في الورد فيسمى الساري حالاً والمسري فيه محلا والحلول الجواري هو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز.[3]

(١) الميزان في مقارنة الأديان ص ١٣١، وانظر بولس الرسول بيشبوي وديع ٣٦، ٣٨، ٥٢، ٨٨، ٩٧، ١١٠.

(٢) انظر العقائد التي نادى بها بولس على اختلاف عند كل كاتب في النصرانية مزروعة ص ٩٩، المسيحية شلبي ص ١١٦ قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٨، النصرانية شاهين ص ٢٠٧، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ٤٧.

(٣) التعريفات ص ٩٢ - ٩٣.

أما الاتحاد فهو: تصيير الذاتين واحدة ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدًا، وقيل: الاتحاد هو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيران شيئًا واحدًا [(١)].

والفرق بين الحلول والاتحاد: أن في الحلول بقاء الاثنين بمعنى أن يحل أحد الشيئين في الآخر مع احتفاظ كل منهما بذاته، أما الاتحاد ففناء للاثنين بحيث تصبح الذاتان ذاتًا واحدة فلا اثنينية بينهما، فالاتحاد إذًا مبنى على الحلول [(٢)].

وعقيدة التجسد عند النصارى هي الأساس الذي تدور حوله العقائد النصرانية كلها كما سنرى، **والتجسد معناه:** أن يظهر الله تعالى عن قولهم للبشر في صورة ما من صور المخلوقات وعند النصارى هو: ظهور الله - تعالى عن قولهم - في المسيح ظهورًا واضحًا بشريًّا ملموسًا [(٣)].

فالكلمة عندهم تدل على أن المسيح إله متجسد حيث أعلن للناس في حياته ذات الله وصفاته ومحبته للبشر [(٤)].

وباختصار أن المسيح هو الله - تعالى عن قولهم - الظاهر في الجسد [(٥)].

ويستدلون على هذا المفهوم لعقيدة التجسد بما ورد على لسان بولس لهذه العقيدة في رسالته الأولى ليتموثاوس (عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح) [(٦)].

وبقوله: (الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائر في شبه الناس، وإذا وجد في الهيئة

---

(١) التعريفات ص ٨-٩ .

(٢) رسائل الرسل ص ٤٩٨ .

(٣) إيماني ص ٤٤، الإيمان المسيحى هل هو معقول ص ٥٣.

(٤) أديان العالم ص ٢٥٧.

(٥) حقائق أساسية في الإيمان المسيحى ص ٧٦، ٧٧.

(٦) ٣/ ١٦.

كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم لك تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض وتحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الأب) [١].

وبقوله في رسالته إلى أهل كولوسى: (الذى هو (يعنى المسيح) صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرَى وما لا يرى سواء كان عروشًا أم سيادات أو رياسات أم سلاطين الكل به وله وقد خلق [٢].

والنصارى يقرون بهذا أن بولس هو أول من قال بالتجسد في النصرانية حيث لم تظهر هذه العقيدة في قول أحد قبله لا من الحواريين ولا من غيرهم في رواية مكتوبة أو شفوية وهذا يرد على من قال إن فكرة التجسد لم ترد صراحة في رسائل بولس أو في أسفار الكتاب المقدس [٣].

إنجيل يوحنا - وليس هو يوحنا الحواري - حيث يقول في مستهل إنجيله: (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله.. والكلمة صار جسدًا وحيل بيننا) [٤].

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن النصوص الواردة في إنجيل يوحنا التي أثبتناها آنفًا تتضمن القول بالتجسد على حد قولهم فإن ذلك يدل على أن مؤسس عقيدة التجسد ليس هو ما

---

(١) ٣/ ٦-١١.

(٢) كولوسى: ١/ ١٦.

(٣) النصرانية، شاهين ٢٧٦ نقلًا عن مقالة الفرنسيس يونج الأستاذة بجامعة برمنجهام وموريس وايلز أستاذ علم الإلهيات والكتاب المقدس بكلية المسيح بجامعة أكسفورد عن كتاب أسطور تجسد المسيح.

(٤) يوحنا ١/ ١١-١٤ .

[illegible] القول في [illegible]

[illegible] أن هذا الإنجيل قد كتب سنة ٥٠ م وكان قد مضى على موت بولس ثمانية وعشرون عاما فإن ذلك يؤكد القول إن بولس هو أول من أدخل العقيدة التجسد في النصرانية وبهذا صرح تقى العثماني قائلًا: (إن الرجل الأول الذي توجد عنده عقيدة التجسد صراحة إنما هو بولس)[1].

أما عن مصدر هذه العقيدة فإن بعض الدارسين في النصرانية ذهبوا إلى أن بولس قد استوحى فكرة التجسد من أفكار السامريين العبريين.

وبذلك تكون فكرة التجسد من أصل يهودي ظهرت عند (سيمون ماغوس) ورفاقه السامريين إضافة إلى البيئة الوثنية التي وجدت فيها هذه الفكرة.

بل من الباحثين من يرى أن مظاهر فكرة التجسد لا تنحصر فقط في مصدري اليهودية والوثنية[2]. بل هناك شيء من هذه الأفكار عند الأفلاطونية والفلاسفة فيثاغورس وانباذوقليس قبل عصر سقراط ففي إحدى الروايات أن فيثاغورس هو الابن المتجسد لهرمس وكذا انباذوقليس وكل هذه الأساطير والخرافات هي التي أوحت للنصارى بالتجسد الإلهي في المسيح، وقد ظهر هذا بوضوح عند النصارى الجدد الناطقين باليونانية [illegible] ويؤكد أصحاب هذا الرأي أن نسبة البنوة إلى المسيح مستقاة من تلك الخلفية الوثنية ولكن استمداد الكنيسة في العالم غير اليهودي هو السبب في قبولهم عقيدة التجسد.

والدليل على وجود القول بالتجسد لدى الوثنيين قبل ظهورها في أقوال بولس ما جاء في سفر أعمال الرسل: (فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا [illegible]

(١) ما هى النصرانية ص - ١٤.

(٢) راجع: فصل العقائد ص ٣٥٧.

يعتقدون بأن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إليهم فكانوا يدعون برنابا (زفس) وبولس (هرمس)(١).

فمن هنا نقول: إن بولس تأثر بتلك الدعوات السابقة ونحوها وتلقى منها وأدخل في النصرانية أن المسيح عليه السلام إله قد تجسد بصورة البشر ودخل هذا العالم(١).

عقيدة صلب المسيح للفداء وتطهير الخطايا

يعتقد النصارى - على اختلاف فرقهم - أن المسيح قد صُلب ومات على الصليب، وأنه بعد صلبه ودفنه قام من القبر وصعد إلى السماء فجلس عن يمين أبيه، وأنه هو الذي سيحاسب الناس يوم القيامة(٢). بغض النظر عما بين أصحاب الأناجيل من اختلافات في تصويرهم لبعض جزئيات هذه الحادثة(٣).

أما الاعتقاد بأن صلب المسيح إنما كان فداء للبشر وتكفيرًا لخطاياهم فيما بعد إذا آمنت بتلك العقيدة، أما هذا الاعتقاد فيعد الأساس الثاني من أسس العقائد النصرانية التي أدخلها بولس عليها بعد عقيدة التجسد وهو أيضًا كالتجسد محور رئيسي يدور عليه دينهم بل هو رأس الإيمان عندهم(٤).

وبالنظر إلى رسائل بولس فإننا نجد التفسير لحادثة الصلب التي رواها الإنجيليون على النحو الذي لا تذكره

وفيما يلي أقوال بولس حول هذا الموضوع:

(ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني)(٥)، وأصبح صلب المسيح

---

(١) انظر: أعمال الرسل ١٤/ ١١-١٢.

(٢) دراسات في الملل ص ٧٩، دراسات في الأديان ص ٢٢٤، قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٥، المسيحية شلبي ص ١٠١، تحفة الأريب ص ٦١.

(٣) انظر التفصيل في اختلاف الروايات للمسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٦٦-٧٩.

(٤) العقائد الوثنية ص ١٣٢.

(٥) غلاطية ٤/ ٤-٥.

فداء للبشرية وتكفيرًا لخطاياهم في نظره الهدف الحقيقي لرسالة المسيح التي جاء من أجلها إلى الأرض فلم تخل أية رسالة من رسائل بولس من ذكر وشرح هذه الحادثة المركزية فيقول: (الذي لم يشفق على ابنه بل بذلُهُ لأجلنا أجمعين كيف لا يُهبنُ أيضًا معه كل شيء)[١].

كما يقول: (ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لينقذنا من العالم الحاضر الشديد حسب إرادة الله وأبينا)[٢].

وترجع قصة خطيئة البشر الموروثة التي يرددها النصارى إلى قصة (آدم وحواء) وهى أن الله خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة وأحل لهما طيباتها وما نهاهما عن شيء فيها إلا عن شجرة واحدة وهى شجرة المعرفة فأوصاهما أن لا يقرباها جاء في التوراة ما نصه: (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعلمها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلًا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا وأما شجرة معرفة الخير والشر[٣] فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت[٤].

لكن آدم ضعف أمام إغواء الحية فأكل من الشجرة المحرمة بإيعاز من زوجه (حواء) تقول التوراة: (فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت[٥] وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل[٦] فصار (آدم) و (حواء) بذلك خاطئين آثمين فطردهما الله من

---

[١] رومية ٨/ ٣٢ .

[٢] غلاطية ١/ ٣-٤ وراجع كونثوس ٥/ ١٤١٥، تسالونيكى ٥/ ٩ - ١٠، رومية ٢/ ٢٥ .

[٣] هكذا زعم اليهود في كتابهم ولم يرد عندنا في القرآن الكريم تسمية ووصف للشجرة وادعاؤهم ينافى تعليم الله عز وجل لآدم الأسماء كلها حتى تقدم في ذلك على الملائكة فلا يبعد أن يكون ما ذكره اليهود في تحريفاتهم وكذبهم والله أعلم.

[٤] تكوين ٢/ ١٥ - ١٧.

[٥] هكذا زعم اليهود في كتابهم ولم يرد عندنا في القرآن الكريم تسمية والوارد عندنا في القرآن عزو الأمل إلى آدم وحواء عليهما السلام فأكلا منها فلا يبعد أن يكون ما ذكره اليهود تحريفاتهم.

[٦] تكوين ٣/ ٦ .

الجنة ولعنهما وظل غاضبًا على أولادهما حتى جاء المسيح وصلب كفارةً عن تلك الخطيئة التي ارتكبها (آدم) و (حواء) وأورثها إلى ذريتهما) [١]. هكذا يزعمون فتلك الخطيئة حسب رأيهم لم تقتصر على آدم وحواء فقط بل امتدت بحكم التناسل إلى البشرية كلها إذ يقول بولس: (من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع [٢].

ويضيف قائلًا بمزيد من الشرح والإيضاح: (أم تجهلون أننا كل من اعتمر ليسوع اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمحمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضًا جدة الحياة لأنه إن كان قد صرنا متحدين معه يشبه موته نصير أيضًا بقيامته عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب ليبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نستبعد أيضًا للخطيئة) [٣].

ويحاول كتاب النصرانية تفسير أقوال بولس الواردة في عقيدة الفداء المتقدمة بقولهم: (إنه لا سبيل للحصول على الغفران أو التمتع بالله إلا إذا تم أولًا إلغاء مطالب عدالته وقداسته بوسيلة ما وهذه الوسيلة هي بواسطة كائن عوضًا عنا وبما أنه لا يساوى الإنسان إلا الإنسان مثله لذلك يجب ألا يكون حيوانًا بل أن يكون إنسانًا ويجب أن تكون قيمته معادلة لكل هؤلاء الناس الذين سيفديهم، فالفادي مع وجوب كونه إنسانًا يجب أن يكون شخصًا غير مخلوق يجب أن يكون ذا مكانة لا حد لها لسموها وإذا تصفحنا حياة الأشخاص الذين ظهروا في العالم نرى أن هذا الشخص ليس سوى المسيح لأنه هو الذي توافرت فيه جميع الشروط) [٤].

---

[١] رسائل الرسل ٢/ ٦١٣.

[٢] رومية من ٥/ ١٢.

[٣] رومية ٦/ ٣-٦.

[٤] فلسفة الغفران ص ٧٥ نقلًا عن رسائل الرسل.

هكذا يرى النصارى أن خطيئة آدم وحواء عليهما السلام قد ورثها أبناؤهما وأصبح الفداء ضروريًا ولا أحد يليق بتقديم نفسه للفداء سوى المسيح وحده لأنه إنسان وإله في آن واحد[1].

ومن المهم هنا أن نشير أن بولس لم يقرر أن المسيح افتدى البشر من خطيئة آدم وإنما صلب فداءً وتكفيرًا للخطايا.

يقول الأب بولس إلياس: (ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس الرسول مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب وينقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة)[2].

وقد كان بولس هو أول من فسر عملية الصلب - المزعومة على أنها للفداء وتكفيرًا للخطايا وهذه الفكرة لم تكن واردة حتى عند مؤلفي الأناجيل الأربعة المعتمدة.

أما كيف لاقت هذه الفكرة قبولاً لدى النصارى وأصبحت فيما بعد عماد النصرانية فإن الأحداث التي وقعت وما حيك حولها من قصص وروايات قد مهدت لهذا القبول. فصلب المسيح كان نهاية مفزعة ولكن بولس عندما فسر هذه النهاية وأنها من أجل فداء الناس تكاملت صورته بأنه إنما جاء ليفديهم ولهذا صلب، ودعوى موته وقيامته المزعومة شجع على قبول التأويلات عن سبب موته وقيامته.

---

(١) رسائل الرسل ص ٦٧، وانظر الإنجيل والصليب ص ٦، ٧ تاريخ الأقباط ط ١ ص ٢٣٨ حول مسألة الصلب والخطيئة ص ١١١ ونقول أخرى عن قساوسة آخرين في المسيحية لشلبي ص ١٦٠ - ١٦١.

(٢) يسوع المسيح ص ٢٨ - ٩٣ المسيحية شلبي ط ١ ص ١٦٧

والواقع أن قول بولس بأن صلب المسيح كان للفداء والتكفير لم يكن غريبًا عن ذلك المجتمع، بل كان بولس في هذا التفسير خاضعًا لتأثير الميراث العقدي الذي كان شائعًا في البيئة المحيطة به ذلك أن فكرة المخلص كانت شائعة في الأوساط الوثنية بطرسوس [١]، فقد كان الوثنيون القدماء يعتقدون أنهم بسفك الدم يتخلصون من خطاياهم كما كانوا يعتقدون أن آلهتهم تألموا لكى يخلصوا أتباعهم من خطاياهم وكانت ألقاب مثل سوتر (المنقذ) واليوثربوس (المنجى) تطلق على هذه الآلهة [٢].

وكان يتردد في أصداء الجو اليوناني المحيط به في طرسوس الحديث عن منقذ ينتشل البشرية كما كانت علوم اليهود من بني جنسه تتحدث عن قرب مجيء المسيح كما ذكرنا [٣]. وقد كانت هناك خاصية مشتركة لآلهة المنطقة كلها فهي عقائد وثنية متشابهة في الأصول العامة وإن اختلفت في الجزئيات والتفاصيل [٤]. وكان آلهة الزراعة الذين يموتون ويبعثون يعدهم أتباعهم شفعاء ومنذرين وقد كان (ساندان) يحتفل الناس به كل عام فيتظاهرون بإحراقه ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك إلى السماء.

ولو لم ير بولس من مظاهر عبادته سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته لكان ذلك وحده أمرًا بالغ الأهمية [٥].

يقول ول ديورانت: (من حقنا أن نعتقد أن بعض المبادئ الدينية اليونانية انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس وكانت طرسوس كما

---

(١) تطور العقائد ص ١٩٢ .

(٢) راجع: مشكلات العقيدة النصرانية ص ١٦٦، نصرانية عيسى ص ١٤٦، قصة الحضارة ١١/ ٢٦٤ .

(٣) راجع ص ٤٥.

(٤) دراسات في الملل ص ٢٢ - ٢٣.

(٥) المسيحية، جينيبير ص ١٠٢، ١٠٣.

كان في معظم المدن اليونانية وغيرها من العقائد الخفية يعتقدون أن الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره وأنه إذا دعي بإيمان حق وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة وهذه الأديان الغامضة الخفية. هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان [١].

فمن هنا نقول: إن بولس قد أخذ فكرة الفداء والتضحية وتكفير الخطايا البشرية من تلك الوثنية وقد حاول بولس أن يقرب هذه النصرانية إلى عقول هذه الشعوب حين يدعوهم، فصور عيسى في صورة المصلوب فداء عن خطايا البشر [٢]. شأنه كشأن أوزوريس عند أتباعه كان ربًّا مات ليبعث حيًّا وليمنح الناس الخلود.

ولقد علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود فقط؛ بل إن موته كان تضحية مثل موت الضحايا القديمة المقربة إلى الآلهة لدى الوثنيين من أجل خلاص الأتباع [٣] حيث يقول: (فإن حمل فصحنا أي المسيح قد ذبح) [٤].

وبهذا لا يكون التحول من الوثنية إلى النصرانية معناه الدخول في جو غريب أو ممارسة لثورة فجائية بل حاول بولس أن تكون طقوس العقيدة الجديدة استرجاعًا للعقائد الوثنية القديمة [٥].

وقد قرر أساتذة تاريخ الأديان بأن فكرة بولس ما هي إلا تطور للديانات

---

(١) قصة الحضارة ١١/ ٢٥٠، ومشكلات العقيدة النصرانية ص ١٦٦ .

(٢) مشكلات العقيدة النصرانية ص ١٦٦، نصرانية عيسى ١٤٦، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص ١٩٦ .

(٣) موجز تاريخ العالم ص ١٧٨ .

(٤) اكورنثوس ٥/ ٧.

(٥) مشكلات العقيدة النصرانية ص ٩٠ - ٩١ .

الشعبية التي اعتنقها كثير من الناس وكانت تسمى الديانات السرية وهى ديانات جاءت من الشرق إلى الغرب [١].

ولهذا لم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا عيسى عليه السلام بشخصه أن يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين ولهذا ناداهم بولس بعد أن فسر لهم صلب المسيح بأنه فداء للبشرية وتطهيرًا لخطاياهم - ناداهم بقوله: (هو ذا سر أقوله لكم) [٢].

ويؤكد ويلز: أن ذهنه كان متشبعًا بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نسب لعيسى من أقوال وتعليم ألا وهى فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قربانًا لله كفارة عن الخطيئة، فما بشر به عيسى كان ميلادًا جديدًا لروح الإنسانية أما ما بشر به بولس فكان الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلبًا لاسترضاء الآلهة، كان عيسى في نظره حمل عيد الفصح تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من الدنس والخطيئة [٣].

وفى هذا المقام لا ينبغي أن ننسى أن بولس كان يهوديًا وكان لليهود مظهر وثنية - تأثرًا بالبيئة المحيطة بهم [٤].

وأيًا كان الأمر فمهما قدمنا يتضح حقيقة المؤثرات التي دفعت ببولس إلى تقرير عقيدة الصلب للفداء وتكفير الخطايا وجعلها أساسًا من أسس النصرانية.

٢ـ ادعاء أن المسيح ابن الله:ـ

---

(١) الفكر اللاهوتى في رسائل بولس ص ١٩، مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ١٥٦.

(٢) قصة الديانات ٤٣٩، وقصة الحضارة ١١/ ٢٦٤، ومحمد في التوراة ص ١٠٥.

(٣) المسيحية شلبى ص ١١٥.

(٤) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص ٩٧، وراجع ١١/ ٢٦٤ وفيه يقول:- (لقد كان اليهود الأقدمون يشتركون مع الكنعانيين والمؤابين والفينيقيين وغيرهم من الشعوب في عادة التضحية بطفل بل بطفل محبوب لاسترضاء السماء الغضبى ثم أصبح في الإمكان على توالى الأيام أن يستبدل بالطفل مجرم محكوم عليه بالإعدام.

إن الجيل الأول الذي عاش مع المسيح عليه السلام لم يعرف شيئًا عن مسألة بنوة المسيح لله فليس لدينا نصوص صحيحة السند بالنسبة إليهم تثبت هذه العقيدة، ولم تنقل عنها روايات شفوية حول ذلك، بل على العكس من ذلك فقد روى صاحب أعمال الرسل عن بطرس قوله أمام جمع من اليهود: (أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل قد برهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها بيده في وسطكم كما أمن تعلمون) [١].

وكما أن ما عثر عليه من لفائف البحر الميت والبرديات في نجع حمادي تنقل عن هذه الفترة أنهم كانوا يؤمنون بالتوحيد الخالص.

وبذلك يعتبر الاعتقاد ببنوة المسيح عقيدة طارئة نشأت فيما بعد، ويعتبر بولس أول من نادى بتلك العقيدة [٢] . حيث ورد التعبير عن المسيح في رسائله بلفظ (ابن الله) أربع مرات، وبلفظ (ابنه) مضافًا إلى ضمير الغائب، ومرجعه إلى اسم الجلالة (١١) مرة، وبلفظ (الابن) معرفًا بأل العهدية مرتين [٣].

ومن أقواله في ذلك: (تبين أنه ابن الله بالقيامة من بين الأموات أنه يسوع المسيح ربنا) [٤].

وقوله: (فإن الله أمين فقد دعاكم إلى الشركة مع ابنه يسوع ربنا) [٥].

وقوله:- (لكن لما سر الله .. أنه يعلن ابنه فيّ لأبشر به بين الأمم) [١].

---

(١) أعمال الرسل ٢٢/ ٢.

(٢) لا يشكل على هذا ورود هذا اللفظ في الأناجيل فإنها مضطربة فيه حتى يصح أن يقال إنه يحتمل معنى مجازى احتمالًا كبيرًا كما أثبتنا من قبل أن رسائل بولس لها الأسبقية في الكتابة والاشتهار قبل أقدم الأناجيل وهو إنجيل مرقص.

(٣) فهرس الكتاب المقدس ص ٧٠، ٧١ .

(٤) رومية ١/ ٤ .

(٥) اكورنثوس ١/ ٩ .

ويفهم من إنجيل متى أن أول من قال بأن المسيح ابن الله هو (بطرس) حيث قالها في حياة المسيح قبل دخول بولس في النصرانية وكتابته لرسائله حيث ذكر فيه: (قال أي المسيح - لهم - أي للتلاميذ - وأنتم من تقولون أني أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت المسيح ابن الله الحى) [٢].

لكن إنجيل مرقس يختلف عن إنجيل متى في إجابة بطرس للمسيح حيث لم يورد على لسانه وصف البنوة للمسيح ﵇ حيث أجاب وقال له: (أنت المسيح) [٣].

لذلك أكد (جون فنتون) أن كلمة (ابن الله الحي) هي زيادة من متى [٤]. وبهذا يبقى الاحتمال الراجح أن بولس هو أول من قال بأن المسيح هو ابن الله ويؤكد هذا ما جاء على لسان (لوقا) في سفر أعمال الرسل ما كان به بولس قوله: (وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله) [٥].

وقد اختلف الباحثون في ثلاثة عبارات بولس عن بنوة المسيح لله وهل كان يقصد بها بنوة حقيقية أو مجازية ؟

فذهب صاحب (الفكر اللاهوتي في رسائل بولس) إلى أن بولس حينما سمى بالمسيح ابن الله فقد كان يتحدث عن كائن إلهي [٦]. وكذا د. الشرقاوي ذهب إلى أن هذه الأقوال الواردة من بولس إنما قصد بها ألوهية متجسدة بل إنها توضح تمامًا موقفه المتمثل في قوله بأن المسيح عقلًا (ابن الله) وأن المسيح

---

(١) غلاطية ١/ ١٦ واكورنثوس ١١/ ١٣، و٢ كورنثوس ١/ ١٩.

(٢) راجع: متى ١٦/ ١٦ .

(٣) راجع: مرقس ٨/ ٢٩.

(٤) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٩٦ .

(٥) راجع لوقا ٩/ ٢٠ .

(٦) انظر ص ١٤٣.

إله متجسد في صورة عبد، أي إنسان [١].

ويؤكد هذا د. محمد أبو الغيط الفرت قائلًا: إن المتصفح لرسائل بولس يجدها تحتوى عبارات لاهوتية غامضة يمكن أن تحمل على محامل، شتى من بينها أن يكون المسيح ابن الله بمعنى لاهوتي وهو الولادة العقلية ولهذا اعتمدت مسيحية بولس كثيرًا من مقولات بولس في تصوير العقيدة على النحو الذي تشكلت به فيما بعد [٢].

وعلى العكس مما سبق يذهب جينيبير إلى أن تعبير ابن الله الوارد على لسان بولس في وصف المسيح لم يكن في الواقع يمثل سوى خطأ لغوى فاحش وهى لغة لم يبدأ في استخدامها سوى النصارى الذين تأثروا بالثقافة اليونانية وهى التي استخدمها بولس.

وقد كانت فكرة الله في وحدانيته هي المسيطرة على عقل بولس وقد تربى على هذه الفكرة باعتباره يهوديًا إلا أن الأمر الذي يدعو إلى الدهشة والاستغراب هو كيف تصور بولس مع - ذلك - أن عيسى (ابن الله) ؟!.

يرى جينيبير أنه من البساطة بمكان أن تتطور كلمة (خادم) في اللغة اليونانية إلى كلمة (ابن) وقد حدث مثل هذا التطور اللفظي في النصوص اليهودية النصرانية كمجموعة أعمال الرسل عندما نقل بعضها إلى رسائل بولس [٣].

وقد أطلق بولس على المسيح كلمة (ابن) ولم يكن يتوقع أن يتطور معناها بنوة حقيقة على مدار التاريخ أو أن تأخذ من بعده طابعًا فلسفيًا يذهب بمعناها كل مذهب وربما كان لا يستطيع التعبير عن هذه العلاقة إلا بهذا اللفظ الذي لا

---

(١) راجع: دراسات في الملل الشرقاوى ص ٩٠ .

(٢) عقيدتنا التثليث والصلب ص ٢٨ .

(٣) المسيحية جينيبير ص ١٣٦.

يحتمل المعنى الذي لا تنفعل نفسه إلا به وربما لا يعدو في نظره أن يكون اصطلاحًا لما ترضاه نفسه لأننا نراه في بعض تعبيراته عن هذه العلاقة يصرح بأن المسيح خاضع لهيمنة الله عليه حيث يقول: (وأمَّا أنتم فللمسيح والمسيح لله)[١].

وذهب الدكتور عبد المنعم عثمان إلى أن الذي يبدو من كلام (ابن البطريق) المؤرخ النصراني أن بولس وأتباعه لم يعرفوا المسيح سوى إنسان وتسميته بابن الله لا يقصد بها سوى التعبير المجازى وهو المحبة وكانوا لا يعرفون عن الله إلا أنه واحد، وقد سيق مذهبهم على لسان مسيحي يؤمن بالثالوث فجاء منطقه في التعبير عن هؤلاء الموحدين بهذا السياق[٢].

وفى نفس هذا الاتجاه يقول الدكتور أبو الغيط الفرت معلقًا: (مع قطع النظر عن المفسرين المبالغين في تحميل اللفظ ما لا يحتمل وربما كان ذلك داعي التقريب بين معنى لفظين هما أسمى ما في الوجود، فإذا عبر عن المسيح بأنه ابن الله فربما كان لا يريد بنوة حقيقية وإن أعطاها معنى البنوة الحقيقية أتباع مذهبه الآتين بعده دون إرادة منه متوقعة لما كشف عنه المستقبل عن هذه المقالات[٣].

وبغض النظر عن مدى صحة أحد هذين التفسيرين لما أطلقه بولس على المسيح ﷺ من بنوته لله فلا يختلف أحد على أنه هو أول من أطلق لفظ البنوة على عيسى ﷺ سواء كان يعلم مسبقًا بما سيؤول إليه هذا التعبير عند النصارى في المستقبل من عقائد باطلة، أو لم يكن يتوقع ذلك، ويبقى علينا الآن أن نستكشف العوامل الدينية والثقافية التي أدت ببولس إلى تحريف العقيدة

---

(١) اكورنثوس ٣/ ٢٣، وراجع المسيحية جينيبير ص ١٣٦ اكورنثوس ٣/ ٢٣ وفيلبى ٢/ ٨، اكورنثوس ١٥/ ٢٨، اكورنثوس ٨/ ٦.

(٢) المسيحية بين التوحيد والتثليث ٨٦.

(٣) راجع: حقيقة النصرانية من الكتب المقدس ص ١٥٤ .

النصرانية من التنزيه لله إلى دعوى بنوة المسيح عليه السلام له - تعالى الله عن قولهم.

بالنظر إلى العهد القديم والذي يحاول بولس نسبة أقواله إليه كما ينقل د. الشرقاوي عن بعض دارسي العهد الجديد حيث يقول: (إن مسألة وجود اللقب آنذاك في اليهودية مسألة لم يبت فيها ولكن حتى لو فرض استخدامه فقد يكون بمثابة لقب ملكي فالملك يطلق عليه (ابن الله) أما أن يرتبط اللقب بحيث يكون المسيح هو ابن الله فهذا المفهوم غير موجود في اليهودية ولا في النصرانية الأولى [1].

وبالنظر إلى المجتمعات الهللينية التي عاش فيها بولس وتأثر بما فيها نجد أن لقب (ابن الله) يطلق في الأديان الشرقية القديمة حيث كان الملوك يعتبرون أبناء الله هذا الاعتقاد كان معروفًا في مصر حيث إن الحكام الفراعنة كانوا يعتبرون أبناء إله الشمس وكان مفهوم (ابن الله) في الهللينية لا ينحصر في الحكام فقط ولكن أي شخص يعتقد أن لديه القدرة على أداء بعض المعجزات يعتبر (ابن الله) وقد وجد هذا المفهوم في الأديان الخفية التي يعتبر المؤسس فيها هو (ابن الله) [2].

ولعل تحقيق هذه المعاني في المسيح عليه السلام هو الذي حدا ببولس أن يطلق لقب (ابن الله) عليه لهذا الاعتبار.

وسوف نتناول وضع عقيدة البنوة في الأديان الشرقية بالتفصيل في الفصل المعقود لدراسة هذه الأديان ودراسة أثرها في تحريف النصرانية [3].

---

(١) راجع دراسات في الملل ص ٩١.

(٢) راجع: دراسات في الملل ص ٩٣، قصة الحضارة ص ٣/ ٢٦٤ .

(٣) انظر ص ٣٤٩ .

القول بألوهية المسيح:-

عرضنا لفكرة البنوة عند بولس بين قائل بأنها بنوة حقيقية وقائل بأنها مجازية في أقوال بولس وفيما يتعلق بوصفه للمسيح بالألوهية فهناك رأيان أيضًا:

أما الرأي الأول: فقد ذهب أصحابه إلى القول بأن بولس لم يصف المسيح بالألوهية، وأن ما ورد من عبارات ما هي إلا تمجيد لشخص المسيح ولا يعدو أكثر من ذلك.

واستدلوا بما أثبته بولس في كلامه عن الله عز وجل وحده وصفاته الأحدية وأنه لا يمكن أن يكون بعد ذلك قال بألوهية المسيح، وإن كان هذا القول لا يوافق عليه النصارى أنفسهم الآن فهم يقولون بألوهية المسيح كما سنوضح.

ومما يستشهدون به من أقوال بولس في ذلك:

قوله: (... نحن نعلم أن الوثن ليس بشيء في العالم وأنه لا إله غير واحد...) [1].

قوله: (لأن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو الإنسان يسوع المسيح) [2].

واستدلوا كذلك بأن الناس عندما أرادوا تأليهه وبرنابا أنكر ذلك [3]، وفى هذا يقول شارل جينيير: (إن فكرة الله بالنسبة لبولس تدخل ضمن ميراث العقيدة اليهودية فالله واحد لا شريك له ولا نظير له وما عداه خاضع لمشيئته [4].

ولا يستطيع بولس أن يأتي بما يقرب أكثر من هذا بين اللفظين البالغين في

---

(١) اكورنثوس ٨/ ٣-٦ طبعة الأرثوذكس.

(٢) تيموثاوس ٢/ ٥، اكورنثوس ١٥/ ٢٤-٢٨.

(٣) انظر: ص ١٦٧.

(٤) المسيحية جينيير ص ١٣٥، دعوة التوحيد ص ٢٧٢، الإسلام والأديان ص ١٥٢، الرد الجميل ص ٢٨٨، تحقيق الأب رومير شدياق.

السمو أقصى درجاته وهما (السيد) و(الله) وتلك هي العلاقة الوثيقة التي بر عنها بلغة البشر عندما قال: (إن السيد هو ابن الله) [(١)].

ويذهب بعض الباحثين في استدلالهم على عدم قول بولس بالألوهية إلى أنه حين تحدث عن وضع المسيح أمام الله أعلن بصراحة ووضوح أنه يتحدث عن اثنين لا عن شيء واحد وأنه الله (الأعلى) ولا شك أن المسيح لا يتساوى مع الله [(٢)].

ثم قالوا: ولقد جرى التقليد على أن بولس جعل المسيح إلهًا وفق عبارة يستشهد بها كثيرًا تقول: (المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد آمين) [(٣)].

لكنهم يرون أن هذا القول أصبح في حاجة إلى إعادة نظر على ضوء الترجمات المختلفة فكم غيرت المقارنة بين الترجمات من مفاهيم ومعتقدات سادت قرونًا عديدة ثم ثبت زيفها، فالترجمات القياسية المراجعة تقول: (وإليهم ينتسب الآباء ومن جنسهم المسيح حسب الجسد : تبارك الله الذي هو فوق كل شيء إلى الأبد. آمين).

وتتفق مع هذا الترجمة (إنجليزية اليوم) حيث تجعل التبريك خاصًا بالله فقط ولا تنسب للمسيح ألوهية.

وبالنسبة للتراجم الفرنسية: نجد أن ترجمة (لوى سيجو) تتفق مع التراجم العربية في جعل التبريك والألوهية يتعلقان بالمسيح إلا أنها تشير في الحاشية إلى أنه يمكن ترجمة تلك الفقرة بما يخالف ذلك حيث يتعلق التبريك والألوهية بالله.

---

(١) المسيحية جينيبير ص ١٣٥ بتصرف.

(٢) الإسلام والأديان ص ١٤٧، عقيدتنا التثليث والصلب ص ٢٧١.

(٣) رومية ٩/ ٥.

وتذكر الترجمة الفرنسية المسكونية في الحاشية أن بعض المفسرين يختمون الجملة الأولى بكلمة المسيح ليبدأ الجملة الثانية بتسبيحة لله الأب مع إشارة هامة إلى أن هذا القول له نظائر كثيرة في رسائل بولس فهو يتفق مع أسلوبه كما جاء في رسائله مما يدل على أن التبريك والألوهية لله وحده وليست للمسيح[١].

وهكذا أصبح هذا القول في حاجة إلى مراجعة على ضوء مفهوم بولس لوضع المسيح بالنسبة لله كما عبر عنه في رسائله على نحو ما ذكروا.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن بولس إذا كان قد انزلق ووصف المسيح بالألوهية في هذا القول أو في غيره فالواقع أنه بذلك يكون قد ناقض نفسه في عقيدة التوحيد التي صرح بها كثيرًا في رسائله ولا يمكن أن يصدر عنه هذا القول - وما شابهه - وهو في حالة وعي وتيقظ بل لا بد أن يكون قد اعترته غيبوبة كتلك التي يقول فيها عن نفسه حسب ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت:- (وحدث لي بعدما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلي في الهيكل أني حصلت في غيبة)[٢]. أو بتعبير العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية: (بينما أنا أصلي غبت عن الحس)[٣].

ثم قالوا: بل إن الأمر يحتاج إلى تمحيص حتى نتبين حقيقة هذا الفكر العقائدي المتقلب الذي يتردد بين عقائد أهل اليمين مرة وعقائد أهل الشمال مرات ومرات[٤].

- **أما الرأي الثاني:** فهو رأي القائلين بأن بولس وصف المسيح بالألوهية

---

(١) الإسلام والأديان ص ١٤٩، ١٥٠.
(٢) أعمال الرسل ٢٢/ ١٧.
(٣) الإسلام والأديان ص ١٥٠.
(٤) الإسلام والأديان ص ١٤٨.

بناء على أنه أثبت بنوته لله فمجرد إثبات بنوة المسيح لله يعتبر من وجهة نظرهم قولًا بألوهيته.

وفيما يتعلق بمدى صحة نسبة القول بألوهية المسيح لبولس نتتبع أقواله في رسائله في وصف المسيح وعلاقته بالله والناس لنستخلص من جملة هذه الأقوال مدى صحة نسبة هذا القول إلى بولس هذا إن يكن قد نص على ذلك صراحة.

وبتتبع هذه الأقوال نقرر الحقائق التالية:-

أولًا: أن بولس يتحدث في رسائله عن الله وعن المسيح كموجودين مستقلين يطلق على الإله اسم لفظ الجلالة وعلى المسيح اسم الرب كألفاظ مفردة أو مركبة تركيبًا إضافيًّا.

يقول بولس: (نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح)(١).

ويقول: (أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع ربنا)(٢).

ثانيًا: أن لفظ الرب في إطلاقه على المسيح في بعض أقواله قد يأتي صراحة بمعنى السيد أو المولى دلالة على الاعتبار والإكرام يقول: (لأنكم تخدمون الرب المسيح)(٣).

وفي نصوص أخرى يكون لفظ الرب في إطلاقه على المسيح بمعنى (الإله) حيث تكون العبادة متوجهة إليه، والعبادة لا تكون إلا لإله حيث يصف المسيح بأنه به جميع الأشياء.

وفي هذا يقول بولس: (مقدمين بعضكم بعضًا في الكرامة غير متكاسلين في الاجتهاد عابدين الرب)(٤).

---

(١) رومية ١/ ٧.

(٢) اكورنثوس ١/ ٢٩، اكورنثوس ١/ ٣، ٢ غلاطية ١/ ٤، أفسس ١/ ١٦.

(٣) اكورنثوس ٣/ ٢٥.

(٤) رومية ١٢/ ٢٢.

(لكن لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به)[1].

ثالثًا: في تحقيق الصلة بين الله والمسيح يقرر بولس أن الله حلّ في المسيح بقوله: (عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح)[2]. وأن اللاهوت بكليته تجسد بالناموس حيث يقول: (الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معاملًا لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائر في شبة الناس إذا وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم لكن تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض وتحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الأب)[3].

وينسب إليه أبوته للمسيح حيث يقول: (تبين بقوة أنه ابن الله بالقيامة من بين الأموات أنه يسوع المسيح ربنا)[4].

ويصفة بأنه الصورة الكاملة للإله غير المنظور حيث المنظور بكر كل خليقة فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشًا أو سيادات أو رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق[5].

ويستخلص من جملة النصوص أن بولس يرى أن هناك شركة بين الله والمسيح في الطبيعة الإلهية فهذا هو مقتضى الأبوة والبنوة بينهما ومقتضى الحلول والتجسد من الله في المسيح وكون المسيح صورة لإله.

بالإضافة إلى كونه ربًا تقدم له العبادة وبه تكون جميع الأشياء بل إن وظيفته

---

(١) اكورنثوس ٨/ ٦.

(٢) الثيموثاوس ٣/ ١٦.

(٣) فيلبى ٢/ ٥ - ١١.

(٤) رومية ١/ ٤.

(٥) كولوسى ١/ ١٦.

كفادي ومخلص لا يقوم بها كائن عادي. وهذا يدل على أن بولس يرى:

أولًا: أن المسيح ابن الله وبهذا الاعتبار فهو إله الخالق بالوساطة والخلق من أجله والعبادة له، وأنه تجسد إلهي وهذا يدل على أنه يثبت الإثنية: إله وابن هو إله أيضًا.

ثانيًا: أن المسيح في مرتبة دون الله وهذا ظاهر لأنه جعله وسيطًا إليه.

وثالثًا: يدل على تناقض واضح وعقيدة متقلبة مهتزة وخاصة في دعواه بأن الله ظهر في الجسد فهي تتناقض تمامًا مع دعواه البنوة للمسيح.

وهذا هو ما نجده في تحليل قاموس الكتاب المقدس للمفردات التي ذكرت في وصف المسيح قال: (المسيح بما أنه ابن الله فهو إليه بكل الكمالات غير المحدودة التي للجوهر الإلهي ويستشهدون بأقوال بولس.

(الذي كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله)[1].

(الذي إذا هو في صورة الله لم يكن يعتبر مساواته اختلاسًا)[2].

ثم قال: (والابن مساو لله في الطبيعة)[3].

وهو يصفة أحيانًا بأنه موضوع الإيمان [4] وديان العالم [5] وواهب الحياة الأبدية [6] وأنه «المعبود الحقيقي»[7].

وبهذا كله يصح لنا أن نقول: إن بولس يقول بألوهية المسيح أو على الأقل أنه ذو طبيعة إلهية بل إن هذا الحكم مجرد استنتاج من استقراء النصوص على

---

(١) فيلبى ٢/ ٧.

(٢) فيلبى ٢/ ٧ طبعة الأرثوذكس.

(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨.

(٤) رومية ١٠/ ٩، ١٠.

(٥) رومية ٢/ ١٦.

(٦) رومية ٥/ ٢١، ٦/ ٢٣.

(٧) كورنثوس ١/ ٢، وانظر نصوص أخرى تؤكد هذه المعاني في اللاهوت النظامي، ص ٣٤٢ - ٣٤٨.

النحو الذي ذكرناه ولكن جاء إطلاق وصف الألوهية عليه صراحة حيث يقول: (الكائن على الكل إلهًا مباركًا للأبد)[1].

كما يظهر في الكلام بولس التناقض الشديد في موقفه من المسيح ﷺ فمرة يجعله ابنًا ومرة يقول بالحلول والتجسد الإلهي فيه، ومرة يفصل بينه وبين الإله وهذا لا شك حال الكذبة المفترين والمبتدعين.

أما قول الذين يبرءون بولس من تأليه المسيح مع أن هذا النص لو صح مجيئه على هذا النحو من بولس لكان متناقضًا مع نفسه حيث أثبت تفرد الإله بالألوهية في النصوص الأخرى فنقول هذا ليس هو أول تناقض عقائدي لبولس في رسائله كما أن فيه دلالة على أن بولس لم يكن يقول بالتثليث كما ادّعى النصارى ذلك فيما بعد.

وأما قولهم إن هذا النص ربما قاله في حالة الغيبوبة كتلك التي أثبتها لنفسه أثناء صلاته فهي ناتجة عن مرض وهي على كل حال ليست حالة يمكن فيها تقرير عقيدة وبيان دين، لكن الغيبوبة في الصلاة لا تقتضي بالضرورة غيبوبة أثناء تقريره للعقيدة؛ فوضع الصلاة غير وضع الفكر والكتابة.

وأما الاحتجاج بوجود ترجمات أخرى لهذا النص في الترجمات المشار إليها تخلو من وصف المسيح بالألوهية ويقتصر هذا الوصف على الله وحده، فالواقع أنه ليس هناك مقياس يرجع إليه في تقديم ترجمة على أخرى لا سيما مع وجود الكم الهائل من الترجمات لرسائل بولس وغيرها من الأسفار. كما أنه إذا أمكن ذلك القول في نص من تلك النصوص فهناك النصوص العديدة التي لا يمكن ادعاء ما ادعوا فيها من الخطأ في الترجمة إلا بالتعسف.

وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح وصادفت البذرة أرضًا خصبة في

---

(١) رومية ٩/ ٥.

عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت النصرانية.

وساعد على نمو هذا الأفكار ما صادفه النصارى الأوائل من الاضطهادات المدمرة التي التهمت كثيرًا من مراجعهم وقضت على أتباع النصرانية الحقيقيين أو كادت وفقدت النصرانية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات وفيها تناقض ظاهر في كل معالمها وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالمسيح نفسه [1].

وعن مصدر بولس في قوله بالألوهية أو البنوة فقد أشرنا إلى ما كان من تأثير البيئة التي نشأ فيها وذهب بعض الباحثين أن الرومان أنفسهم أشاعوا هذا القول في حياة المسيح ﷺ ومن بعده، بل زعم بعضهم أن بولس هذا إلهًا متجسدًا فانتهز بولس هذه الفرصة السانحة ونادى بألوهية المسيح جهرًا وبدون خوف اعتمادًا على أن الرومان يألفون هذه العقيدة.

وفي الإنجيل المنسوب إلى برنابا: أشاع جنود الرومان الذين يحتلون أورشليم آنئذ أن يسوع هو الله قد جاء لينقذهم فحدثت بسبب ذلك فتنة كبرى.. لأن فريقًا قال: إن يسوع هو الله قد جاء إلى العالم.

وقال فريق آخر: كلا بل هو ابن إله وقال آخرون: كلا لأنه ليس شبه بشري بل إن يسوع الناصري نبي الله ووقف عيسى خطيبًا ليخمد هذه الفتنة، ويحكي برنابا أن كاهن اليهودية والوالي والملك قالوا لعيسى ﷺ لا تزعج نفسك يا يسوع قدوس الله لأن هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة أخرى لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله.

---

(١) المسيحية شلبي ص ١٤٧.

وقد أشار إلى هذا المرسوم الملكي صاحب تاريخ الأقباط [١].

٥- عقيدة بولس في الروح القدس ومدى صلته بعقيدة التثليث:-

اختلفت أقوال الباحثين حول مفهوم الروح القدس عند بولس فذهب بعضهم على أن بولس لم يعط عقيدة وافية عن الروح القدس كما فعل في كلامه عن المسيح ومع ذلك فإن الروح يلعب دورًا هامًّا وكبيرًا في رأيه ويكون جزءًا كبيرًا من تعاليمه.

وقد ظهر أن بولس استعمل كلمة الروح في معنيين:

المعنى الأول: هو المعنى البشري أي الروح الإنسانية ويوجد في فقرات كثيرة من أقواله منها: (نعمة من ربنا يسوع مع روحكم أيها الأخوة)[٢].

أما المعنى الثاني: فيصف به تيارًا قويًّا غير طبيعي يؤثر في الناس ويظهر ذلك في عبارات مثل (ثم بما أنكم أبناء الله أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبناء الأب)[٣].

أما في غير هذين المعنيين فاستعمالاته نادرة [٤].

وهو عندما يتكلم عن الروح تارة يتكلم عنه كجوهر منفصل وتارة أخرى يتكلم عنه عاملًا في الإنسان حتى يصعب على الدارس أن يفصل بينه وبين روح الإنسان.

ولذلك فهو يقارن بين الاثنين وذلك في الفقرة التي ورد ذكرها في رسالته إلى أهل كورنثوس حيث يقول: (لأن مِنْ الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه هكذا أيضًا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله)[٥].

---

(١) راجع برنابا الفصول ٩٣-٩٦، وتاريخ الأقباط ١/ ٦٩ - ٧٠.

(٢) غلاطية ٦/ ١٨.

(٣) غلاطية ٤/ ٦.

(٤) راجع: دعوة التوحيد ص ٢٧٣.

(٥) ٢/ ١١، ١٢.

ولكنه في نفس الوقت هو الروح الذي يسكن مع روح الإنسان وفي هذا يقول: (وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم فالذي أقام يسوع من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم)[١].

ويرى أصحاب هذا الرأي أن الحقيقة التي رسخت في ذهن بولس هي تمييز روح القدس، وسموه عن روح الإنسان. أما عن أقنومية الروح القدس فهذه النقطة لم تواجه بولس مع أنه ذكر الأب والابن والروح القدس ولكنه لم يترك في كتاباته عقيدة محددة عن التثليث، وما يؤخذ من كتاباته هو أن الأب يعمل في المسيح يسوع وبالروح القدس[٢].

والروح القدس في فكر بولس له كيان متميز عن الأب[٣]. وقد لاحظ الدارسون أن بولس يستخدم نفس اللغة عندما يتكلم عن عمل الابن وعمل الروح القدس فعندما يذكر علاقة المؤمن بالمسيح فإنه يقول إنه في المسيح كما في رسالته إلى أهل رومية[٤]. وكذلك الحال مع المؤمن والروح القدس؛ فالمؤمن يعيش مع الروح كما يذكر في رومية[٥].

وهذه العلاقة يعبر عنها بطريقة أخرى أي أن المسيح يسكن في المؤمن نتيجة الموت مع المسيح[٦]. وعندما يموت الإنسان في المسيح ويقوم فيه فإن هذا العمل يتبع فيه موته عن الخطيئة[٧]. وهو يذكر دائمًا أن الروح وكذلك المسيح

---

(١) رومية ٨/ ١١.

(٢) ١-٢ كورنثوس ٥/ ١٩، رومية ٨/ ١١، وراجع الروح القدس فهيم عزيز ص ٥٣ وما بعدها.

(٣) غلاطية ٤/ ٦، رومية ٨/ ٩، والفكر اللاهوتي في رسائل بولس ص ١٥٧ ودعوة التوحيد ص ٤/ ٢١.

(٤) ٨/ ١.

(٥) ٦/ ٤-٩.

(٦) رومية ٨/ ١.

(٧) رومية ٦/ ٢، ٣ و ٨/ ١٠.

هما حياة المؤمن [١].

ومن هذه اللغة المتوازية عن الابن والروح القدس رأى أصحاب هذا الرأي أن المسيح والروح القدس في فكر بولس يتشابهان في عملهما ولكنهما يتميزان في شخصيتهما [٢].

أما الرأي الثاني: فيرى أصحابه أن بولس نسب إلى الروح القدس ما يمكن أن ينسب إلى ذات الله وهو ما ذهب إليه قاموس الكتاب المقدس في إثبات ألوهية الروح القدس؛ إذ نسب إليه أسماء الله الحي وصفاته وأعماله وعبادته مستدلًا بأقوال لبولس وردت في هذا المقام [٣]. حيث يقول: (أما تعلمون أن هيكل الله وروح الله يسكن فيكم) [٤]. وقوله: (وإن كان الروح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم) [٥].

فمن هذه الأقوال على لسان بولس، وغيرها على لسان غيره قال النصارى بألوهية الروح القدس بل إن أصحاب هذا الرأي ذهبوا إلى أن بولس كان يسعى إلى تأصيل الثالوث في نصرانيته البولسية أو لاهوت النصراني: الأب والابن والروح القدس فيرى أن أقنومي الأب والابن أصلهما بولس في رسالته الأولى إلى أهل أفسس حيث يقول: (مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام) [٦].

وقد كتب بولس رسالته إلى أهل أفسس عام ٦٢م أي بعد خمس سنوات من

---

(١) رومية ٨/ ٢.

(٢) راجع الفكر اللاهوتي في رسائل بولس ص ١٥٧، ودعوة التوحيد ٢٧٦.

(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٤، إيماني إلياس مقار ص ١٨٣.

(٤) ١ كورنثوس ٣/ ١٦.

(٥) رومية ٨/ ١١.

(٦) أفسس ٤/ ٢.

رسالته إلى أهل رومية تلك التي ادعى فيها الإلهين الأولين الإله الأب والإله الابن.

ثم قالوا: ولا ندري تعليلًا لهذا الأمر القريب إلا أن تكون صورة الثالوث الإلهي المقدس لم تكتمل في مخيلة بولس إلا على مراحل فكان أن جاء اكتشاف الأقنوم الثالث (الروح القدس) متأخرًا خمس سنوات عن الأقنومين الأولين)[١].

وزاد بعضهم - ما أشرنا إليه من قبل على أنه استعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف (فيلو) فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الإله أو الروح القدس[٢].

ولعل هذا الرأي فيه من الصواب الكثير لا سيما وفيلون يمكن اعتباره معاصرًا لبولس بل يقال إن فيلون أثناء زيارته لروما قابل بولس فلا يستبعد هذا التأثر لا سيما وأننا نجد من الشواهد الفلسفية الكثير في كلام بولس وعباراته[٣]. ويستدل أصحاب هذا الرأي بما ورد على لسان بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: (نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم)[٤].

ومن مال إلى قول بولس بألوهية الروح القدس أضاف إليه ما ورد عنه من القول بالبنوة والتجسد والألوهية وبالتالي ذهب إلى أن بولس قال بالتثليث.

وزاد بعض الباحثين أن التأثيرات والثقافات التي عرفها بولس وعلى رأسها (لاهوتيات الإسكندرية) ومدرستها الفلسفية المسماة (الأفلاطونية الحديثة)،

---

(١) راجع الإسلام والمسيحية في الميزان ص ٢٣٣ ، ٢٣٤.

(٢) راجع المسيحية لشلبى ص ٢٠٩، عن كتاب ديانات العالم ص ٧٠.

(٣) History and thought of early church ص ١٢ ، ١٣.

(٤) ٢ كورنثوس ١٣/ ١٤.

وعقيدتها الثالوثية هي التي نقل عنها بولس فكرة التثليث [١].

أو بالأحرى - على حدّ تعبيرهم - فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريقا الكلمة أو ابن الإله أو الروح القدس [٢].

وهو بعيد فالأفلاطونية الحديثة ظهرت في القرن الثالث كما سنوضح [٣].

وبولس مات على أبعد تقدير بعد منتصف القرن الأول الميلادي.

أما الرأي الثاني: فيرى أصحابه أن بولس لا يعلم شيئًا عن التثليث وأنه مما استحدثه آباء الكنيسة فيما بعد على مراحل حين قرروا في مجمع نيقية عام ٣٢٥م أن المسيح ابن الله المولود من الأب وأنه مساو للأب في الجوهر ولم يذكروا في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م أن الروح القدس خالق غير مخلوق وأنه إله من طبيعة الأب والابن، وأن الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وأن هؤلاء الثلاثة إله واحد [٤].

وأما ما ورد على لسان بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس فلا يدل على التساوي بين الله والمسيح والروح القدس وإنما هو جمع بين المرسل ورسله ولكل منهم حقيقته ودرجته الخاصة كما يقول الشيخ رحمة الله الهندي [٥].

ومن قال إن بولس قال بالتثليث لم يورد من النصوص ما يدل على قول بولس به أو تشبعه بفكرة التثليث، ثم إن أول ما بدأ بولس الدعوة إليه هو القول ببنوة المسيح لله فهل كانت فكرة الثالوث تشربت في ذهنه وبدأ يدعو إلى

---

(١) راجع العلمانية ٣٨، وعقيدتا التثليث والصلب ص ٢٤٦.

(٢) راجع النصرانية والإسلام الطهطاوي ص ٢٧١.

(٣) انظر فصل الفلسفات ص ٣٨٧.

(٤) راجع الإسلام والأديان مصطفى حلمي ص ١٥٢، حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة ص ١٥.

(٥) راجع إظهار الحق ٢/ ٥٤٥ رسائل الرسل ص ٥٥٩، Dogma adolf harnah History of ١/ ٧٩.

بداياتها؟

إن التفصيل في مسألة الثالوث لا نجده إلا عند شارحي أقوال بولس؟ أو كتاب النصرانية فيما بعد [١]. وما من شك في أن بولس وضع البذور التي نقل بها النصرانية من الوحدانية إلى التثليث، ووافقت فكرة التثليث الجماهير التي كانت قد نفرت من اليهودية لتعصبها، ومن الوثنية لبدائيتها فوجدت في الدين الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألفوها وورثوها عن أجدادهم [٢].

وهكذا فإن بولس سواء قال بألوهية الروح القدس أو لم يقل، وسواء قال بالتثليث أو لم يقل فإنه يتحمل تلك النقولات المنحرفة التي آلت إليها النصرانية بما ورد في رسائله من عبارات، والإطلاقات التي اعتمد عليها النصارى في دعاويهم الباطلة وكانت سببًا من أكبر الأسباب في نقل ديانة المسيح عليه السلام من التوحيد إلى الشرك كما يدلنا ما مضى من كلامه عن المسيح وكذلك الروح القدس على مدى ما في عقيدته وفكره من التزاحم والتناقض والاهتزاز الذي يدل على أن الرجل لم يكن إلا ملفقًا بين المتناقضات، ومؤلفًا بين سائر العقائد المتوافرة في تلك المجتمعات، ليحقق هدفًا ظاهرًا من كلامه وهو قبول الناس للمسيح على أي شكل كان، وتحت أي شعار، وبجميع الكيفيات الممكنة وفي هذا مسخ وإبطال لديانة المسيح.

وإذا قلنا بأن هدفه الباطن من وراء ذلك تدمير دين المسيح وتحريفه فذلك ليس ببعيد لأن رجلًا مثل بولس ذا أصل يهودي يدرك تمامًا قيمة الثبات على المبادئ الدينية، وأن الأديان الوثنية لا تلتقي مع الدين الحق فأي محاولة للمزج

---

(١) انظر على سبيل المثال النقول التي أوردها د. أحمد شلبي عن كتاب النصرانية في بيان حقيقة الثالوث ص ١٣٩ - ١٤٦.

(٢) راجع النصرانية شلبي ص ١٢٨.

والخلط بينها فذلك انحراف وتحريف وتغيير وتبديل للدين الحق فهذه المعرفة تجعل من المؤكد أن الرجل كان قاصدًا للتحريف ساعيًا إليه بكل جهد ممكن وصادف أرضًا خصبة وهم الشعوب الوثنية الجاهلية بالدين السماوي فسرت فيهم دعوته وانطلت عليهم حيلته ثم صارت بعد الممثل الوحيد للدين النصراني.

ثالثا: شرائع بولس المحرفة ودوافعه إليها:

١ـ القول بعموم الرسالة أو بعالمية النصرانية:ـ

يؤمن النصارى اليوم أن النصرانية دين عالمي لكل أنحاء الأرض وجميع الشعوب رغم أن المسيح ﷺ وحوارييه لم يقولوا بذلك واقتصرت دعوتهم على شعب بني إسرائيل [١].

والأناجيل تحدثنا على لسان المسيح ﷺ أنه قال: (لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة) [٢]. وهذا يفيد أن رسالة المسيح موجهة لليهود وحدهم وقاصرة على تقويم الضالين من اليهود كما قال ﷺ: (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل) [٣].

فرسالته حسب قوله هي استكمال لرسالة موسى ﷺ وموجهة لبني إسرائيل دون غيرهم.

ويرجع تأصيل دخول فكرة العالمية إلى النصرانية على بولس ويعتمد في زعمه هذا على رؤية المسيح ﷺ وادعائه أنه أمره بتبليغ النصرانية إلى جميع الأمم حيث يذكر أن المسيح قال له في رؤياه المزعومة: (... منقذًا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا أرسلك إليهم...) [٤].

---

[١] النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ٨٩.

[٢] متى ١٥ : ٢٤.

[٣] متى ٥/ ١٧.

[٤] أعمال الرسل ٢٦/ ١٢ - ١٨ وقد ناقض نفسه حتى في هذا فتارة يقول: إنه أمر من المسيح انظر رسالة غلاطية ١/ ١٢، وتارة يقول إنه من قبل الله الذي أرسل ابنه المسيح.........=

أثرت فيه فأرجع بعضهم القول إلى ما كان من تكوين قوميات مختلفة في كمنولث واحد[1]. حيث كانت فكرة الكمنولث شائعة في العالم الوثني في وقته وكانت روما في تأثرها بالمثل العالية للرواقيين الذين قدموا أيام بولس رئيسًا لوزراء الإمبراطورية وفي القرن التالي اعتلى أحدهم عرش الإمبراطورية - فحاول تأسيس ذلك الكمنولث.

وقد تأثر بولس كأحد المواطنين الرومان بهذه الفكرة في إنشاء كمنولث نصراني يضم قوميات وأقطارًا وطوائف شتى يكفي ألا يربطها سوى اسم المسيح بدعوته إلى عالمية الرسالة[2].

وهو يعترف في رسائله بأنه لم يتحرز عن استخدام كل الوسائل لكسب أكبر عدد من الأتباع فهو يقول: (إذ كنت حرًّا للجميع استعبدتُ نفسي للجميع لأربح الكثيرين صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قومًا..)[3].

وربما وجدنا في شخصية بولس كل ما يتمثل فيها من عوامل نفسية أو فكرية ما يفسر لنا قوله بعالمية الرسالة النصرانية. وقد كان تلمس هذه العوامل موضع اهتمام الباحثين حيث يرى ديورانت أن قول بولس بعالمية الرسالة يتواءم مع فكرته التي أدخلها إلى النصرانية وهي كون المسيح فاديًا للبشرية من خطيئتها، فمن الطبيعي أن يكون الفادي للبشرية كلها رسولًا للبشرية كلها.

وفي ذلك يقول: (لقد عزل بولس) المسيح من اليهود وجعله مسيحًا غير المسيح المنتظر الذي ينتظرونه لخلاصهم وبذلك يستطيع أن يجعل منه الإله الذي تسجد ثم صلب من أجل خلاص العالم لا من أجل خلاص اليهود

---

(١) الكمنولث: جماعة من الأشخاص أو الدول تشد بعض أفرادها إلى بعض مصلحة مشترك المورد ص ١٩٨.

(٢) مناظرة بين الإسلام والنصرانية نقلًا من كتاب ماذا يعينه بولس ١٥٤.

(٣) كورنثوس ٨/ ١٩ - ٢٣.

ولقد كان القول بعالمية الرسالة نقطة التحول في هذه الديانة فليس هناك شك في أن بولس هو أول من قال بها [١]. يقول المستشار عزت الطهطاوي: (بولس هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة النصرانية عن مجرد ملة لطائفة يهودية إلى ديانة كبرى [٢]. وموقف بولس من هذه المسألة واضح تمامًا ليس فيه أي تناقض حيث لم يتضح لدى دارسي الأديان أنه ناقض موقفه هذا في أي رسالة من رسائله [٣].

بل إن جميع رسائله تتفق حول هذا الموضوع ومن أقواله في ذلك: (لا فرق بعد الآن بين يهودي يوناني أو عبد أو حر أو ذكر أو أنثى لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع) [٤].

وفي رسالته إلى أهل روما يقول: (أنا في غاية الشوق إليكم أن أبشر بالإنجيل أيضًا بينكم أنتم الذين في روما) [٥].

وفي رسالة كورنثوس الأولى يقول: (فإننا بالروح الواحد قد تعمدنا جميعًا لنصير جسدًا واحدًا سواء كنا يهودًا أو وثنيين [٦].

ولذلك سار في الدعوة إلى النصرانية وفق مبدأ اختطه لنفسه وهو أن يكسب أكبر عدد من الأتباع بصرف النظر عن حقيقة قبولهم للعقيدة الجديدة وإيمانهم بها إيمانًا خاليًا من شوائب عقائدهم السابقة [٧].

ولقد بحث العلماء في تعليل قول بولس بعموم الرسالة والتيارات التي

= انظر رسالة غلاطية ١/ ١٦.

(١) المسيحية شلبي ص ١١٦ مع العقيدة والحركة والمنهج ص ٢٩٢.

(٢) الميزان في مقارنة الأديان ص ١٣١.

(٣) دراسات في الملل ص ٦٤ ، دراسات في الأديان ص ٢٢٣.

(٤) غلاطية ٣/ ٢٨.

(٥) ١/ ١٥.

(٦) ١٢/ ١٣.

(٧) الوحي والملائكة ص ٥٤.

وحدهم، وبهذا يضمن لدعوته مجالًا يتحرك بها في الإمبراطورية الرومانية بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم [١].

وربما أراد بولس أن يجرد النصرانية من عناصرها اليهودية فكان طريقه إلى ذلك كما يرى (جوستاف لوبون) أن يدعى لها صفة العالمية [٢].

وقد يكون هذا القول منه تعبيرًا أو محاولة لإظهار تحرره من سلطة تلاميذ المسيح ﷺ فخالفهم فيما يذهبون إليه من كون النصرانية موجهة إلى اليهود بدعواه لعالميتها باعتبار أن ذلك كان منه بتوجيه المسيح ﷺ نفسه كما يدعي حيث يقول: (واعلموا أيها الأخوة أن الإنجيل الذي بشرتكم به ليس إنجيلًا بشريًا فلا أنا تسلمته من إنسان ولا تلقيته بل جاءني بإعلان من يسوع المسيح)[٣]. وإلى هذا ذهب الدكتور محمد الشرقاوي [٤].

وهناك احتمال آخر وهو أن بولس رأى انحسار ديانة اليهود وانحصارها فيهم وكان لذلك أثر كبير في عدم انتشارها بين غيرهم واستمرار العداء من غيرهم لهم فرأى الخروج بالديانة النصرانية عن ذلك الإطار التقليدي حتى يكسب لها أنصارًا وأتباعًا يمكن أن يدافعوا عنها.

ولكن تلك النظرة كانت قاصرة لأن بولس لما خرج بالديانة إلى الوثنيين لم يستطع أن يحافظ على نقاوتها وأصالتها بل بدأ يغير ويبدل فيها حتى تلقى القبول لدى الوثنيين فصار الخروج بها إلى غير بني إسرائيل من أسباب التحريف والتبديل الذي أراد به بولس أن تجد الديانة رواجًا لدى الوثنيين.. والله أعلم.

---

(١) قصة الحضارة ١١/ ٢٦٥، عقيدتنا التثليث والصلب ص ٢٤٧.

(٢) حياة الحقائق ص ٦٢.

(٣) غلاطية ١/ ١١.

(٤) دراسات في الملل ص ٦٣، ٦٤ وراجع History and though of the early church ص ١٥، ١٦.

وأيًّا كانت التفسيرات المتعددة لدوافعه النفسية والفكرية التي جعلته يتجه بالنصرانية اتجاهًا عالميًا فالذي يهمنا أن ننتهي إليه في هذا المقام هو ما قررناه آنفًا من أنه كان أول من جعل النصرانية رسالة عالمية خلافًا لتصريح المسيح عليه السلام وما نقلوه من أنه كان مبعوثًا ومرسلًا إلى بني إسرائيل وحدهم.

٢ـ العشاء الرباني أو القربان المقدس:ـ

سبق أن ذكرنا عند حديثنا عن الجماعة الأولى بعد رفع عيسى عليه السلام أنهم كانوا يجتمعون في دار أحدهم يقتسمون الخبز جماعة ويرددون بعض العبارات استرجاعًا لما كان من عشاء عيسى عليه السلام الأخير معهم، ولكنهم وحتى ذلك الوقت لم يكونوا ليربطوا بصلة ما بين كسرة الخبز وبين موت المسيح عليه السلام ولم يحملوا التقليد في ذاته قيمًا تبلغ به مستوى الشعائر القدسية [١].

أما عن صورة العشاء الرباني ومفهومه عند النصارى في الوقت الحاضر فهو عبارة عن اجتماع عام يقدم فيه لكل واحد من المجتمعين قطعة من الخبز مع كأس من الخمر يتناولونه داخل الكنيسة، وعند الكاثوليك من النصارى أن من أكل هذا الخبز وشرب الخمر فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه لأنه يتحول عندهم حقيقة إلى لحم المسيح ودمه. بينما يرى غير الكاثوليك أن هذا رمز لما حل بالمسيح أو أن المسيح يحضر روحيًا هذا العشاء وليس له وقت محدد وإنما يرون ممارسته مرات عديدة في العام [٢].

وقد كانت مسألة العشاء الرباني مما اختلفوا فيه وعقدوا من أجله عدة مجامع.

ويوضح (إلياس مقار) معاني هذه الفريضة والتي يتم العشاء الرباني

---

(١) انظر: تحريف رسالة المسيح ص ٩٤.

(٢) راجع حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٥٠، المعمودية والإفخارستية والكهنوت ص ٤١ – ٥٨، النصرانية والإسلام الخلف ص ٤٤٢، في العبادات النصرانية دراسة نقدية محمود حماية ص ١٠ – ١٥.

لتأكيدها في عقيدة النصارى وقلوبهم قائلًا: إن للعشاء الرباني - بالنسبة للمسيحيين - أكثر من معنى:

المعنى الأول: العشاء الرباني عهد بين المسيح وأتباعه وتلاميذه من المؤمنين في كل جيل وعصر مكتوب بالدم وهو أكثر عمقًا وامتدادًا من العهد الذي قام بين الله وشعبه عندما أخذ موسى كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا: (كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: هو ذا دم العهد الجديد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال)[١]. وقد حل العشاء الرباني محل الفصح اليهودي [٢] لأن الفصح القديم في كل طقوسه لم يكن إلا رمزًا للمسيح عندهم إذ يقول بولس: (إنه فصحنا أيضًا، المسيح قد ذبح لأجلنا إذا لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق)[٣].

المعنى الثاني: العشاء الرباني رمز للشركة الجسدية بين النصارى والمسيح كما يقول بولس: (كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟...)[٤].

المعنى الثالث: العشاء الرباني شكر للنعمة وقد أخذ هذا اللقب حسب

---

(١) راجع إيمان إلياس مقار، ص ٥٠٢، ٥٠٣، وخروج ٢٤/ ٧، ٨.

(٢) الفصح هو عيد يهودي ويسمونه أيضًا عيد الفطير لأنهم يأكلون فيه الخبز والفطير غير مختمر وهو عندهم عيد الضحية حيث يضحون فيه بحمل أو جدي ونحوه. وأصل هذا العيد ذكرى لنجاة بني إسرائيل من فرعون مصر، وقد استبدل النصارى عيد الفصح اليهودي بالعشاء الرباني حيث يزعمون أن المسيح هو حمل فصحهم المذبوح وأن الخبز والخمر الذي يأكلونه رمز لتلك الأضحية عندهم وهو المسيح عليه السلام راجع الفكر الديني اليهودي ص ١٨٠ - ١٨٨ بتصرف، شرح أصول إيمان للقس أندراوس واطسون ص ٥٠.

(٣) راجع اكورنثوس ٥/ ٧، ٨.

(٤) راجع اكورنثوس ١٠/ ١٦.

زعمهم عندما أخذ يسوع وبارك وأخذ وشكر وفي هذا يقول بولس: (... إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا وشكر فكسر...)[١].

المعنى الرابع: العشاء تذكار وإحياء لذكرى المسيح في ليلته الأخيرة جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس: (... هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى... اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى...)[٢].

ويستند النصارى في مشروعية هذه الشعيرة إلى ما جاء في العهد الجديد فقد ورد في كل من أناجيل (متى ولوقا ومرقس) أن المسيح نفسه هو الذي أسس هذه الفريضة.

يقول إنجيل متى: (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشرب وأعطاهم قائلًا: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي سيفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا...)[٣].

ويقول إنجيل مرقس: (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزًا وبارك وكسر وأعطاهم وقال: خذوا كلوا هذا من جسدي ثم أخذ الكأس وشرب وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم: هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين...)[٤].

أما إنجيل لوقا فقد ورد فيه: ... ثم تناول كأسًا وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم لأني أقول لكم: إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله وأخذ خبزًا وشكر وكسر وأعطاهم قائلًا: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري وكذلك الكأس أيضًا بعد العشاء قائلًا: هذهِ

---

(١) راجع اكورنثوس ١١/ ٢٤.

(٢) راجع اكورنثوس ١١/ ٢٣ - ٢٩.

(٣) متى ٢٦/ ٢٦-٢٨.

(٤) مرقس ١٤/ ٢٢ - ٢٤.

الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم...)[١].

أما إنجيل يوحنا فقد جاء فيه ما يلي: (... هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذي أعطى هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم،... الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم من يأكل جسدي ويشربُ دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير؛ لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه...)[٢].

وصيغة الرواية في إنجيل يوحنا كما هو ملاحظ تختلف تمامًا عما ورد في الأناجيل الثلاثة أي مسألة: (تأسيس المسيح للقربان المقدس) فهو صريح في الأناجيل الثلاثة بخلاف ما ورد في إنجيل يوحنا.

وكما عرفنا أن رسائل بولس كانت أقدم ما كتب في العهد الجديد وبالتالي فهذه الأناجيل وما ورد فيها من شعيرة العشاء الرباني مسبوقة بما ذكره بولس عنها.

فقد قدر بولس هذه الفريضة في الإصحاحين العاشر والحادي عشر من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث يقول في الإصحاح العاشر: (كأس البركة التي نباركها أليست في شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعًا نشترك في الخبز الواحد.. أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المسيح؟)[٣].

وفي الإصحاح الحادي عشر يقول بولس: (لأنني تسلمت من الرب سلمتكم أيضًا أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبز وشكر فكسر

---

(١) لوقا ٢٢/ ١٧- ٢٠.
(٢) يوحنا ٦/ ٥٠ - ٥٧.
(٣) اكورنثوس ١٠/ ١٦ - ١٨.

وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري كذلك الكأس أيضًا بعدما تعشوا قائلًا: هذهِ الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.. من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب)[١].

وهكذا أدخل بولس إلى نصرانيته التي بدأ يدعو إليها ولأول مرة فكرة أكل لحم المسيح وشرب دمه ممثلًا في خبز وخمر قربانًا مقدسًا يجلب الخلاص لمعتنقي هذه الفكرة[٢].

وهذا ما يؤكده هيام ماكوبي في كتابه (صانع الأسطورة) حيث يقول: (إن أول توكيد لهذا - فكرة أن عيسى عليه السلام سن طقوس القربان المقدس كشعيرة دائمة في الكنيسة النصرانية - نجده في رسائل بولس والتي نجد فيها أيضًا أول إشارة إلى فكرة القربان المقدس أي الفكرة التي تقول بوجود قوة للخلاص في جسد المسيح ودمه. فمن أقواله يتضح تمامًا أن بولس هو مخترع القربان المقدس كفكرة وسنة راسخة الجذور فهو يقول بكل وضوح: إن هذا القربان قد تأسس بناء على وحي تلقاه شخصيًا إذ يقول: (لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم)[٣].

وإلى مثل هذا يذهب جينيير قائلًا: (إن النقد الحر يتجه أكثر إلى الإجماع على أن العبارة التي تقول إن المسيح أقام عليها عقيدة التناول (خذوا وأكلوا هذا

---

(١) اكورنثوس ١١/ ٢٣٢٩.

(٢) راجع الإسلام والأديان ص ١٤٠ - ١٤١.

(٣) راجع الإسلام والأديان ص ١٤٠.

جسدي خذوا واشربوا هذا دمي) ليست سوى تفسير من عند بولس غريبة كل الغرابة عن فكر المسيح)[١].

ويقول تقي العثماني: (إن إنجيل متى ومرقس حينما ذكرا هذه القصة - قصة العشاء الرباني لم يشفعا ذلك بأمر من عند عيسى عليه السلام بجعل هذا العمل طقسًا دائمًا وهذا الحكم قد وضعه بولس لأول مرة وبما أن لوقا تلميذ بولس فقلده.

وذلك ما يعترف به العلماء المسيحيون بدورهم يقول [بوركت]: (إذا قرأت قصة العشاء الرباني في إنجيل مرقس لا تجد فيه أي أمر بالاستمرار على هذا العمل لكن بولس عندما يذكر عمل يسوع هذا يزيد الجملة الآتية ناحلًا إياها إليه «اصنعوا هذا لذكري»)[٢].

أما مصدر بولس في تقرير هذه الشعيرة فإنه يعود إلى البيئة التي نشأ وتربى فيها حيث شاع في العالم اليوناني الروماني قبل العصر المسيحي بقليل عدد من الأفكار الوثنية مثل ديانات الطقوس السرية التي تقوم على الاندماج في الإله من خلال الزعم بأكل لحمه وشرب دمه في احتفال طقسي تكتنفه الأسرار ومن ثم يحصل العابد على الخلود الذي يتمتع به المعبود، وقد اقتبس بولس هذه الأفكار وتأثر بها وسجلها في رسائله وعنه أخذ كتبة الأناجيل [٣].

وقد نقل (جوستين) وهو من كبار المدافعين عن النصرانية في القرن الثاني أن أسرار (مثيرًا) اشتملت على نوع من الشعائر يفرض تقديم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمنين به مع النطق ببعض العبارات المعروفة آنذاك [٤].

٣ـ إلغاء الختان واستبدال المعمودية به:

يذكر النصارى أن الختان كان مقررًا في جميع الشرائع منذ عهد إبراهيم عليه السلام

---

(١) راجع تطور العقيدة ص ١٦٩، المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٩.

(٢) راجع ما هي النصرانية ص ١٦٨.

(٣) راجع الإسلام والأديان ص ١٤٠.

(٤) راجع المسيحية نشأتها وتطورها ص ٩٩.

كرمز وعلامة على أن المختتنين من أتباع هذه الشرائع شعب دخلوا مع الله في عهد مقدس وعلاقة خاصة[1].

وفي التوراة أن سنة الختان تجددت لموسى عليه السلام[2] وكان اليهود يحافظون على هذه السنة وكانوا يدعون أنفسهم (أهل الختان) ويدعون من عداهم (أهل الفرلة)[3].

والأناجيل تثبت أن عيسى عليه السلام قد ختن يقول لوقا: (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمى يسوع)[4].

وعند النصارى أن عيسى عليه السلام أقر ما كان في شريعة موسى من الاختتان بل جعله في نفس اليوم المقدس عند اليهود الذي كانوا يختتنون فيه وهو يوم السبت وفي هذا تروي الأناجيل عنه عليه السلام: (أن موسى أعطاكم الختان لا أنه من موسى بل من الآباء فتختتنون الإنسان في السبت فإن كان الإنسان يختن في السبت لئلا تنتقض شريعة موسى أفتسخطون علي لأني أبرأت الإنسان كله في السبت)[5].

وقد بقيت مشروعية هذه الشعيرة طوال حياة المسيح عليه السلام وبعده - كما يفهم من مصادر النصارى - حتى دخل بولس في النصرانية وكان هو نفسه مختتنًا باعتبار نشأته اليهودية.

وفي هذا يقول: (من جهة الختان مختون في اليوم الثامن)[6].

وعندما قام بولس برحلته الدعوية الثانية إلى (أنطاكية) بعدما يقرب من

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧ وتكوين ١٧/ ٩-١٤ ، ٢٣-٢٧، ٢١/ ٤.
(٢) اللاويين ١٢/ ١-٣ وخروج ١٢/ ٤٨ - ٤٩.
(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧.
(٤) لوقا ٢/ ٢١.
(٥) يوحنا ٧/ ٢٢ ، ٢٣. طبعة الأرثوذكس.
(٦) فيلبى ٣/ ٥.

عشر سنوات من دخوله في النصرانية واجهته مشكلة دخول الوثنيين في النصرانية وعدم قبول النصارى - الذين كانوا من أصل يهودي لهم حيث كانوا غير مختتنين خلافًا لما هو معمول به في اليهودية والنصرانية كما ذكرنا ذلك من قبل، فظن بولس أن عملية الختان لا يرضى عنها الوثنيون، وبأن أغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم فعليه تصور أن تعاليم هذه الشريعة يجب أن تنسخ بل أعلن أن المسيح إنما أتى خصيصًا ليبدل عهدًا قديمًا بعهد جديد [١] ولتحقيق هذا الغرض أقيم مجمع في القدس وفي هذا المجمع تقرر لأول مرة - إعفاء الأمميين من الختان طبقًا لما رآه بولس رغم خلاف تلاميذ المسيح عليه السلام معه في ذلك.

وقد تضمنت رسائله بعد ذلك إلغاء شعيرة الختان، ومن أقواله في ذلك: (...لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ولا الفرلة بل الإيمان العامل بالمحبة)[٢].

وقد أكد بولس أن الختان هو ختان القلب والروح لا ختان الجسد قائلًا: (وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان)[٣].

وفي موضع آخر أنكر بولس أهمية الختان فيقول: (ما نفع الختان؟ [٤] لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والفرلة بالإيمان)[٥].

ويؤخذ من هذه النصوص أن ما يراه بولس هو أن مدار الختان على الإيمان الكامل والطهارة القلبية بغض النظر عن كون الشخص الداخل في النصرانية مختتنًا أو ذا فرلة لأنه لا دخل لهذه المظاهر الجسدية في تحقيق تلك المعاني

(١) راجع المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٣٣.
(٢) غلاطية ٥/ ١-٦.
(٣) ٢ رومية ٢/ ٢٥ - ٢٩.
(٤) رومية ٣/ ١.
(٥) رومية ٣/ ٣٠.

الروحية.

ولهذا لم يوجب بولس على الوثنيين الاختتان ولم يجعله شرطًا لدخول النصرانية [١]. بل إنه نهاهم عنه وحذرهم منه قائلًا: (... ها أنا بولس أقول لكم إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا...) [٢]. وهكذا ألغى بولس الختان الذي كان المسيح عليه السلام ولا شك ملتزمًا به لأنه من شريعة موسى عليه السلام فألغاه من ضمن ما ألغى وادعى بأن المعمودية حلت محله وهو ما لم يأت به عيسى عليه السلام ولا قال به حواريوه.

٤ـ التعميد:

ألغى بولس الختان وهو شعيرة دينية وجعل بدلًا منه المعمودية، والتعميد عند النصارى كما يقول قاموس الكتاب المقدس: هو طقس الغسل بالماء رمزًا للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما، وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها كما يفهم من الكتاب المقدس [٣] كان النبي يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) يعمد الناس في نهر الأردن وجاء في بعض المخطوطات القديمة أن يوحنا ما كان يعمد بل يوضئ [٤] وفي الأناجيل - مع اختلاف روايتها أن يوحنا قام بتعميد المسيح عليه السلام.

وينسب النصارى إلى المسيح عليه السلام أمره لهم بالتعميد وذلك بعد قيامته من الموت - حسب زعمهم [٥].

وكانت معمودية يوحنا تسمى معمودية التوبة لغفران الخطايا [٦] وكان طالبوا المعمودية يعترفون بخطاياهم وندمهم، فمعموديتهم كانت تشير إلى

---

(١) راجع السلطة السياسية والتشريعية ٦٣.
(٢) غلاطية ٥/ ٢.
(٣) خروج ٢٩/ ٤ و ٣٠/ ٢٠ و ٤٠/ ١٢، عد ١٩/ ٨.
(٤) متى ٢٨/ ١٩، مرقس ١٦/ ١٦.
(٥) رسائل الرسائل ص ٧٠٧.
(٦) متى ٣/ ١-٦ مرقس ١/ ٤.

التطهير الداخلي التابع للتوبة.

وكان تلاميذ المسيح ﷺ يُعمِّدون الذين عَمَّدهم يوحنا ثانية [١] وإن كانت طريقة طقس المعمودية عند يوحنا مجهولة عند النصارى ولكن المعلوم بالنسبة لهم أن عيسى تعمد بدخوله نهر الأردن [٢].

وقد اختلفت وجهات نظر النصارى حول المعمودية وكان الجدال الأكبر حول قضيتين: كيفية التعميد وتعميد الصغار فذهب بعضهم إلى أن المعمودية لا تصح إلا بتغطيس الإنسان تغطيسًا كاملًا أو بتغطيسهِ ثلاث مرات وذهب البعض الآخر إلى الاكتفاء برش الماء إشارة إلى غسل الروح القدس.

وذهب بعضهم إلى أنه لا لزوم لتعميد الأطفال وأن الاعتماد للكبار فقط أي الذين تعدوا مرحلة الطفولة وبلغوا سن الرشد بحيث يمكن لهم فهم الخلاص والاعتراف بالتوبة إلا أن أغلبية النصارى ترى معمودية الصغار واجبة ما داموا أطفالًا وذلك علامة على الميثاق بين الله وبينهم [٣].

وهكذا أصبحت هذه الشعيرة فريضة مقدسة عندهم يغسل فيها المعمد بالماء يشار فيها بالغسل بالماء باسم الأب والابن والروح القدس ويشار ذلك إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح - في زعمهم - والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن الروح القدس كإلههم ومعبودهم الوحيد. ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهارًا أمام القس في الكنيسة [٤].

ذاك كان مفهوم المعمودية وما آلت إليه في الوقت الحاضر عند النصارى.

---

(١) أعمال الرسل ١/ ٩، ١٨/ ٢٥، ٢٦.

(٢) مرقس ١/ ٩، ١٠ وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٨.

(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧، ٦٣٨، رسائل الرسل ص ٧٠٦ في العبادات النصرانية.

(٤) المسيحية شلبي ص ١٧٢، ١٧٣.

وعن دور بولس في هذه الشعيرة فالواضح أن لبولس مفهوم آخر لهذه الشعيرة فقد وردت كلمة المعمودية في رسائل بولس ثلاث مرات اثنتان منهما بمعنى الدفن السري، والثالثة بمعنى وحدة الكنيسة [١].

وعن المعنى الأول يقول: [فدفنا معه المعمودية للموت][٢].

وقوله: [مدفونين معه في المعمودية التي أقمتم أيضًا معه][٣]. وعن المعنى الثالث قوله: [رب واحد وإيمان واحد ومعمودية][٤] هذا بخلاف لفظة يعمد والتي يكثر استعماله لها ويفهم النصارى منها الغطس في الماء مرات عديدة [٥].

والأصل والأساس في المعمودية عند بولس لا تمت إلى معمودية يحيى عليه السلام لا من قريب ولا من بعيد بل مدارها على صلب المسيح وموته وقيامته من الموت - في زعمهم - فعندهم أن موت المسيح إنما كان فداء للبشر وليس موتًا خاليًا من المعنى فلذا يرون أن المعمودية التي يقصدون منها تطهير الإنسان من ذنوبه هي تقمص للحالة التي وقعت للمسيح فيعمدون الإنسان الداخل في ديانتهم بتغطيته بالماء ثلاث مرات وهذا عندهم يعني الموت كما مات المسيح وهو الذي يعبر عنه بولس (بالدفن مع المسيح) فإذا أخرج بعد تغطيسه فهذا يرمز لقيامة المسيح من الموت فإذا أعلن المعمد إيمانه بالأب والابن والروح القدس فقد تطهر من ذنوبه واستفاد نفس الحالة التي تحققت للمسيح وهي تكفير ذنوبه واستفاد نفس الحالة التي تحققت للمسيح وهي تكفير الخطايا ولا يمكن لإنسان عندهم أن تكفر خطاياه وتغفر ذنوبه ما لم يعمد فالتعميد أساس

---

(١) بولس حياته ص ٣٩١.
(٢) رومية ٦/ ٤.
(٣) كورونثوس ٢/ ١٢.
(٤) أفسس ٤/ ٥.
(٥) راجع بولس وحياته لاهوته أعماله ص ٣٩١.

وسبب لتكفير الخطايا[١].

تلك كانت المعمودية التي يرى بولس أنها حلت محل الختان الذي كان موجودًا في العهد القديم والذي لم يعد له مكان في العهد الجديد بل حلت محله المعمودية فيقول: (وبه أيضًا ختنتم ختامًا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضًا معه بإيمان عمل الذي أقامه من الأموات)[٢].

يقول [وليم باركلي] في فلسفة هذا الاستبدال: (إن الختان ليس إجراء عملية في جسد الإنسان وإنما حدوث تغير في قلبه وفي حياته كلها وذلك استئصال أي شيء يتنافى مع إرادة الله من حياة الإنسان وهذا العمل ليس نظريًا فحسب بل واقعًا إذا تم بالمعمودية، كأني ببولس يقولك: أنتم تتحدثون عن الختان ولكن الختان الحقيقي الوحيد هو عندما يموت الإنسان ويقوم ثانية مع المسيح في المعمودية ليس بنزع جزء من جسده ولكن بانتزاع طبيعته الخاطئة كلها وبالامتلاء بجدة الحياة وبقداسة الله)[٣].

والمعمودية عند بولس تقوم مقام الأعمال الصالحة في تكفير الخطايا وجعل الإنسان بارًا صالحًا[٤] فلهذا يقول: (لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس)[٥].

(وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلت [المعمودية] بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا)[٦].

---

(١) راجع بولس الرسول حياته ولاهوته ص ٣٩٢ - ٣٩٤.

(٢) كولوسي ٢/ ١١-١٢ طبعة الأرثوذكس.

(٣) تفسير العهد الجديد ص ١٦٧، ١٦٨.

(٤) بولس لاهوته ص ٣٩٤.

(٥) تيطس ٣/ ٥.

(٦) اكورونثوس ٦/ ١١.

ويفسر شارل جينيبير قول بولس بالمعمودية في المسيح بأنها الاتحاد مع المسيح ويرجعها إلى وجهة نظر نابعة من وجهة نظر وثنية فيقول: (إن قول بولس أما أنتم الذين عمدتم في المسيح فقد ارتديتم المسيح وهذا يعني أن المسيحي يتحد مع المسيح بواسطة التعميد - ونحن في قولنا هذا - قد نتجاوز حدود النص الحرفية فبولس لم يجرؤ قط على القول بأن التعميد يجعل من المسيحي مسيحيًّا مثلما تجعل طقوس التضحية بالثور في عبادة (سيبيل) من المؤمن بها إلهًا هو (أتيس) إلا أن مفهوم التعميد نابع من نفس وجهة النظر التي نفسر بها مفهوم التضحية بالثور فبالتعميد يرتدي المسيحي المسيح كما يرتدي اللباس المقدس المنجي وهو ينزل رمزيًّا إلى عالم الأموات وبتغطيسه في النهر أو في إناء التعميد فإذا ما خرج بعد غطسات ثلاث - تمامًا كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاث - أيقن بأنه سوف يمجد يومًا إن أراد الله له ذلك كما مجد المسيح[1].

ولا شك أن ما سبق بيانه يظهر فيه فلسفة بولس للتعميد وهي فلسفة غير مبنية على أي مصدر.

والسؤال المطروح هو من أين جاء بولس - على اعتبار أن رسائله أول ما دون وكتب - بغرضية هذه الشعيرة وأين النصوص المثبتة لوجودها؟ ومن أين جاءهم هذا العدد ووضع اليد وغيره الشارحة لكيفيتها والمثبتة لأهدافها وغاياتها؟

ليس لهذا السؤال جوابًا لأنه لا يوجد في الأناجيل شيء من ذلك ألبتة.

ويتضح من خلال النصوص السابقة أن المعمودية لم تستخدم فقط كمبرر للتحرير من الذنوب والخطايا بل إنها اعتمدت كتبرير لما استحدثه بولس من

---

(١) المسيحية جينيبير ص ١٤٠ - ١٤١.

عقائد كالصلب والفداء والاتحاد وما شابه وبالتالي يمكن القول أن بولس ألغى التعميد بالمعنى الذي كان معروفًا عند النصارى وأحل محله ما استحدثه من عقائد مصاغة في صورة ما يسمى التعميد.

والحقيقة أن التعميد طقس قديم موجود لدى الأمم السابقة للنصارى ومن شعائر الديانات الوثنية القديمة [١].

٥ـ تحليل لحم الخنزير والخمر وسائر الأطعمة:ـ

من ضمن الأمور التي اتخذ قرارًا بتحليلها في مجمع أورشليم المأكولات التي حرمتها التوراة سوى ثلاثة أشياء بقيت محرمة كما هي: الدم والمنخنقة وما ذبح للأوثان، ولما كان لحم الخنزير محرمًا ونجسًا عند اليهود بنصوص أسفارهم [٢] لم ينص القرار على بقائه محرمًا كما هو فقد كان ذلك إيذانًا بأنه صار حلالًا.

وقد ذكرنا ما يؤكد أن القرارات التي اتخذت في هذا المجمع لم توافق عليها الجماعة الأولى وهو ما يجعلنا نقول إن ما صدر عن هذا المجمع هو مما أحدثه بولس في النصرانية مما لم يكن من أصولها.

وعن تحليله لما حرم في التوراة نقول: (ونحن أن لا نضع عليكم ثقلًا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون) [٣].

بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك وحلل ما حرمه بالأمس، ولقد جمع ذلك في قوله إلى أهل رومية: (إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجسًا بذاته إلا من يحسب شيئًا نجسًا فله هو نجس) [٤]. وقال في رسالته إلى تيطس: (كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر بل قد

---

(١) حقيقة التبشير ص ١٢٠، ١٢٢.

(٢) أمثال ١١/ ٢٢، لاويين ١١/ ٧، تثنية ١٤/ ٨ وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٠.

(٣) أعمال الرسل ١٥/ ٢٩.

(٤) رومية ١٤/ ١٤.

تنجس ذهنهم أيضًا وضميرهم)[١]. وجاء كذلك على لسانه: (كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط عليّ شيء الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيدها وتلك)[٢]. ويقول أيضًا: (إن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة)[٣].

٦ـ تفضيل التبتل وتحريم الطلاق:

إذا نظرنا إلى العهد القديم نجده حافلًا بالنصوص الداعية إلى الزواج والتي تحض عليه[٤]. والشريعة اليهودية التي تمسك بها المسيح عليه السلام وأوصى تلاميذه بأن لا يغيروا منها ترى في الزواج واجبًا دينيًّا بل إنه أول المطالب التي وجهها الله للإنسان، ولم يصرح أحد من الرسل أن العزوبة أفضل من الزواج حتى وإن لم يتزوج.

ولكننا إذا جئنا إلى رسائل بولس نجده يقر الزواج كشريعة ولكنه يفضل عليه التبتل. وفي هذا يقول: (وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها ليوف الرجل المرأة حقها الواجب، وكذلك المرأة أيضًا الرجل ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل ليس له تسلط على جسده بل للمرأة لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضًا معًا لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم، ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله

---

(١) تيطس ١/ ١٥.

(٢) اكورنثوس ٦/ ١٢ ، ١٣.

(٣) اتيموثاوس ٤/ ٤ ، ٥.

(٤) تكوين ١/ ٢٧ ، ٢٨، تكوين ٢/ ١٨ ، تكوين ٩/ ١.

الواحد هكذا والآخر هكذا ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق)[١].

ويقول بولس: (أما العذراء فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأيًا كمن رحمه الرب أن يكون أمينًا فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة لكنك إن تزوجت لا تخطئ وإن تزوجت العذراء لم تخطئ ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد، وأما أنا فإني أشفق عليكم... فأريد أن تكونوا بلا هم غير المتزوج يهتم في ما للرب، كيف يرضى الرب، وأما المتزوج والعذراء فرقًا غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسدًا أو روحًا وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف يرضى رجلها... وأما من أقام راسخًا في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه فحسنًا يفعل إذًا من زوج فحسنًا يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن. المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيًّا ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد ولكن في الرب فقط ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي وأظن أني أنا أيضًا عندي روح الله)[٢].

وفي هذا النص نلحظ ترغيبًا صريحًا في ترك الزواج، والزواج في نظره أكبر الهموم والمفترض التركيز على إرضاء الرب بخلاف حال المتزوجين وانشغال كلا الطرفين بإرضاء الآخر.

وقد أثرت هذه التعاليم - بترك الزواج أو تفضيل تركه - في النصرانية كثيرًا

(١) اكورنثوس ٧/ ١-٩.
(٢) اكورنثوس ٧/ ٢٥.

وبالغت الكنيسة في النظرة الزاهدة للزواج حتى وصلت إلى حد التطرف حتى إنه في القرن الرابع قرر أحد المجامع المحلية أن الزواج يمنع النصارى من الدخول في ملكوت الله [(١)].

ثم غلوا في ذلك غلوًّا بعيدًا حتى وصلت إلى أسوأ مستوى بعد ظهور الرهبنة حيث جعلت الشريعة الكاثوليكية الترهب مانعًا من الزواج [(٢)].

ويلاحظ أن أكثر المؤرخين يرجحون أن بولس نفسه كان متزوجًا لكنه لم يأخذها لتتجول معه لكي لا تعاق خدمته وأكد مفسر العهد الجديد أن بولس كان في وقت ما متزوجًا لأن بولس كان حاخامًا أو حبرًا من أحبار اليهود وطبقًا لعقائد اليهود كان الزواج التزامًا حتميًّا وكان الرجل الذي لا يتزوج ولا ينجب يقال عنه إنه يقلل من صورة الله في العالم ثم إن عضوية بولس في السنهدريم وقانون العضوية يحتم زواج أعضائه [(٣)].

وهذا التبتل كان له دور كبير في فساد الرهبان والراهبات وفساد الأديرة وما ذلك إلا لأن هذا يتنافى مع الجبلة البشرية ولا شك أنه لا يمت إلى دين الله بصلة.

وفيما يتعلق بالطلاق أو فك رباط الزوجية يذكر النصارى أن شريعة موسى عليه السلام أذنت به لأنه لو كان موجودًا من قبل إلا أنها قيدته [(٤)] ونهت عنه في بعض الظروف [(٥)].

وشاع في أيام اليهود الأخيرة وفي نصوص العهد الجديد أنهم لما سألوا المسيح عليه السلام عن هذا الأمر ليجربوه بكلامهم وبخهم ونهى عن الطلاق إلا

---

(١) نظام الزواج في الشرائع ص ٦٩.
(٢) نظام الزواج في الشرائع ص ٢١٤.
(٣) تاريخ الكنيسة ص ١٦٠، تفسير العهد الجديد ص ١٠١.
(٤) تثنية ٢٤/ ١-٤.
(٥) تثنية ٢٢/ ١٧-١٩ و ٢٨، ٢٩.

لعلة الزنا حسب زعمهم[١].

بل إن النص الوارد عن عيسى عليه السلام - على فرض صحة نسبته إليه - لم يرد على سبيل التشريع وإنما كان من مقام الوعظ ولذا كان يحاول الدعوة إلى التخلق بأسمى الكلمات وهو ما يتضح في الإصحاح ١٩ متى[٢].

لكن بولس برسائله المتقدمة على الأناجيل يفهم من نصوصه منع الطلاق وأتى بنصوص تفهم أنه لا يفارق زوجته ولعل هذا مما كان أو ما آل إليه الأمر فيما بعد عند الكاثوليك.

فقد جاء في رسالة كورنثوس: (وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا - بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته)[٣].

وفي رسالته لأهل رومية: (أم تجهلون أيها الأخوة لأني أكلم العارفين بالناموس أن الناموس يسود على الإنسان مادام حيًّا فإن المرأة التي تحت الرجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي ولكن إذا مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل فإذا ما دام الرجل حيًّا تدعى زانية إن صارت لرجل آخر ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر)[٤].

فبناء على هذا حرم الكاثوليك تحريمًا باتًّا فصم الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه حتى في حال الزنا وكل ما يبيحونه في حال الزنا الانفصال الجسماني بين شخص الزوجين مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما شرعًا فلا يعقد لأحدهما على

---

(١) متى ٥/ ٣١، ١٩/ ٩، مرقس ١٠/ ١١، لوقا ١٦/ ١٨، وانظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧٧.

(٢) متى ١٩/ ١٦-٣٠.

(٣) اكورنثوس ٧/ ١٠-١١.

(٤) رومية ٧/ ١-٣.

آخر. أما الأرثوذكس فأباحوا الطلاق في حالة الزنا مع تحريم الزواج على المطلق أو المطلقة بعد ذلك [١].

وفي ختام هذا الفصل يتضح لنا أن بولس كان يقصد التحريف لأن كان بين يديه كما ذكرنا إنجيل المسيح الذي فقد عن قصد لتحريف المسيحية ويُفعل بها وبأتباعها ما لم يستطع بولس أن يفعله بالقوة، فاليهود هم الذين دفعوا بولس ليغير معالم المسيحية ويجعلها ديانة جديدة منفصلة عن اليهودية مليئة بالأفكار الوثنية.. فهذا هو أسلوب اليهود دائمًا الخداع والنفاق والتكتم وعدم إطلاع غيرهم على حقائق الأمور ولو قارنّا بين موقف بولس وبين موقف عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وأشعل الثورات ونشر من المبادئ الفاسدة ما كان يعجز عن عمل جزء قليل منه لو ظل على يهوديته، ولكن الفرق بينهما أن أفكار عبد الله بن سبأ لم تستطع أن تعيش وتنمو كما نمت أفكار بولس ذلك لأن القرآن كان محفوظًا ومكتوبًا وهو خير حارس للإسلام، أما إنجيل عيسى فضاع بين طيات الأحداث، فلم يكن للمسيحية عماد يحميها من هذه الصدمات العنيفة التي أنزلها بها أعداء من الداخل وأعداء من الخارج فخرت مسيحية عيسى وقامت على أنقاضها مسيحية بولس. كما يتضح أيضًا مدى الاختلاف والتضارب بين ما دعا إليه عيسى عليه السلام وما انتهى إليه بولس في دعوته وأن المعتقدات والأحكام الأساسية للديانة النصرانية المعاصرة ليست من تعاليم المسيح عليه السلام وإنما وضعها بولس فهو المؤسس لكل ما ذكرنا.

وإلى بولس هذا ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة حتى الآن وهو الذي دعا الكنيسة إلى استخدام التراتيل والترانيم والأناشيد والأغاني الروحية والمزامير [٢] وما إلى ذلك من تصورات ومعتقدات وطقوس ومراسيم [١].

---

(١) نظام الزواج ص ٢٠٨.

(٢) أفسس ٥/ ١٩.

وينقل صاحب ينابيع المسيحية قول رئيس الشمامسة (فورد): (وإنه ليدهشني أن يسمحوا ليهودي من طرسوس (بولس الرسول) خبير بأساطير اليونان والرومان الأولين وفلسفة أفلاطون التي كانت تدرس بمدرسة الإسكندرية تلك الفلسفة التي صيغ بها دين عيسى السلس وشوهه به مع أنه لم تسبق له معرفة شخصية عيسى ولا تعاليمه، ذلك الرجل الذي كان من ألد أعداء المسيح يدهشني أن يسمحوا له بالتسيطر على النصرانية إلى هذا الحد والمدى حتى غاير معالمها وخواصها وقلبها رأسًا على عقب)[٢].

ويرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للنصرانية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها.

ومثل هذا كثير في تاريخ الأديان وفي الإسلام كثيرون من هذا النوع من أشهرهم [عبد الله بن سبأ] اليهودي الذي تظاهر بالإسلام فأشعل الثورة ضد عثمان ﷺ ونشر المبادئ الفاسدة التي لم يستطع عمل شيء منها لو ظل يعلن يهوديته ولكن أفكار عبد الله بن سبأ لم تستطع أن تطمس دين الإسلام كما طمست أفكار بولس دين المسيح ﷺ لأن الإسلام مستقر بكتابه ورجاله ودولته والله عز وجل فوق ذلك متكفل بحفظه.

أما إنجيل عيسى ﷺ فضاع بين طيات الأحداث ولم يكن لديانته عماد يحميها من هذه الصدمات العنيفة التي أنزلها بها أعداء من الداخل وأعداء من الخارج فخبت دعوة عيسى ﷺ وقامت على أنقاضها دعوة أو نصرانية بولس.

وهكذا نستنتج مما سبق أن بولس بحكم نشأته الطرسوسية وثقافته النابعة من الفكر اليوناني - علاوة على اعتمادِهِ على رصيد من المذهب حول طبيعة

---

(١) راجع دراسات في النصرانية مزروعة ص ١٠١، المسيحية شلبي ص ١٢٧.

(٢) راجع ينابيع المسيحية ص ٥٩.

الإنسان وفكرة الإثم والعلاقة بين الخطيئة والموت ومهارته وذكائه وقدرته البارعة في أسلوب الجدل والمحاورة - استطاع أن يهدم الديانة النصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام حيث أحدث فيها أحداثًا جسامًا:

- أنه نادى ببنوة المسيح لله وألوهيته ووضع البذور التي خرجت النصرانية من كونها ديانة توحيد وأصبحت ديانة تثليث.

- اخترع قصة الفداء لتكفير الخطايا ونقل الديانة النصرانية من ديانة خاصة ببني إسرائيل إلى ديانة عالمية.

- ألغى التعاليم السماوية التي جاء بها المسيح عليه السلام كالختان وتحريم أكل لحم الخنزير.

- ألغى العمل بشريعة التوراة حتى فصل النصرانية عن اليهودية.

وهكذا نجده لعب دورًا خطيرًا في الديانة النصرانية بل أقام نصرانية تدين له أكثر مما تدين للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ومن هنا ذهب إلى القول أن بولس المدعو رسول هو مؤسس الديانة النصرانية [(١)].

يقول [مايكل هارت]: (إن عددًا من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة النصرانية هو بولس وليس المسيح وليس من المنطق في شيء أن يكون المسيح نفسه مسئولًا عما أضافه بولس وأتباعه فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه)[(٢)].

وهو ما اعترف به الكاتب النصراني [حبيب سعيد]: [أن بولس صاحب

---

(١) راجع أقوال العلماء في ذلك: النصرانية - شلبي ص ١١١، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى، عبد الراضي بن محمد عبد المحسن ص ٣٩٤ ٣٩٥، والإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام للقرطبي - تحقيق فايز عزام ١٤٠٥هـ رسالة دكتوراه ٢٥/ ٨٤٩.

(٢) الخالدون مائة ص ٢٥.

الفضل الكبير في وضع أركان النصرانية الأولى][1].

***

(١) راجع تاريخ المسيحية ١/ ٤٥.



الفصل الرابع

أثر رجال الدين والكنيسة في الانحراف النصراني

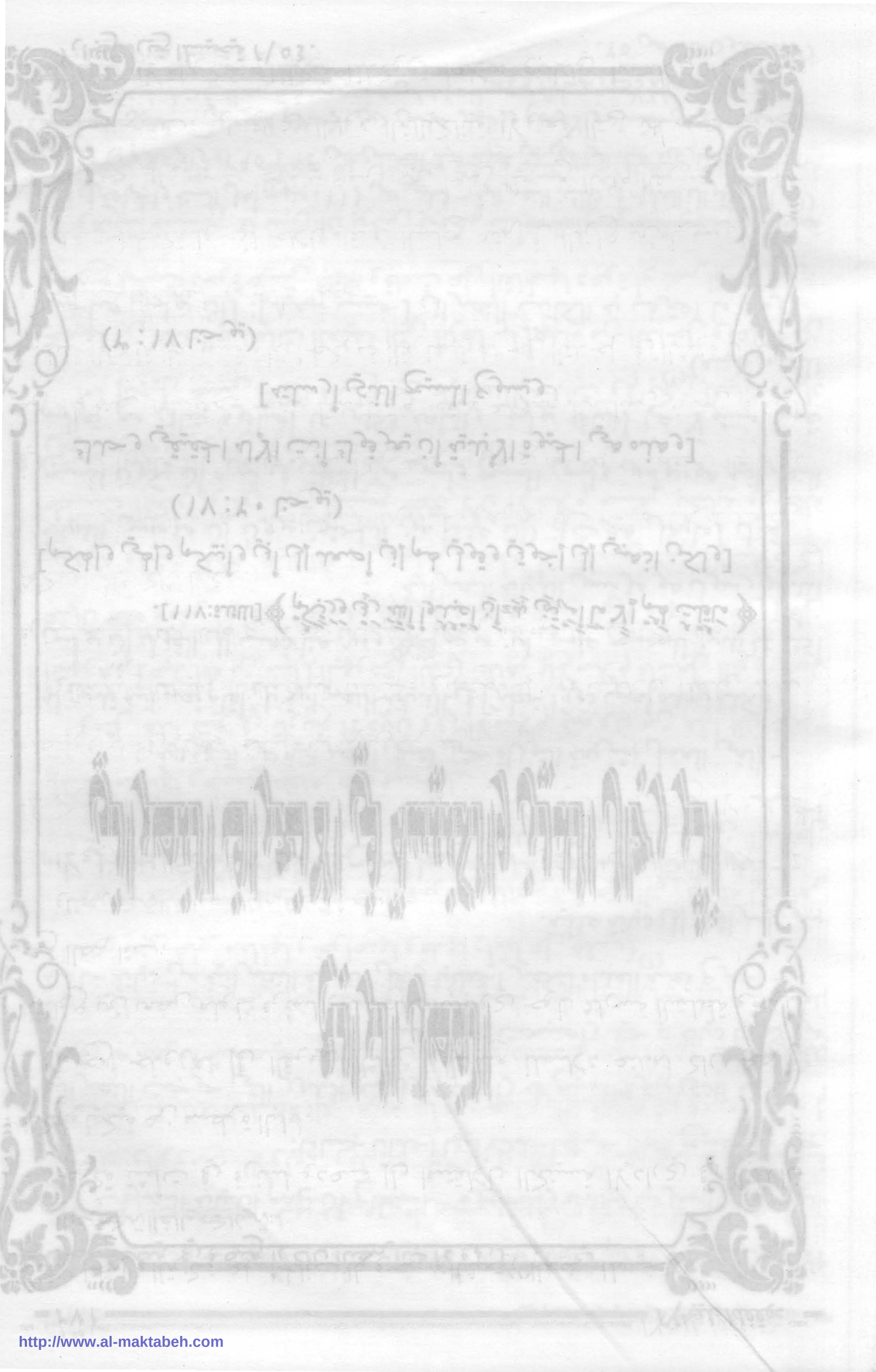
﴿ مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة:١١٧].

[ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم]

(يوحنا ٢٠: ١٧)

[وهذه هي الحيوة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته]

(يوحنا ١٧: ٣)



الفصل الرابع
أثر رجال الدين والكنيسة في الانحراف النصراني

نشأة الكنيسة: قبل أن نتحدث عن أثر الكنيسة ورجالها في إقرار الانحراف الذي طرأ على التوحيد في النصرانية والمساعدة على شيوعه وتعميمه على النصارى في كل مكان رأينا أن نعطي لمحة موجزة عن نشأة الكنيسة نعرف من خلالها متى نشأ هذا النظام الكنسي الذي أصبح من حقه أن يثبت ما شاء أو ينفي ما شاء وأصبح من حقه إقرار العقائد وصياغتها والتدخل في أسس العقيدة وأركانها.

ولدى مراجعتنا للمراجع التي تحدثت عن هذا الموضوع فإننا لم نجد أحدًا من النصارى قال بأن نظام الكنيسة عرف زمن المسيح عليه السلام كما أن النصوص الإنجيلية لم تنسب قط إلى المسيح تعبيرًا يدل على الكنيسة إلا في مناسبة واحدة وردت في إنجيل متى: (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي)[1].

ومع استغلال رجال الدين النصارى لهذا النص الذي يستشهدون به على أنه كان في نية المسيح بناء كنيسة أو أنه أمر بذلك إلا أن هذا النص بحد ذاته - إذا صح - لا يدل على الكنيسة بمعناها المعروف وإنما يشير إلى الثقة التي أعطاها المسيح عليه السلام لتلميذه (بطرس) ويشير إلى أن دعوته ستقوم وتنتصر بين الناس على أكتاف المؤمنين بها المخلصين أمثال تلميذه (بطرس) فهو أراد أن يمتدح تلميذه (بطرس) فأعطاه لقب الصخرة كناية عن الثبات والصمود.

إن دعوة المسيح عليه السلام خاصة لبني إسرائيل وهي من البساطة واليسر بحيث لا تحتاج إلى هذا التنظيم الكنسي الذي نشهده وهذه المناصب الكثيرة وإلى هذا الجهاز من الكرادلة والمطارنة والأساقفة والبطاركة والشمامسة وغير ذلك من ألقاب ما عرفها المسيح ولا سمع بها.

---

(1) متى ١٦/ ١٨.

ومع بداية القرن الرابع تتغير الأحوال، يقول الأستاذ «جيني بير»: (إذا تأملنا المسيحية في مقتبل القرن الرابع فإنهُ يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين فبدلًا من جماعة محدودة من اليهود لا يفرق بينهم وبين باقي أمتهم سوى أمل خاص.. بدلًا من ذلك نجد مجتمعًا دينيًّا واسع النطاق يدخل فيه - دون تمييز لجنس أو لطبقة معينة - كل من يرى في نفسه القدرة الكافية مجتمعًا يدرك تمامًا أنه يشكل وحدة متكاملة وأنه هو الأمة المختارة أي «كنيسة المسيح»).

والأستاذ «جيني بير» يتحدث إلينا عن تطور فكرة الكنيسة وكيف نمت هذه الفكرة مع بداية القرن الثاني حتى تجلت واضحة في بداية القرن الرابع فهو يقول: (إن المسيح لم ينشئ الكنيسة ولم يردها) ويؤكد هذه الحقيقة فيقول: (ولعل هذه القضية أكثر الأمور المحققة ثبوتًا لدى أي باحث.. إن عيسى كان يترقب حلول مملكة الله الوشيك ومن شأن هذا الأمل أن ينفي من منطقهِ كل فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوي لأتباعه).

وهكذا يمضي عهد المسيح عليه السلام دون أي تفكير بإنشاء مؤسسة الكنيسة، ولقد كان الحال كذلك في عهد حوارييه الذين حادوا عن طريقه فهم كذلك لم ينشئوا كنيسة قط، يقول الأستاذ «جيني بير»: (وإذا قلنا بأن المسيح صرح للحواريين الاثنى عشر بسلطة ما وهذا محل جدل حتى اليوم فمما لا شك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي هو من سلطان في التبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله ولم يصنع منهم قساوسة حيث لم يكن في حاجة إلى ذلك، وعلى أي حال فإننا عندما ندرس أعمال الحواريين لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسة).

أضف إلى ذلك أن الحاجة لإنشاء الكنيسة لم تنشأ إلا عندما أريد للمسيحية

أن تنتقل إلى العالم اليوناني الروماني، وكما يقول الأستاذ «جيني بير»: (يمكن القول بأن فكرة الكنيسة نشأت عن انتقال الأمل المسيحي من فلسطين إلى ربوع العالم اليوناني، وأيضًا إذا شئنا عن تطور هذا الأمل إلى العالمية).

وقد عرفنا أن الذي قوى هذا الأمل ونادى بعالمية المسيحية هو بولس، وفكرة بولس هذه نمت ونجحت في القرن الثاني [ونعتقد أيضًا أننا إذا وقفنا على أعتاب القرن الثاني لنتأمل المسيحية سوف نجد أن فكرة بولس الخاصة بوحدة المسيحيين جميعًا في الله قد ثبتت تمام الثبوت][1].

هكذا بدأت الفكرة [ويشير الباحثون إلى أن نظام الكنيسة وسلطة رجل الدين قد بدأ واضحًا في القرن الرابع حيث عد بابا روما رئيسًا للكنائس كلها وقد أصبح للبابوات نفوذ ضخم مع تدهور الإمبراطورية في الغرب][2].

ويشير المؤرخون إلى أن أقدم كنيسة هي كنيسة بطرس في روما، ولقد افترقت الكنائس تبعًا لافتراق النصارى ولكل فرقة من الفرق الثلاث المعروفة اليوم كنيسة تعتبر أمًّا للكنائس المنتشرة في كثير من أقطار العالم.

(والكنيسة الكاثوليكية هي كبرى كنائس العالم وهي ذات التاريخ الطويل في الدين والسياسة وهي التي حملت لواء الحروب الصليبية وحاملة لواء محاكم التفتيش).

هذه لمحة سريعة عن نشأة الكنيسة أثبتنا من خلالها أن الكنيسة في أساسها طارئة على المسيحية وبالتالي فلا غرابة أن تقوم برفع راية الانحراف بالنصرانية عن توحيدها في كل العصور.

ونحن حينما نتحدث عن أثر الكنيسة ورجالها في الانحراف لابد لنا أن

---

(١) المسيحية شارل جيني بير ص ١٣١.

(٢) الإسلام والفلسفات القديمة أنور الجندي ص ٢٠٨.

نتحدث عن تلك المجامع التي عقدها رجال الدين النصارى وهم رجال الكنيسة لأن الانحراف كله صدر عن هذه المجامع فهي مصدر أساسي من مصادر انحراف النصرانية عن التوحيد.

المجامع:

والقضية الأولى التي نود الحديث عنها حول هذه المجامع هي: أن كل مجمع منها ما عقد إلا لمعالجة مشكلة أو مناقشة قضية كثر فيها الجدل واحتدم فيها الصراع ونشأ عنها الخلاف الطويل بين رجال الكنيسة أنفسهم ومن اللحظة الأولى التي ابتدأت فيها المسيحية بالانحراف عن عقيدتها الأصلية الموحدة على يد بعض رجال الدين الذين تلبسوا بالمسيحية أمثال (بولس).

من تلك اللحظة بدأ الخلاف واحتدم الجدل حول أهم أركان العقيدة النصرانية وهو ركن الألوهية والتوحيد، وبينما كان الجيل الأول من النصارى لا يعرف غير التوحيد الخالص لله تعالى توالت أجيال من بعده احتكت بالفلسفة الإغريقية وبالوثنية الرومانية وأصبحت تلك النظريات الفلسفية تشكل قواعد اللاهوت المسيحي ومن الطبيعي أن لا يتفق الناس جميعًا على الباطل.. وحتى المتفقون على الباطل لابد لهم أن يختلفوا لأن سبل الباطل متشعبة:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وتعددت الآراء حول قضية الألوهية وطرحت عند النصارى فكرة تأليه المسيح عليه السلام تلك الفكرة التي نشأ حولها الصراع الدامي الطويل بين النصارى وانقسم النصارى بين مؤيد للفكرة ومعارض لها.

يقول الأستاذ «محمد فريد وجدي»: (كانت الكنائس النصرانية في الجيل

الرابع متوزعة بين أحدهما يقر بألوهية المسيح والآخر ينكرها)[١].

ولا شك أن كل حزب من هذين الحزبين كان يحتوي فرقًا متعددة ونحن لن نحاول استقصاء الفرق والآراء التي ظهرت حول طبيعة السيد المسيح ولكننا نتحدث عن أهم تلك الفرق أو بالأحرى ذات الأثر الكبير في تاريخ النصرانية وسنسلط الأضواء على الفرق الموحدة التي عارضت موجة الانحراف والتأليه، ومن خلال حديثنا عنها سنرى موقف رجال الكنيسة المعارضين لهم وبذلك يظهر لنا دورهم في إقرار الانحراف.

١ـ الحركة الأريوسية:

وأبرز الفرق التي عارضت تأليه المسيح فرقة الآريوسيين التي يعتبرها النصارى فرقة خارجة عن النصرانية ويعتبرون حركتها أخطر حركة في تاريخ الكنيسة ويصفونها بالهرطقة[٢].

يقول «ول ديورانت»: (أثناء حكم قسطنطين شهدت الإسكندرية قيام أخطر حركة إلحادية في تاريخ الكنيسة ذلك أن قسًّا مصريًّا تقدم إلى أسقفه حوالي عام ٣١٨م بآراء غريبة عن طبيعة المسيح)[٣].

ونحن هنا سنقف قليلًا مع «آريوس»[٤] لنتعرف على نشأته وأفكاره ونسير معه إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م باعتباره ما عقد إلا لأجله وسنرى من خلال رحلتنا هذه كيف قضى رجال الدين المنحرفون على هذه الحركة بسلطتهم الدينية تعاونهم سلطة الإمبراطور التي تدخلت فعليًّا لإقرار الانحراف

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ١٠/ ٢٠٣.

(٢) الهرطقة أو الأرطقة: كلمة يونانية من (artic) بمعنى الكفر تطلقها الكنيسة الكاثوليكية على كل مخالفيها.

(٣) قصة الحضارة ول ديورانت ١١/ ٣٩٢.

(٤) آريوس: ولد في ليبيا القيروان سنة ٢٧٠م ودخل في شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ثم رشحه البابا بطرس بطريرك الإسكندرية شماسًا سنة ٣٠٧م ثم قسًّا وواعظًا وكان ذكيًّا فصيحًا.

والقضاء على الحركة الآريوسية وبذلك انتصرت الكنيسة الكاثوليكية وأقرت التثليث الذي فرض على النصارى فقضت على الموحدين وأحرقت كتبهم وما بقى للأجيال سوى عقيدة التثليث التي يؤمن بها النصارى على اختلاف فرقهم.

والمراجع المسيحية كلها تتحدث عن «آريوس» عند حديثها عن الزندقة والإلحاد في المسيحية لذلك فإن كتبه ورسائله التي بين آراءه قد حكم عليها بالإعدام فلم يصلنا منها شيء ولولا ما دوِّن عن أخباره وآرائه في الكتب التي ردت عليه لما عرفنا عنه شيئًا.

صفاته:

ونحاول أن نتتبع صفات آريوس لنتعرف من خلالها على شخصيته يقول الدكتور «أسد رستم»: (وكان آريوس فيما يظهر عالمًا زاهدًا متقشفًا يجيد الوعظ والإرشاد فالتف حوله عدد من المؤمنين وانضم إليه عدد كبير من رجال «الإكليروس» الذين وجدوا في وعظه غذاء للنفوس فآثروا الإصغاء إليه»[١].

هذا ما وصفه به المؤرخ الدكتور «أسد رستم» وهو مسيحي بل هو مؤرخ كنيسة أنطاكية.

ويصفه مؤرخ كاثوليكي وصفًا كريمًا فيقول: (كان آريوس طويل القامة نحيل الجسم وذا مظهر تبدو فيه آثار خشونة العيش وكان معروفًا بأنه من الزهاد وكان له بين رجال الدين من المؤيدين»[٢].

وبناء على ذلك فإن «آريوس» نشأ في بيئة مسيحية خالصة دروس اللاهوت في الإسكندرية منذ ريعان شبابه واهتم بالمسائل الدينية وعرف بالتقوى والزهد والتقشف فعينه بطريرك الإسكندرية شماسًا ثم قسًا وواعظًا ووصف بأنه كان

---

(١) كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى د. أسد رستم ١/ ١٩٣.

(٢) قصة الحضارة ول ديورانت ١١/ ٣٩٢.

ذكيًّا فصيحًا يجيد الوعظ والإرشاد واستطاع بأسلوبه الحكيم وبما أوتي من قدرة وعظية أن يستميل لفكرته كثيرًا من المؤيدين معظمهم من رجال الدين المطلعين عليه، وإنا لنلمس من خلال هذه الأوصاف التي يصفه بها كتاب مسيحيون مناوئون له القوة والمنطق في آرائه.

فهو أولًا: رجل دين مطلع عاش المسألة في الكنيسة ودرسها وكان من الذين يجوز لهم الإطلاع على جميع الكتب الدينية الموجودة كما عرف بزهده وتقواه وهذا يشير إلى إخلاصه وعدم اتهامه بالزندقة وغيرها أضف إلى ذلك كله صموده وصبره الطويل أمام رجال الدين المنحرفين وأمام الإمبراطور نفسه بجبروته وعظمته. إن وقفته الصامدة ومواجهته لكل الضغوط إنما يدل دلالة واضحة على صدق ما جاء به ولذلك فقد كثر أتباعه وصبروا معه ولاقوا العذاب والاضطهاد في سبيل ذلك لأنهم مؤمنون أنهم على حق وهذا شأن أصحاب العقائد المخلصين في دعوتهم.

وإن الدارس لحركة «آريوس» وجهاده الطويل ليدرك فداحة الجريمة التي ارتكبها بعض رجال الدين الذين آثروا مناصبهم وآثروا إرضاء الدولة الرومانية الوثنية فباعوا دينهم بدنياهم ووقفوا ضد «آريوس» وحركته وهم موقنون بقرارة نفوسهم صحة آرائه.

أما عن آرائه فلقد أسلفت من قبل أن رسائله التي أوضح فيها آراءه لم تصلنا وما نقله المؤرخون عن عقيدته إنما كان مصدرهم فيه الكتب التي ردت عليه.

يقول الدكتور «أسد رستم»: (ولسنا نعلم الشيء الكثير عن آريوس هذا.. وقد ضاعت رسائله ولم يبق منها إلا مقتطفات يسيرة جاءت في بعض الردود عليه)[1].

---

(١) الروم أسد رستم ١/ ٥٦.

ومع ذلك فقد حوت هذه الكتب خلاصة عقيدته وإن كنا نود لو أننا عثرنا على هذه الرسائل لأنها ما من شك أنها حوت شروحًا كثيرة عن عقيدته لم تتضمنها كتب الذين ردوا عليه.

وقد لخص زكي شنودة عقيدة «آريوس» وآراءه فقال: (إنه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور منطو على نفسه وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتًا بأي شيء له نهاية، وهو فريد لا شبيه له، أزلي لا بداية له، صالح وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات وعندما شاءت إرادته أن يخلق عالمًا ذا نهاية احتاج إلى وسيط ولم يكن هذا الوسيط قوة خالقة، وإنما كان عاملًا بسيطًا علمه الأب كيفية القيام بهذه المهمة، وهذا الوسيط لم يأت من عند الأب بأن صدر عنه أو انحدر منه بل خلقه الأب خلقًا فهو إذن غير أزلي وهو مخلوق مثل باقي المخلوقات ولا يمتاز عنها إلا بكونه خلق قبلها وبأنه كان الواسطة التي استخدمها الله في عملية الخلق ثم بعد ذلك في عملية الغذاء وهو ليس مساويًا للأب في الجوهر بل بالعكس تتغير طبيعته مثل أي مخلوق وهو كأي مخلوق أيضًا قادر على عمل الخير والشر.. وهو أيضًا: معرض للخطأ ولا يستطيع أن يحيط بكل شيء)[1].

هذا ما نقله لنا صاحب موسوعة تاريخ الأقباط عن عقيدة «آريوس» وما كتبه الدكتور «أسد رستم» وغيره شبيه بذلك.

ولعل من تمام الفائدة أن نذكر المناظرة التي جرت بين «آريوس» وبين «أثنا سيوس» رئيس شمامسة الإسكندرية بحضور الإمبراطور «قسطنطين» في مجمع «نيقية سنة ٣٢٥م» وهذه المناظرة تعتبر المصدر الأصلي الوحيد لبيان عقيدة «آريوس» كما يذكر الدكتور «أسد رستم»[2].

---

[1] تاريخ الأقباط زكي شنودة ١/ ١٥.

[2] الروم أسد رستم ١/ ٥٦.

وقد أورد صاحب «تاريخ الأقباط» هذه المناظرة وقد دارت المناقشة بعد أن رأس الإمبراطور المجمع وطلب من «آريوس» أن يشرح مذهبه فقال: (إن الابن ليس مساويًا للأب في الأزلية وليس من جوهره وقد كان الأب في الأصل وحيدًا فأخرج الابن من العدم بإرادته والأب لا يمكن أن يراه أو يكيفه أحد ولا حتى الابن لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي»[1].

قال «آريوس» هذا بوضوح وصراحة أمام مؤيديه ومخالفيه من رجالات الكنيسة وأمام الإمبراطور نفسه رغم أن هذه الآراء لم ترض الإمبراطور إلا أنه لم يستطع الرد عليها لقلة علمه بالنصرانية أصلًا عندئذ يأتي دور المنافقين الذين يعيشون دائمًا على فتات موائد السلاطين لينتصروا لرأي السلطان ولو كان باطلًا حتى لو كان ذلك على حساب دينهم.

يقول «زكي شنودة»: فتصدى له «أثنا سيوس» رئيس شمامسة الإسكندرية ودارت بينهما هذه المناظرة:

آريوس: إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلًا: (خلقني أول طرقة).

أثنا سيوس: معنى خلقني هنا ولدني.

آريوس: إن الابن قال: (أبي أعظم مني)[2] فالابن إذن أصغر من الأب ولا يساوي في الجوهر.

أثنا سيوس: إن الابن دون الأب لكنه تجسد.. أي أنه بنا سوته يمضي إلى الأب الذي هو أعظم من ناسوت الابن وإلا كيف يتكلم بلاهوته إنه يمضي إلى الأب حال كونه في حضن الأب.

آريوس: إن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه:

---

(١) تاريخ الأقباط زكي شنودة ١/ ١٥٤.

(٢) يوحنا ١٤/ ٢٨.

[أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا ملائكة السماوات ولا الابن إلا الأب وحده][1]. فإذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلهًا؟

أثنا سيوس: إن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذي لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه.

آريوس: إن المسيح قال: [أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني][2] فهو إذن عبد للأب ودونه.

أثنا سيوس: إن المسيح تكلم عن مواضيع كثيرة بحسب كونه إلهًا صار إنسانًا كقوله: [إلهي إلهي لماذا تركتني][3].

[إني صاعد إلى أبي وأبيكم وألهي وإلهكم][4].

وبصفته إلهًا كقوله: [من رآني فقد رأى الذي أرسلني][5].

وقوله: [أنا في الأب والأب في][6].

***

هذه مقتطفات من المناظرة التي دارت بين «آريوس» وبين «أثنا سيوس» رئيس شمامسة الإسكندرية يصفه «ول ديورانت» بأنه البليغ المشاكس الذي جاء به «ألكسندر» بطريقة الإسكندرية ليقطع لسان معارضيه[7].

ولا شك أنها مقتطفات مبتورة ولا بد أنها تعرضت لشيء من التزوير لأنها وصلت إلينا عن طريق مؤرخين مسيحيين معارضين لآريوس.

---

(١) متى ٢٤/ ٣٦.

(٢) يوحنا ٤/ ٣٤.

(٣) متى ٢٧/ ٤٦.

(٤) يوحنا ٢٠/ ١٧.

(٥) يوحنا ١٢/ ٤٥.

(٦) يوحنا ١٧/ ٢١.

(٧) قصة الحضارة ول ديورانت ١١/ ٣٩٥.

ومع هذا فإن قوة المنطق تبرز من خلال كلام «آريوس» ولذلك فإن صاحب قصة الحضارة يشهد لإجابات «آريوس» بأنها: (منطقية صريحة قاطعة وقد سلم «أثنا سيوس» بما في تصوير أشخاص ثلاثة في صورة إله واحد من صعوبة، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما في الثالوث من خفاء وغموض)[1].

ومن خلال هذه المناظرة وما أسلفنا من بيان عقيدة آريوس نستطيع أن نحدد عناصر عقيدته بالأركان التالية:

١- وحدانية الله تعالى بذاته وصفاته.

٢- الله تعالى أزلي لا بداية له.

٣- احتياج الله إلى وسيط ليخلق العالم.

٤- الوسط هو المسيح (الابن) فهو مخلوق غير أزلي غير مساو للأب في الجوهر وبذلك أنكر ألوهية المسيح.

٥- الابن عبد الأب ودونه لا يعرف وقت الدينونة.

وتكاد هذه العناصر بعقيدة آريوس تشابه نظرة الإسلام لشخصية المسيح عليه السلام والعقيدة في الله تعالى.. ولكنها تخالف الإسلام بمسألة الوسيط الذي احتاج الله إليه ليشاركه في الخلق والإسلام نزه الله تعالى عن الشريك.

مقاومة رجال الكنيسة لآريوس:

بدأت مقاومة «آريوس» من قبل رئيس كنيسة «ألكسندروس» يقول «أسد رستم»: (وعلم «ألكسندر» بما علم «آريوس» ومنعه عما كان يعمل به).

لكن آريوس استمر بدعوته نشيطًا واستطاع أن يكسب أعدادًا كبيرة من رجال الدين وكثر مؤيدوه من الأساقفة خارج مصر وبين هؤلاء أساقفة كل

---

(١) كنيسة مدينة الله د. أسد رستم ١/ ١٩٣.

من: (نيقوميدية قيصرية فلسطين، بيسان، اللد، صور، بيروت، اللاذقية، عين ذرية في قلقيلية).

وتبعه عدد كبير من غير الأساقفة وكان هذا التأييد دافعًا قويًّا لآريوس للاستمرار بدعوته وحركته.

وعندما رفض آريوس أوامر سيده ألكسندروس الذي نهاه عن أقواله استدعى أسقف الإسكندرية بعض الأساقفة وألفوا مجمعًا حرموا فيه آريوس ومذهبه فقام آريوس وجمع مجمعًا حضره كثير من الأساقفة أثبت فيه مذهبه وحرم من خالفه[1].

لكن يبدو من كلام «أسد رستم» أن آريوس لم يتمكن من عقد مجمعه في الإسكندرية لأن ألكسندروس تمكن من نفيه ونفي أسقفين وستة قساوسة وستة شمامسة معه فقصد قيصرية فلسطين وكان أسقفها أفسابيوس المؤرخ يؤيد مذهب آريوس لكنه لا يجاهر به ثم ذهب آريوس إلى نيقوميدية وأقنع أسقفها برأيه فعقد مجمعًا محليًّا اتخذ فيه قرارًا بوجوب قبول آريوس وجماعته ووجوب الكتابة إلى ألكسندروس ليرفع عنهم الحرمان وكلف المجمع آريوس أن يكتب ذلك فكتب رسالة دعاها (التالية) ضمنها آراءه في الثالوث فرجت رواجًا ملموسًا.

وبعثوا الكتاب إلى أسقف الإسكندرية لكنه رفض ذلك فاجتمع بعض الأساقفة الأنطاكيين في قيصرية فلسطين ومنحوا آريوس وجماعته حق الرجوع إلى ممارسة الأسرار.

وهذا يدل على الرواج السريع الذي لاقته فكرة آريوس بين الأوساط المسيحية التي لا زالت ليومها لم تنحرف كثيرًا عن التوحيد.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ١٠/ ٢٠٣.

ومع هذا الرواج الملموس لم تعد القضية خلافًا بين آريوس وألكسندروس فحسب بل باتت مشكلة خلافية تهدد أمن الإمبراطورية الرومانية وسلطة الكنيسة.

إن أفكار آريوس أدت إلى انقسام رجال الدين إلى فريق مؤيد له ولأفكاره التوحيدية، وفريق مؤيد لألكسندروس وآرائه المؤلهة واحتدم الصراع وترددت في المدائن أصداء الضجيج والاضطرابات حتى كان المسيحي كما يقول يوسيبوس: (موضع السخرية الدنسة من الوثنيين حتى في دور التمثيل نفسها).

وكان هذا الخلاف موضع اهتمام الإمبراطور «قسطنطين» الذي كان يهمه بالدرجة الأولى أمن دولته واستقرارها. وهو الذي اعتنق النصرانية أصلًا لهذا الغرض كما يميل كثير من المؤرخين فهيّأ الأمور لعقد مؤتمر ديني كبير يضم رجال الدين من كافة أنحاء الدولة فكان مجمع نيقية سنة ٣٢٥م.

وقد حاول الإمبراطور من قبل إنهاء الخلاف فبعث إلى كل من «الكسندروس» و «آريوس» بوجوب التآلف ونبذ الخصام وكما يقول «أسد رستم»: (فإن الإمبراطور ألح في كتبه إلى وجوب طاعة الرئيس وأشار إلى أن الاختلاف العقائدي أمر فلسفي دقيق لا يستوجب ذلك الاهتمام) [1].

وبذلك يصرح الإمبراطور قسطنطين أن الأمور الدينية أمور فلسفية دقيقة لا أهمية لها.

وقد عقد الإمبراطور مجمع نيقية سنة ٣٢٥م بناء على اقتراح تقدم به «هوسيوس» أسقف إسبانيا الذي أرسله الإمبراطور لحل القضية في الإسكندرية بين آريوس ورئيسه فلم يفلح [2].

---

(١) الروم أسد رستم ١/ ٥٧.

(٢) قصة الحضارة ول ديورانت ١١/ ٣٩٤.

وجَّه الإمبراطور الدعوة إلى جميع الأساقفة في الدولة الرومانية وعين نيقية مركز الاجتماع.

أما عن عدد الذين حضروا هذا المجمع فتختلف الروايات التاريخية في ذلك فصاحب (قصة الحضارة) يذكر أن عدد الأساقفة لا يقل عن ٣١٨ أسقفًا يصحبهم حشد كبير من رجال الدين الأقل منهم درجة.

وصاحب (تاريخ الأقباط) يذكر أنه قد حضر ٣١٨ أسقفًا من كل أنحاء العالم المسيحي وفي مقدمتهم البابا «ألكسندروس» بطريرك الإسكندرية وبصحبته «أثنا سيوس» رئيس شمامسته، وأسقف إنطاكية، وأسقف قيصرية فلسطين، وأسقف القدس، وحضر مع أريوس أتباعه أساقفة نيقوميدية ونيقية وفلقيدونية ومعهم عدد من المفكرين والفلاسفة وقد بلغ مجموع الحاضرين نحو الألفين [١].

أما المؤرخ «أسد رستم» فيذكر عدة روايات في عدد المجتمعين، وسبعون في رواية «أفستاتيوس» أسقف أنطاكية وثلاثمائة في عرف «أثنا سيوس الإسكندري» [٢].

كما يذكر في كتابه الروم: (أنهم ثلاثمائة وثمانية عشر في رواية القديس هيلاريوس) [٣].

ويقول المؤرخ المسيحي ابن البطريق: (بعث الملك قسطنطين فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع في نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة) [٤].

ويظهر لنا من مجموع هذه الروايات أن عدد المجتمعين كان يزيد على

---

(١) تاريخ الأقباط زكي شنودة ١/ ١٥٤.

(٢) كنيسة مدينة الله أسد رستم ١/ ١٩٩.

(٣) الروم أسد رستم ١/ ٥٧.

(٤) محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة ص ١٣٨ الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ مطبعة المدني القاهرة.

الألفين من رجال الدين من البطاركة والقساوسة وغيرهم.

افتتاح المؤتمر:

يذكر الدكتور «أسد رستم» أن المجمع افتتح في العشرين من أيار سنة ٣٢٥م ودامت جلساته سبعة وتسعين يومًا.

واجتمع تحت رياسة «قسطنطين» وافتتح هو المناقشات كما يرجح ذلك صاحب (قصة الحضارة).

وذهب كثير من المؤرخين إلى أن الإمبراطور تدخل في قضايا النقاش وكان يفرض رأيه أحيانًا وقد نقل ذلك «أسد رستم» عن المؤرخ «أفسابيوس» حيث يقول: (إن الإمبراطور تدخل مرارًا في البحث لإقرار السلم والوفاق) كما نقل قول «روفينوس»: (إن بعض الفلاسفة الوثنيين حضروا الجلسات وناقشوا الأساقفة).

مع أن أسد رستم المؤرخ المسيحي الذي يعتبر مؤرخ كنيسة أنطاكية لا تعجبه هذه الآراء ويقول بأن رجال الاختصاص يردون هذين القولين.

لكن السرد التاريخي المجرد لأحداث المؤتمر تبين لنا اهتمام الإمبراطور بما كان يدور فيه من نقاش وأنهُ استعمل سلطانه كإمبراطور لفرض الآراء المؤلهة التي دافع عنها الفلاسفة الوثنيون والتي تعتبر أقرب إلى عقيدته الوثنية. كما أن جو الرعب والخوف من السلطان كان يخيم على هذا المؤتمر لأن الإمبراطور منذ دخوله المؤتمر أعطى جو الهيبة هذا ويصف الشيخ «إبراهيم خليل أحمد» المجتمعين وهم ينتظرون وصول الإمبراطور منصتين ثم أعطيت الإشارة بوصوله فانتصبوا إحرامًا وإجلالًا ودخل «قسطنطين» بالأرجوان والذهب ووراؤهُ بعض الحاشية.

ورغم اختلاف الروايات التاريخية في عدد الأساقفة الذين أيدوا «آريوس»

إلا أننا لو صدقنا بعض المؤرخين المسيحيين القائلين بأنه لم يؤيد «آريوس» سوى عشرين أسقفًا كما تقول «نهاد خياطة» وسبعة عشر أسقفًا كما يقول «ول ديورانت».

فإننا لا نعتبر ذلك دليلًا على أن جميع الأساقفة قد أيدوا التثليث ودافعوا عنه لأن العامل الأساسي لموقفهم هذا خوفهم من سلطان الإمبراطور، ويؤيد هذا ما أورده «ول ديورانت»: (بأن خمسة من الأساقفة قد رفضوا التوقيع على الصيغة التي خرج بها المجمع نقصوا آخر الأمر إلى اثنين» [1].

والسبب واضح هو الخوف من بطش الإمبراطور ومما لا شك فيه أننا لا نتوقع من جميع المخالفين أن يصبروا ويضحوا بأنفسهم في سبيل ما يعلمون صحته وقليلون هم أولئك الناس الذين يزهدون بالحياة في سبيل عقيدتهم.

على أن ما يرويه المؤرخ «ابن البطريق» يختلف تمامًا عن هذه الروايات فهو يتحدث طويلًا عن هذا المؤتمر ويصف أحوال المجتمعين وآراءهم فيقول: (إن منهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلـهين من دون الله. ومنهم من كان يقول إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، ومنهم من كان يقول: إن مريم لم تحبل به تسعة شهور وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزان. ومنهم من كان يقول: إن المسيح قد خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهرِهِ وإن ابتداء الابن من مريم، وإنه اصطفى ليكون مخلصًا للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية وحلت فيه المحبة والمشيئة، ولذلك سمى (ابن الله). ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدْل بينهما، ومنهم من يقول: بألوهية المسيح وهي مقالة بولس الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا) [2].

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ص ٣٩٦.

(٢) محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة ص ١٣٨.

ولقد سمع الإمبراطور «قسطنطين» كل هذه الآراء بالإضافة إلى رأي «آريوس» وأتباعه.

وعالج القضية من وجهتين:

الأولى: أن همّه الرئيسي إزالة الخلاف الذي يهدد أمن الإمبراطورية.

الثانية: إرضاء غالبية شعب الإمبراطورية من الوثنيين، إضافة إلى أن فكره لا يزال وثنيًا.

وبناء على ذلك فقد رجح رأي الذين يقولون بألوهية المسيح فصمم على أن ينجح هذا الرأي وينتشر وهو صاحب السلطة فرأى بذكائه وحنكته أن يعقد مؤتمرًا خاصًا للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي وكان عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة، وهذا ما قاله مؤرخهم «ابن البطريق» حيث يقول: (وضع الملك لثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا مجلسًا خاصًا عظيمًا وجلس في وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعها إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا، لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية).

وخرج هذا المجمع بعدة قرارات كان منها قرار (تأليه المسيح) أو ما سمي فيما بعد (وثيقة الأمانة) أو (قانون الإيمان النيقاوي).

على أن نص قانون الإيمان المعروف عند النصارى اليوم لم يكن كله في مؤتمر نيقية فقد تتابعت مجامع أخرى أضافت له نصوصًا. والتثليث لم يكتمل بشكله الحالي إلا في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م - وسيأتي ذكره إن شاء الله - حيث كان فيه تأليه الروح القدس.

أما قرار مجمع نيقية فهذا نصه كما أورده (القاموس المقدس): [نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، خالق كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع

المسيح ابن الله الوحيد مولود من الأب أي من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوّ للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء ما في السماء وما في الأرض الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وسيجيء ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس].

وأقر هذا القانون وفرض على النصارى رغم أن الذين وافقوا عليه إرضاء للسلطان ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا من مجموع ألفين وثمانية وأربعين كما هي رواية ابن البطريق.

ولنا أن نتساءل: ماذا كان رأي الذين لم يؤخذ رأيهم؟ على أن الرواة يقولون: (إن آريوس لما اجتمع بهم وألقى دعوته ونحلته إليهم انضم إلى رأيه من تلك النحل المختلفة).

وبذلك حقق الإمبراطور هدفه في التقريب بين النصرانية والوثنية، وفي ذلك توحيد للأمة الرومانية كلها وهذا ما يسعى إليه الإمبراطور.

أما مصير المعارضين بعد ذلك فيكفي أنهم أصبحوا أعداء الدولة بعد أن كانوا فقط أعداء رجال الكنيسة.

لذلك فإن «قسطنطين» طلب من المجلس الحكم على «آريوس» وعلى الأسقفين اللذين رفضا التوقيع على صيغة الأمانة فحكم المجلس على هذين الأسقفين وعلى آريوس الذي لم يتزحزح عن عقيدته أو يتوب حكم عليهم باللعنة والحرمان ونفاهم الإمبراطور من البلاد وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بحرق كتب آريوس جميعها ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام.

شأن الطغاة في كل عصر يلجأون إلى القوة والبطش حين يعجزون عن

مواجهة الحق بالمنطق والحجة.

واستعمل الإمبراطور كل ما يملك من وسائل القمع والإرهاب ضد الآريوسيين وأتلف كتبهم ومنع تداولها حتى لا يطلع الناس على ما يمليه عليهم رجال الدين المنحرفون.

ورغم كل هذا فلقد بقي آريوس وأتباعه صامدين على عقيدتهم لم ترهبهم قوة السلطان مع أننا لا ننكر أن لهذا المجتمع أثرًا عظيمًا في تثبيت قواعد عقيدة التثليث.

يقول المؤرخ «ول ديورانت»: (ولكن الإمبراطور أخطأ إذ ظن أن النزاع قد وقف عند هذا الحد غير أنه كان على حق، حين اعتقد أنه خطا خطوة كبيرة في سبيل وحدة الكنيسة، وكانت الكنيسة الكاثوليكية وكانت في الوقت نفسه إيذانًا باستبدال المسيحية بالوثنية وجعلها المظهر الديني والعنصر القوي للإمبراطورية الرومانية).

وبعد سنين متواصلة من مطاردة الآريوسيين كان لآريوس فيها مؤيدون كثيرون منهم أساقفة كنائس: (تمكن الأسقف الآريوسي «يوسيبيوس» أسقف قيصرية فلسطين من إقناع الإمبراطور أنه لا فرق بين إيمان آريوس وإيمان المجمع فأعاد الإمبراطور آريوس من منفاه وأرسله سنة ٣٣٠م إلى الإسكندرية).

ويذكر ابن البطريق أن «يوسابيوس» استطاع أن يتقرب إلى الإمبراطور حتى جعله بطريرك القسطنطينية فلما أن ولي هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية في الخفاء فلما اجتمع المجلس الإقليمي في صور وحضره هو وبطريرك الإسكندرية الذي كان يمثل فكرة ألوهية المسيح ويدعو لها.. انتهز «يوسابيوس» فرصة ذلك الاجتماع وأثار مقالة آريوس وكان في ذلك المجمع

كثير من الموحدين.. فاشتد النقاش بين رئيس كنيسة الإسكندرية وبين المجتمعين ولم يكتفوا بالنقاش القولي بل ضربوه حتى أدموه وكادوا أن يقتلوه.

وهذا يبين لنا مدى حماسة الموحدين من المسيحيين ونشاطهم في دعوتهم وفيه إشارة إلى أن معظم المسيحيين في ذلك العصر كانوا من الموحدين لأن التوحيد هو الأصل وفكرة التثليث وألوهية المسيح حديثة عهد بهم تبنتها ودافعت عنها كنيسة الإسكندرية المتأثرة بالمدرسة الأفلوطينية الحديثة التي كانت أفكارها تسيطر على الإسكندرية في ذلك الوقت وكانت تؤمن بنظرية التثليث الفلسفية التي تحدثنا عنها من قبل.

يقول ابن البطريق: (في ذلك العصر غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية وأنطاكية وبابل) ويقول: بأن الآريوسيين تغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية ووثبوا على «أثنا سيوس» بطريرك الإسكندرية الذي كان رئيس شمامسة «السكندروس» ليقتلوه فهرب منهم واختفى وكذلك وثب أهل بيت المقدس ومن كان منهم آريوسيا على «كوريس» أسقف بيت المقدس ليقتلوه فهرب منهم فصيروا «أراقليوس» أسقفًا على بيت المقدس وكان «ريوسيًّا»).

وفاة آريوس:

أما آريوس نفسه فقد عفا عنه الإمبراطور بعد النفي الطويل وعاد إلى الإسكندرية فاستقبله الناس باحتفال عظيم وحملوه على أكفهم فمات فجأة وسط هذا الفرح العظيم فاتخذ خصومه ذلك حجة على أنه مبطل.

ويذكر «محمد فريد وجدي»: (أن القضية فيما بعد أصبحت بين الكنائس الغربية والشرقية حيث غلب على الغربية طابع التأليه وعلى الشرقية طابع التوحيد وعقدت كل من الكنيستين مجامع محلية حرمت بها الأخرى).

وبعد هذا الحديث عن مجمع نيقية ونتائجه نود الإشارة إلى بقية المجامع

المسيحية التي تلت هذا المجمع نتبين من خلالها أسباب انعقاد هذه المجامع وخطورتها على عقيدة التوحيد لأن هذه المجامع هي مصدر الانحراف الأساسي، فما من عقيدة يؤمن بها النصارى اليوم إلا وقد أقرت في أحد هذه المجامع، وما من انحراف حدث إلا بموافقة أحدها عليه.

وما من مضايقة على الموحدين إلا وقد أقرت من قبل في مجمع منها.

ولقد كانت هذه المجامع تستعمل أداة بيد السلطان أو رجال الدين لضرب الحركات التصحيحية في المسيحية.. فهي التي أمدت في عمر التثليث وسيظهر لنا من خلال هذه النظرة السريعة لهذه المجامع وفي المجمع الثاني (القسطنطينية سنة ٣٨١م) ألَّهُوا روح القدس، وفي المجمع الثالث (أفسس الأول سنة ٤٣١م) تم تأليه مريم العذراء باعتبارها والدة الإله كما أن أحد هذه المجامع (مجمع رومة سنة ١٨٦٩م) قرر عصمة البابا وغيره منح الكنيسة حق الغفران والحرمان وسنقتصر على أهم هذه المجامع وهي:

مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م:

يقول صاحب تاريخ الأقباط: (كان الغرض من عقد هذا المجمع محاكمة أصحاب البدع ومنهم: «مقدونيوس» و «يوسابيوس» و «أبوليناريوس» وكان الأول أسقفًا أقامه الآريوسيون على القسطنطينية سنة ٣٤٣م ثم عزل سنة ٣٦٠م لمناداته ببدعة جديدة هي (إنكار لاهوت الروح القدس) إذ قال بأنه مخلوق كسائر المخلوقات، وقد ناقشه المجمع وحرمه وأسقطه من رتبة الأسقفية. وكان الثاني ينكر وجود الثلاثة أقانيم ويقول: إن الثالوث ذات واحدة وأقنوم واحد فناقشه المجمع ثم قاطعهُ وأسقطه من رتبته. وكان الثالث أسقفًا على اللاذقية والشام وقد أنكر وجود النفس البشرية في المسيح واعتقد أن لاهوته قام مقام الروح الجسدية في احتمال الآلام والموت وقال بتفاوت العظمة

بين الأقانيم، فالأب أعظم من الابن، والابن أعظم من روح القدس. وقد حكم المجمع بتحريمهِ وإسقاطه من رتبته. ثم وضع المجمع تكملة لقانون الإيمان الذي وضعه (مجمع نيقية) ابتدأت التكملة بعبارة (ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المميت) وتنتهي بعبارة (وحياة الدهر الآتي آمين).

ويعتبر هذا المجمع من المجامع المهمة عند النصارى لأنه كان مكملًا لمجمع نيقية ووثيقة الإيمان التي تؤمن بها الكنائس اليوم وضعت في المجمعين كما قلنا حيث أقر هذا المجمع ألوهية روح القدس ليتم الثالوث.

ويقول ابن البطريق في بيان قرارهم: (زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الذين اجتمعوا في نيقية الإيمان بروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود له وممجد، وثبتوا أن الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص وحدية في التثليث وتثليث في وحدية).

وتلاحظ في هذا المجمع أسلوب القطع والحرمان لكل مخالف وهذا يشير إلى السياسة التي اتخذتها الكنيسة ضد مخالفيها حتى استطاعت أن تثبت أركان عقيدة التثليث الغربية.

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م:

الغرض من عقد هذا المجمع (محاكمة أصحاب البدع التي ظهرت في ذلك الحين ومنهم «بيلاجيوس» و «نسطور» **أما الأول**: فيعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه وبذلك أنكر قضية الخلاص والفداء فناقشهُ المجمع ثم قطعه وأسقطه من رتبتهِ.

وأما «نسطور» وإن كان يعتقد أن المسيح فوق البشر إلا أنه أنكر ألوهيته وقد جاء في تاريخ الأمة القبطية عن نحلته ما نصه: (أما هرطقة نسطور هذه

فلم تكن كغيرها نشأت عن اختلاف في العقائد التي وضعها الآباء والأحبار بل هي جوهرية؛ ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلهًا في حد ذاته بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله لم يرتكب خطيئة).

أما أهم قرارات المجمع فهو تأليه مريم العذراء وذلك ردًّا على «نسطور» الذي قال بأن مريم لم تلد الإله.

وقد بلغ عدد أعضائه نحو مائتين من الأساقفة وقرروا كما ذكر ابن البطريق: (أن مريم العذراء والدة الله وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعيين متوحد في الأقنوم).

ومع نفي «نسطور» وطرده فقد انتشر مذهبه يقول ابن البطريق: (تكاثرت النسطورية في المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة).

وطبيعي أن ينتشر هذا المذهب لأن الناس في ذلك الوقت لم يكونوا على اقتناع بألوهية المسيح.

مجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م:

حكم ببراءة «أوطاخي» الذي كان رئيسًا لدير بالقرب من القسطنطينية تطرف في تعبيره في مجال الجدال مع الآريوسيين فحكم عليه أسقف القسطنطينية بقطعة في مجمع مكاني فعقد هذا المجمع استئنافًا للحكم فحكم ببراءته بعد اعترافه بتمسكه بالإيمان النيقاوي.

وأهم ما نلمسه من هذا المجمع أن رجال الكنيسة المؤيدين للتثليث يقفون بالمرصاد لحرمان كل مخالف. وبذلك انتشرت آراؤهم بالقوة والرهبة.

مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م:

يعتبر هذا المجمع من المجامع المهمة في تاريخ المسيحية ذلك لأن موضوعه في صلب العقيدة فهو يتعلق بطبيعة السيد المسيح عليه السلام وقد كان هذا المجمع

حادًّا فقد تعددت فيه الآراء والاختلافات، وقد طرد منه بطريرك الإسكندرية «ديسفورس» بالقوة فكان هذا المجمع أساس الانشقاق بين الكنائس إلى يومنا هذا.

وقد حضره كما يروي صاحب (تاريخ الأقباط) أساقفة روما وحضره البابا «ديسقورس» بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته وقد اشتد الخلاف بين الفريقين في اليوم الأول حتى إذا كان اليوم الثاني منع «ديسقورس» وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة المشرق وحكموا بعزل «ديسقورس» ونفيه ونادوا بعقيدة الطبيعيتين والمشيئتين مخالف بذلك قانون الإيمان.. وقد رفض «ديسقورس» أمر الإمبراطور (مريكان المتوفى عام ٤٥٩م) فأمر بنفيه ومات، وظلت الكنيسة القبطية محافظة على الإيمان الذي استشهد في سبيله لذلك فإن الكنيسة القبطية لا تعترف بهذا المجمع ولا بقراراته.

وأصدر هذا المجمع بيانًا يذكره «ابن البطريق» بقوله: (قالوا إن مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناسوت في الطبيعة الإنسانية وشهدوا أن: المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ولعنوا: «نسطور» و «ديسقورس» ومن يقول بمقالته ونفوه ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بأفسس ونفى ديسقورس إلى فلسطين).

فهذا المجمع الذي يعبر عن رأي أساقفة روما أو ما سمى بالكنيسة الغربية يؤمن بأن للمسيح طبيعتين: إنسانية وإلهية وهو بذلك يخالف «نسطور» الذي قال: بأن الأقنوم الابن عنصر إنساني فقط ويخالف قرار المجمع الثاني في أفسس الذي قال إن المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس فصار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة.

لقد كان هذا المجمع كما قلنا سببًا في انشقاق الكنيسة القبطية عن كنيسة روما وينقل لنا الشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ اللَّهُ سبب ذلك عن صاحبة كتاب (تاريخ الأمة القبطية) التي تقول: (لما طرق مسامع المصريين ما لحق ببطريركهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذي أصدر هذا الحكم.. وأعلنوا أن إيمان بطريركهم هو إيمانهم ولو خالفه جميع أباطرة القسطنطينية وبطاركة روما.

ما الذي حدث بعد ذلك؟

(نشأ الخلاف وصار في ربوع الدولة الرومانية دعاة للمذهب المصري ودعاة لمذهب روما أو المذهب الملكي كما سماه العرب من بعد، وقد استشهد من دعاة المذهب المصري «يعقوب البرادعي» وقد كان نشيطًا في دعوته يدعو الناس إلى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية حتى أطلق على هذا المذهب الذي يقول بأن للمسيح طبيعة واحدة باليعقوبية).

ومن المعلوم أن هناك مجامع كثيرة عقدها النصارى غير التي ذكرناها وقد ذكر صاحب كتاب (سوسنة سليمان) أنه قد أحصى المجامع العامة من القرون الأولى للمسيحية حتى سنة ١٨٦٩م فكانت عشرين مجمعًا.

وكان آخر مجمع مسكوني (عام) عقده النصارى سنة ١٩٦٤م وهو الذي أقروا فيه وثيقة اليهود من دم المسيح.

لا نريد استقصاء هذه المجامع واقتصرنا على المجامع الأولى المهمة وكان يهمنا المجامع التي ناقشت قضية التثليث أو طبيعة المسيح.

وقد رأينا موضوع الخلاف الشديد حول عقائد النصارى الأساسية وأسلوب الكنائس في الرد على مخالفيها.. ورأينا كيف أن هذه المجامع كان يلعن بعضها بعضًا أحيانًا.

ودراستنا لهذه المجامع ما كانت إلا لنثبت مدى خطورتها في إقرار العقائد الفاسدة أو نرى موقف رجال الكنيسة السلبي من عقيدة التوحيد فكان هذا الموقف أهم أسباب انحراف النصرانية عن التوحيد.

استمرار الحركة الآريوسية:

رغم استمرار الحركة الآريوسية بعد موت آريوس إلا أن الكنيسة الكاثوليكية وهي ربيبة الدولة والناطقة باسمها استطاعت فيما بعد أن تقضي على هذه الحركة واستطاعت أن تعمم أفكارها المنحرفة على الناس حتى نسى النصارى التوحيد واعتقدوا أن التثليث عقيدة أصلية في النصرانية، ولنا أن نتساءل عن مصير الآريوسية كيف انتهت هذه الحركة؟ ومتى كان ذلك؟

ولدى مراجعة المصادر التاريخية نجد أن تاريخ الآريوسية أصبح مجهولًا بعد القرن الرابع الميلادي حيث سيطرت الكاثوليكية فاضطر معظم الآريوسيين إلى التستر والظهور بأنهم من الكاثوليك وبقى هذا الاضطهاد الشديد من الكاثوليكية لكل من يظهر أفكارًا آريوسية حتى فاجأتهم الفتوحات الإسلامية فماذا كان موقف الإسلام من الآريوسية؟

إننا لا نجد في التاريخ الإسلامي الحديث عن هذه الحركة لأن معظم هؤلاء على ما يبدو دخلوا في الإسلام وقد كانوا عونًا للفاتحين لأنهم وجدوا فيهم خلاصًا من ظلم الكنيسة الكاثوليكية.

ومن المعلوم لدينا أن رسول الله ﷺ قد كتب لجميع الملوك المعاصرين له كتبًا يدعوهم فيها للإسلام وكان ممن كتب لهم «هرقل» ملك الروم وكان نصرانيًّا من علماء النصرانية وقد ورد كتاب رسول الله ﷺ إلى «هرقل» في صحيح البخاري في حديث طويل كان استفسارًا من «هرقل» لـ «أبي سفيان» عن محمد ﷺ ودعوته في هذا الحديث: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به

«دحية» إلى عظيم بصرى فدفعه إلى «هرقل» فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم.

من: محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم البريسين) [1].

وفي رواية صاحب الفتح بلفظ «الأريسيين» [2].

ونريد الآن أن نعرف معنى كلمة: (الأريسيين أو البريسين) الواردة في كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم.

يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: (قوله: الأريسيين جمع أريسي وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل وقد تقلب همزته ياء كما جاءت به رواية أبي ذر والأصيلي وغيرهما. قال ابن سيده: الأريسي: الأكار، أي: الفلاح (عند ثعلب) وعند كراع: الأريسي هو الأمير. قال الجوهري: هي لغة شامية، وأنكر ابن فارس أن تكون عربية.

يرجح ابن حجر: أنها بمعنى الأكارين أي الفلاحين. مستدلًا برواية مرسلة (فإن عليك إثم الفلاحين).

وقال الخطابي: إنما أراد: إنما عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليدًا لهُ.

وقد ورد تفسير الأريسين بمعنى آخر.. فقال الليث بن سعد عن يونس فيما رواه الطبراني في الكبير من طريقه: الأريسيون: العشارون يعني أهل المكس.

---

[1] صحيح البخاري ١/ ٦. (باب بدء الوحي) طبعة دار الفكر العربي للطباعة والنشر – عن طبعة دار الطباعة العامرة.

[2] فتح الباري ابن حجر ١/ ٤٢. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٨هـ.

لكن ابن حجر يرجح الرأي الأول بقوله: (والأول أظهر)[١].

أما ابن الأثير في (النهاية): فقد أورد ألفاظ (الأريسيين) ومعانيها فقال: قد اختلف في هذه اللفظة صيغة ومعنًى، فروي الأريسين بوزن الكريمين، وروى: بوزن: الشريبيين، وروى الأريسيين بوزن العظيميين، وروى: بإبدال الهمزة ياء مفتوحة البخاري.

أما معناها فقد قال أبو عبيد: هم الخدم والخول.

وقال ابن الأعرابي: أرس، يأرس، إرسًا، فهو أريس، وأرس، يورس، تأريسًا، فهو أريس. وجمعها: أريسون، وأريسيون، وأدارسة وهم الأكارون.

قال بعضهم: (إن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية فجاء على النسب إليهم)[٢].

ومن هذه المعاني التي أوردها الإمام ابن حجر والإمام ابن الأثير لهذه اللفظة نستطيع القول بأن علماء الحديث لم يتفقوا على ضبطها ولا على معناها. وقصر معناها على (الأكارين) لم يثبت عن الرسول ﷺ إلا بروايات مرسلة أو ضعيفة.

ونحن نرجح أن كلمة (الأريسيين) التي وردت في هذا الحديث إنما تدل على الفرقة الأريوسية وأن الرسول ﷺ قد أبلغ هرقل بأنه إن لم يسلم فإنما عليه إثم هذه الفئة التي كانت تشكل غالبية قومه وكانوا يؤمنون ببشرية المسيح وينكرون ألوهيته وكانوا يكرهون على القول بالتثليث من قبل دولة الروم.

ويؤيد هذا المعنى ما نقل عن ابن فارس أن الكلمة غير عربية وما نقله ابن الأثير عن بعضهم: (أن الكلمة تعني أن في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري ابن حجر العسقلاني ١/ ٤٢ - ٤٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير، تحقيق ظاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي ١/ ٣٨. دار إحياء الكتب العربية الحلبي ١٣٨٣هـ.

فجاء على النسب إليهم)[١].

وفي ختام هذا الموضوع الطويل نقول: (إن الحركة الأريوسية رغم كل الاضطهادات إلا أنها كانت تظهر بين الفينة والأخرى بأسماء متعددة لكنها تحمل نَفس الفكرة فكرة إنكار ألوهية المسيح).

وينقل لنا الأستاذ العقاد: (أن دعاة الإصلاح قد أعادوا البحث فيها خلال القرن السادس عشر فوقف الأكثر منهم عند التعبيرات القديمة وخالفهم سوسنس (So cinus) في مسألة الطبيعة الإلهية فنفى عن المسيح كل إلهية وتفرع على مذهب الموحدين (Unitarains) الذي نشأ في (بولونية) وقرر أن الإله لا يحل في البشر وأن السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إنسان كسائر البشر)[٢].

* * *

---

(١) إلى هذا المعنى ذهب الدكتور معروف الدواليبي في مقال له نشرته مجلة الإصلاح التي تصدر في دولة الإمارات العربية العدد الحادي عشر ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

(٢) الله؛ العقاد ص ١٧٥.



الفصل الخامس

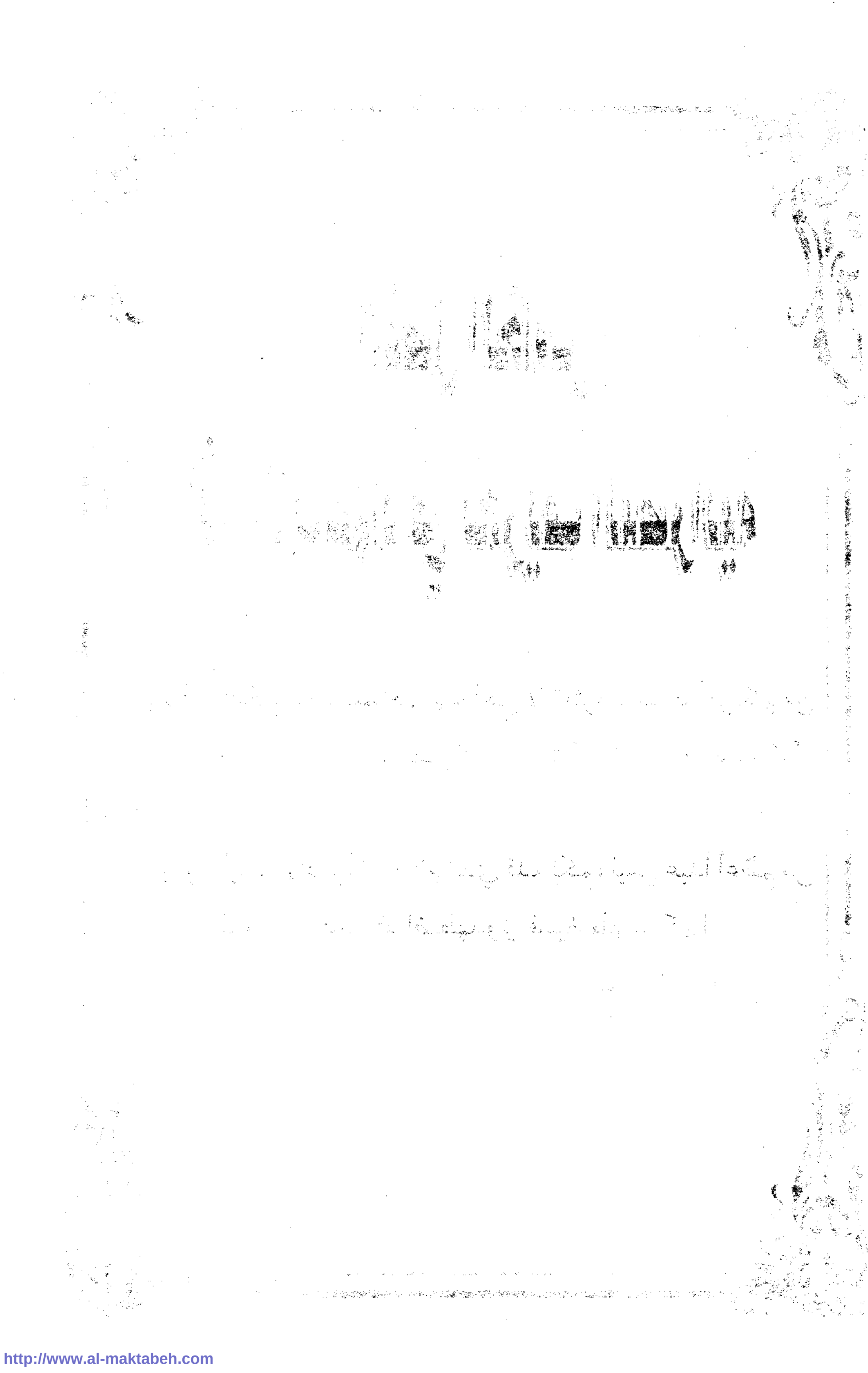
أثر الاضطهاد في تحريف النصرانية

يقول كتابكم: [قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا، سيخرجونكم من المضاجع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله]

(يوحنا: ١٦ :١ -٢)

ويقول أيضًا: [اذكروا الكلام الذي قلته لكم، ليس عبدًا أعظم من سيده، إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم]

(يوحنا: ١٥-٢٠)



الفصل الخامس
أثر الاضطهاد

ظلت النصرانية دعوة خاصة ببني إسرائيل طوال حياة المسيح عليه السلام على الأرض، وذلك لتصحيح ما طرأ على اليهودية بعد موسى عليه السلام.

ولكن الموقف العدائي من اليهود لهذه الدعوة والذي كانت خاتمته المؤامرات التي دبروها للخلاص من المسيح عليه السلام جعلت حوارييه المخلصين يهربون للنجاة بعيدًا عن ظلم اليهود ووحشيتهم، ومثّل هؤلاء اليهود الجبهة الأولى للعداء والاضطهاد.

وعندما خرجت الدعوة إلى التعاليم النصرانية عن نطاقهم وجدت إقبالًا من الشعوب الوثنية، وانتشر الدين الجديد في المناطق الخاضعة للحكم الروماني، مما عرض أتباعه الجدد لاضطهاد حكام الرومان.

بداية اضطهاد اليهود للجماعة النصرانية الأولى:

من المهم القول أنه مرت فترة من الزمن قبل أن يبدأ الاضطهاد كحملات منظمة لمحاربة النصرانية، وذلك أن عدد النصارى في هذه الفترة لم يكن بتلك الكثرة التي يخشى منها، فالسلطات الرومانية لم تنظر إلى الجماعة الأولى وأتباعها على أنها طائفة منفصلة عن اليهود، وكذلك السلطات اليهودية نفسها لأنها اعتادت على تعدد الطوائف اليهودية.

وظل رؤساء اليهود فترة من الزمن لا يعارضون قيام هذه الشعبة لصغرها، فلما تضاعف عددهم في بضع سنين قلائل، حتى زاد من ١٢٠ إلى ٥٠٠٠ شخص كما يذكر سفر الأعمال [١] استولى الرعب على قلوب الكهنة ومن ثم قبض على بطرس وغيره من الرسل [٢]، وجيء بهم أمام محكمة السنهدرين

---

(١) راجع أعمال الرسل ٤- ٤.

(٢) أعمال ٤/ ١- ١٨ ، ٥/ ١٢ - ١٨ ، ٨: ١- ٣ ، ٩/ ١ - ٩ ، ١٢ / ١ -٤ ، وانظر رسالة بولس إلى رومية١/ ١٨ -٣٢ .

لمحاكمتهم؛ فحكموا بجلدهم ثم أطلق سراحهم.

وبعد ذلك بزمن قليل استدعي أحد الذين عينوا للإشراف على جماعة المهتدين الجدد في دعوة المسيح ﷺ، واسمه: استفانوس، للمثول أمام السنهدرين، وكان متهمًا بأنه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله، وحكم عليه بالقتل (٣٥- ٣٦ م)، وعزم الفريسيون على استئصال الجماعة الأولى بالقوة.

واضطر جميع أتباع المسيح ﷺ باستثناء رؤساء الحواريين إلى الهروب من بيت المقدس إلى المناطق المجاورة [١].

والملاحظ أنه خلال هذه الفترة كان الاضطهاد يتم نتيجة اجتهاد السلطات المحلية أكثر من كونه سياسة عامة للدولة [٢]؛ لأن قادة اليهود ظنوا أنهم انتصروا على التلاميذ، ولكن تبين لهم أنهم لا زالوا يصرون على الدعوة لدينهم فعادوا لاضطهادهم اضطهادًا شديدًا بعد موت استفانوس [٣].

وقد نقلت كتب النصارى أن كهنة اليهود هم الذين حملوا راية التصدي لدعوة المسيح، ويروي لنا (كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة) بعض ما فعله الكهنة في ذلك، فيقول:

[أما رؤساء الكهنة فأينما سمعوا بوجود المؤمنين اقتفوا آثارهم ليضطهدوهم؛ فأرسلوا إلى دمشق شابًّا اسمه: شاول.

ومن الحقائق المقطوع بصحتها أن أنصار شاول الطرسوسي، أو (بولس) وخصومه، وإن كانوا مختلفين فإنهم يتفقون على أمر واحد ذي أهمية بالغة وهو

---

(١) راجع قصة الحضارة ١١/ ٢٤٣، تاريخ يوسيبيوس ص ٧٣ ، ومختصر تاريخ الكنيسة ١/ ٤١، وأعمال ٨/ ١.

(٢) الفكر الإسلامي ص ٥٥.

(٣) راجع أعمال الرسل ص ٨، ومختصر تاريخ الكنيسة ١/ ٤٥.

خطورة شخصية بولس، وعلى كبر دوره في تشكيل النصرانية الراهنة التي يعرفها الناس اليوم، فالواقع أن بولس يعد أبرز شخصية في الديانة النصرانية بعد المسيح عليه السلام، وذلك لما كان له من أثر بالغ في تحريفها وما آلت إليه.

كما اشتهر بكرهه للنصارى وبيده رسائل إلى اليهود يأمرونهم أن يسوموا المؤمنين الأذى وينكلون بهم [١].

٢ـ تزايد حملات الاضطهاد وفرار المضطهدين وظهورهم كطائفة مستقلة:

بدأ الاضطهاد يأتي من السلطة الحاكمة في البلاد.

ففي عهد أغريباس الأول - حفيد هيرودوس الكبير - والذي حكم اليهود من (٤١ - ٤٤م) واشتهر بتكهنه أثناء إقامته في روما فلما صار واليًا على بلاد فلسطين أراد أن يتودد إلى رجال الدين من اليهود ويسترضيهم فأثار اضطهادًا على النصارى وقبض على قوم منهم من بينهم يعقوب [٢] الزبدي وقتله بحد السيف سنة ٤٤م [٣].

وتزعم أغريباس حملة القضاء على النصرانية وملاحقة أتباع المسيح عليه السلام مهما كانت صفتهم وأينما كانوا يوجدون كانت الاضطهادات والسجون وإلقاء التهم الكاذبة عليهم بهدف إيجاد المبرر للقضاء عليهم [٤].

---

(١) راجع نصرانية عيسى ص ١٣٩ - ١٤٠، وانظر اضطهاد بولس، أعمال الرسل ٨/ ٣، أرض الإسراء ع ١١٥، رجب ١٤٠٨ - ١٩٨٨، مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي.

(٢) يعقوب الأكبر أحد رسل المسيح الاثنى عشر بن زبدى وأخو يوحنا الإنجلي لحق بالمسيح عليه السلام وشهد أهم المعجزات التي قام بها. معجم الحضارات ص ٩١٦.

(٣) يذكر صاحب كتاب الماسونية أن هيرودوس قرر هو واليهود إقامة جمعية عرفت باسم القوى الخفية لمواجهة المسيحية والقضاء عليها في الرابع والعشرين من شهر حزيران سنة ٤٣ ب.م وكان يتزعم هذه الجماعة زعيمان يهوديان: جيروم أبيود، ومو آب لاوي، وفي أول اجتماع بهم خاطبهم هيرودوس قائلًا: (إن الغاية من جمعيتنا هي إرجاع العالم إلى اليهودية وسحق تعاليم يسوع)، الماسونية ص ٥٤ ، ٦١ بتصرف.

(٤) راجع: أعمال الرسل ٤ : ١ ، ٥ ، ١٧.

وإزاء تصاعد حملات الاضطهاد انتشرت الدعوة في المدن اليهودية والسامرة وغيرها على أيدي النصارى المضطهدين أنفسهم [١]. وكذلك انتشرت في فينيقية وقبرص وإنطاكية [٢].

وتذكر مصادر النصارى أن أول من قصد تبليغ دعوة المسيح إلى غير اليهود هو فيلبس حيث قصد مدينة السامرة وأخذ يبشر أهلها بالمسيح عليه السلام وأصغت الجموع إلى كلامه وأن بطرس ويوحنا تابعوا دعوة فيلبس في المدينة السامرية ولاقوا قبولًا [٣].

وإنطاكية كانت أول مدينة تنصرت وهناك دعى التلاميذ بالمسيحيين لأول مرة سنة ٤٤م حيث برزت المجموعة المسيحية بمظهر الفرقة المسيحية كطائفة مستقلة [٤].

وعلى مدى ثلاثمائة عام امتدت يد التعذيب والاضطهاد للنصارى حتى استطاعت النصرانية بعد ذلك أن تحقق نصرًا جزئيًّا في مطلع القرن الرابع باعتناق قسطنطين النصرانية ثم كانت الاضطهادات فيما بعد بين أتباع المذاهب النصرانية المختلفة بعضهم لبعض.

وهكذا واجه النصارى أنواعًا عدة من الاضطهاد على أيدي اليهود فالرومان فالنصارى أنفسهم.

وقد كان لهذه الاضطهادات الأثر الأكبر في تحريف دين المسيح عليه السلام وضياع نصوصه المقدسة.

وقبل أن نعرض تأثيرات هذا الاضطهاد تجدر الإشارة إلى تساؤلات عدة

---

(١) راجع: أعمال الرسل ٨/ ٤.

(٢) أكثر المفسرين على أنها المدينة التي بعث إليها المرسلون المذكورون في سورة يس.

(٣) راجع: أعمال الرسل ١١/ ٢٦.

(٤) راجع: الفكر الإسلامي ص ٤٨، سيرة رسول الجهاد ص ٤١، وأديان العالم ص ٣٩.

طرحها د. شلبي في هذا المقام تعتبر مقدمة لما سنثبته من نتائج.

حيث قال بعد حديثه عن الاضطهادات: هل يمكن إثبات سند متصل لشيء كتب في هذه العصور؟ وهل وجدت ملة عيسى عليه السلام نصيبًا من الوجود حين حياته أو في حين آخر غير حياته؟ وهل الرسائل والأناجيل التي دونت في عهد الاضطهاد تحمل صفة الكتاب المقدس المنزل من عند الله؟

ثم هل يمكن لكاتبي الإنجيل وفي ظل ذلك الاضطهاد الديني أن يتحلوا بصفة الحياد العلمي؟ وأخيرًا ما مدى الثقة التي يعطيها التاريخ لما كتب في تلك العهود من الأناجيل في جو تتعسر فيه النظرة المحايدة[1]؟

وفيما يلي عرض لهذه التأثيرات ونبدأ بالنزاع الذي حصل بين ما يسمى النصرانية البولسية والنصرانية اليهودية - جماعة التلاميذ التي انفصلت عن بولس وتصادمت معه في مجمع أورشليم حول قضية الختان - هذا النزاع كان له أثره في توجيه بولس وأتباعه إلى دعوة غير اليهود.

والنصوص التي بين أيدينا اليوم بدأت بعد كثير من التعديلات بكتابات النصارى الأولى حوالي سنة ٧٠م في العصر الذي كانت فيه الخصومة بين الطائفتين المتنافستين على أشدها. ولما كان النصارى من أصل يهودي هم المسيطرون تقريبًا حتى سنة ٧٠م ثم ضعفوا بعد ذلك فهذا يفسر لنا كيفية ظهور الأناجيل فيما بين هذا العام وقبيل عام ١١٠م.

ويرى بعض الباحثين أن هذا يعد نوعًا من الاضطهاد حيث إنه لو لم يكن جو الخصومة المثار من انقسام الفكر البولسي لما وصلت إلينا هذه الكتابات التي بين أيدينا.

ويؤكد هذا بما ذكره د. شلبي: (إن حركة الاضطهاد والتي كانت موجهة

---

(١) راجع: أضواء على المسيحية ص ٢٧، كتاب يا أهل الكتاب تعالوا ص ١٣٤.

ضد المسيحيين الأصليين خرجت من هذا ظافرة مسيحية بولس ومسيحية الفلسفة الإغريقية. ولما كانت هذه المسيحية قد ابتدعت أشياء لا يرضى بها المسيحيون الأصليون كألوهية عيسى والقول ببنوته وتجسده ففقدت النصرانية طابعها البسيط السهل لا سيما بعد أن فقدت مركزها بعد تدمير الهيكل سنة ٧٠م وامتلأت بكثير من الخرافات ممزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في النصرانية) [١].

هذا عن الوضع والانقسام في بداية النصرانية وما تعرضت له من اضطهاد فكري إن صح التعبير.

أما عن الاضطهاد الفعلي على يد الرومان فقد نتج عنه الكثير من النتائج فقد كانت الأساليب القضائية لدى الرومان تتصف بالقسوة، وكان للاضطهاد آثاره التي تجلت في كثرة القتلى والذي نتجت عنه أحيانًا ضروب من الردة المؤقتة كما حدث في عهد ديسيوس.

ونقل بلليني عام ١١٢م أن بعض النصارى نبذوا دينهم من عشرين سنة مضت وكان هذا الاضطهاد ينتهي أحيانًا إلى حماس ديني ينتشر بين الناس مع المغالاة فيه [٢].

وقد مرت على النصرانية في تاريخها المبكر هذه الاضطهادات والتي جعلت هذه الديانة تعيش مرحلة التذبذب في العقائد لا سيما بعد أن فقدت التلاميذ المخلصين ورجال الدين الأصليين - الجيل الأول الذي عاصر المسيح ﵇ ونزول تعاليمه - فأصبحت في مهب الريح تذهب بها الأفكار والفلسفات من نقيض إلى نقيض آخر [٣].

---

(١) راجع: الإسلام والأديان، حلمي ص ١٩٤ - ١٩٥، والميزان الطهطاوي ص ١٤٦.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٢١٥، والتسامح والتعصب ص ١٠٦ - ١٠٧، وإظهار الحق ٢/ ٦١٣، وقصة الحضارة ١١/ ٣٨٠.

(٣) تاريخ المسيحية ١/ ٤٦، الأسفار المقدسة طعيمة ص ٢٤٣ - ٢٤٤، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل - هاشم جودة ص ١٢٢.

بل إن الاضطهاد نتج عنه دخول عدد من النصارى في الوثنية وهو ما أدى إلى ضعف عام في التدين [١] فكان أن تشربت النصرانية بعض التيارات التي عاصرتها كالمانوية وغيرها نتيجة المخاطر الحقيقية الناتجة عن اضطهاد السلطات الإمبراطورية [٢].

وتميز النصف الثاني من القرن الثالث بفوضى عقدية سائدة في الأوساط المثقفة إلى جانب بساطة الإيمان في الأوساط الشعبية وعمت الفوضى بسبب التأويلات التي نشرها المفكرون النصارى منذ أواسط القرن الثاني بحثًا عن تعبير يلائم بين ما في أيديهم من نصوص مقدسة وبين الثقافات الموجودة في البلاد التي هم فيها ودانت البلاد المضطهدة بما يراد فرضه عليها من المذاهب والتصورات [٣].

وفي فترة الاضطهادات أبيح ما حرم في التشريع النصراني مجاراة للرومان الحاكمين ولاستمالتهم للدخول في الدين الجديد [٤].

وهذه الاضطهادات جعلت كل ما يقومون به في شئونهم الدينية وخاصة ما كان متصلًا ببيان الشريعة يقومون به سرًّا لا جهرًا، وفي خفية عن الأعداء المترقبين. والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل النفس لا تطمئن إلى ما يحكى عما حدث فيها، ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ويتسامع الجمهور أمورًا ما حدثت في تلك الاجتماعات [٥].

ورافق هذه السرية صور كثيرة من الانحراف السلوكي والأخلاقي بالإضافة إلى الرهبنة التي ظهرت مع تزايد انتشار النصرانية في اليونان وبلاد

---

(١) النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١١٦.

(٢) الفكر الإسلامي ص ٨٠.

(٣) الفكر الإسلامي ص ٨٠، التعصب والتسامح ص ١٠٦.

(٤) The Rise Of Christianity ص ١٢٦.

(٥) محاضرات في النصرانية أبو زهرة ٣٢ - ٣٣.

الشرق مما أدى إلى انحطاط المستوى الديني والأخلاقي فكانت الرهبنة بمثابة رد فعل على هذا الانحطاط حيث كان الرهبان - وبتأثير الاضطهاد - يفرون بدينهم إلى حيث لا تنالهم يد البطش فيبالغون في هذه الرهبنة وما تتسم به من السرية [١].

وقد حاول بعض الكتاب أن يرد حياة الرهبنة إلى حياة المسيح ﷺ ولكن هذا رده غالبية الكتاب حيث قالوا: إن المسيح ﷺ أشار إلى الرهبنة إلا أنه لم يفرضها ولكن الاضطهادات كانت هي السبب في الانعزال ثم تطورت إلى الرهبنة إلى أن أصبحت مدارس منظمة [٢] تؤكد هذا التأثير البيئي [٣].

ولم يبدأ القرن الرابع إلا وقد تباينت عقائد الطوائف النصرانية واختلفوا في ذلك اختلافًا شديدًا، وحدثت صدامات بين تلك الطوائف؛ حيث تنازعوا في حقيقة المسيح، وتوسعوا في ذلك، وظهرت أقوال كثيرة مبتدعة [٤].

وهذه البدع التي ظهرت بين النصارى كانت سببًا في انعقاد المجامع للفصل في هذه الأقوال، وكذلك كانت السبب في انقسام الكنائس والتي مثلت المذاهب النصرانية فيما بعد.

ولا يستبعد أن يكون الاضطهاد أثر على ما ثبت من أحداث تاريخية عند النصارى مثل ولادة عيسى الخارقة التي آمنوا بها فكانت مثارًا لانطلاق الأخيلة في ظلمات الاضطهاد المنتشر في كل مكان [٥]. ولا يستبعد أن يكون قبولهم لما ظهر من عقائد الصلب والفداء والقيامة والحساب من هذه التأثيرات.

---

(١) الفكر الإسلامي ص ٨١، ٨٢، ٨٥، قصة الديانات ص ٤٤١.

(٢) أسد رستم في كتابه الروم نقلًا عن دعوة التوحيد ص ٣٢٥.

(٣) راجع: دعوة التوحيد ص ٣٢٥.

(٤) راجع: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٠، ما هي النصرانية ص ١٠٦، ١٤٦.

(٥) التعصب والتسامح ص ٩٦.

وكان من نتائج الاضطهادات الدينية سواء تلك التي وقعت من الرومان أو من اليهود على النصارى أو من بعض الطوائف النصرانية على الطوائف الأخرى كانت سببًا في انقطاع السند وضياع الأناجيل، فقد أعدمت كتبهم بالإحراق حتى انعدمت أو كادت تنعدم الصلة بالمسيح عليه السلام وما جاء به.

وقد اعترف علماء النصرانية في المناظرات التي كانت بينهم وبين مخالفيهم بأن تلك الاضطهادات والكوارث كانت سببًا في فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة إذ ضاع الإنجيل الأصلي وتعددت الأناجيل التي دونت على الظن والتخمين [1].

وحتى الأناجيل عندما فكر كاتبوها في كتابتها كتبوها في الظلام [2]، حيث تحولت الدعوة النصرانية إلى دعوة سرية، بل إن الأناجيل كتبت تحت الاضطهاد كتبها كاتبوها بلغاتهم الخاصة وظلوا يتناقلون نسخها سرًّا، وكان الداخل الجديد في النصرانية يأخذ عنهم التعاليم مشافهة بعد ترجمتها إلى لغته الدارجة ثم يبثها في بني قومه سرًّا، ولم يكن الدعاة يسمحون للأتباع بتلك النسخ أو يطلعونهم عليها خشية على أنفسهم وعلى الكتب أيضًا.

كل ذلك أدى إلى انحصار المصادر الدينية للنصرانية في أيدي فئة قليلة من الناس واقتصار شرحها وتأويلها عليهم وحدهم [3].

ورسالتا يوحنا الثانية والثالثة القصيرتان تشير إلى احتراز الأوساط النصرانية الآسيوية في التبشير وخشيتها من ردود الفعل الوثنية في هذه المقاطعة التي انتشرت فيها عبادة الإمبراطور.

---

(١) راجع: إظهار الحق ٢/ ٦١٣، دعوة التوحيد ص ٣٢١، عقيدتا التثليث والصلب، موقف الإسلام منهما، يونس ثوري ١٤٠٢هـ ماجستير، جامعة أم القرى.

(٢) راجع: نصرانية عيسى ص ١٣٩.

(٣) راجع: العلمانية ص ١٢٥ – ١٢٦.

بل إن هذه الاضطهادات ساعدت على صرف الطائفة النصرانية الجديدة عن الاهتمام بالكتابة والتدوين فاكتفت بمعتقداتها في عودة المسيح وانتظار الخلاص الوشيك على يديه [1].

إن بعض الأساقفة لجأوا - تحت نيران الاضطهاد - إلى تسليم الكتب المقدسة إلى السلطات الرومانية كما حدث في قرطاج.

وهكذا يكاد يجمع الجميع أن الفترات العصيبة التي مرت بها النصرانية كانت من أهم الأسباب في فقدان الإنجيل.

يقول «شارل جينيبير»: (وأول الصعاب التي تعترضها - أي المسيحية - نجدها في النصوص نفسها التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند والاضطراب وعسر التحقيق وأقدم هذه النصوص وأهمها هي تلك التي احتواها العهد الجديد [2].

ونقل صاحب الفاروق بين المخلوق والخالق عن علماء النصارى بأن الاضطهادات هي سبب ضياع الإنجيل الصحيح وصرحوا في كتبهم أن فساد النصرانية من جراء تلك الاضطهادات التي ظهرت سنة ٦٤م وتكرر وقوعها في سنة ٦٥م، ٩٥م، ١٠٧م، ١١٨م، ٢١٢م، ٢٢٥م، ٢٥٠م، ٢٥٧م، ٢٧٤م، ٣٠٣م إلى سنة ٣١١م حتى استقر الحال على هذه الأناجيل الموجودة حاليًا لدى النصارى [3].

ويتحدث القاضي عبد الجبار عن ذلك فيقول: (إن دين المسيح وديانات الرسل لم تتغير وتتبدل جملة واحدة ولكن على مر الأيام تدريجيًّا حتى يتكامل

---

(١) جذور البلاء ٩، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥١.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها جينيبير ص ٢٣.

(٣) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٥ بتصرف يسير وممن نقل عنهم المعلم مروان بولدن، والحكيم كوسون، والمعلم قبويس لادوك، والمعلم لادوك، والمعلم ستروس، والمعلم جالوليون، والمعلم بيار.

هذا التغير وما زال أهل الحق يقلون وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق [١].

* * *

(١) تثبيت دلائل النبوة ١/ ١٥٢.

الفرق والمذاهب والانشقاق الكبيرين للكنيستين

خلافات الفرق المسيحية:

ظهرت هذه الخلافات كنتيجة للاضطهاد والتعذيب الذي نزل بالمسيحيين أيام حكم دقلديانوس. وكان أول هذه الخلافات في النصف الغربي من الإمبراطورية في أفريقيا إذ أعلن كايكيليانوس أسقف قرطاجة المعين من قبل بابا روما عفوه عن جميع الكهنة الذين رضخوا لاضطهاد دقلديانوس ولم يتحملوا ما نزل بهم من تعذيب فسلموا الأناجيل لسلطانه لكي تحرق وبعضهم تراجع عن اعترافه وإيمانه بالمسيح.

فاعترض دوناتوس وهو أحد رجال الكنيسة المتطرفين على هذا العفو وأعلن انشقاقه عن كنيسة أفريقيا. وتجمع حوله بعض مؤيديه وانتخبوه أسقفًا بديلًا للأسقف المعين من قبل بابا روما نظرًا للآلام التي تحملها دوناتوس في سبيل دفاعه عن عقيدته أيام عهد دقلديانوس. واختار الإمبراطور قسطنطين ثلاثة أساقفة من بلاد الغال (فرنسا) للحكم بين الفريقين وضم إليهم بابا روما ١٥ أسقفًا إيطاليًّا من أتباعه وصدر الحكم بإدانة دوناتوس ولم يرض أتباع دوناتوس بهذا الحكم فاستأنفوه. ودعا الإمبراطور أساقفة يمثلون جميع ولايات الإمبراطورية. وجاء قرارهم مؤيدًا للحكم السابق ضد دوناتوس.

وللمرة الثانية رفض أتباع دوناتوس الحكم وطلبوا من الإمبراطور الحكم بنفسه في الخلاف.

وأدرك قسطنطين عدم جدوى اضطهاد دوناتوس وأتباعه فأصدر قرارًا بعدم إنزال عقاب ما بالمنشقين [وترك الحكم لله لينتقم بنفسه من دوناتوس وأتباعه]. وخرج قسطنطين من هذه القضية وقد أصبح له حق التحكيم فيما ينشأ من منازعات لاهوتية وأصبح يتمتع بحق دعوة مجالس الكنائس إلى الانعقاد. وذلك أضفى عليه مكانة مقدسة إذ أصبح (خادم الكنيسة المختار

عند الله والشبيه بالرسل).

وظهر خلاف مماثل في الشرق - في مصر هذه المرة - إذ أعلن أسقف كنيسة الإسكندرية العفو عن المسيحيين الذين كفروا إبان اضطهاد دقلديانوس ثم تابوا وعادوا إلى المسيحية فاعترض ميليتوس أسقف أسيوط على هذا التسامح وانشق معه عدد من مؤيديه على كنيسة الإسكندرية.

الفرق النصرانية وأثرها في تحريف النصرانية:

لقد بدأت العوامل المؤثرة في ظهور الفرق النصرانية منذ النصف الثاني من القرن الأول الميلادي وكُلٌّ منها يرى في العقيدة رأيًا يخالف الأخرى وكانت شخصية المسيح نفسها هي موضوع الخلاف ومحوره.

فقد ظل الكثيرون بعد رفع عيسى عليه السلام على إيمانهم بطبيعة المسيح كما عرفوه من قبل بشرًا رسولًا لم يرفعوه عن هذا المقام وكان من هؤلاء (الجماعة الأولى) التي تحدثنا عنها وأتباع آريوس وغيره من الداعين إلى التوحيد.

ويذكر بعض الباحثين أنه قد وجد في حياة المسيح من حاول أن يرفعه عن هذا المقام - مقام الرسالةِ البشرية - بالنظر إلى الخوارق والمعجزات التي جاء بها.

وكأن المسيح عليه السلام ساوره الشك في بعض الأتباع من غير الحواريين في فهمهم لحقيقته وحقيقة دعوته فقال لهم يومًا: [وأنتم من تعرفون أني هو؟ أجاب بطرس: أنت المسيح] [(١)].

وقد ورد في أعمال الرسل ما يؤكد وجود هذه النزعة المغالية من تأليه الأفراد لما يجري على أيديهم من خوارق المعجزات [فالجموع لما رأوا ما صنع بولس رفعوا أصواتهم قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما ووثبا نحو الجمع صارخين وقائلين: أيها

---

(١) متى ٨/ ٢٩، طبعة الأرثوذكس.

الرجال لماذا تصنعون هذا نحن بشر نقبل الآلام مثلكم ونحن نبشركم بأن ترتدوا عن هذه الأباطيل إلى الله الحي الذي صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها] (١).

وهكذا ذهب بعض الكتاب إلى أنه قد شاعت بعد رفع المسيح عليه السلام فكرة تأليهه عند بعض الفرق ووضعت البذور الأولى لهذه الفكرة في حياة المسيح وإذا كانت قد وجدت البذور في حياة المسيح عليه السلام وواجهها فإنها - وبعد رفعه - وجدت ما ينميها ويبرزها (٢) فظهرت إلى الوجود بدءًا بما نادى به بولس من ألوهية المسيح وبنوته لله وما تبع ذلك من العقائد المختلطة بالوثنية في البلاد التي دعا فيها إلى النصرانية مما يتواءم مع ديانتها.

ومهما يكن فإن ديورانت يقرر أن النصرانية مضى عليها نصف قرن من الزمان لاح فيها أنها ستؤمن بالتوحيد وتتخلى عن عقيدة ألوهية المسيح (٣). يقصد بذلك أيام آريوس ودعوته.

وكان لتمسك هؤلاء الموحدين الأثر الأكبر في شدة الاختلاف بين طوائف النصرانية الأولى حيث تباعدت شقة الاختلاف بينهم وبين غيرهم من غير الموحدين تباعدًا شديدًا.

وكان الخلاف يدور حول هوية المسيح: أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكبر من شرف السفارة بين الله وخلقه؟ أم له بالله صلة خاصة يكون فيها أكبر من مجرد رسول بحيث يكون فيها من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب؟ أو يكون ابنًا لله له صفة القدم كما لله تلك الصفة؟ وكل يزعم أن نحلته هي النصرانية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ودعا إليها

---

(١) أعمال الرسل.

(٢) راجع: إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية ص ٨٩، دعوة التوحيد ص ٣٣٨.

(٣) راجع: قصة الحضارة ١٢/ ٢٠.

تلاميذه من بعده [١].

ونتيجة لهذه الاختلافات وتباين تلك العقائد والمذاهب التي استمدها كل مذهب من بيئته انتشر الشقاق بين النصارى وتشعبت وجهات نظرهم منذ العصور الأولى [٢].

وقد سبق ذكر ما كان من أمر الخلاف بين بولس والجماعة الأولى بعد مجمع أورشليم واستمرت الخلافات وتطورت وإن كانت بقيت في أكثر الفترات كامنة لا تظهر إلا في حالات فردية في فترات الاضطرابات والكوارث التي نزلت بهم ولا ننسى في هذا المقام ما كان من بولس وأتباعه فيما بعد من إعراض عن الجماعة الأولى ومبادئها وبالتالي إعراض عن النصوص التي بين أيديهم شفوية كانت أم مكتوبة.

وما لاح القرن الثاني حتى كانت قد فشت في النصرانية آراء ملتوية ومذاهب شاذة حادت عن الرسالة المسيحية الأولى وجوهر الإنجيل [٣].

ولم توجد الكتب التي تعين على تقويم هذه المقالات وكل نحلة تروج بين الناس بقوة الداعي وحجته لا سيما أنه كان قد رسخ في أذهان الناس تعظيم المسيح عليه السلام ثم انتقلوا من التعظيم المعقول إلى الغلو المرذول [٤].

وهكذا كثرت الفرق والمذاهب في القرون الثلاثة الأولى بعد رفع المسيح عليه السلام فتكونت نتيجة لهذه الاختلافات والفرق المجامع المسكونية - التي بدأها قسطنطين بمجمع نيقية سنة ٣٢٥م وما تلاه - وأصبحت تمثل ركنًا من أركان التنظيم الكنسي [٥].

---

(١) راجع محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ص ١٢٢، باختصار دعوة التوحيد ص ٣٣٢.
(٢) راجع الاضطهاد الديني ص ٤٩، دعوة التوحيد ص ٣٣٢.
(٣) في موكب التاريخ عشرون قرنًا حبيب سعيد ص ١٩.
(٤) راجع محاضرات النصرانية، أبو زهرة ص ١٥٤، ١٥٥.
(٥) راجع دعوة التوحيد ص ٣٣٤.

وإن كان د. رؤوف شلبي يرى أن المجامع وما نتج عنها كان سببًا في تأصيل ظهور الفرق المسيحية وتبلورها[1].

أما القضايا العقدية التي دارت حولها اختلافات الفرق - وكانت من أهم العوامل في تكوين تلك الفرق والتي لعبت بها الأهواء والفلسفات المختلفة دورًا كبيرًا - فتتركز فيما يأتي:

١- ظهور فكرة الإله المثلث الأقانيم ومحاولة تأصيل مفردات الثالوث الأقنومي عند بعض الفرق.

٢- النزاع حول هوية المسيح من حيث ولادته ووفاته.

٣- النزاع حول ألوهية الروح القدس.

٤- النزاع في طبيعة المسيح عليه السلام ودعوى الناسوت واللاهوت.

٥- النزاع حول انبثاق الروح القدس.

٦- قضية الصليب وأنها من صميم العقيدة النصرانية.

عصور ظهور الفرق في النصرانية:

ويمكن أن نقسم عصور النصرانية إلى ثلاثة عصور من حيث ظهور الفرق ونشؤها:

١- عصر التوحيد:

والدعوة إلى التوحيد ظاهرة في بدء دعوة المسيح عليه السلام إلى رفعه ثم بدأ ظهور الخلاف والانحراف بعد رفعه عليه السلام ابتداءً من دخول بولس في النصرانية حتى انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. وقد كان للتوحيد في هذه المرحلة ظهور واضح كما أن بذور الفرق والانحرافات قد انغرست في ذلك العصر.

٢- عصر التثليث:

وبدايته من إقرار مجمع نيقية لألوهية المسيح عليه السلام ثم ما تلا ذلك بفترة

---

[1] راجع أضواء على المسيحية ص ١٢١.

وجيزة من إقرار ألوهية الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م وما تلاه من المجامع التي أقرت وثبتت التثليث في قراراتها.

٣ـ العصر الأخير:

عصر الانقسام ويبدأ بانعقاد المجمع الثامن:

- المجمع الثامن الغربي اللاتيني المنعقد سنة ٨٦٩م.
- المجمع الثامن الشرقي اليوناني المنعقد سنة ٨٧٩م.

واللذان تولد عنهما انقسام الكنائس إلى كنيسة شرقية وأخرى غربية [١] وأصبح لكل كنيسة طائفة تابعة لها تنادي بآراء معينة تخالف بها الطائفة الأخرى كما سنوضح في هذا الفصل.

أولا: عصر التوحيد:

لقد نشأ الصراع في هذا العصر حول قضية ألوهية المسيح وانقسم النصارى بين معارض لهذه الفكرة وهم الموحدون، وبين مؤيد لها وهم المنحرفون [٢].

ويشمل كل من الفريقين جملة من الطوائف وذلك على النحو التالي:

الموحدون:

كان التوحيد هو الطابع العام للنصرانية في أول أمرها كما ذكرنا آنفًا فقد كان هو عقيدة الجماعة النصرانية الأولى. وتشير المصادر النصرانية إلى أسماء أشخاص موحدين عرفوا بإنكارهم لألوهية المسيح عليه السلام وقولهم بالتوحيد وإن ورد في معتقداتهم بعض الأقوال المختلفة لكن يجمعهم إنكار ألوهية المسيح، ومنهم: كورنثوس، أمونيوس السقاص، كربوكراتس، بلاجيوس. حيث

---

(١) راجع أضواء على المسيحية ص ١٢١، ومحاضرات في النصرانية أبو زهرة ص ١٤٩.

(٢) راجع دائرة معارف القرن العشرين ص ١٠/ ٢٠٣، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٦٦، الدين والدولة لابن ربن الطبري ص ١٩٩ - ٢٠٠، الرد على النصارى للجعفري ص ٧١ - ٧٢، الفكر الإسلامي منابعه آثاره ص ٣٩ - ٤١، كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ١٣٨٥، المغني ٥/ ٨١ - ٨٥، تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٢٠، البدء والتاريخ ٤/ ٤٢ - ٤٦.

وردت أسماؤهم في الرسائل [١].

أما بالنسبة للفرق الموحدة فقد ظهرت في العقود الأولى بعض الفرق القائلة بالتوحيد المجرد وإن لم يبلغوا حد الشهرة وقوة النفوذ ونقاء المعتقد فعندها جانب من الانحرافات التي شاعت أو كانت شائعة بالنسبة لقصورهم عن فهم دعوة المسيح عليه السلام ولكنهم رغم ذلك يجمعهم القول بالتوحيد ونفي تأليه المسيح [٢].

وقد كانت هذه الفرق امتدادًا للجماعة الأولى - كنيسة بيت المقدس.

ومن أهم هذه الفرق:

١ـ الأبيونيون:

وقد عرفوا بهذه التسمية العبرانية الأصل (أبيونيم) والتي ربما تعني الأغمار لأنهم كانوا من نكرات اليهود، وقيل إن هذا الاسم هم الذين أطلقوه على أنفسهم بمعنى أنهم الفقراء إلى الله [٣].

وزعم صاحب كتاب (تاريخ الكنيسة) أنهم سموا بالأبيونين لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة فهذا الاسم يعبر عن فقرهم في التفكير [٤] وليس (أبيون) اسم زعيم هذه الفرقة فتنسب إليه كما ذهب د. وافى [٥]. فإن زعيمها يدعى (سيرنيش الفريسي) [٦].

ورث الأبيونيون الجماعة الأولى في الشام والعرق وهناك تشابه كبير بين هذه الجماعة وجماعة وادي قمران كما تدل عليه مخطوطات البحر الميت وقد استدل

---

(١) راجع تفصيل أقوالهم في دعوة التوحيد ص ٤٢٨ - ٤٣٥، تاريخ الكنيسة يوسيبيوس ٣/ ١٥٧، تاريخ الأقباط ١/ ١٤٣.

(٢) يجب ملاحظة أن المعتمد في الحديث عن هذه الفرق من حكاية خصومهم عنهم واحتمال الكذب والافتراء وارد هنا.

(٣) راجع الموسوعة النقدية ص ٤٣.

(٤) تاريخ الكنيسة يوسيبيوس ص ١٥٥.

(٥) الأسفار المقدسة وافي ص ١٢٤.

(٦) الموسوعة النقدية ص ٤٣.

بهذا كثير من الباحثين على أن جماعة الفقراء هذه قد مثلت الحق وهي البقية الصالحة مما كان عليه النصارى في أول أمرهم [١].

وقد ظهرت هذه الفرقة بعد خراب أورشليم سنة ٧٠م وقيل ظهرت في أواخر القرن الثاني الميلادي [٢]. وقد رفضوا القول بألوهية المسيح وقالوا: إن المسيح ليس سوى نبي.

وأطلق على هذه الجماعة أتباع كنيسة الختان لرأيهم في وجوبه وقد أخذت هذه الفرقة على عاتقها محاربة بولس وقد أقروا جميع شرائع موسى واعتبروا المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم.

وقد انتشرت أفكارهم في فلسطين والأقطار المجاورة ومراكز الشتات بل وبلغت روما ثم انقرضت في أواخر القرن الرابع الميلادي - أي بعد مجمع نيقية - بقوة الحكم والسلطان.

وتعتمد هذه الجماعة إنجيلًا غير الأناجيل الأربعة التي اعتمدت في هذا المجمع يقال له: (إنجيل العبرانيين) أو (إنجيل الأبيونيين) [٣].

٢- جماعة (الموحدين لله):

وهم جماعة موحدة، والفرق بينهم وبين الجماعة السابقة أنهم كانوا يستخدمون اليونانية وكانوا يواجهون النصارى المبتدعين الذين تأثروا بالديانة والثقافة اليونانية، ولذلك كانت هذه الجماعة أكثر انتشارًا في بلاد الشام وما جاورها.

ظهرت هذه الجماعة في أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث وقالوا بأن

---

(١) مذكرات الأديان.

(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٢٦٦ نقلًا عن رسائل الرسل.

(٣) راجع محمد في التوراة الطهطاوي ص ٨٦، اليهودية والمسيحية الأعظمي ص ٣٩٧، المسيحية بين التوحيد والتثليث ص ٨٦ - ٨٧، الأسفار المقدسة وافي ص ١٠٨ - ١٢٤، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٣٧.

الملك لله تعالى الواحد وليس معه ثان. وقد سماهم مخالفوهم برافضي الكلمة لأنهم رفضوا أن يكون الكلمة - أي المسيح عليه السلام - إلهًا لكنهم أقروا بأنه عليه السلام كلمة من الله ولدته البتول، ورفضوا دعوى المؤلهين بأن الكلمة والروح القدس إلهان وأكدوا وحدانية الخالق.

وأهم ممثليها أرتيمون (ت ٢٣٠م) في روما، وثيودوتس (ت ٢٢٠م). وقد ذكر أرتيمون أن عقيدة النصرانية الأصلية: الإقرار بعقيدة التوحيد الذي أنكره المبتدعون وذكر أن جميع الأساقفة كانوا على القول بالوحدانية إلى أيام فكتور (١٨٩ - ١٩٩م) [١].

أما أهم الفرق الموحدة والتي كان لها الأثر الكبير في تاريخ النصرانية منهم:

٢ـ الشمشاطيون:

وهم أتباع بولس الشمشاطي كان أسقفًا لإنطاكية سنة ٢٦٥م [٢] من أتباع أرتيمون وكانت عقيدتهم التوحيد الخالص، وأن عيسى عبد الله ورسوله وأنه إنسان لا إلهية ألبته [٣]. ويضيف النشار في عقيدة بولس الشمشاطي أنه كان يرى أن الله كرمه وسماه ابنه على التبني لا على الولادة والاتحاد [٤]. وأن الله جوهر واحد وهو وأتباعه لا يؤمنون بألوهية الكلمة ولا بألوهية الروح القدس.

ويسمون عند بعض المؤرخين بالبوليقانيين. وابن البطريق عندما يشرح مذهب بولس الشمشاطي يؤول كلامه بما يوحى أنه من المثلثين [٥]. وإن كان

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص ١٠٥.

(٢) راجع محمد في التوراة الطهطاوي ص ٨٦، اليهودية والمسيحية الأعظمي ص ٣٩٨، الملة والنحلة ص ١١٢ - ١١٣، الأسفار المقدسة وافي ص ١٢٤.

(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ص ١٥١، الفصل ص ١٠٩ - ١١٠.

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، النشار ص ٩٧، نشأة الطوائف المسيحية ص ٤٢.

(٥) محاضرات في النصرانية أبو زهرة ص ١٥١.

كلام الشمشاطي لا يوافق عقيدة المثلثين حال، وقد تعرض في تاريخ الكنيسة للاتهام بأنه من أكبر هراطقة الكنيسة في العصور الأولى [١].

وقد عقد في إنطاكية ثلاث مجامع في الفترة من سنة ٢٦٤م إلى سنة ٢٦٩م للنظر في أمره وقررت هذه المجامع حرمانه وطرده لكن بقي مذهبه وأتباعه حتى انقرضوا في القرن السابع الميلادي [٢]. بعد أن أصبحت عقيدة التثليث عقيدة النصارى بصفة عامة. كما سنرى فيما بعد.

٤ـ الأريوسيون:

وهم أتباع أريوس (٢٥٠م - ٣٣٦م) المشهور بالموحد كان قسيسًا في الإسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادي وعرف بنشاطه الديني واعترف به الأسقف الجديد (إسكندر) الذي تولى - رئاسة كنيسة الإسكندرية - عام ٣١٣م.

وكان اعتقاده بأن المسيح مجرد بشر وليس إلهًا وابنًا لله [٣]. ونقل أحمد عبد الوهاب: أن أريوس قد حاول أن يثبت أن المسيح هو الكلمة - كلمة الله - وبناء عليه فإنه لا يشارك الله في وجوده الحقيقي؛ إنه من جوهر مختلف عن جوهر الله الأب فهو ليس أزليًّا مع الأب، وهو مخلوق رغم أنه أول المخلوقات وأرقاها وقد كان هناك زمن لم يكن الابن فيه موجودًا.

وينقل عنهم مخالفوهم أن الأريوسية ترى أن المسيح أرقى المخلوقات به خلق كل شيء، وله علاقة خاصة مع الله فهو مخلوق رباني، ولكن العلاقة بينه وبين المخلوقات تتوقف على العطاء الإلهي والروح يقف بجانب الابن كجوهر

---

(١) تاريخ الكنيسة ص ٣٧٩.

(٢) راجع محمد في التوراة ص ٨٦.

(٣) راجع مختصر تاريخ الكنيسة ١/ ٢٧٦ - ٢٨١، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ٢/ ٢٨٧.

ثان مستقل [١].

وقد خلف (اثناسيوس) (إسكندر) في رئاسة كنيسة الإسكندرية وقد خالف أريوس في عقيدته حيث ذهب إلى أن المسيح إله غير مخلوق يشارك الله في أزليته وكذلك الروح القدس، فالأب إله والابن إله والروح القدس إله فمن أراد أن يخلص نفسه - حسب زعمه - فعليه أن يعتقد بالثالوث [٢].

وقد تشيع لأريوس الكثيرون في الإسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية وحصلت افتراقات عدة داخل كنيسة الإسكندرية في تلك الفترة، وفي سنة ٣٢٥م حكم مجمع نيقية بطرد أريوس من الكنيسة وكفره، وأصدر قراره بألوهية المسيح فبدأت فرقته في الانقراض [٣].

ولم يكن أريوس أول من دعا إلى هذه العقيدة فبعض المصادر النصرانية تذكر أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح [٤].

وبعد أريوس كان ملتوس قسيس كنيسة أسيوط قد ذهب مذهب أريوس في عقيدة التوحيد وقد انقرضت الفرقة الأريوسية ومن تبعها بعد مجمع نيقية [٥].

ثانيا: المنحرفون:

في هذا العصر وبجوار الموحدين وجدت آراء من دخلوا في النصرانية وفيهم بقايا وثنية ففهموا النصرانية على ضوء ما عرفوه وما استقر في نفوسهم من آراء

---

(١) راجع طائفة الموحدين ص ١٠ - ١١ - ١٦، فلسفة الفكر الديني ٢/ ٢٨٧، تاريخ الأقباط ص ١٥٠ بتصرف، المسيحية بين التوحيد والتثليث ص ٨٨، رسائل الرسل ص ١٦٢ - ١٦٧.

(٢) راجع نشأة الطوائف المسيحية ص ٤٢ - ٤٣.

(٣) راجع محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، الطهطاوي ص ٨٧، أضواء على المسيحية ص ١٢٢، طائفة الموحدين ص ١٢ - ١٣.

(٤) نشأة الطوائف المسيحية ص ٢٩ - ٣٠.

(٥) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، الطهطاوي ص ٨٧.

ومعتقدات سابقة وهذه الفرق هي:

١ـ البولسية:

نسبة إلى بولس (شاؤول اليهودي) ويعتبر هو وأتباعه أول طائفة ظهرت في مقابل الجماعة الموحدة الأولى.

كما سبق وقد عقدنا فصلًا وتحدثنا عن انحرافات بولس وتحريفاته التي أدخلها على عقيدة التوحيد في النصرانية وأشاعها بين أتباعه. وتعتبر الفرق الخارجة عن التوحيد في هذا العصر من ذيول جماعة بولس الأولى.

٢ـ الغنوصية الباطنية:

ظهرت في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الميلادي ويذكر الباحثون أنها مهدت السبيل للنصرانية الهللينية وكان ظهورها في الإسكندرية ويرجع الباحثون أصلها إلى يهود حادوا عن الطريق الصحيح. وتنسب إلى سيمون الساحر السامري الذي واجهه يعقوب وبطرس وقد زادت فتنتهم بعد سنة ١٣٥م وكانت تهدف إلى فصل النصرانية عن اليهودية وإلباسها ثوبًا هللينيًّا فأدخلوا الفلسفة الهللينية عليها واشتهروا بطقوس الإباحة والفحشاء ورفض التشريع.

وقد قالوا بإلهين: إله الخير، ويقابله إله الشر خالق المادة والشر. وتدعى العالمية وترفض حصر الدعوة في بني إسرائيل وقد اندثرت هذه الطائفة ومن ينتسب إليها ولكنها مهدت قبل اندثارها لتحريف النصرانية الحقة وظهور النصرانية المثلثة [١].

ومن العلماء من ذهب إلى أن المذهب الغنوصي ظهر أو يعود إلى (ساتورينيوس) الذي كان يعلم في إنطاكية زمن تراجان وقد ذهب إلى أن العلم

---

(١) راجع Astudy of early Christianity ص ٣١٦ - ٣١٧، نشأة الطوائف ص ٤٠، and hought of the early Church History ص ٤٥.

نشأ بواسطة سبعة ملائكة أحدهم كان إله اليهود وهذا العالم يحتوي على شعلة الحياة من الأب ولقد نزل المخلص الذي لم تكن له ولادة بشرية ولا جسمًا بشريًّا لمساعدة الطيبين الذين لم يكونوا يملكون هذه الشعلة ويكون الخلاص من خلال الزهد والتنسك ونجحت هذه التعاليم بصورة محلية في سوريا ثم انتقلت إلى أبعد من ذلك.

ومن الغنوصيين في الإسكندرية (باسيليدس) وكان يدرس في الإسكندرية ١٣٠م اعتمد على مذهب الرواقية فعنده أن الله الأعلى هو عدم الوجود وأسفل منه توجد ٣١٥ سماء والتي نشأت منه والتي لا نرى منها إلا أدنى سماء وآخرها وهذا هو موطن الملائكة الخالقة التي منها يعتبر إله اليهود هو الرئيسي وهذا الهبوط من عدم الوجود إلى العالم المادي لم يكتمل دون عوائق ودخلت الفوضى.

والهدف إعادة الانسجام ومع هذا الهدف نزل الإنجيل المتطابق مع الأعلى وحلَّ في يسوع ابن مريم وهكذا ثم أخذ يسوع الذي أوحى إليه دون معاناة لأنه عند الصليب كان سيمون السرياني هو الذي مات في الحقيقة.

وقد ألف باسيليديس أربعة كتب من التفاسير حول الكتاب المقدس وكان أول نصراني يسجل اسمًا في شرح فلسفة الدين المرتكز على النصرانية والمستمد من مصادر يهودية وثنية [١].

وأعظم شخصيات المذهب الغنوصي (فالنتينوس) والذي كان يعلم لروما أثناء حكم أنطونيو أي زمن كتابه راعي هيرمس [٢].

كان فالنتينوس أكثر تأثيرًا من باسيليديس (ت ١٦٥م) وكان يرى مثل باسيليديس أن الله كائن فردي متعال لا يمكن معرفته لكنه لم ينشأ من العدم

---

(١) The rise of Christianity ص ٢٠٥.

(٢) History and thought of the early church ص ٤٨ - ٤٩.

التام وقد احتفظ هو وأتباعه بإطار يهودي إلى حد كبير في أسطورتهم في الخلق [١].

٣ـ المرقيونية:

وتنسب إلى مرقيون (٨٥ - ١٦٠) وكان من أهم زعماء الغنوصية الباطنية التي تحدثنا عنها آنفًا وكان مرقيون قسيسًا من رجال القرن الثاني الميلادي اعتقد بوجود إلهين: أحدهما عادل اتخذ من بني إسرائيل شعبًا مختارًا له وأنزل عليهم التوراة، والإله الآخر إله الخير ظهر متمثلًا في المسيح وخلص الإنسان من الخطايا وأبطل أعمال الإله الأول، وذهب د. أحمد شلبي والشيخ أبو زهرة إلى أنه كان يقول: إن الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما [٢].

وبناء على هذا فإن هذه الطائفة لم تكن ترى قدسية لكتب العهد القديم بل ترفضها جميعًا ولا تعتمد إلا على إنجيل خاص بها وهو إنجيل (مرقيون) وقد اقتربت هذه الطائفة من ديانة ذرادشت بقولها بوجود إلهين وانقرضت في القرن العاشر الميلادي [٣].

وذكر صاحب كتاب نشأة الطوائف المسيحية أن مارسيون أو مرقيون صنف أول قائمة بالكتب وأعطاها لقبها الرسمي قائمة رسمية للأسفار المقدسة (anon) التي اعتبرت بأن لها سلطان الرسل وفي نهاية القرن الثاني ظهرت قائمة (Canon) تتضمن معظم كتب العهد الجديد كما هي اليوم [٤].

---

(١) The rise of Christianity ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) أضواء على المسيحية ص ١٢٣، محاضرات في النصرانية أبو زهرة ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٣) الميزان في مقارنة الأديان ص ١٠٤، الفهرست ص ٤٨٤، اليهودية والمسيحية الأعظمي ص ٣٩٦، نشأة الفكر الفلسفي ص ١٨٩، وافي ص ١٢٢، وقد ذكر أنها انقرضت في القرن العشرين.

(٤) نشأة الطوائف المسيحية ص ٤٠ - ٤١، وانظر المسيحية بين التوحيد والتثليث ص ٨٤.

٤- البربرانية:

وهي فرقة كانت تعتقد أن المسيح وأمه إلهين من دون الله، أطلقوا على أنفسهم المريميين، وقد ظلت حتى القرن السابع الميلادي [١].

٥- فرقة إليان:

ذهبت إلى القول بأن المسيح إله وأنه ابن إله مر في البطن كما يمر الماء في الميزان لأن الكلمة الابن دخلت من إذنها وخرجت لتوها من حيث يخرج الولد وإن ما ظهر في شخص المسيح وقتله وصلبه في أعين الناس هو خيال شبيه بالصورة التي تظهر في المرآة، وقد انقرضت هذه الفرقة بعد القرن الثالث عشر الميلادي وكان لها أتباع في اليمن والشام.

تلك كانت أهم الفرق التي حادت عن طريق التوحيد - وإن ظهرت في عصره - وخرجت بالنصرانية عن طابعها الأصيل فجاءت في صورة فكر مشتت لا يستقر على مبدأ.

والناظر في تاريخ ذلك العصر يجد أنه أفرز فرقًا كثيرة وخطيرة جدًّا على ديانة المسيح عليه السلام حيث غيرت ديانته وظهرت المذاهب والأقوال العديدة في المسيح وتعاليمه [٢].

وفي هذا يقول سلسس ساخرًا: إن المسيحيين تفرقوا شيعًا حتى أصبح هم كل فرد منهم أن يكون لنفسه حزبًا [٣].

واستطاع إيرينيوس أن يحصى عام ١٨٧م عشرين شيعة مختلفة من النصارى. وأحصى إيفانيوس في عام ٣٨٤م ثمانين [٤].

---

(١) اليهودية والمسيحية الأعظمي ص ٣٩٦، الميزان في مقارنة الأديان ص ١٠٤، أضواء على المسيحية ص ١٢٣، والمسيحية بين التوحيد والتثليث ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) راجع تاريخ الفكر المسيحي ١/ ٣٩٦، تاريخ الكنيسة جون لوديمر ١/ ١٢٠/ ١/ ١٠٢ - ١٢٣، ١/ ٤٩٠، ٤٩٧، ٥٩٢ - ٦٢٠.

(٣) قصة الحضارة ١١/ ٣١٤.

(٤) قصة الحضارة ١١/ ٣١٤.

وقد كان ظهور الفرق المنحرفة في أواخر هذا العصر إرهاصًا لظهور الفرق في عصر التثليث.

ثالثا: عصر التثليث:

بعد مجمع نيقية أبعد التوحيد رسميًّا من الديانة النصرانية إلا أن الحكومة الرومانية لم تستطع أن تقضي على التوحيد بذلك المجمع ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرئاسة في الكنائس وبكل الوسائل حتى حيل بين العامة وبين صوت التوحيد وعندئذ كانت الفرق التي تظهر بعد ذلك كما يقول الشيخ أبو زهرة في ظل ألوهية المسيح في الجملة إن استثنينا مقدونيوس وفرقته [١].

ومن أهم هذه الفرق:

١ـ الأبوليناريون:

وهم أتباع مقدونيوس وكانوا أول فرقة ظهرت في ذلك العصر أنكرت أن يكون روح القدس إلهًا وقامت فرض الألوهية ويذكر ابن حزم عن مقدونيوس أنه كان يقول بالتوحيد المجرد وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق إنسان نبي رسول الله كسائر الأنبياء عليهم السلام، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان والله خلق كل ذلك.

يقول الشيخ (أبو زهرة): ولعل مقدونيوس كان من الموحدين فهاله أن يبدأ الأساقفة بتأليه المسيح ويثنون بتأليه روح القدس فجاهر بإنكار الثاني.

قال (واند): ارتبطِ اسمه بمذهب خاص بالروح القدس على الرغم من أنه لا علاقة له بذلك وكان الرأي الذي نسب إليه امتداد للعقيدة الأريوسية فيما يتعلق بالكلمة لكي يجعله يشمل قضية الروح ووفقًا لذلك لا يمكن الاعتقاد بأن الروح من نفس الجوهر مع الإله الأعلى لأنه مخلوق وأفضل شيء اعتقده المقدونيون عن الروح أنه ملك أعلى ولهذا فإن كثيرًا ما يطلق عليهم اسم

---

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ص ١٥٦ - ١٥٧.

مقاتلون ضد الروح[(١)].

وفي الوقت الذي أنكر فيه مقدونيوس ألوهية روح القدس لم تكن عقيدة التثليث قد أعلنت في مجمع عام ولعله كان موضع حديث البطاركة كون روح القدس إلهًا فتصدى لإنكار ذلك وتلقى الناس كلامه بالقبول ولذا لم ينعقد المجمع للرد عليه إلا بعد أن مات بعدة سنوات[(٢)].

٢ـ النسطورية:

نسبة إلى نسطور الذي كان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨م[(٣)]. أي أنه ما بين القرن الرابع والخامس كما ذهب إليه أكثر المؤرخين خلافًا لما ذهب إليه الشهرستاني أنه ظهر في أيام المأمون[(٤)] وما ذهب إليه النشار أنه ظهر في أوائل القرن الثاني الميلادي[(٥)].

ويصور الشيخ أبو زهرة مذهب نسطور بأنه ذهب إلى القول بأن عيسى لم يكن إلهًا في حد ذاته بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله وأنه فوق الناس.

وعنده أن الأقنوم الثاني وهو الابن لم يكن إلهًا تجسد ولدته مريم - كما يرى ذلك من يراه من المثلثين - بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان ثم اتحد الأقنوم الثاني به بعد ولادته، وليس ذلك الاتحاد اتحاد مزج وجعلهما شيئًا واحدًا، فليس اتحادًا حقيقيًّا بل اتحادًا مجاذبًا؛ لأن الإله منحه المحبة فصار بمنزلة الابن ومعنى ذلك أن المسيح لم يكن فيه عنصر إلهي قط، فليس إلهًا ولا ابن إله، وهذا ما تقرره صاحبة كتاب (تاريخ الأمة القبطية) وهو أن كلام نسطور يلزم

---

(١) History and thought of the early church ص ١٨٧، وذكر واند أن البولينارية هم أتباع أبوليناريوس والذي ركز على الطبيعة البشرية للابن ص ١٨٨ - ٣٦٥.

(٢) أضواء على المسيحية ص ١٢٣.

(٣) المنجد في الإعلام ص ٧٠٨.

(٤) الملل والنحل ١/ ٢٢٤.

(٥) نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٩٦.

منه إنكار ألوهية المسيح [١]. وهو ما يؤكده أحمد شلبي أيضًا حيث أكد أن مذهب نسطور كان محاولة للعودة إلى التوحيد [٢].

ويصور النشار مذهبه أنه ناقش فكرة الجوهر والأقانيم نقاشًا عقليًا وانتهى إلى أن المسيح إنسان وولد إنسانًا ثم حدثت النعمة الإلهية التي نزلت على الرسل من قبل فاتصل اللاهوت بهذا الإنسان ولكن صلته بالمسيح أكثر دوامًا واستقرارًا فيه ولذلك سمى الابن الوحيد.

وقد تم هذا الاتحاد كإشراق الشمس في الكوة أو على بلور، أو كظهور النقش في الخاتم وإشراق الشمس في الكوة لم يجعل الكوة شمسًا ولا ظهور النقش في الخاتم جعل الخاتم نقشًا. إنما هو اتصال معنوي فحسب ولكن ما صدر عن المسيح بعد اتصاله باللاهوت إنما هو صدور عن المشيئة الإلهية وهو يرى أن القتل فيما يزعمه النصارى وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته [٣].

ونقل في فلسفة الفكر الديني أنه كان يقول بأقنومين لا باقنوم واحد وأن المسيح يقوم بهما وينسب إليه القول جهرًا بالإثنينية الأقنومية في المسيح وتبادل العمل بين طبيعتي اللاهوت والناسوت وكأنه يقول بالاتحاد بين الطبيعتين [٤].

ولعل لويس جرديه يصور مذهب نسطور بما آل إليه أمر النساطرة من بعده.

---

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ص ١٣٥ - ١٥٧، وراجع أضواء على المسيحية ص ١٢٣، النصرانية من التوحيد ص ٢٠٢، تاريخ الأقباط ١/ ١٧٧، مختصر تاريخ الكنيسة ١/ ٣٣٨ - ٣٣٩، فلسفة الفكر الديني ٢/ ٢٩٠ - ٣٠٢، نشأة الطوائف المسيحية ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) المسيحية شلبي ص ١٨٩.

(٣) نشأة الفكر الفلسفي ص ١/ ٩٦.

(٤) راجع فلسفة الفكر الديني ٢/ ٣٠٢ - ٣٠٥.

والقضاء على مذهب نسطور [1] لأنه كان يقوم بأقنومين لا بثلاثة عقد مجمع لأجل محاكمته في أفسس سنة ٤٣١م فقرروا فيه إبعاد نسطور عن منصبه ونفيه إلى مصر، واتفقوا على لعنه ولعن أتباعه. ويرى د. عمر الفاروق أستاذ الأديان أن هذا كان أول افتراق بين الثالوثيين والكنيسة النسطورية، لكن النسطوريين الذين جاءوا من بعده انحرفوا عن مبادئه وقالوا بامتزاج اللاهوت بالناسوت امتزاجًا حقيقيًّا لا مجازيًّا [2].

٣ـ اليعقوبيون واليعاقبة:

نسبة إلى يعقوب البراذعي الذي انتحل مذهب القائلين بأن المسيح طبيعة واحدة وهي التقاء اللاهوت والناسوت في المسيح وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت.

ونسبة هذه الفرقة إلى يعقوب البراذعي لأنه أنشط الدعاة إلى هذا المذهب لا لأنه مبتدعه ومنشؤه فإن هذا المذهب أسبق من يعقوب وأول من أعلنه بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي، أما يعقوب وجد في القرن السابع الميلادي.

وكان أن عقد النصارى مجمعًا في أفسس سنة ٤٣١م وقرروا فيه القول بالطبيعة الواحدة ثم رفض ذلك القرار في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م وتسبب ذلك في تمسك الكنيسة المصرية برأي بطريركها والانفصال عن الكنيسة الرومانية [3] وهو مذهب الأقباط في مصر.

---

(١) الأسفار المقدسة وافي ص ١٣٣.

(٢) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ص ١٥٧ - ١٥٩، الأسفار المقدسة، وافي ص ١٣٤.

(٣) راجع أضواء على المسيحية ص ١٢٣، نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٩٧ - ٩٨، محاضرات في النصرانية أبو زهرة ص ١٥٩، ١٦٠، ١٧٥، النصرانية من التوحيد ص ٢٠٣، نشأة الطوائف ص ٤٩ حيث أشار إلى طوائف أخرى ذهبت إلى هذا القول بالاتحاد بين الطبيعتين.

٤ـ الملكانيون:

نسبة إلى الملك والملك بالآرامية (ملكًا) أي قيصر الروم [١] لا على أنه نسبة إلى شخص اسمه ملكًا الذي ظهر بأرض الروم كما ذكر الشهرستاني [٢].

والملكانية مذهب من وافق القيصر في مجمع خلقدونية الرابع حيث قالوا إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتذرعت بناسوته فهو عندهم له طبيعتان لاهوتية وناسوتية وأن الله عبارة عن ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس [٣] وهم كل النصارى وقد انقسموا إلى طوائف منهم:

رابعًا: عصر الانقسام:

١ـ المارونية:

أتباع يوحنا مارون الذي قال بالمشيئة الواحدة لله مع القول بالطبيعتين وكان قوله هو السبب في انعقاد المجمع السادس عام ٦٨٠م والذي قرر نفي يوحنا ولعنه وإقرار مشيئتين لله [٤]. ولكنه استمر على قوله والتزم قوله أتباعه وكونوا بذلك الكنيسة المارونية.

٢ـ الكاثوليك:

وكنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية، ومعنى الكاثوليكية: أي العامة، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان، وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس كبير الحواريين والبابوات في روما خلفاؤه.

---

(١) ذكر ابن كثير أن الملكية نسبة إلى دين الملك وهو قسطنطين. انظر البداية والنهاية، ٢/ ١٥٤.

(٢) الملل والنحل ١/ ٢٢٢.

(٣) راجع نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٩٥، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ٢٠١ - ٢٠٢، الميزان ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٤) الأسفار المقدسة، وافي ص ١٤٣، أضواء على المسيحية ص ١٢٣، محاضرات في النصرانية أبو زهرة ص ١٦٠.

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة وهم أصحاب الحق الأول في تنظيم الكنيسة [(١)].

وأهم ما يتميزون به:

١- قولهم بأن الروح القدس انبثق من الأب والابن معًا.

٢- يبيحون أكل الدم والمخنوق.

٣- أن البابا في الفاتيكان هو الرئيس العام على جميع الكنائس الكاثوليكية.

٤- تحريم الطلاق بتاتًا حتى في حالة الزنا [(٢)].

٣ـ الأرثوذكس:

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان. كان مقرها الأصلي القسطنطينية وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية عام ١٠٥٤م وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة.

وأهم ما يتميزون به:

١- أن الروح القدس انبثق من الأب فقط.

٢- تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا فإنه يجوز عندهم.

٣- لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد بل كل كنيسة مستقلة بنفسها [(٣)].

٤- البروتستانت:

وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا وكان ينادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها.

وأهم ما يتميز به أتباع هذه الطائفة:

١- أن صكوك الغفران دجل وكذب وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا

---

(١) المسيحية شلبي ص ٢٣٩.

(٢) راجع المسيحية شلبي ص ٢٤٠، ومحاضرات في النصرانية، أبو زهرة ص ٦٥.

(٣) دراسات في الأديان، الخلف ص ٢٣٨.

بالندم والتوبة.

٢- أن لكل واحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته وليس وقفًا على الكنيسة.

٣- تحريم الصور والتماثيل في الكنائس باعتبارها مظهرًا من مظاهر الوثنية.

٤- منع الرهبنة.

٥- أن العشاء الرباني تذكار لما حل بالمسيح من الصلب في زعمهم وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح عليه السلام.

٦- ليس لكنائسهم رئيس عام يتبعون قوله.

وقد انتشرت هذه الطائفة في ألمانيا وبريطانيا وكثير من بلاد أوربا وأمريكا الشمالية [1].

تلك كانت أهم الفرق التي ظهرت في تاريخ النصرانية والتي كان لها دور بارز في تحريف عقائدها.

ويمكن إبراز أهم نتائج ظهور الفرق فيما يأتي:

أولًا: لقد أدى ظهور الفرق إلى تحريف النصرانية وعقائدها وذلك بترك عقيدة التوحيد التي بنيت عليها النصرانية والتي بقيت عدة قرون يدعو إليها المخلصون من النصارى ويدافعون عنها سواء كانوا أفرادًا أو جماعات.

ويتضح تحريف هذه الفرق لعقيدة التوحيد فيما تبنته من عقائد وثنية أو مثلثة وما اختلفت فيه من الآراء في شأن طبيعة المسيح ومشيئته حيث ذهب بعضها إلى القول بوحدة هذه الطبيعة أو المشيئة أو بتعددها وحيث اختلفوا في طبيعة العلاقة بينه وبين الله على نحو ما ذكرنا عن أصحاب وأتباع الفرق السابقة متأثرين في تحريفهم للعقيدة النصرانية بالوثنيات والثقافات التي كانوا عليها قبل تنصرهم والتي كانت لا تزال محيطة بهم في مواطن النصرانية.

ثانيًا: قام أرباب هذه الفرق بتحريف الأناجيل الكثيرة التي كانت شائعة في

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٦١ - ١٦٤ - ١٨٠، دراسات في الأديان ص ٢٣٩.

ذلك العصر بحيث تتفق نصوصها مع عقيدة تلك الفرق.

ثالثًا: أدى ظهور الفرق النصرانية إلى انعقاد المجامع لحسم الخلاف الناتج عن تعدد العقائد المحرفة فيما بينها مما نتج عنه أحيانًا انفصال بعض الكنائس عن بعضها وإقرار العقائد المنحرفة واستبعاد النزعات التوحيدية.

رابعًا: لقد أدى افتراق الطوائف النصرانية في عقائدها كما رأينا وما تبعه من الصراع الطائفي فيما بينها - لقد أدى كل ذلك إلى ظهور اضطهاد الطوائف النصرانية بعضها لبعض سواء كان ذلك الاضطهاد بين الأفراد أو الجماعات.

وهكذا كان ظهور الفرق النصرانية والاختلاف فيما بينها عاملًا مهمًّا من عوامل تحريف العقيدة بكل ما ترتب على هذا التحريف من نتائج.

***

الانشقاق المسيحي الكبير إلى الكنيستين
اليونانية الشرقية الأرثوذكسية
والرومانية الغربية الكاثوليكية

جذور الانفصال وخلفيته التاريخية والأسباب التي هيأت له [(١)]:

كانت الإمبراطورية الرومانية في دور ما قبل المسيح ﷺ وفي زمن المسيحية مقسمة - تمامًا - إلى قسمين: شرقي، وغربي.

وكان سبب هذا الانقسام اختلاف قبائل سكان كل من الشطرين ففي الشطر الشرقي وكان غالبية السكان اليونان، وفي الشطر الغربي لاتين وكان لكل قسم طبيعة خاصة وميول حياة وفعالية خاصة.

يمثل الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول نقطة تحول هامة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، وفي تاريخ المسيحية على حد سواء فقد كان أول إمبراطور روماني يعتنق المسيحية، وباعتناقه للمسيحية انتهى عهد الشهداء والاضطهاد للرعايا المسيحيين حيث أصدر في عام ٣١٣م إعلان براءة ميلانو Edict of Milan الذي منح فيه حرية العبادة لجميع الأقليات الدينية في الإمبراطورية الرومانية ومن جملتهم المسيحيون وبعد أن انفرد قسطنطين الأول بحكم الإمبراطورية الرومانية بشقيها قرر في عام ٣٢٤م نقل عاصمتها من روما في إيطاليا إلى ضفاف البوسفور.

وفي موقع مدينة يونانية قديمة كان اسمها بيزنطة شيد قسطنطين الأول عاصمته الجديدة التي أطلق عليها اسم القسطنطينية نسبة لاسمه والتي دشنت رسميًّا عام ٣٣٠م لتكون عاصمة الإمبراطورية الرومانية بشقيها الشرقي والغربي.

---

(١) راجع تاريخ الكنيسة المسيحية: المعرب عن اللغة الروسية والذي نقله من اللغة الروسية إلى العربية مطران حمص وتوابعها: ألكسندروس ١٩٦٤م ثم الموسوعات البريطانية والأمريكية والموسوعة العربية (السورية).

نشأت القسطنطينية مدينة مسيحية الطابع تقاطر إليها المسيحيون من كل صوب.

وكان نقل العاصمة إليها من روما إيذانًا بتحول الإمبراطورية الرومانية الوثنية إلى إمبراطورية مسيحية ونقطة تحول مهمة في تاريخ الكنيسة.

فقد أصبحت الكنيسة تعايش الإمبراطورية وكأنهما كيان واحد من دون أن تذوب الواحدة في الأخرى.

ورأت الكنيسة في القيصر الابن الروحي الأعلى لها فأعطته امتيازات في داخلها تسليمًا بأنه يسوس الإمبراطورية باسم السيد المسيح.

واقتضى ذلك أن تقبل الدولة الإنجيل وتتخذه دستورًا وأن ينفذ القيصر قرارات مجامع الكنيسة.

ومنذ عهد قسطنطين الأول (القرن الرابع الميلادي) سادت بيزنطة نظرية تفترض وجود مجتمع مسيحي عالمي واحد تقوده الكنيسة والإمبراطورية معًا.

فكانت سلطة بطريرك القسطنطينية مستمدة - اسميًّا - من واقع كونه أسقف روما الجديدة وكان يحمل لقب البطريرك المسكوني الذي يشير إلى شأنه السياسي في الإمبراطورية إلا أنه - من الناحية الوظيفية - كان يحتل المرتبة الثانية بعد أسقف روما في السلسلة الهرمية لكبار الأساقفة الخمسة التي تضم - كذلك - بطاركة كل من الإسكندرية وإنطاكية والقدس.

بيد أن سلطة الثلاثة الأخيرين تقلصت بعد الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع ولم يبق من منافس لكنيسة القسطنطينية سوى الكنائس السلافية التي نشأت فيما بعد والتي كانت تحاول - من حين لآخر - الاعتراض على مكانة القسطنطينية مركزًا وحيدًا للعالم المسيحي الشرقي.

وكانت الكنيسة المسيحية التي انتشرت في كل الإمبراطورية تتميز - منذ

البدايات - إلى جناحين جناح شرقي وآخر غربي، وذلك بسبب اختلاف السكان واختلاف أخلاق الشعوب وآدابها وميولها وآرائها وما أشبه ومنذ أزمنة المسيحية الأولى كنا نرى في الكنائس الشرقية والغربية بعض الخصائص التي تميز الواحدة عن الأخرى وكان أبرز هذه الخصائص ظهورًا: اختلاف الثقافة الكنسية.

فالكنائس الشرقية سمحت باشتراك العقل في قضية الإيمان فأوضحت وفسرت أسس تعليم الإيمان المسيحي بالطريقة العلمية.

وعلى العكس من ذلك رفضت الكنيسة الغربية اشتراك العقل في قضية الإيمان وابتعدت - غالب الأحيان - عن الدرس العلمي في عقائد الإيمان وبالإجمال لم تهتم بالمسائل اللاهوتية النظرية ولكنها وجهت انتباهًا عظيمًا إلى جهة المسيحية الخارجية أي إلى الطقوس والنظام والإدارة وعلاقة الكنيسة بالمملكة وبالجماعة وما أشبه.

ظهرت الكنائس الشرقية - عند حل المعضلات اللاهوتية - آراء لاهوتية وعقائدية متعددة ومختلفة كانت الكنيسة الرسمية تسميها هرطقات في حين أنه في الغرب لم تظهر تقريبًا - في بدايات تاريخ الكنيسة - هرطقات لأنهم لم يهتموا - في الغرب - بالمسائل اللاهوتية.

وحيث إنه لم تكن هناك محاولات لفهم المسيحية عقليًّا لذا ظهرت هناك انقسامات فقط.

الرئاسة الشرقية اجتهدت في دحض كل ما اعتبرته هرطقات ووضع تعليم إيمان أرثوذكسي على مبادئ ثابتة، في حين اجتهدت الرئاسة الغربية - بكل الوسائل الممكنة - لأجل المحافظة على الترتيبات الكنسية وأن تضع نفسها في حالة غير متعلقة بالسلطة العلمانية وأن تقوي تأثيرها على الجماعة وعلى المملكة

وبالاختصار كان في الكنيسة الشرقية مصالحها ورغباتها، وفي الكنيسة الغربية مثلها.

وهذا الاختلاف في مصالح ومقاصد كنيستي القسمين الشرقي والغربي من الإمبراطورية قسمها فيما بينهما لكن ليس لدرجة تحسبان معها غريبتين الواحدة عن الأخرى فوحدة الإيمان والأسرار وكل الترتيب الكنسي ربطتهما مع بعضهما زمنًا طويلًا في وحدة تامة.

ولم يكن من الممكن أن يحصل انقطاع لكل اتصال بين الكنيستين الشرقية والغربية إلا إذا قامت إحداهما بهدم وحدة الإيمان والأسرار والترتيب الكنسي.

ولسوء حظ كل العالم المسيحي قد هدمت الكنيسة الغربية هذه الوحدة مما أدى إلى وقوع الانفصال عن الكنيسة الشرقية.

ذلك أن الكنيسة الغربية - وعلى مدى عدة قرون - أخذت تدخل - بالتدريج - أمورًا جديدة وزيادات اعتبرتها الكنيسة الشرقية تحريفًا في الحقل العقيدي والطقسي والقانوني.

ومن أهم تلك الإضافات كان التغيير الذي بدأته الكنيسة الغربية منذ القرن السادس حتى الحادي عشر حين بثت في كل الكنائس الغربية التعليم عن انبثاق الروح القدس من الأب والابن معًا مع أن دستور الإيمان الذي نصت عليه المجامع القديمة كان يقتصر على انبثاق روح القدس من الأب فقط.

ومثل هذا التحريف في العقائد المسيحية الأساسية كانت المسكونية الشرقية ومعها الغربية تعتبره هرطوقيًا وكانت تفرز المتمسكين بأمثاله من جمعيتها ثم إن الكنيسة الغربية انفردت بكثير من الأمور الطقسية كالصوم في السبت وإتمام الأفخاريستيا (أي العشاء السري) على الفطيرة [1] وإتمام سر مسحة زيت

---

(1) أي خبز الفطير (أي الذي لم يُعالج بخميرة) وليس على الخبز العادي كما هو العمل لدى الكنيسة الشرقية.

الميرون [١] بواسطة الأساقفة فقط وعدم زواج الإكليروس (أي الأساقفة ورجال الدين) وما أشبه.

وأخيرًا في الحقل القانوني أدخلت الكنيسة الغربية أمورًا جديدة اعتبرتها الكنيسة الشرقية بدعة غريبة.

فقد جعلت البابا رأسًا وحاكمًا أعلى لكل الكنيسة المسكونية، ورأت الكنائس الشرقية أن هذا التعليم عن رئاسة البابا - الذي جعله أعلى من المجامع المسكونية - يخفض كل الترتيبات الكنسية التي وضعها الرسل والآباء ورأت أن تطبيق ذلك المبدأ - علميًا - أمر خطير للغاية إذ يمكن أن يقود وقد قاد - في نظرهم - الكنيسة الغربية إلى تحريف كل تعليم الإيمان وكل المسيحية لأن شخصًا واحدًا يمكنه دائمًا أن يضل وبحسب سلطته المطلقة غير حاسب حسابًا لأحد يمكنه أن يدخل تعليمًا جديدًا وطقوسًا جديدة وترتيبًا كنسيًّا جديدًا، وعلى هذه الصورة يمكنه أن يعطي الكنيسة ليس ذاك الشكل الذي أعطاها إياه مؤسسها السيد يسوع المسيح والرسل.

فهذه الإضافات أو التغييرات التي استبدت بها الكنيسة الغربية - والتي اعتبرتها الكنيسة الشرقية ضلالات وانحرافات عن الأنظمة الكنسية العامة - بالإضافة إلى الاختلاف الموجود من القديم في طبيعة واتجاه الحياة والفعالية بين

---

(١) زيت الميرون: هو زيت زيتون ممزوج بعدد من العطور، ولفظة ميرون تعود إلى اليونانية وتعني العطر السائل والزيت المطيب. وقد استعمل الزيت منذ العهد القديم لمسح الملوك مثل شاول وسليمان والكهنة وعظماء الكهنة وما زال يستعمل اليوم حين يرسم الإنسان كاهنًا أو أسقفًا، ويستعمل - أيضًا - في ممارسة سر العماد، وسر التثبيت وفي مسح المرضى لمنحهم شفاء النفس وإذا شاء الله شفاء الجسد.

ويكرس الأسقف الزيت يوم الأربعاء في أسبوع الآلام وليلة خميس الفصح الذي أسس الرب فيه سر القربان المقدس، واختيار يوم الأربعاء يرتبط بما فعلته مريم أخت إلعازر حين دهنت رأس يسوع بالطيب فامتلأ البيت. (نقلًا عن موسوعة الأديان الميسرة: مادة زيت الميرون حررها الخوري جان بول أبو غزالة، كاهن في أبرشية بيروت المارونية).

الكنيسة الشرقية والغربية هيأت للانفصال الكبير والتاريخي بين الكنيستين.

بدء الانفصال:

توفرت أسباب الانقسام - للأسباب التي سبق ذكرها - قبيل نصف القرن التاسع الميلادي وكانت تنتظر سببًا مباشرًا - فقط - لكي يبدأ الانقسام الفعلي.

وسرعان ما توفر هذا السبب. ففي سنة ٨٤٢م وبسبب صغر سن الإمبراطور الروماني (البيزنطي) ميخائيل الثالث تولى إدارة المملكة البيزنطية والدته ثيوذورة المعروفة بإعادة احترام الأيقونات وعمه القيصر فاردا.

وكان فاردا محبًّا للمجد يسعى إلى الاستقلال بالحكم فعزم على تنحية ثيوذورة عن أعمال الإدارة فاستخدم تأثيره على الإمبراطور الحدث الذي رباه واستطاع إقناعه ليحبس ثيوذورة في الدير.

قام ضد ذلك الأمر البطريرك المعاصر أغناطيوس الذي كان قد رفع إلى العرش البطريركي سنة ٨٤٧م بإدارة ثيوذورة وذلك لأجل تقواه وغيرته على الأرثوذكسية في زمن اضطراب حرب الأيقونات.

وكان فاردا اختلف مع البطريرك أغناطيوس لأن البطريرك وبخه على سوء آدابه فصار - الآن - عدوه اللدود.

ولما بلغ فاردا إربه بحبس ثيوذوره في الدير، تمكن من إنزال البطريرك أغناطيوس ونفيه (سنة ٨٥٧م) ونصب مكانه فوتيوس ذا المؤهلات التامة للمقام البطريركي.

ولكن إنزال أغناطيوس وتنصيب فوتيوس أغضب الكثيرين الذين كانوا يحبون أغناطيوس لأجل تقواه وحياته التقشفية.

وأصبح محبو أغناطيوس ينظرون إلى فوتيوس نظرة عدائية خاصة أنه حتى فترة قريبة من ارتقائه عرش البطريركية كان علمانيًّا (أي غير إكليركي) وقبل

خمسة أيام فقط من ترقيته على البطريركية مر بكل الدرجات الكنسية.. فابتدأ فاردا باستخدام الوسائل القاسية لإجبار أغناطوس على الاستقالة من السيادة البطريركية والاعتراف بفوتيوس بطريركًا شرعيًّا.

فلم يوافق أغناطيوس مما أسخط بالأكثر حزب أغناطيوس الذين ازداد عدده أكثر فأكثر حتى إن البطريركية القسطنطينية انقسم إلى قسمين: قسم اعترف بأغناطيوس بطريركًا شرعيًّا، والقسم الآخر اعترف بفوتيوس وقد بلغت العداوة بين الحزبين شدتها حتى صارا يتراشقان باللعنات.

ولأجل إنهاء هذه القلاقل الكنيسية قرر الإمبراطور البيزنطي صغير السن ميخائيل الثالث أن ينصح فاردا أن يدعو مجمعًا كبيرًا ويدعو إليه البابا نيقولا الأول.

فتعين المجمع في القسطنطينية في سنة ٨٦١م وأرسلت إلى البابا رسائل دعوة من الإمبراطور ومن البطريرك، وإن كان الإمبراطور أخفى في تحاريره إلى البابا الغاية الحقيقية من المجمع لكن البابا نيقولا الأول عرف أن سببه الاختلاف على الرئاسة في القسطنطينية، وبما أن البابا كان يسعى لتحقيق فكرة القوانين الإيسيدورية التي تنص على سلطة بابا روما العامة على كل الكنائس المسيحية في العالم لذلك أسرع البابا إلى الاستفادة من هذه المناسبة لكل يجعل نفسه حاكمًا على الكنيسة الشرقية.

فوجه إلى المجمع في القسطنطينية قاصدين رسوليين ومعهما تحارير للإمبراطور ميخائيل الثالث ولفوتيوس.

وكتب البابا معهما إلى الإمبراطور بكبرياء فيما كتب متهمًا إياه أنه عمل ضد القوانين الكنسية مقصيًّا بطريركًا ومقيمًا سواه بدون معرفة البابا كما خطأ فوتيوس لقبوله وظيفة بطريرك بطريقة غير شرعية لأن القوانين الكنسية تمنع

رفع العلمانيين فجأة في كل درجات الكنيسة.

وأضاف إلى ذلك بأنه لا يعترف به بطريركًا إلى أن يدرس قصاده كل القضية.

وفي سنة ٨٦١م عقد المجمع - فعلًا - في القسطنطينية بحضور القصاد البابويين.

وهنا عمل الآباء الشرقيون خلافًا لما توقعه البابا متحررين من تأثيره فاعتبر أغناطيوس معزولًا وفوتيوس بطريرك القسطنطينية الشرعي.

وأرسلت قرارات هذا المجمع إلى البابا مع قصاده للعلم بها.

وأضاف فوتيوس إلى هذا جوابه على كتاب البابا مفسرًا له بوقار أنه إنما قبل الوظيفة البطريركية ليس حبًّا للعظمة التي لم يطلبها بل إنهم أجبروه ليصير بطريركًا.

أما بشأن إعلان البابا عن أن البطريرك فوتيوس خرق القوانين الكنسية عند إقامته بطريركًا فقد كتب إليه فوتيوس فيما كتب يقول: إن القوانين المانعة لترقية العلمانيين رأسًا إلى الوظيفة الأسقفية هي قوانين كنائس محلية وليست واجبة الاتباع على كنيسة القسطنطينية وإن عادة الكنيسة الشرقية - وحتى الغربية - قد سمحت بمثل هذه الترقية.

وفضلًا عن ذلك يُلاحظ فوتيوس في كتابه للبابا بأنه وهو يقيم ذاته مهتمًا بسلام الكنيسة يهدمه هو (أي البابا) حيث إنه يقبل في شركته الإكليريكيين الهاربين من بطريركية القسطنطينية بدون أن يكون بيدهم كتب توصية.

بالطبع لم يكن البابا نيقولا راضيًا عن نتيجة أعمال المجمع القسطنطيني وعن كتاب فوتيوس. وربما كان قبل بفوتيوس بطريركًا لو لم ير فيه خصمًا عنيدًا لإدعائه الرئاسة العامة على الكنيسة.

لذلك قرر بدء الخصام مع الكنيسة الشرقية آملًا إنزال فوتيوس ثم إخضاع الكنائس الشرقية لتأثيره كما خضعت الكنائس الغربية.

بهذه النوايا كتب إلى الإمبراطور ميخائيل كتابًا بلهجة حاكم يقول فيه بأنه لا يعترف بقرارات المجمع القسطنطيني بشأن أغناطوس وفوتيوس وأنه فوض قصاده في المجمع أن يدرسوا القضية وليس أن يقرروا، وأنه - الآن - يعلن نزع الوظيفة البطريركية عن فوتيوس ويأمر بإعادة أغناطيوس إلى السدة البطريركية بدون أي محاكمة وما أشبه.

وبرهن البابا في كتابه إلى فوتيوس - أيضًا - على عدم قانونية رفعه إلى البطريركية.

ويلاحظ بأنه إذا لم تكن توجد في كنيسة القسطنطينية قوانين تمنع دفع العلمانيين رأسًا إلى الدرجة الأسقفية فهي موجودة في كنيسة روما، وبما أن روما هي رأس الكل فيجب أن يقبل الجميع قوانينها ويعلموا بها.

ثم عقد البابا مجمعًا في روما سنة ٨٦٢م من أساقفته ولعن فيه فوتيوس وأرجع أغناطيوس ولم يقف عند هذا الحد بل أرسل رسالة عامة إلى جميع أساقفة الشرق يأمرهم بأن يقطعوا علاقتهم مع فوتيوس ويتصلوا بأغناطيوس. فلم يسمعوا للبابا في القسطنطينية. وكتب إليه الإمبراطور كتابًا حادًّا لم يخجل أن يفصح فيه عن حقيقة مرةٍ بأنه - أي البابا - يتدخل بما لا يعنيه. وأن كنيسة القسطنطينية لا تعترف له بأن يكون رئيسًا وحاكمًا على الكنيسة المسكونية. فأجاب البابا بكتاب حادٍّ أيضًا، وبدأ الانفصال بين الكنيستين. وزادت مسألة إدارة الكنيسة البلغارية من حدة التوتر بين الكنيستين.

ففي سنة ٨٦٨م قبل بوريس ملك البلغار المعمودية (أي اعتنق المسيحية) ثم اقتدى الشعب البلغاري بملكه وقبل المعمودية. وكان المبشرون اليونان أول

من بشر بالمسيحية في بلغاريا. وكانت أول رئاسة دينية هناك يونانية أيضًا سواء من الأساقفة أو الكهنة. ولكن تفاديًا من الوقوع في الارتباط السياسي بالقسطنطينية بسبب الارتباط الديني سعى بوريس للبحث عن ارتباط كنسي مع روما، وأيضًا وهو السبب الأهم لأن المبشرين الرومانيين كانوا قد تسربوا إلى بلغاريا؛ فأرسل الملك بوريس سنة ٨٦٥م وفدًا إلى البابا نيقولا الأول يطلب إليه إرسال كهنة لاتين إلى بلغاريا. فسر نيقولا الأول لهذا العرض وأرسل إلى بلغاريا أساقفة وكهنة لاتينيين. وطردت بعد هذا الرئاسة اليونانية من بلغاريا ودخلت مكانها الرئاسة اللاتينية.

فشرع الأساقفة والكهنة اللاتين يدخلون الطقوس اللاتينية إلى الكنيسة التي تنتظم حديثًا. وشرعوا يمسحون بالميرون البلغاريين المعمدين على أساس أن مسحة الميرون التي تممها عليهم كهنة اليونان غير حقيقية ورتبوا الصوم في السبت بدل الأربعاء، وسمحوا بأكل البياض في الأسبوع الأول من الصوم الكبير وسموا الكهنة اليونان المتزوجين غير شرعيين ونشروا التعليم عن انبثاق الروح القدس من الابن أيضًا وما أشبه.

فكان لمثل هذا الثأر من قبل البابا وسلوك الإكليروس اللاتين التابعين له في بلغاريا التأثير السيئ في القسطنطينية. فجمع البطريرك فوتيوس مجمعًا محليًّا وحكم فيه على ما أسماه الضلالات الرومانية وأخبر بذلك جميع بطاركة الشرق برسالة عامة داعيًا إياهم لاجتماع جديد في القسطنطينية لأجل درس الموضوع ذاته بشأن ضلالات الكنيسة الرومانية.

وفي سنة ٨٦٧م افتتح المجمع المنتظر في القسطنطينية وحضره نواب عن بطارقة الشرق وكثيرون من الأساقفة وحتى الإمبراطور ميخائيل ذاته مع القيصر الجديد باسيليوس المكدوني. فعرض فوتيوس أمام المجمع - حسب

الأصول - كل ما أسماه ضلالات الكنيسة الرومانية وكذلك ادعاء البابا نيقولا الرئاسة ومكائده في الشرق.

ونتيجة لهذا حكم المجمع على كل ضلالات الكنيسة الرومانية وحكم بإنزال البابا نيقولا عن العرش وتقرر تنفيذ هذا من قبل إمبراطور الغرب ليودفيك. وتحول الجدال بين الكنائس سريعًا إلى اتجاه آخر إذ قتل الإمبراطور ميخائيل الثالث بدسائس باسيليوس المكدوني وصار هذا إمبراطورًا.

وبما أن قطع الاتصال مع البابا الذي كان سببه فوتيوس لم يدخل في نواياه السياسية فقد قرر - لأجل إعادة العلاقات مع كنيسة روما إنزال فوتيوس وإعادة إغناطيوس. فأرسل وفدًا إلى روما مصحوبًا بكتاب إلى البابا من الإمبراطور محطًّا من قدر الكنيسة الشرقية؛ حيث قام الإمبراطور باسيليوس المكدوني نفسه بإخضاع الكنيسة الشرقية للبابا، وسلم فوتيوس للمحاكمة راجيًا تثبيت أغناطيوس. ولكن البابا نيقولا لم يبق حيًّا إلى مثل هذا الانتصار بل مات قبل وصول الوفد؛ فأسرع خليفته البابا أدريان الثاني للاستفادة من هذه الأحوال التي تنظمت جيدًا لأجل العرش الباباوي.

فعقد مجمعًا في روما سنة ٨٦٨م لعن فيه فوتيوس ومؤيديه وحرق - علنًا - قرارات مجمع القسطنطينية سنة ٨٦٧م ضد البابا نيقولا التي كان قد أرسلها إليه الإمبراطور باسيليوس المكدوني ثم أرسل إلى القسطنطينية قصاده لكي يقرروا - نهائيًّا - قضية فوتيوس وأغناطيوس، ويبرهن هناك عن سلطته.

وفي سنة ٨٦٩م عقد في القسطنطينية مجمع رابع يعتبره الغرب مجمعًا مسكونيًّا ثامنًا. وكان سبب انعقاده المباشر التأكيد على تضليل بطريرك القسطنطينية فوتيوس في دعواه أن الروح القدس منبثق من الأب وحده وتثبيت موقف الكنيسة الغربية الذي يثبته بابا روما والقائل بأن روح القدس

منبثق من الأب والابن معًا، وإعلان عزل بطريرك القسطنطينية فوتيوس، ويسمي المؤرخون هذا المجمع القسطنطيني سنة ٨٦٩م بالمجمع الغربي اللاتيني للنظر في قضية انبثاق الروح القدس من الأب والابن وكان من أهم قراراته:

١- انبثاق الروح القدس من الأب والابن معًا.

٢- كل ما يتعلق بالديانة المسيحية ينبغي أن يرفع إلى الكنيسة بروما.

٣- كل المسيحيين في العالم يخضعون لكل المراسيم والطقوس التي يقول بها رئيس كنيسة روما.

٤- لعن وطرد البطريرك فوتيوس وحرمانه هو وأتباعه.

ومع ذلك بقيت قضية الكنيسة البلغارية بلا حلٍّ؛ فرغمًا عن كل إلحاح قصاد البابا الرسوليين الذي أبدوه بعد ذلك المجمع في اجتماع خاص مع أغناطيوس ووكلاء البطاركة الشرقيين ورغمًا عن تهديدهم أغناطيوس بقي وكلاء البطارقة على موقفهم الثابت في أنه من الحق في النظام إخضاع كنيسة بلغاريا لكنيسة القسطنطينية. وبعد سفر القصاد أرسل أغناطيوس - في الواقع - إلى بلغاريا رئيس أساقفة يونانيًا فقبلوه هناك بتأثير الإمبراطور باسيليوس المكدوني.

وفي الوقت ذاته أبعد من بلغاريا الكهنة اللاتين. ولما عرف البابا أدريان بهذا منع أغناطيوس من المداخلة في إدارة الكنيسة البلغارية ولكن لم يكترث أحد في القسطنطينية بمنعه فعاد الجدال الذي هدأ بين الكنيستين إلى الاشتعال من جديد، واشتد عندما رجع فوتيوس ثانية إلى العرش البطريركي سنة ٨٧٩م.

وقصة ذلك أنه بعد عزل البطريرك فوتيوس سنة ٨٦٩م أرسل إلى المنفى فاحتمل ضيقتهِ بثبات فائق العادة وبقي مصرًّا على الوقوف ضد إخضاع

الكنيسة الشرقية لروما. ولقد تمكن من استمالة حزب أغناطيوس والإمبراطور باسيليوس المكدوني إلى مشاركته. فاستدعاه باسيليوس من منفاه إلى بلاطه وسلمه تهذيب أبنائه.

وفي الوقت ذاته تصالح فوتيوس مع أغناطيوس. وبموت أغناطيوس عرض باسيليوس المكدوني على فوتيوس إشغال الكرسي البطريركي لأن باسيليوس لم يعد يهتم - الآن - بالعلاقات السلامية مع البابا وبالأكثر لأن البابا المعاصر يوحنا الثامن نفسه كان في أحوال صعبة بسبب هجوم العرب على إيطاليا ولهذا لم يتقيد باسيليوس برأي البابا فأرجع فوتيوس (إلى البطريركية) ولأجل رفع الحكم عن فوتيوس تألف في القسطنطينية مجمع سنة ٨٧٩م وبطلب الإمبراطور أرسل البابا يوحنا الثامن قصاده.

لقد وافق على الاعتراف بفوتيوس بطريركًا وإن كان وضع - في رسالته المرسلة مع القصاد - شروطًا لذلك وهي أن يعترف فوتيوس أن إعادته إلى البطريركية هو نتيجة رحمة البابا وأن يرفض إدارة الكنيسة البلغارية.

ولم يظهر القصاد في المجمع الشرط الأول لأنهم أدركوا - منذ بداية وصولهم القسطنطينية - بأن فوتيوس - الذي اعترفت كنيسة القسطنطينية بأنه يستحق البطريركية - عنه محتاج لتثبيت البابا.

أما بشأن الكنيسة البلغارية فقد أوضح المجمع بأن تحديد الأبرشيات يختص بالإمبراطور. وهكذا لم تنفذ الشروط البابوية.

فوجب على القصاد أن يوافقوا على إزالة حكم الرومان والطرد عن البطريرك فوتيوس وإعادة شركته مع الكنيسة الرومانية وحتى إنهم لم يعترضوا عندما تلي في المجمع الدستور النيقاوي بدون زيادة عبارة (ومن الابن) (بعد عبارة انبثاق روح القدس من الأب) وقد تثبت عدم تغييره تحت التهديد بالحرمان.

ولما أخذ البابا يوحنا الثامن أعمال المجمع وعرف أن مطالبهُ لم تتم طلب - بعصبية - من الإمبراطور بواسطة القاصد مارين إتلاف مقررات المجمع. ولأجل تفسيرات مارين الوقحة في القسطنطينية وضعوه في السجن. فرأى البابا - عندئذ بوضوح - بأن فوتيوس لا يتنازل له عن شيء ولا يخضع لتأثيره لذلك وجه إليه حرمانًا جديدًا. فابتدأ الجدال من جديد بين القسطنطينية وروما، وابتدأ - أيضًا - الخصام. والباباوات خلفاء يوحنا عرضوا فوتيوس للحرمان حتى بلغ عدد الحرمانات الموجهة إليه اثني عشر حرمانًا.

لكن البطريرك فوتيوس - الذي استطاع أن يعود إلى مركزه - لم يأبه لكل ذلك بل عمد على ما كان قرره مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٦٩م ليبطله وليقرر مذهبه هو في مجمع معاكس دعي من قبل المؤرخين بالمجمع الشرقي اليوناني وبالمجمع الثامن للمرة الثانية أن مجمع قسطنطينية الخامس ٨٧٩م وكان أهم قراراته:

١- رفض كل ما قرره المجمع القسطنطيني الرابع المنعقد عام ٨٦٩م.

٢- انبثاق الروح القدس عن الأب فقط.

وهنا يلاحظ الباحث أن الصراع الفكري والقومي في الكنيسة قد ظهر، فلم تعد المسألة مسألة دين ولكنها مسألة سلطة وقومية.

فكما انفصلت كنيسة الأقباط المصرية بالإسكندرية على أثر المجمع الرابع المنعقد في خلقيدونية انتصارًا لبطريركها وانتصارًا لشعورها الوطني الذي تراه قد أهين بما نسب إلى بطريركها وما حكم عليه به من الحرمان فتعصبت لمذهبه ورأته أنه هو الصحيح وإن خالفه كل بطاركة العالم، كذلك انفصلت الكنيسة اليونانية الشرقية على أثر هذين المجمعين المنعقدين في مدينة القسطنطينية - أي الشرقي اليوناني عام ٨٧٩م وقبله: الغربي اللاتيني عام ٨٦٩م انفصلت

الكنيسة اليونانية عن كنيسة روما وصارتا كنيستين:

إحداهما: تسمى الكنيسة الغربية البطرسية أو الكنيسة الكاثوليكية التي تقول إن مؤسسها هو بطرس الرسول كبير الحواريين، وأن الباباوات خلفاء عنه، كما ترى أنها صاحبة السلطان الديني على كل كنائس العالم وكان سلطانها يمتد إلى بلجيكا وإيطاليا وأسبانيا وفرنسا والبرتغال.

والأخرى: تسمى الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية وهي لا تعترف إلا بالمجامع السبعة التي سبقت مجامع القسطنطينية التي حدث فيها الخلاف والافتراق، كما لا تعترف لبابا روما بالسيادة أو الرياسة (وإن كان موقفها - الآن - قد تغير لعوامل الزمن ومحاولة التقرب فترى له الأسبقية بالتقدم لا بالسلطان وترى أن بطريرك القسطنطينية هو الذي يليه في الرتبة مباشرة).

ويمتد سلطانها في بلاد روسيا واليونان والصرب وجانب من جزر البحر الأبيض المتوسط.

الانفصال التام بين الكنيستين في نصف القرن الحادي عشر:

بعد فوتيوس وحتى نصف القرن الحادي عشر كانت العلاقات بين الكنيستين الشرقية والغربية ضعيفة ونادرة، فكان الأباطرة البيزنطيون يتصلون بالباباوات لأسباب خاصة.

وأخيرًا، في نصف القرن الحادي عشر بدأت الاتصالات الفعالة التي انتهت بانفصال الكنيستين التام.

كان البابا في ذلك الوقت لاون التاسع وكان يسعى - بكل الوسائل - لإعادة نفوذ وسلطان المقام الباباوي الذي تزعزع في الغرب كما في الشرق. وكانت - في ذلك الوقت - بعض الكنائس في إيطاليا الجنوبية لا تزال تابعة للبطريركية القسطنطينية.

فاجتهد البابا لاون التاسع - قبل كل شيء - أن يثبت سلطته على هذه الكنائس فصارت تنتشر في هذه الكنائس آراء لاتينية وخصوصًا عادة الكنيسة اللاتينية بإتمام سر السكر (أي العشاء السري) على الفطير.

ثم اجتهد البابا لاون أن يقيم بطريرك إنطاكية ضد ميخائيل كيرولاي Michael Cerularius بطريرك القسطنطينية. فقرر البطريرك كيرولاري أن يضع حدًّا لدسائس البابا فأقفل في القسطنطينية الأديار اللاتينية والكنائس لأجل منع انخداع الأرثوذكس بالخدمة الإلهية اللاتينية وفوض سنة ١٠٥٣م رئيس أساقفة بلغاريا أن يكتب رسالةً يدحض فيها الأمور الجديدة التي أدخلها اللاتين مجددًا.

فبلغت رسالته البابا وأحدثت اضطرابًا شديدًا في روما. وكتب البابا لميخائيل كيرولاي جوابًا على رسالة رئيس الأساقفة البلغاري يقول: إنه لا يمكن لأحد من البشر المعرضين للموت أن يحكم على العرش الرسولي ويجب على البطريرك القسطنطيني أن تكون علاقته معه (العرش) باحترام لأجل الامتيازات المعطاة له من الباباوات وما أشبه.

وحيث إن الإمبراطور البيزنطي المعاصر قسطنطين مونوماج (١٠٤٢ - ١٠٥٤م) ولأغراض سياسية أيضًا أراد أن يكون في علاقات سلامية مع البابا لذلك قبل جواب البابا برضا في القسطنطينية.

والأكثر لأن الإمبراطور والبابا أرادا أن يثبتا السلام بين الكنيستين لأجل ذلك أرسل البابا قصاده إلى القسطنطينية.

وكان في عدادهم الكردينال غومبرت الرجل الحاد والمتكبر فكان في تصرفه وتعامله وعلاقة رفاقه مع البطريرك ميخائيل كيرولاري عدم احترام ظاهر.

لذلك رفض بطريرك القسطنطينية ميخائيل كيرولاري أن تجري بينهم وبينه

مفاوضات فلم يكترث القصاد لهذا متكئين على حماية الإمبراطور وتحت شكل مصالحة الكنائس شرعوا يعملون في القسطنطينية لأجل صالح العرش البابوي وأصدر غومبرت دحضًا على رسالة رئيس أساقفة بلغاريا فوزعه الإمبراطور على الشعب. وبإلحاح القصاد أجبر الإمبراطور الراهب نيكتيا ستيفات أن يحرق الذي ألفه ضد اللاتين.

وأخيرًا لما فقد القصاد الأمل بإخضاع بطريرك القسطنطينية لنفوذهم كتبوا قرارًا يحرم كل الكنيسة اليونانية ناسبين إليها كل ما يمكن من الهرطقات ووضعوه بطريقة احتفالية - إبَّان الخدمة الإلهية - على مائدة كنيسة الحكمة وغادروا القسطنطينية.

فأزهق عمل القصاد هذا الجرئ العادي عن العدالة صبر بطريرك القسطنطينية وجمع الإكليروس اليونان وكان الهياج عظيمًا حتى أمسى القصاد في خطر الموت من الشعب لو لم يحافظ الإمبراطور عليهم.

فجمع البطريرك ميخائيل كيرولاري مجمعًا (سنة ١٠٥٤م) في القسطنطينية حرم فيه القصاد البابويين. ثم أرسل رسالة عامة إلى جميع بطاركة الشرق يخبرهم فيها بكل ما جرى في القسطنطينية وكذلك عن ادعاءات وكفران الكنيسة الرومانية وحذرهم من الشركة معها.

في هذا الوقت توقفوا عن ذكر البابا - في أثناء الخدمة الإلهية - في كل الكنائس الشرقية ومن هذا الوقت استمرت الكنيسة الغربية - بإصرار - في مواقفها العقيدية والطقسية والقانونية وانفصلت - نهائيًّا - عن الاتحاد مع الكنيسة الشرقية.

النتائج والآثار:

منذ الانفصال التام بينهما أصبحت الكنيستان الشرقية والغربية تعيشان وتعملان منفردتين وليس لأحدهما أي علاقة مع الأخرى. وصارت كل كنيسة منهما توجه فعاليتها لبلوغ منافعها ومقاصدها الخاصة. ولم يعد - هناك - وجود للمصالح الدينية المتبادلة.

وكانت الكنيسة الشرقية ترى نفسها حامية الإيمان المسيحي والتنظيم الكنسي الأصيل المستقيم بكامله والقائمة على إيضاحه وتحديده وأنها وضعت لذاتها هدفًا أساسيًّا ألا وهو المحافظة الثابتة وغير المتغيرة على هذا التعليم والتنظيم بكل سلامته ونقائه.

وانتهى - بهذا الانفصال - عهد المجامع المسكونية ومع أن الكنيسة الغربية اللاتينية أي الكاثوليكية استمرت في عقد المجامع بدعوة من البابوات ورئاستهم والخروج بعقائد وتعاليم جديدة إلا أن كل تلك المجامع لم يعد لها صفة المسكونية لأن أكثر من شطر العالم المسيحي أي العالم الأرثوذكسي الشرقي بكامله سواء منه الكنائس الأرثوذكسية اليونانية الخلقيدونية حديثة الانقسام، أو الكنائس الشرقية الأرثوذكسية اللاخلقيدونية التي انفصلت منذ قرون (كالكنيسة القبطية والحبشية، وكنيسة السريان، اليعاقبة وكنيسة الآشوريين والكلدان، وقسم من الأرمن وغيرهم).

لم تعد حاضرة ولا مشاركة فيه لذلك لم تكن لتلك المجامع أكثر من صفة محلية لا تمثل إلا رأي جزء - فقط - من العالم المسيحي.

أما الكنيسة الغربية فإنها عندما استقلت عن الكنيسة الشرقية ركزت على مقاصد أخرى في حياتها وأعمالها. فقد وضعت - في المقام الأول - العمل على تقوية سلطة رئيس الكنيسة الغربية - البابا - وجعله مستقلًا عن السلطة

العلمانية، وسعت - أخيرًا - لأن تخضع له كل العالم المسيحي في القضايا الروحية والعلمانية.

ولقد وجه خلفاء افجاني الرابع قبل الإصلاح كل اجتهادهم لتثبيت هذه السلطة. فأرادوا أن يجعلوا دائرة سلطتهم الكنيسة مملكة حقيقية على مثال بقية الممالك ويجعلوا من ذواتهم ملوكًا.

ونتيجة لاتجاه السياسة البابوية هذا صار للباباوية صفة علمانية أكثر من أي وقت مضى.

وهكذا تحول رؤساء الكهنة الأعلون ونواب المسيح إلى سياسيين بمعنى الكلمة، ولما كانت السياسة - كما يقال - لا أب لها ولا أم لذلك اضطر أولئك - دون أن يشعروا - أن يخوضوا في ألاعيب السياسيين بما تستوجبه السياسة والسلطة - في كثير من الأحيان - من خداع ودسائس وحروب واستبداد... إلخ.

وهكذا أصبح البابا لاون العاشر (سنة ١٥١٣ - ١٥٢١م) الذي بدأت حركة الإصلاح في عهده أشبه بملك علماني محب للذات والجاه والفخفخة وما الفن والعلم اللذان كان نصيرهما إلا نتيجة لهذا الاهتمام المفرط في الجاه والفخفخة الدنيوية. أما روح الديانة والكنيسة فقد ضعفتا -تمامًا- في عهد هذا البابا.

واستمر النزاع بين الكنيستين الرومانية الغربية واليونانية الشرقية مع وجود الجهود التي بذلت لمحاولة التوفيق زادت كثرة الخلافات حتى توجهت بالتسلط العسكري في الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة الغربية اللاتينية البطرسية على بلاد الشرق الإسلامي فاستخدم البابا (إنوسنت الثالث) سلطانه وحث زعماء الحرب الصليبية على انتزاع المملكة الشرقية من بلاد اليونان.

يقول الأستاذ نوفل بن نعمة الله بن جرجس في كتابه (سوسنة سليمان): [حرك البابا (إنوسنت الثالث) قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونان؛ فاقتحموا القسطنطينية سنة ١٢٠٤م وظلوا متسلطين عليها إلى سنة ١٢٦١م. فاستعملوا ما أمكنهم من (الهمجية) في الأرض التي امتلكوها من بلاد سورية وفلسطين ليخضعوا بطاركة أورشليم وجميع الإكليروس اليوناني بواسطة الحبس وإقفال الكنائس حتى أحوجوهم إلى أن يفضلوا موادة العرب حكام البلاد الأصليين على موادتهم ويختاروا حكم شعب يتقاضى منهم جزية على أن يتسلط عليهم ملك روحي طمعه وطمع قواده لا يشبعان].

وحيث وصل الأمر إلى هنا فقد آن الأوان لأن نقوم بشرحٍ كافٍ لأهم الخصائص العقائدية والتنظيمية التي ميزت كلًّا من هاتين الكنيستين المسيحيتين الكبيرتين اللتين نتجتا عن ذلك الانفصال الكبير، أعني ما صار يعرف باسم: الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، والكنيسة الرومانية الكاثوليكية مع إيجاز المسيرة التاريخية لكل منهما، وبيان مراكز توزعهما في العالم وعدد أتباعهما.

الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية: (Eastern orthodox church)

المعنى اللغوي والخلفية التاريخية: كلمة الأرثوذكسية Orthodoxy [1] كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظين يونانيين (أرثوس): وهي صفة لما هو قويم وسليم و (ذُكسا): وهي اسم يدل على الرأي والمعتقد والفكر فيكون معنى الكلمة اليونانية (أرثوذكسا): المعتقد القويم والرأي القويم.

وتطلق كلمة أرثوذكسية - لغة - على ما يوافق كل تراث دينيًّا كان أم غير

---

[1] رجعت في موضوع الأرثوذكسية - بشكل قليل ومختصر - على مادة الأرثوذكسية في الموسوعة العربية (السورية) مع إضافة معلومات أخرى من حلقات تاريخ الكنيسة للشماس القبطي الأكليركي عهدي سامي منشورة في مجلة قبطية.

ديني، وتطلق - اصطلاحًا - على جماعة كبيرة من المسيحيين الذين يقولون إنهم حافظوا على المعتقد الصحيح كما حددته المجامع المسكونية (المجمع المسكوني مؤتمر يدعى إليه أساقفة العالم كله للتداول في شؤون الكنيسة) تمييزًا لهم من الذين عدوا هراطقة.

وفي معظم الأحيان يطلق الأرثوذكسيون على كنيستهم أسماء (الكنيسة الأرثوذكسية الكاثوليكية الشرقية) أو (الكنيسة الأرثوذكسية الكاثوليكية في الشرق) أو (الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة) ذلك أن كلمة الكاثوليكية تعني (الجامعة) أو العامة على أنه من الضروري أن لا تؤدي هذه التسميات إلى اللبس.

فالكنيسة التي تعد نفسها الكنيسة الجامعة الحقيقة ليست جزءًا من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ومع أنها تسمى شرقية فهي لا تقتصر على العالم الشرقي ويطلق عليها إيجازًا (الكنيسة الأرثوذكسية).

ويشمل مصطلح الأرثوذكسية - اليوم - أسرتين من الكنائس:

- **الكنائس الشرقية غير الخلقيدونية:** (التي رفضت قرارات مجمع خلقيدونية الذي انعقد في العام ٤٥١م) وتضم الكنيسة الأرمينية والكنيسة السريانية (كنيسة اليعاقبة) في سورية والهند، والكنيسة القبطية في مصر وإثيوبية وأريتريا.

- **الكنائس الشرقية الخلقيدونية:** وتضم الكنائس الأربع القديمة في القسطنطينية والإسكندرية وإنطاكية والقدس، والكنائس الحديثة في روسية ورومانية وبلغارية وصربية وجورجية فضلًا عن الكنائس في قبرص واليونان وألبانية وبولندة وتشيكوسلوفاكية وأمريكا.

تنظيم الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية وبنيتها:

الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية أسرة من الكنائس التي تحكم بنفسها في كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية (دستور الإيمان).

وهي تستمد وحدتها من الوحدة في العقيدة والمشاركة في الأسرار فنظامها (مجمعي) لا مركزي يتمتع بقدر فائق من المرونة والتكيف مع الظروف إذ يتيح إحداث كنائس محلية ثم إلغاءها من دون أن يؤثر ذلك في حياة الكنيسة. وفي هذا النظام المجمعي تشغل الكنيسة المحلية موقعًا ذا أهمية بالغة.

فكل كنيسة أرثوذكسية محلية هي كنيسة الله برعيتها، وكل راع فيها هو راع في كنيسة الله الواحدة.

والشعب المؤمن في رقعة جغرافية معينة (الرعية أصلًا والأبرشية فيما بعد) يجب أن يؤلف وحدة تتجلى في عشاء الرب الواحد.

ويؤم هذا الاجتماع الشيخ المسمى كاهنًا وهو حارس إيمان الجماعة ومركز وحدتها وحياتها المقدسة من دون أن يؤثر ذلك في وحدة الكنيسة الجامعة أو يتعارض معها. ولذلك يجب ألا يوجد أكثر من أسقف واحد في كل مدينة أو أبرشية، وللأسقف المنصب الأسمى بين المناصب الكهنوتية، ولا تعلو سلطته سلطة أخرى في أبرشيته أو جماعته، ولا يجوز رسم أسقف أو توليته ما لم يكن عضوًا في مجمع رسولي أو مجمع كنسي (سنودس).

ولكل كنيسة أرثوذكسية سنودس خاص بها يضم المطارنة والأساقفة كافة ويرسم الأساقفة الجدد ويرأسه البطريرك الذي هو رئيس رؤساء الأساقفة ويتمتع بصلاحيات واسعة في الأمور الدينية والدنيوية ضمن حدود التقليد الرسولي والقوانين الكنسية.

والكنيسة الأرثوذكسية هي كنيسة المجامع.

وكانت المجامع المحلية التي يحضرها أساقفة مقاطعة ما من مقاطعات الإمبراطورية تعقد - عمومًا - في عاصمة تلك المقاطعة برئاسة أسقفها الذي يحمل رتبة مطران (متروبوليت) لمعالجة القضايا المحلية ووضع الأنظمة بحسب مقتضى الحال.

ولما اتسع مدى المجامع في القرن الثالث الميلادي ازدادت أهمية أساقفة المدن الكبرى (العواصم) ونشأت فيها (كراسي أسقفية) تميز من بينها ثلاثة هي: كراسي إنطاكية وروما والإسكندرية.

وعندما تأسست مدينة القسطنطينية وغدت عاصمة إمبراطورية جعل مركزها السقفي كرسيًا رابعًا.

وكان لكل من هذه الكراسي سلطته على أقطار معلومة وتسودها جميعها عقيدة واحدة تعالج قضاياها الكبرى التي تخص العقيدة أو تهم جميع الكنائس مجامع يحضرها أساقفة الكراسي أو ممثلوهم.

وقد منح المجمع المسكوني الرابع (مجمع خلقيدونية) أساقفة هذه الكراسي لقب بطريرك الذي كان قد اختص به بطريرك إنطاكية قبل غيره، وأحدث أسقفية القدس، وجعل أسقفها بطريركًا فسمي البطريرك الخامس وبذلك نشأ نظام الرئاسة الخماسية في الكنيسة الأرثوذكسية.

ومنذ النصف الأول من القرن الثالث أطلق على أسقف الكرسي الإسكندري لقب البابا وسمي أسقف الكرسي الروماني بابا في الربع الأول من القرن السادس، وفي الربع الأخير من القرن نفسه أطلق أساقفة اليونان على أسقف كرسي القسطنطينية لقب البطريرك المسكوني.

وفيما بعد صار لقب البطريرك يطلق على رؤساء الكنائس المستقلة الكبرى لأسباب دينية واجتماعية وسياسية دولية.

عقيدة الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية:

تؤكد الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية محافظتها على إيمان الكنيسة الأولى كما حددته وفسرته المجامع المسكونية وكتابات آباء الكنيسة وبقاءها أمينة الماضي باستمرارية تقوم على مبدأ تسلم الإيمان ونقله.

والمرجع الرئيسي في إيمانها هو الكتاب المقدس مع أنه جزء من (التقليد الشريف) يعني أسفار الكتاب المقدس ودستور الإيمان وكتابات آباء الكنيسة وقرارات المجامع المسكونية فضلًا عن القوانين الكنسية وكتب الليترجيا (الطقوس والعبادات) والأيقونات وكل ما عبرت عنه الكنيسة الأرثوذكسية - عبر تاريخها - من عقيدة وتنظيم كنسي وعبادة وفهم وهي تعد نفسها حارسة لهذا الإرث الكبير ومن واجبها نقله إلى الأجيال القادمة.

ومع أن الموروث الديني يبقى - دومًا - موضوع الاحترام إلا أن عناصر (التقليد الشريف) غير متساوية القيمة فثمة عناصر تعد مطلقة مسلم بها لا يجوز تغييرها أو إعادة النظر فيها وفي مقدمتها الكتاب المقدس الذي يشغل المركز الرئيسي في التقليد ودستور الإيمان والتحديدات العقدية الصادرة عن المجامع المسكونية.

أما العناصر الأخرى فلا تتمتع بالقيمة ذاتها مع الأخذ بالحسبان الفروق بين ما يدخل في (التقليد الشريف) وما يعد من التقاليد المتوارثة التي تتغير وتتبدل بتغير الزمان والمكان.

الكنيسة الأرثوذكسية هي كنيسة المجامع وإن كان (دستور الإيمان) الذي وضعه المجمعان الأولان (نيقية ٣٢٥م - القسطنطينية ٣٨١م) هو الدستور الذي تلتزمه نصًّا وروحًا.

العبادة والأسرار المقدسة:

إن العبادة في الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية تمثل واحدًا من أهم العوامل في استمرارية هذه الكنيسة والمحافظة على هويتها.

والمفهوم القائل بأن الكنيسة قوية بجماهيرها المؤمنة حين تجتمع متحدة في العبادة هو الصيغة الأساسية للتجربة المسيحية الشرقية ومن دون هذا المفهوم لا يمكن إدراك الأسس الرئيسة لبنية الكنيسة في الأرثوذكسية ولا عمل الأسقف معلمًا وكاهنًا أعلى في الطقوس الدينية.

وتعد الطقوس الدينية الشرقية تجربة كاملة تستثير ملكات الإنسان العاطفية والعقلية والجمالية وتستخدم تعابير لاهوتية اصطلاحية وملاحظات وإيماءات مادية وفنونًا مرئية يقصد منها نقل الإيمان المسيحي للمتعلمين وغير المتعلمين على حد سواء.

وتؤكد جميع التعاليم الأرثوذكسية الشفوية والكتابية المعاصرة أن الكنيسة تعترف بسبعة أسرار مقدسة هي: [العماد - والميرون - والقربان المقدس - ورسم الكهنة - والتكفير - ومسحة المرض - والزواج].

بيد أنها لم تحدد عدد الأسرار رسميًّا لا في (كتاب الصلاة) الذي يتضمن نصوص هذه الأسرار، ولا في تعاليم آباء الكنيسة.

وفي الواقع لم يعمل أي مجمع كنسي اعترفت به الكنيسة الأرثوذكسية على تحديد عدد الأسرار، وقد قبل العدد سبعة فقط في (الاعترافات الأرثوذكسية) التي صدرت في القرن السابع عشر ردًّا على حركة الإصلاح.

ولاهوت الأسرار الأساسي للكنيسة الأرثوذكسية يرتكز على الفكرة القائلة بالجماعة الإكليريكية سرًّا وحيدًا تؤلف الأسرار الأخرى تعبيرًا طبيعيًّا عنه.

العلاقة بين الدولة والكنيسة الأرثوذكسية في بيزنطة:

أما العلاقات بين الدولة والكنيسة في بيزنطة فقد وصفت مرارًا بأنها

(قيصرية - بابوية) وهذا يدل - ضمنًا - على أن الإمبراطور كان يشغل - عمليًّا - منصب رئيس الكهنة.

بيد أن النصوص الرسمية تصف الإمبراطور والبطريرك بالحومة الثنائية وتقارن وظيفتهما بوظيفة كل من الروح والجسد في الجسم الواحد، وكان للإمبراطور - عمليًّا - اليد العليا في كثير من شؤون الكنيسة الإدارية كما استطاع بعض البطاركة المنفذين القيام بأدوار سياسية بالغة الأهمية.

ولم تكن فكرة القيصرية - البابوية توائم البيزنطيين ولا سيما في ميدان الديانة والعقيدة إذ لم يستطع الأباطرة البيزنطيين فرض إرادتهم حين كانت تتناقض وضمير الكنيسة، وقد ظهرت هذه الحقيقة جلية في المحاولات الكثيرة للاتحاد مع روما في أواخر القرون الوسطى.

الحركات الرهبانية في الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية:

استمر تطور الحركات الرهبانية في عاصمة بيزنطية وغيرها من المراكز على النحو الذي اتخذته في العصور المسيحية الأولى.

وكان دير ستوديون Studion في القسطنطينية يضم نحو ألف راهب وقفوا أنفسهم على الصلاة والطاعة والنسك.

واتصف هؤلاء الرهبان بمعارضتهم للحكومة وللرسميات الكنسية (الإكليريكية) مدافعين عن المبادئ المسيحية الأساسية في مواجهة التسويات السياسية.

وقد تبنت أديرة البنات قوانين دير ستوديون (مناهج حياة الأديرة) ولا سيما دير كافس Caves الشهير في مدينة كييف.

وفي عام ٩٦٣م منح الإمبراطور البيزنطي نقفور الثاني فوكاس حمايته للقديس إناسيوس الأتوسي الذي لا يزال ديره مركز جمهورية أديرة جبل أتوس

المستقلة (تحت حماية اليونان).

وكتابات القديس سيمون (٩٤٩ - ١٠٢٢م) رئيس دير القديس ماماس في القسطنطينية أبرز مثال على تصوف المسيحية الشرقية وكان لها تأثير فعّال في التطورات اللاحقة للكنيسة الأرثوذكسية.

البعثات التبشيرية:

انتشرت البعثات التبشيرية المسيحية في شرقي أوروبا فأصبحت بلغارية في القرن التاسع أرثوذكسية، وأسست بطريركيتها المستقلة إداريًّا في عهد القيصر سيمون (٨٩٣ - ٩٢٧م) وهكذا فإن كنيسة جديدة وليدة الكنيسة البيزنطية تتكلم اللغة السلاقية بسطت نفوذها على شبه جزيرة البلقان، بيد أنها سرعان ما فقدت استقلالها السياسي والكنسي بعد استيلاء الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني عليها؛ إلا أن بذرة الأرثوذكسية السلافية كانت قد زرعت وتأصلت فيها.

وفي عام ٩٨٨م اعتنق أمير كييف فلاديمير الأرثوذكسية البيزنطية وأصبحت روسية - بعد هذا التاريخ - مقاطعة كنسية يرأسها مطران يوناني تعينه القسطنطينية.

وقد تبنت روسية - في تلك المرحلة - تراث الحضارة البيزنطية الديني والفني والاجتماعي وطورته.

العلاقات مع الغرب والانشقاق الكبير:

كانت العلاقات مع الغرب اللاتيني في تلك الآونة تزداد غموضًا، فمن جهة عد البيزنطيون العالم الغربي بكامله جزءًا من إمبراطوريتهم التي يرأسها إمبراطور بيزنطة ويشغل الأسقف الروماني منصب الشرف فيها، ومن جهة ثانية اعترض أباطرة الفرنجة والألمان على هذه التسمية وتحدوها.

واتسعت الهوة بين الشرق والغرب بسبب المنافسات السياسية في إيطالية

بين البيزنطيين والألمان، وبسبب التغيرات المبدئية التي فرضتها الحركة الإصلاحية التي بدأها رهبان لكوني في فرنسة ولم تسفر الجهود التوفيقية التي بذلت عن شيء، وتبادل الطرفان الاتهامات حول نقاط المذهب والطقوس الدينية وسرعان ما أصدر كل منهما صك الحرمان الكنسي بحق الآخر في عام ١٠٥٤م - كما سبق بيان تفاصيله - ويعد هذا العام تاريخ الانشقاق (مع أن الانشقاق حصل تدريجيًّا بعد عملية طويلة ومعقدة بدأت قبل ذلك بكثير، وأسهمت فيها التباعدات الثقافية والسياسية والدينية كما سبق شرحه).

وكان ثمة أمل - في البدء - لرأب الصدع وإصلاح ذات البين إلا أن الانفصال تم منذ ذلك التاريخ وفقدت جسور الاتصال ولا سيما في زمن الحروب الصليبية إذ عمل الصليبيون على إقامة إمارات لاتينية على الأراضي التي كانت تعد ضمن دائرة نفوذ كنيسة القسطنطينية، ووضعوا أساقفة من اللاتيين مكان الأساقفة الشرقيين في إنطاكية والقدس بعد احتلالهم هاتين المدينتين القديمتين (١٠٩٨ - ١٠٩٩م) وبلغت الأزمة ذروتها حين استولى الصليبيون على القسطنطينية ونهبوها في عام ١٢٠٤م وأقاموا إمبراطورًا من اللاتين على العرش فيها ونصبوا بطريركًا من اللاتين على كرسيها الرسولي.

وهكذا اجتمع الجدل اللاهوتي والكراهية الوطنية معًا ليزيدا في هوة الانشقاق أكثر فأكثر.

وفي غمرة تلك الأحداث سعت الكنيستان البلغارية والصربية نحو استقلالهما الكنسي وإقامة بطريركيتها ثانية في ترنوفو (١٢٣٥م) وأسس الصرب كنيستهم المحلية ونصبوا أسقفًا مستقلًا لها في عام ١٢١٩م.

- أما الكنيسة الروسية فحافظت - على الرغم من الغزو المغولي لروسية (١٢٣٧ - ١٤٤٨م) - على بقائها منظمة اجتماعية متحدة وحية في البلاد من

جهة، وحاملة لواء التراث البيزنطي من جهة ثانية، وظل رئيس الكنيسة الروسية (مطران كييف الذي عينه مجمع نيقية) يحظى باحترام الخانات المغول وخوُّل سلطة الاتصال برئيسه الأعلى (البطريرك المسكوني) واكتسب مكانةً رفيعةً واحتفظ بسلطة كنسية على مناطق واسعة تمتد من جبال الكربات حتى نهر الفولغا.

وبعد ذلك استعادت أسرة باليولوغس البيزنطية القسطنطينية من اللاتين وحكمتها بين عامي ١٢٦١م و١٤٥٣م بيد أنها ما استطاعت إعادة الإمبراطورية إلى ما كانت عليه من قوة ونفوذ؛ إذ كانت المعارك تجري على امتداد حدودها، والحروب الأهلية تمزقها، ورقعة أراضيها تتقلص حتى وقف عند ضواحي العاصمة نفسها.

ومع ذلك حافظت بطريركة القسطنطينية - في تلك الآونة - على نفوذها القديم فمارست سلطاتها الشرعية على رقعة أوسع ضمنت روسية والقفقاس وأجزاء من الأراضي البلقانية إلا أنها لم تتمكن - من دون الدعم العسكري للإمبراطورية القوية - من إعادة فرض نفوذها على كنائس بلغارية وصربية.

وفي عام ١٣٤٦م أعلنت الكنيسة الصربية نفسها بطريركية واحتجت القسطنطينية على ذلك بيد أنها عادت واعترفت بها في عام ١٣٥٧م.

أما في روسيا فتورطت الدبلوماسية والإكليريكية البيزنطية في نزاع أهلي عنيف بين كبار أمراء موسكو وليتوانية للظفر بقيادة الدولة الروسية المحررة من المغول، وكان لتأييد السلك الإكليريكي أثر بارز في انتصار أمراء موسكو مما ترك أثرًا واضحًا في تاريخ روسية اللاحق.

الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية بين عامي ١٤٥٣م و ١٨٢١م:

فتح العثمانيون القسطنطينية عام ١٤٥٣م وتركوا للمسيحيين حرية العبادة وقد سمح السلطان العثماني في عام ١٤٥٤م بانتخاب بطريرك جديد للقسطنطينية سمي (ملة باشي) رئيسًا للمسيحيين جميعًا، يحق له الاضطلاع بالإدارة، وجباية الرسوم، وممارسة السلطة القضائية على المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية. وهكذا استعاد بطريرك القسطنطينية - في ظل الحكم الجديد - حقوقه السابقة، وامتدت سلطته الشرعية واتسعت أكثر فأكثر حتى بات بوسعه - بعد أن منحه السلطان العثماني امتيازات كثيرة - أن يبسط نفوذه على نظرائه من الأساقفة الأرثوذكس الآخرين، كما اتسعت سلطاته السياسية إلى جانب السلطات الكنسية والروحية.

وكان للنظام العثماني الجديد آثار ملحوظة في الكنائس القديمة في حوض البحر المتوسط والبلقان، فالدعم الذي منحه العثمانيون لأسقف القسطنطينية الشخصية الإدارية الرسمية (لملة الروم) زاد من سيطرة اليونان على هيئة الكهنوت فشغل الأساقفة اليونانيون مراتبها المتسلسلة كافة وأصبحت البطريركيات القديمة في الشرق الأوسط تخضع لسلطة الفنار (حتى في إسطنبول أقيمت فيه البطريركية الأرثوذكسية) كما أن الكنيستين البلغارية والصربية انتهتا إلى المصير نفسه إذ فقدتا - رسميًّا - آخر مزايا استقلالهما على يد بطريرك القسطنطينية صموئيل هانتشرلي.

وعلى النقيض من ذلك فقد بدأت روسية تنهض بعزم حتى غدت - في خاتمة المطاف - من الدول العظمى وحملت لقب (روما الجديدة) وغدت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية - تبعًا لذلك - بطريركية جديدة في عام ١٥٨٩م بموافقة القسطنطينية واعتراف البطريركيات الشرقية الأخرى

فحصلت على المرتبة الخامسة ضمن الترتيب الفخري لكراسي الأسقفيات الشرقية بعد بطريركيات القسطنطينية والإسكندرية وإنطاكية والقدس.

وكان القياصرة الروس - بعد القرن السادس عشر - يعدون أنفسهم خلفاء الأباطرة البيزنطيين والحماة السياسيين والممولين للأرثوذكسية في البلقان والشرق الأوسط.

بيد أن روسية القيصرية كانت تختلف - تمامًا - عن الإمبراطورية البيزنطية في نظامها السياسي والمعرفة الثقافية الذاتية، فالوفاق البيزنطي بين القيصر والبطريرك لم يحصل - أبدًا - في روسية والأهداف الدنيوية لدولة روسية كانت تحل - على الدوام - محل المصالح الكنسية والدينية، ولم يستطيع أساقفة موسكو مجاراة أسلافهم الأقوياء من البيزنطيين فلم يكن لهم حول ولا طول إزاء تجاوز القياصرة للعقائد والتشريعات الكنسية.

وقد شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر سلسلة من الأزمات الحادة بين الكنيسة والقيصرية انتهت إلى انتصار الأخيرة حين أطاع بطرس الأكبر (١٦٨٢ - ١٧٢٥م) نهائيًا بالبطريركية في عام ١٧١٢م وحول إدارة الكنيسة إلى دائرة حكومية عرفت باسم المجمع الحاكم المقدس، وأصدر قانونًا روحيًا حدد النظم الداخلية لكل النشاطات الدينية في روسية وبدأت الكنيسة - بذلك - عهدًا جديدًا في تاريخها استمر حتى عام ١٩١٧م.

الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية في القرن التاسع عشر:

بعد تحرر البلقان من السيطرة التركية ظهرت فيه دول قومية لها كنائس مستقلة تحكم نفسها بنفسها إذ رافق ضعف الحكم العثماني تقلص السلطة الفعلية التي كانت تمارسها بطريركية القسطنطينية فاليونانيون - الذين كانوا يرون في البطريركية أمل المستقبل - كانوا أول من أقاموا كنيسة قومية لهم في

دولتهم الجديدة (١٨٣٣م) وصاغوا نظامًا كنسيًّا على غرار النظام الروسي يتألف من مجمع كنسي مقدس يحكم الكنيسة بإشراف حكومي وقد اعترفت البطريركية القسطنطينية بالاستقلال الذاتي للكنيسة الجديدة في اليونان عام ١٨٥٠م.

وفي صربية نال رجال السلك الكهنوتي الصربية استقلالهم الذاتي بعد استقلال صربية عام ١٨٣٢م وفي عام ١٨٧٩م اعترفت القسطنطينية بالكنيسة الصربية كنيسة تحكم نفسها بنفسها، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت في الإمبراطورية النمساوية المجرية كنيستان تمارسان السلطات الشرعية على صربية ورومانية والبلاد السلافية الأخرى هما بطريركية كارلوفتز ومطرانية زرنوفتز (شرنوفستي اليوم).

أما الأبرشيات الصربية في البوسنة والهرسك التي كانت تحت الإشراف النمساوي عام ١٨٧٨م فحافظت على استقلالها الذاتي إلا أنها لم تتمكن - مطلقًا - من الاستقلال الكامل عن القسطنطينية.

وقيام رومانية دولة مستقلة بعد قرون من الاحتلال الأجنبي لها حفّز الكنيسة الرومانية - في عام ١٨٦٥م - على التصريح بأنها كنيسة تحكم نفسها بنفسها بَيْدَ أنَّ القسطنطينية لم تعترف بها إلا في عام ١٨٨٥م.

أما في بلغارية فلم تخل عملية إعادة تأسيس الكنيسة البلغارية من المآسي والانقسامات إذ أنها جاءت في الوقت الذي كان يعيش فيه البلغار واليونانيون جنبًا إلى جنب في كل من مقدونية وتراقية والقسطنطينية التي كانت ما تزال خاضعة للحكم العثماني الداعم لليونانيين على حساب البلغار.

وفي القرن التاسع عشر تفاقم الخلاف بين الطرفين فكان فرمان السلطان العثماني عام ١٨٧٠م الذي قضى بإقامة كنيسة بلغارية وطنية يرأسها نائب

بطريرك بلغاري يقيم في القسطنطينية ويحكم جميع البلغار الذين يعترفون به.

وفي روسية استمر القانون الروحي الذي وضعه بطرس الأكبر ساري المفعول حتى قيام الثورة البلشفية وسقوط القيصرية الروسية عام ١٧١٩م بيد أن كثيرًا من رجال الكنيسة عارضوا خضوع الكنيسة للدولة من دون أن يستطيعوا شيئًا.

ومع أن بطرس الأكبر وخلفاءه من بعده نزعوا إلى معالجة شؤون الكنيسة مباشرة فقد فوض القياصرة في القرن التاسع عشر السلطة إلى ممثلين عنهم في الكنيسة اختاروهم من بين المتنفذين فيها بعد منحهم مناصب وزارية في الحكومة.

وكانت الكنيسة الروسية أكثر غنى واتساعًا من شقيقاتها في البلقان والمشرق؛ فأسست المعاهد اللاهوتية والحلقات الدراسية ومدت يد المساعدة إلى آلاف المدارس والبعثات التبشيرية.

الكنيسة بعد الحرب العالمية الأولى:

كان لانحسار المسيحية من آسيا الوسطى ولإعادة تجمع الكنائس الأرثوذكسية في البلقان ولمأساة الكنيسة على يد الثورة البلشفية وللشتات الأرثوذكسي في الغرب آثارها البالغة في إحداث تغيرات جذرية في بنية العالم الأرثوذكسي.

الكنائس الشرقية اليونانية الأرثوذكسية في المشرق:

إثر الحرب اليونانية التركية رحل جميع السكان المتحدرين من أصل يوناني من تركية إلى اليونان واقتصرت سلطة بطريركية القسطنطينية المسكونية على ما تبقى من الأرثوذكس في إسطنبول وضواحيها إلا أنها بقيت تمسك بالزعامة الفخرية بين الكنائس الأرثوذكسية الأخرى وتمارس سلطاتها على عدد من أبرشيات المهاجرين الأرثوذكسية وعلى الجزر اليونانية بموافقة حكوماتها.

وتؤلف بطريركيات إنطاكية والإسكندرية والقدس إلى جانب البطريركية المسكونية بقايا الإمبراطورية البيزنطية الغابرة بيد أنها ما تزال تمتلك في أوضاعها الراهنة فرصًا للتطور:

فبطريركية الإسكندرية مركز للطوائف الإفريقية المتنامية، وبطريركية إنطاكية - ومقرها دمشق - تؤلف أكبر مركز للتجمع المسيحي العربي بأبرشياتها في سورية ولبنان والعراق وبطريركية القدس خير حارس للأماكن المقدسة في مدينة القدس.

والكنيستان القديمتان كنيسة قبرص وكنيسة جورجية ما تزالان ذات شأن بين شقيقاتها: فالكنيسة القبرصية - التي استقلت منذ عام ٤٣١م حافظت على بقائها واستطاع أساقفتها ممارسة حرياتهم الدينية ولا سيما في زمن سيطرة المسلمين على الجزيرة والكنيسة الجورجية شاهد على تقاليد الكنيسة القديمة، وقد استقلت عن أمها كنيسة إنطاكية في مطلع القرن السادس الميلادي وطورت حضارة أدبية وفنية بلغتها الخاصة.

الكنيسة الروسية:

عانت الكنيسة سلسلة من الأزمات وتعرضت لكثير من الهزات بعد سقوط القيصرية ولا سيما بعد عام ١٩٢٢م إذ صادرت الحكومة السوفيتية ممتلكات الكنيسة ووضعت البطريرك تحت الإقامة الجبرية وأسهمت في تفتيت وحدة الكنيسة وأضعفت مقاومتها.

وفي عهد جوزيف ستالين في العشرينات والثلاثينيات من القرن العشرين تعرضت الكنيسة لاضطهادات ذهب ضحيتها الآلاف من رجال الدين.

ومن عهد البطريرك ألكسيس (١٩٤٥ - ١٩٧٠م) استعادت الكنيسة بعض حيويتها وتمكنت من افتتاح عدد كبير من الكنائس بيد أن الحكومة شنت

حملة جديدة عليها وخفضت عدد الكنائس المفتوحة.

ومع مرور عشرات الأعوام على الدعاية المناهضة للدين فقد ظل ملايين الأتباع يحتفظون بولائهم للكنيسة كما وجب على زعماء الكنيسة - في الوقت ذاته - إظهار ولائهم المطلق للحكومة السوفيتية للحفاظ على الكنيسة من الضياع.

البلقان وشرقي أوروبا:

بعد أن سقطت الدولة العثمانية والإمبراطورتان النمساوية والروسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى طرأت تغيرات مهمة على بني الكنيسة الأرثوذكسية.

ففي الجمهوريات المستقلة حديثًا (فنلندة ولاتفية وإستونية وليتوانية) أعلنت الأقليات الأرثوذكسية استقلال كنائسها كما قامت في بولونية كنيسة تحكم نفسها بنفسها.

أما التغيرات في البلقان فكانت ذات أهمية خاصة فقد اتحدت المجموعات الخمس لأبرشيات صربية تحت لواء بطريرك واحد مقره بلغراد عاصمة الاتحاد اليوغسلافي (سابقًا) كما أن أبرشيات رومانية ألفت بطريركية رومانية الجديدة في عام ١٩٢٥م وهي أكبر الكنائس البلقانية التي تحكم نفسها بنفسها.

وفي عام ١٩٣٧م اعترفت كنيسة القسطنطينية باستقلال كنيسة ألبانية.

أما الكنيسة اليونانية فحافظت على مكانتها الشرقية التي اكتسبتها منذ القرن التاسع عشر وحظيت بتأييد جميع الأنظمة التي توالت على اليونان.

الأرثوذكسية في الولايات المتحدة الأمريكية:

ظهرت الكنيسة الأرثوذكسية أول الأمر في القارة الأمريكية في صورة بعثة تبشيرية لمواطني الأسكة وجزر أليوت التي كانت أراضي روسية حتى عام ١٨٦٧م.

ووصل أول المبشرين هناك في أواخر القرن الثامن عشر وأحدثت أبرشية مستقلة على جزر أليوت وألاسكة في عام ١٨٧١ م ثم انتقل كرسي هذه الأبرشية إلى سان فرانسيسكو وسميت (أبرشية جزر أليوت وشمالي أمريكا) ١٩٠٠م.

وأخذت هذه الكنيسة تطبق تشريعاتها في معظم الجزء الشمالي من القارة الأمريكية، وكانت تقوم بخدمة المهاجرين من اليونان وصربية وسورية وألبانية وغيرها.

إلا أن بعض الطوائف اليونانية والرومانية استدعت قساوسة من بلادها الأصلية.

وفي عام ١٩٢١م أقامت كل جماعة قومية كنيسة خاصة بها ترتبط بالكنائس التي تنتمي إليها تلك القوميات في العالم القديم: أسقفية يونانية، وأسقفية سورية، ومطرانية صربية، ومطرانية رومانية وغيرها.

الشتات الأرثوذكسي والبعثات التبشيرية:

منذ الحرب العالمية الأولى توزع الملايين من سكان أوروبا الشرقية في مناطق مختلفة لم يسكنها الأرثوذكس من قبل.

فالثورة الشيوعية تسببت بهجرات واسعة إلى أوروبا الغربية ولا سيما فرنسا، وحاولت بطريركية موسكو أن تفرض وصايتها على الكنائس الأرثوذكسية في الشتات (١٩٢٥م) بيد أنها لاقت معارضة كبيرة من الأساقفة الذين غادروا أبرشياتهم وفروا من روسية وحلّوا ضيوفًا على الكنيسة الصربية فحولوا مركز قيادتهم إلى نيويورك باسم (الكنيسة الروسية والأرثوذكسية خارج روسية) ولم يقيموا أي علاقات كنسية رسمية مع البطريركيات والكنائس الأرثوذكسية كما وجدت (الكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية في

الشتات) نفسها في الوضع الكنسي ذاته وانضمت مجموعات أرثوذكسية أخرى في الشتات إلى البطريركية المسكونية.

وبعد الحرب العالمية الثانية هاجر كثير من اليونانيين إلى أوروبا الغربية واستراليا ونيوزلندا وإفريقيا.

وفي إفريقيا استطاع المهاجرون اليونان اجتذاب عدد لا بأس به من الأفارقة إلى الأرثوذكسية وتنتشر - اليوم - الطوائف الأرثوذكسية في أوغندة وكينيا وتنزانيا.

الحركات المسكونية الأرثوذكسية:

في المرحلة الفاصلة بين الحربين العالميتين شارك كثير من رجال الكنيسة التابعين للبطريركية المسكونية في القسطنطينية، ولكنائس اليونان والبلقان ومن المهاجرين الروس في حركات مسكونية أرثوذكسية.

وبعد الحرب العالمية الثانية لم توافق الكنائس الأرثوذكسية في البلدان الشيوعية بالانضمام إلى المجلس العالمي للكنائس في عام ١٩٤٨م.

وفي عام ١٩٦١م تغير الوضع فجأة حيث تقدمت بطريركية موسكو بطلب العضوية وتبعتها كنائس أخرى.

وأعلن الأرثوذوكسيون - نحو عام ١٩٦١م - أنهم عازمون على البحث في أفضل السبل لإعادة الوحدة المسيحية وعلى دراسة مسائل العمل المسيحي المشترك في العالم المعاصر.

وحين نشطت الكنيسة الرومانية في الحركة المسكونية بادرت الكنيسة الأرثوذكسية - بعد تردد - إلى المشاركة بجهودها في الجو الجديد.

وكانت الاجتماعات الأخيرة التي عقدت بين البطريرك والبابا في إسطنبول وروما ورفع الحرم الكنسية القديمة وغير ذلك مؤشرات تدل على التقارب بين

الكنيستين وتفسر - في بعض الأحيان - كما لو أنهت الانشقاق نفسه.

الكنائس الأرثوذكسية اليوم:

الكنائس الخلقيدونية (اليونانية أو البيزنطية):

وتضم البطريركيات الأربع القديمة ونحو خمس عشرة كنيسة يتمتع أكثرها باستقلال ذاتي:

١ـ بطريركية القسطنطينية المسكونية:

ومقرها إسطنبول وتتمتع بالسيادة الفخرية على الكنائس الأرثوذكسية ويحمل بطريركها لقب البطريرك المسكوني ومع أنه من اليونانيين بسبب سيطرة هؤلاء على الكنيسة في العهد العثماني فإن الحكومة التركية تفرض على من ينتخب لهذا أنه يحمل الجنسية التركية.

وقد تقلصت رفعة نفوذ هذه البطريركية بعد فتح القسطنطينية ويتبع لها - اليوم - تركية وبعض جزر بحر إيجة وبعض أبرشيات اليونانيين والأوكرانيين والبولونيين والألبان في المهجر وجبل أتوس (عشرون ديرًا رهبانيًّا منها سبعة عشر ديرًا يونانيًّا ودير للصرب وآخر للبلغار وثالث للروس) ويبلغ عدد رعاياها مجتمعة نحو ثلاثة ملايين.

٢ـ بطريركية الإسكندرية وسائر إفريقيا:

ويحمل بطريركها لقب بابا وبطريرك وهو من اليونانيين وتتبع لها كل إفريقيا ويقدر عدد رعيتها بنحو ثلاثمائة ألف.

٣ـ بطريركية إنطاكية وسائر المشرق:

ومقرها دمشق وتشمل ست عشرة أبراشية وثماني معتمديات بطريركية ويتوزع رعاياها (نحو ١٢ مليون) في سوريا ولبنان والعراق وأوروبا الغربية وأمريكا واستراليا.

٤ـ بطريركية أورشليم القدس وسائر فلسطين:

وهي الرابع في ترتيب الكنائس الأرثوذكسية. وتشغل مركزًا بارزًا لكونها

من أقدم الكنائس في أقدس المدن المسيحية وتتولى حماية الأماكن المقدسة.

وبطريركها ومجمعها من اليونانيين مع كون رعيتها في فلسطين والأردن عربًا بسبب سيطرة اليونانيين على الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية في العهد العثماني. وعدد رعية هذه البطريركية قليل لا يتجاوز ثلاثين ألفًا.

٥ـ كنيسة قبرص:

وهي أول الكنائس المستقلة يرأسها رئيس أساقفة. وكانت تضم خمس أبرشيات اثنتان منها في القسم التركي من الجزيرة.

٦ـ كنيسة سيناء:

وتتكون من دير واحد هو دير القديسة كاترينا عند سفح طور سيناء يرأسها رئيس أساقفة ينتخبه الرهبان (١٠٠ راهب) ويقيمه بطريرك القدس.

٧ـ بطريركية موسكو وكل روسية:

ومقرها موسكو وقد أقيمت فيها البطريركية بعد فتح القسطنطينية وعدد رعيتها نحو مئة وخمسين مليونًا.

٨ـ بطريركية صربية:

ومقرها بلغراد، وكانت تشمل يوغسلافية السابقة عدا جمهورية الجبل الأسود التي فصلها النظام الشيوعي السابق عن البطريركية وعدد رعيتها نحو عشرة ملايين.

٩ـ بطريركية بلغاريا:

وهي أقدم الكنائس السلافية (القرن العاشر للميلاد) وتبلغ رعيتها ثمانية ملايين.

١٠ـ بطريركية رومانيا:

ومركزها بوخارست وعدد رعيتها اثنا عشر مليونًا.

وثمة إحدى عشرة كنيسة مستقلة:

كنيسة اليونان:

ويرأسها رئيس أساقفة وعدد رعيتها نحو عشر ملايين.

بطريركية جورجية والبلاد الكرجية:

انتشرت المسيحية في جورجية منذ القرن الرابع وارتبطت ببطريركية إنطاكية حتى القرن الثامن ثم تبعت الكنيسة الروسية إلى أن استقلت في عام ١٩١٧م وعدد رعيتها نحو أربعة ملايين.

كنيسة ألبانية:

وكانت ترتبط بالقسطنطينية حتى عام ١٩٣٧م مقرها تيرانة وفيها رئاسة أساقفة، وعدد رعيتها نحو ثلاثمائة ألف.

كنيسة بولونية:

وهي رئاسة أساقفة ومقرها وارسو.

كنيسة تشيكوسلوفاكية (سابقا):

ومقرها براغ وفيها رئاسة أساقفة .

كنيسة هنغارية:

ومقرها بودابست وفيها دير بيزنطي.

ثلاث كنائس مستقلة ذاتيا في فلندة واليابان والصين:

لم تحصل على استقلالها التام إلى اليوم. فضلًا عن عدد من الأبرشيات الأرثوذكسية في أوروبا الغربية والأمريكتين، وفي آسيا واستراليا وإفريقيا وتتبع كل أبرشية منها لكنيسة أو لأخرى ويتمتع بعضها باستقلال ذاتي.

الكنائس الأرثوذكسية اللاخلقيدونية:

وتضم ست بطريركيات وكنيستين مستقلتين:

١- بطريركية الإسكندرية وسائر الكرازة المرقصية للأقباط الأرثوذكس:

ومقرها القاهرة تقدر رعيتها نحو ثمانية ملايين (والكرازة تعني الوعظ بالحقائق المسيحية).

٢- بطريركية إنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس:

ومقرها دمشق وتقدر رعيتها بنحو مليوني سرياني في سوريا ولبنان والدول الإسكندنافية فضلًا عن وجود مليون سرياني في الهند. لذلك يدعى بطريركها الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم.

٣- بطريركيتان أرمنيتان للأرمن الأرثوذكس:

ولا تسميان - في الواقع - بطريركية بل تسميا كاثوريغوس Catholicos إحداهما: وهي الأهم في دير اتشمبازين Echmiadzin الواقع قرب يرفن Yerevan عاصمة أرمينيا ويسمى بطريركها: كاثوريغوس كل الأرمن الأرثوذكس. والثانية: في أنطلياس (لبنان) وتسمى كاثوريغوس بيت كيليكيا الكبير وتتبع لها أبرشيات سوريا ولبنان وقبرص وكريت وإيران والولايات المتحدة.

٤- بطريركية القدس:

وهي تاريخية وتشمل فلسطين والأردن ولها ربع كنيسة القيامة ونصف كنيسة ميلاد المسيح وبطريركية القسطنطينية وهي مركز تاريخي كذلك، وعدد رعيتها قليل، وتشمل تركيا وأجزاء من أوروبا.

٥- كنيسة الحبشة:

وكانت مرتبطة ببطريركية الأقباط الأرثوذكس في القاهرة ثم استقلت ورعيتها نحو ثلاثين مليونًا.

٦- الكنيسة الآشورية الأرثوذكسية:

ومقرها بغداد ولرعيتها وجود في الولايات المتحدة (الكنيسة الرسولية الآشورية الأمريكية في شيكاغو) وفي سوريا ولبنان والهند وإيران واستراليا وإيطاليا ويصل عدد أفراد رعيتها إلى نحو نصف مليون.

الفرق الرئيسية بين الأرثوذكسية والكاثوليكية [1] ؟!

يمكن تقسيم هذه الاختلافات إلى الأقسام التالية:

١- الاختلافات العقيدية:

حول طبيعة السيد المسيح Christology: ترى الكنائس الأرثوذكسية اللاخلقيدونية (القبطية والحبشية والسريانية والأرمنية): [أن الأقنوم الثاني

((١)) مستفاد من مقالة عن تاريخ الكنيسة للشماس القبطي الإكيلركي عهدي سامي منشورة في مجلة قبطية مع إعادة ترتيب وإضافة شروح وتوضيحات من مصادر إضافية.

أقنوم الابن تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء مصيرًا هذا الجسد معه واحدًا وحدةً ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال بهذا صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة] في حين ترى العقيدة الكاثوليكية أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين لاهوتية وناسوتية.

حول الأقنوم الثالث روح القدس: حيث ترى جميع الكنائس الأرثوذكسية- سواء الخلقيدونية منها أو غير الخلقيدونية - انبثاق الروح القدس من الأب فقط في حين ترى الكنيسة الكاثوليكية انبثاق روح القدس من الآب والابن معًا وتسمى هذه العقيدة بالفيليوق Filioque.

٢ـ الاختلافات الطقسية:

في القدس: (أوشية الآباء/ قانون الإيمان/ مجمع القديسين).

في التناول: عند الأرثوذكس يتم مناولة المؤمنين في القربان المقدس (الأفخاريستيا) كلًّا من الخبز العادي (ذي الخميرة) والخمر في حين تقتصر الكنيسة الكاثوليكية على تقديم خبز القطير فقط أو البرشان (شريحة صغيرة) دون الخمر وأحيانًا يقدمونها بعد غمسها بالخمرة.

يأخذ الأرثوذكس على الكاثوليك الأمور الطقسية التالية:

- عدم الالتزام بالاحتراس ٩ ساعات قبل التناول.

- إقامة أكثر من قداس على نفس المذبح في يوم واحد.

- يمكن للكاهن أن يصلي ويتناول في أكثر من قداس في اليوم الواحد.

- عدم مناولة الأطفال وإجراء طقس المناولة الأول من سن ٨ سنوات في حين يناول الأرثوذكس الطفل في وقت أبكر أي مع أول تعميد له وهو لا يزال في السنة الأولى أو الثانية من عمره.

- مناوله غير المؤمنين (يمارسها الأساقفة الكاثوليك - خاصة في الغرب -

بدون قرار واضح رسمي من الفاتيكان).

٣ـ الاختلافات في الأحوال الشخصية:

يسمح الأرثوذكس بالطلاق في بعض الحالات في حين لا يسمح الكاثوليك بالطلاق على الإطلاق ويستند الأرثوذكس في موقفهم إلى نصوص صريحة تبيح الطلاق في بعض الحالات مثل ما ورد في:

[متى ٥ :٣٢ - متى ١٩ :٩ - مرقس ١٠ : ١١ - لوقا ١٦ : ١٨].

أما الكاثوليك فيتمسكون - فقط - بنص [متى ١٩ : ٦ - ٩] الذي يقول فيه المسيح: [فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان]. فسألوه: (فلماذا أوصى موسى أن يعطي كتاب طلاق فتطلق). قال لهم: [إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني].

وبسبب منعهم الطلاق تمامًا اضطر الكاثوليك إلى التوسع كثيرًا في أسباب بطلان الزواج أي أنهم عندما يوقعون الانفصال بين الزوجين يوقعونه تحت عنوان أن العقد بينهما كان باطلًا من الأساس لعدم تحقق بعض شروطه وبالتالي لا يسمونه تطليقًا وإنما فسخًا للعقد الذي كانت شروطه من البداية غير تامة.

يسمح الكاثوليك - أحيانًا - بالزواج بغير المؤمنين في حين يرفض ذلك الأرثوذكس.

[(التفسيح البولس) اكو٧]. إشارة إلى ما جاء في الإصحاح السابع من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس:

[وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها. والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها لا تتركه؛ لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة، والمرأة غير

المؤمنة مقدسة في الرجل، وإلا فأولادكم نجسون. وأما الآن فهم مقدسون] اكونثوش ٧/ ١٢- ١٤.

٤. الاختلافات من جهة القديسة العذراء مريم:

لا يؤمن الأرثوذكس بعقيدة الحبل بلا دنس Immaculate Conception (أي العقيدة القائلة أن السيدة العذراء ولدت من حنة ويواقيم وهي لا تحمل الأصلية) وهي عقيدة أقرها البابا بيوس التاسع عام ١٨٥٤م.

كما ينفي الأرثوذكس صحة عقيدة الكنيسة الكاثوليكية القائلة إن مريم العذراء شريكة في عمل الفداء ولا يؤمنون بقول الكاثوليك إنه لا تأتي نعمة إلى البشر إلا عن طريق العذراء ويسمونها سيدة المطهر ويرفضون قولهم بعصمة العذراء الكاملة عن الخطأ، ويرون كل ذلك عقائد تمت إضافتها - بلا إجماع - إلى قانون الإيمان المسيحي.

٥. الاختلافات في موضوع الخلاص والغفران:

لا يؤمن الأرثوذكس بالمطهر Purgatory الذي قالت به الكنيسة الكاثوليكية وهو مرحلة بين الجنة والنار يعذب فيها بعض المستحقين للعذاب لفترة محدودة ثم يصيرون إلى الجنة.

- يأخذ الأرثوذكس على الكاثوليك أنهم يؤمنون أن الإنسان يمكن أن ينال الغفرانات لعدد من السنين أو الأيام عن طريق تلاوة صلوات معينة أو زيارة أماكن مقدسة معينة بأوامر من بابا الكاثوليك ويأخذون عليهم إيمانهم بزوائد القديسين أي أن بعض القديسين لهم زوائد من الغفرانات يمكن منحها أو توريثها لغيرهم.

- يرفض الأرثوذكس خلاص أحد إلا عن طريق المسيح والإيمان بفدائه في حين يؤمن الكاثوليك بإمكانية خلاص غير المؤمنين بالمسيح من أتباع الديانات الأخرى إذا ما أخلصوا في إيمانهم وعملهم الصالح وأن رحمة الله الواسعة

ومحبته الفائقة تشمل الجميع.

٦ـ اختلافات بخصوص الرئاسة الكنسية:

لا يؤمن الأرثوذكس برئاسة بطرس الرسول Primacy of Peter على سائر الرسل وبالتالي لا يؤمنون بأن لبابا روما رئاسة دينية مميزة وخاصة على كنائس العالم كلها باعتبارها خليفة بطرس الرسول.

- يرى الكاثوليك عصمة البابا في كل ما يقوله من إرشاد وتعليم ديني في حين لا يرى الأرثوذكس عصمته ولا عصمة بطاركتها أو باباواتهم بل الكل معرض لأن يخطئ حتى في المسائل العقائدية.

٧ـ خلافات أخرى:

يأخذ الأرثوذكس على الكنيسة الكاثوليكية موقفها الأخير (في أواخر القرن العشرين) في تبرئة اليهود من دم المسيح (المجمع الفاتيكاني الثاني سنة ١٩٦٥م).

- ويأخذون عليها إلغاءها غالبية الأصوام وتأجيل مسح الأطفال بالميرون إلى سن ٨ سنوات.

- يسمح الأرثوذكس للكهنة بالزواج بخلاف الكاثوليك الذين لا يسمحون بزواج الكهنة (ملاحظة: هذا التعليم مطبق خاصة لدى اللاتين الكاثوليك، أما الكاثوليك من الأقوام الآخرين كالسريان الكاثوليك والأقباط الكاثوليك فقد تساهلت معهم الكنيسة الكاثوليكية فصارت تسمح للإكليروس منهم بالزواج).

يقول الشماس القبطي الإكليركي عهدي سلمي في ختام عرضه لتلك الفروقات بين الكاثوليك والأرثوذكس: [وقد أمكن - بنعمة الله - توقيع اتفاق كريستولوجي مع الإخوة الكاثوليك فيما يختص بطبيعة المسيح وكان ذلك في عام ١٩٨٨م وفيما يلي نص هذا الاتفاق: نؤمن كلنا أن ربنا وإلهنا

ومخلصنا يسوع المسيح الكلمة (اللوغوس) المتجسد هو كامل في لاهوته وكامل في ناسوته وأنه جعل ناسوته واحدًا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تشويش وإن لاهوته لم ينفصل عن ناسوته حتى إلى لحظة أو طرفه عين. وفي نفس الوقت نحرم كلًّا من تعاليم نسطور وأوطاخي].

الأرثوذكسية واتحاد المسيحيين:

المبدأ الأساسي الذي يأخذ به الأرثوذكسيون في جميع علاقاتهم المسكونية هو وحدة الإيمان وليس وحدة التنظيم.

فالكنيسة الأرثوذكسية أسرة من الكنائس الشقيقة الأمر الذي يسمح للمسيحيين الآخرين بالانضمام إلى الأرثوذكسية من دون أن يؤثر ذلك في استقلالهم الذاتي.

الأرثوذكسية تطالب الطوائف المسيحية الأخرى بتقبل التقليد الشريف بمجمله، والتقليد الشريف يتميز من التقاليد (العادات) إذ أن كثيرًا من الأمور التي يؤمن بها الأرثوذكسيون لا تؤلف جزءًا من التقليد الشريف بل هي آراء لاهوتية لا يجوز فرضها على الآخرين.

فمن الممكن أن يكون الناس على وحدة كاملة في الإيمان وفي الوقت نفسه تختلف آراؤهم اللاهوتية في بعض الميادين.

والمبدأ الأساسي القائل إنه ما من لقاء من دون وحدة في الإيمان يفضي إلى أنه لا يمكن أن يكون ثمة مشاركة في الأسرار بين المسيحيين المنتمين إلى طوائف مختلفة ما لم تصبح وحدة الإيمان أمرًا محققًا.

ثانيا: الكنيسة الرومانية الكاثوليكية Roman Catholic church:

أصل كلمة كاثوليكي هو اللفظة اليونانية [1] Katholikos كاثوليكوس

---

(١) مراجع هذا الموضوع هو المعلومات الغزيرة المنشورة بعد لغات على مواقع عديدة للكنيسة الكاثوليكية على شبكة الإنترنت ثم الموسوعتين البريطانية والأمريكية ثم الموسوعة العربية العالمية والموسوعة الفلسفية العربية.

وتعني: العالمي Universal حيث تمثل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أكبر تجمع مسيحي في العالم إذ يقدر عدد أتباعها بنحو مليار مسيحي يمثلون حوالي خمس سكان العالم وينتشرون في جميع بقاع المعمورة فلا يكاد يوجد بلد على وجه الأرض لا يوجد فيه للكنيسة الكاثوليكية أتباع.

وقد استخدمت هذه الكلمة - أي الكاثوليكية - لأول مرة من قبل القديس أغناطيوس الأنطاكي في رسالته إلى السميرانيي Cmyrnaeans سنة ١١٠م ثم استخدمها اللاهوتي الإغريقي كليمنت الإسكندراني (١٥٠ - ٢١٥م) الذي يعد أحد الآباء العظام اليونانيين للكنيسة الكاثوليكية لكن الاستخدام الرسمي لها في التعبير عن الكنيسة المسيحية - التي كانت الوحيدة في ذلك الوقت - لم يحدث قبل القرن الثالث الميلادي.

وقد عبر اللاهوتي الفرنسي فينسان الليرينسي Vienent of lerins عن المبدأ الأساسي والأسمى للكنيسة الكاثوليكية كالتالي: [كل ما تم الاعتقاد به أينما كان دائمًا ومن قبل الكل فهذا هو الكاثوليكي حقيقة وبالمعنى الدقيق للكلمة].

ويقود الكنيسة الكاثوليكية قداسة البابا - الحبر الأعظم - وهو أسقف روما من مقره بمدينة الفاتيكان التي تعد دويلة صغيرة مستقلة داخل مدينة روما عاصمة إيطاليا.

ويساعده في تصريف شؤون الكنيسة وإداراتها في العالم بعض الإدارات والهيئات القضائية والإدارية يطلق عليها اسم كوريا رومانا Curia Romana والتي تضم بعض المحاكم والسفارات أو القنصليات البابوية التي تصدر بيانات البابا الرسمية وبعض الوظائف الوزارية مثل وزارة الخارجية الكاردينالية للفاتيكان ومجمع الكرادلة المقدس College of Cardinals

الذي يعين البابا أعضاءه الذين يعتبرون مستشاريه الرئيسيين ومعاونيه المقدمين في إدارة شؤون الكنيسة الكاثوليكية.

وأبرز مهمات هذا المجمع انتخاب البابا الجديد كلما خلا كرسي الرسولي.

وإنما يتم هذا الانتخاب في خلوة تعقد وراء أبواب مغلقة وبالاقتراع السري.

وكثيرًا ما يتطاول أمد انتخاب البابا الجديد فيستغرق أيامًا متعددة يكرر فيها الانتخاب المرة تلو المرة حتى يفوز أحد المرشحين بأكثرية الثلثين مضافًا إليها صوت واحد.

ومن تقاليد انتخاب البابا أن تحرق أوراق الاقتراع بعد خلطها بالتبن الرطب إثر كل جولة وهكذا يتصاعد من مدخنة الخلوة دخان أسود يشعر الناس أن الكنيسة لا تزال بلا بابا يرأسها.

حتى إذا تم اختيار البابا الجديد أحرقت أوراق الاقتراع الأخير كما هي فيكون في الدخان الأبيض المتصاعد من المدخنة ما يفيد أن رأسًا جديدًا للكنيسة قد انتخب وعندئذ - فقط - ينفرط عقد الخلوة، ويرقى تاريخ مجمع الكرادلة المقدس إلى القرن الثامن للميلاد.

وتوجد - أيضًا - للكرادلة لجان ومجالس لكل منها عمل خاص بها.

وتشاهد على اليسار كاتدرائية القديس بطرس في حاضرة الفاتيكان في روما/ إيطاليا وتعد من أقدس الأماكن في العالم بالنسبة للكاثوليك.

وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية نفسها الوريث الشرعي الوحيد - عبر سلسلة أسقفية متواصلة تبدأ من بطرس الرسول تلميذ ووصي وخليفة السيد المسيح وتستمر عبر خلفائه من الآباء (الباباوات) بلا انقطاع إلى يومنا هذا - للتفويض والسلطان اللذين منحهما يسوع المسيح للرسل الاثنى عشر حين قال: [ثم دعا

تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانًا على أرواح نجسة حتى يخرجونها ويشفوا كل مرض وكل ضعف].

هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلًا: [... اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السماوات اشفوا مرضي. طهروا برصًا. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا..].

[ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم. وتساقون أمام ولاة وملوك من أجل شهادة لهم وللأمم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم]. (إنجيل لوقا: ١٠/ ١-٢٠).

يعيش معظم الكاثوليك - اليوم - في أوروبا والأمريكتين الشمالية والجنوبية وفي فرنسا وجمهورية أيرلندا وإيطاليا وأسبانيا وينتمي معظم السكان في معظم أقطار أمريكا اللاتينية إلى الكنيسة الكاثوليكية.

وتقوم الكنيسة بإدارة المدارس والجامعات والمستشفيات والملاجئ ودور العجزة في تلك البلدان.

وكون الكاثوليك في بعض الأقطار التي تسكنها غالبية كاثوليكية أثر كبير في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي والأدبي والفني.

معتقدات الرومان الكاثوليك:

تثبتت عقائد الكنيسة الكاثوليكية بناءً على المجامع الكنسية المسكونية (كلمة المسكونية تعني العالمية) المتتالية بدءًا من مجمع نيقية المسكوني في مطلع القرن الميلادي الرابع وحتى المجمع الفاتيكان الثاني في القرن الماضي وفي حين تأخذ

الكنيسة الكاثوليكية بقرارات جميع المجامع المسكونية التالية لا تقبل الكنيسة الأرثوذكسية سوى المجامع المسكونية السبعة الأولى منها فقط، ولم يقبل مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية سوى قرارات المجامع المسكونية الأربعة الأولى فقط، وظهرت من الشيع والنحل المسيحية الجديدة في القرنين الماضيين من لم يلتزم بقرارات أي من المجامع تلك بل اعتمد - في أخذ العقيدة والإيمان - على فهمه المباشر من الكتاب المقدس فقط لا غير.

وفيما يلي قائمة المجامع الكنسية التي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية مجامع مسكونية وتأخذ بقراراتها جميعًا:

المجامع المسكونية	تاريخ الانعقاد
١- مجمع نيقية الأول	٣٢٥
٢- مجمع القسطنطينية الأول	٣٨١
٣- مجمع أفسس	٤٣١
٤- مجمع خلقيدونية	٤٥١
٥- مجمع القسطنطينية الثاني	٥٥٣
٦- مجمع القسطنطينية الثالث	٦٨٠ - ٦٨١
٧- مجمع نيقية الثاني	٧٨٧
٨- مجمع القسطنطينية الرابع	٨٦٩ - ٨٧٠
٩- مجمع لاتيران الأول	١١٢٣
١٠- مجمع لاتيران الثاني	١١٣٩
١١- مجمع لاتيران الثالث	١١٧٩
١٢- مجمع لاتيران الرابع	١٢١٥
١٣- مجمع ليون الأول	١٢٤٥

١٤- مجمع ليون الثاني	١٢٧٤
١٥- مجمع فيينا	١٣١١ - ١٣١٢
١٦- مجمع كونستانس	١٤١٤ - ١٤١٨
١٧- مجمع لاتيران الخامس	١٥١٢ - ١٥١٧
١٨- مجمع - فيرارا - فلورانس	١٤٣١ - ١٤١٨
١٩- مجمع ترينت	١٥٤٥ - ١٥٦٣
٢٠- مجمع الفاتيكان الأول	١٨٦٩ - ١٨٧٠
٢١- مجمع الفاتيكان الثاني	١٩٦٢ - ١٩٦٥

وتتلخص أركان العقيدة المسيحية الكاثوليكية بالنقاط الرئيسية الأربع التالية:

١- الثالوث والخلق. ٢- الخطيئة والخلاص.

٣- طبيعة الكنيسة. ٤- البعث أو الحياة بعد الموت

الثالوث والخلق:

يعتقد الكاثوليك بالثالوث فيقولون بإله واحد فيه ثلاثة أشخاص: الآب والابن (المسيح) وروح القدس وهو ما يعرف بالأقانيم الثلاثة، ويعتقدون أن كل واحد من الثلاثة متميز وأنه إله حقيقي. ويقولون: إن الله خلق العالم باختياره وإنه يستمر وفقًا لعنايته.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

الله:

هو الكائن واحد كامل.. ليس بجسم ولا مادة بل هو روح مجرد مطلق إنه الأبدي السرمدي اللا متغير الماثل في كل مكان.. خلق العالم الروحاني ثم العالم المادي ثم الإنسان.

المسيح:

هو كلمة الله التي تجسدت، المنبثقة عن الله منذ الأزل، الابن الوحيد لله هو الله وذو شخص (أقنوم) واحد هو الشخص الإلهي له مشيئتان: بشرية وإلهية، وله طبيعتان متحدتان: الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية، وعند اعتراض العقل هنا يرد الإيمان قائلًا: هذا سر من أسرار الربوبية هو سر التجسد الذي هو فوق الطبيعة وخارج نطاق العقل وخارج عن التفسير السببي والنظر التحليلي الوضعي وتقريبه من الذهني فرض هنا تكرارًا مفاده أن الله اتخذ جسدًا أو حل في جسد بشري فيسوع هو الإله المتجسد أو هو ابن الله المتجسد وهكذا.

فهو بطبيعتين متحدتين في شخص واحد: إنه إله تام حقيقي وإنسان تام جسده لم يهبط من علو وليس مركبًا من عناصر سماوية بل هو جسد مأخوذ من مريم بولادة فعلية حقيقية.

هذا وقد عرفنا كيف أنه قد برز - حول الطبيعة والمشيئة للمسيح - الكثير من الانشقاقات التاريخية داخل المسيحية: الآريوسية، اليعقوبية، النسطورية.. وإذا تساءل العقل والنظر هنا؛ فإن الإيمان عند المسيحي يرد بالإحالة إلى سر إلهي آخر هو سر الفداء.

فالمسيح مات من أجل البشر لقد تألم وصلب وقُبر محبة بالإنسان الذي أخطأ بحق الإله ومن أجل خلاص الجميع وسوف يأتي مرة ثانية عند نهاية العالم ويحاكم الجميع وسيلقى كل إنسان الثواب أو العقاب بحسب عمله في هذه الدنيا.

الروح القدس:

هو الشخص (الأقنوم) الثالث في السر المسيحي، الأساسي في السر الإلهي سر التثليث، والأقانيم الثلاثة متمايزة عن بعضها، الآب: عنه يكون الصدور أو

الانبثاق والإنجاب، **الابن**: وهو المولود المنبثق. **الروح القدس**: وهو المرسل من الآب والابن والمنبثق عنهما معًا ذلك هو التثليث: تتحد الأشخاص الثلاثة فيما بينها ومع الطبيعة الإلهية وتتساوى فيما بينها، والأشخاص الثلاثة من طبيعة واحدة، ومن تلك الطبيعة الواحدة عينها: فالأب هو الله والابن هو الله والروح القدس هو الله (بحسب تعريف الكنيسة للألوهية في مجمع لاتران الرابع Lateran ١٢١٥م).

مريم:

هي مريم العذراء بريئة من الشهوة ومن الخطيئة الأصلية (الخطيئة المميتة) ومن كل خطيئة وقد أعلن مجمع الثلاثين (١٥٤٥ - ١٥٦٣م) براءتها الكاملة وطهارتها التامة ووضعها فوق كل القديسين وكرس حقها في نوع من التعبد الخاص (عبادة العذراء/ هيبردوليا) وقد أدخلت عقيدة الحبل بلا دنس التي تبرئ مريم من الخطيئة الأصلية في العام ١٨٥٤م.

الملائكة:

خلقوا قبل البشر وهم كائنات روحانية، ينتظم الملائكة في مرتبات:

أولاها: السيرافين (السيرافيون) ثم القروبيون، ثم العروش، وهناك مرتبات أخرى تذكر بالإقطاع وتتوازى مع تقسيمات الأرض والسلطة في أوروبا إبان بعض العصور.

الخطيئة والخلاص:

يعتقد الكاثوليك - وفقًا لما ورد في الإنجيل - أن آدم ارتكب الخطيئة وعصى الله، وأن خطيئته سرت في كل مولود في هذا العالم، وأن الله قد أرسل ابنه (الشخص الثاني في الثالوث) لإنقاذ البشر من كل الخطايا سواء كانت الخطيئة الأصلية التي ورثها الأفراد أم الخطايا التي ارتكبوها في حياتهم عن

طريق خرق القانون الإلهي.

الحياة بعد الموت:

إن الحياة في مفهوم الكاثوليك لا تنتهي بموت الجسد بل النفس تترك الجسد وتصعد إلى السماء أو المطهر وهو مكان بين الجنة والنار تتصل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل فتعذب فيه مدة حتى تطهر وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت.

وعقيدة وجود المطهر - التي هي من خصائص الكنيسة الكاثوليكية فحسب - إنما تم المصير إليها انطلاقًا من إيمان الكنيسة العميق برحمة الله البالغة وشفقته الشاملة بالخلق فكان المطهر حتى يُنقى الكثيرون ممن استحقوا العذاب في العذاب الأبدي إلى ما لا نهاية.

ويقول الكاثوليك - أيضًا - بوجود ما يسمى باللاتينية: اللمبوس Limbus وهو مسكن أرواح الصالحين قبل مجيء المسيح ومسكن الأطفال الذين ماتوا قبل أن يتعمدوا وهو مكان يشعرون فيه بالغبطة والنعيم ولكنه دون نعيم الجنة الفائق الوصف والخاص بالذين آمنوا واعتمدوا ونالوا نعمة الخلاص بفداء المسيح.

العبادة والطقوس أو الأسرار الإلهية:

يعبد الكاثوليك إلهًا واحدًا فيه ثلاثة أشخاص ولكنهم يقدسون - أيضًا - بعض الأشخاص كمريم أم المسيح، وبعض الأماكن كبيت لحم موطن المسيح، وبعض الأشياء كالصليب. وأهم عنصر في الطقوس المسيحية هو ما يعرف باسم الأسرار الإلهية التي تكون جوهرًا محوريًا في المسيحية، فالالتجاء إلى ما هو سر أي غامض أو كامن ومقدس ظاهرة بارزة في المسيحية فهناك - دائمًا - إحالة إلى الأسرار أو إلى تقديم هذه كمعتقدات فوق العقل وخارجه.

وقد يقال - أحيانًا - إنها ليست ضد العقل ولا نقيضًا له بل هي - فقط -

من نطاق خاص أولها منطق خاص بها: أي أننا نحن لا نفقهها ولكنها - في حد ذاتها - قابلة لأن تشرح وتكتنه.

ما هي ـ الآن ـ أسرار الكنيسة إذن؟

تقر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية - منذ القرن الميلادي الثاني عشر ومع مجمع ترنت Trent - سبعة طقوس أو أسرارٍ كنسية هي: [المعمودية - التثليث - القربان - المقدس - التوبة (الاعتراف) - المسحة الأخيرة - الكهنوت - الزيجة].

هذا والسر البيعي صلاة أو هو نوع من الحياة ينالها الكاثوليكي بواسطة علامة فيتطهر وتزكو نفسه ويأخذ النعمة (النعمة) يهبها الله وهي مساعدة إلهية فائقة الطبيعة وهي إما سابقة وإما محركة كافية وفعالة مبررة وحالية.

١ـ المعمودية أو (التعميد):

هي السر الكنسي الذي يعيد - بالماء والكلام - الحياة التي أماتتها الخطيئة وهي تزيل الذنوب والعقوبات التي تترتب على تلك الذنوب تسمى المعمودية وهي واحدة لا تتكرر بسر الأموات ويجب أن تتم قبل أي سر آخر. لها حلة خاصة، وتعطي المعمد اسمًا ويصرف ماؤها على الأرض الزراعية النظيفة يديرها أسقف أو كاهن مجاز.

٢ـ التثبيت:

يقصد به تعزيز الحياة الروحية في المعمد (المعمود) وأن يقوي النفس على إتمام ما بدأ به السر الأول وأن يستنزل مواهب الروح القدس على ذلك المعمد ويتم التثبيت للطفل بعد بلوغ العاشرة في حفلة خاصة على يد أسقف المدينة: يدهن الجبهة بدهن الميرون (مزيج من البلسم وزيت الزيتون سبقت مباركته في يوم الخميس السابق لعيد الفصح). ويرسم صليبًا عليها قائلًا: أسمك بوسم الصليب وأثبتك بميرون الخلاص، باسم الأب والابن والروح القدس. ثم

يضربه على وجهه صفعة لطيفة خفيفة تذكيرًا بما قد يعترض المثبت من أجل محبة يسوع المسيح ثم يمنح الأسقف تبريكًا للعموم.

٣ـ القربان المقدس:

هو سر الأسرار أو سر الأفخار يستيا أو سر العشاء السري: ويمثل القربان أو القداس الاحتفاء بعشاء السيد المسيح. وفي القداس يرمز الخبز إلى جسد المسيح والنبيذ إلى دمه، وتسمى المناولة المقدمة وتنال بذلك الرحمة.

وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية مثلها مثل الكنيسة الأرثوذكسية - بأن القربان المقدس يحتوي - جوهريًّا وفعليًّا - روح المسيح وألوهيته داخل الخبز والخمر، وأن المسيح يدخل بواسطة تناول هذا القربان ذاته إلى الجسد المتناول تحت أعراض الخبز والخمر؛ فالقربان يغذي الروح، كما أن الخبز العادي يغذي الجسد، وهو يغفر الخطايا. وواجب على الكاثوليكي تناول القربان - على الأقل - مرة في السنة في موسم عيد الفصح أو إذا كان في خطر الموت.

ومن شروطه: [التوبة - والصوم عن الطعام والكحول - قبل ثلاث ساعات - إلا في حالة المرض].

وقد أسسه المسيح ذاته، وأوصى به ومادته الخبز اللا مخمر (أي الفطير) ونبيذ الكرمة دون اشتراط لون معين، والاحتفال به غير مبسط وتحكمه عدة حركات أو رسوم ترمز إلى حركات تعاد إلى حياة المسيح أو تدل عليه ويتولاه - فقط - الأساقفة والكهنة.

٤ـ التوبة:

هو سر اعتراف الخاطئ يعترف أمام الكاهن - في خلوة - بالخطايا المرتكبة ضد وصايا الله والكنيسة، ويحظى المعترف بالمحلة من مرتكباته تلك وبالغفران بعد أن يفي بالمفروض عليه من الكهان بشكل تعويض من مثل الصدقات والأمانات الجسدية والأصوام.

تعطي الكنيسة الكاثوليكية أهمية كبيرة لسر التوبة؛ فهو والمعمودية يعتبران الطريقين الأوحدين للخلاص. ولهذا السر تفصيلات وشروط وأوضاع ولحل المعترف من خطاياه درجات، والمسيح هو الذي أعطى لتلاميذه سلطة الحل تلك: فقد قال لبطرس ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماء وما تحله يكون محلولًا. والمسيح - أيضًا - يعد قيامته قال لتلاميذه: من غفرتم خطاياهم غفرت.

٥ـ المسحة الأخيرة (أو دهن المرضى والعجزة):

وسميت بالمسحة الأخيرة لأنها الأخيرة التي ينالها المتدين وتعطى للمحتضر أو عند خطر الموت تعزيةً للنفس وتعزيزًا للبدن قوامها أن المريض أو هذا الممسوح - الذي يكون في غرفة نظيفة وعلى سرير مغطى بخوان أبيض وبالقرب من طاولة عليها عدة أشياء - يعترف أمام الكاهن الذي سيزود - بعدئذ - بالزاد الروحاني (القربان) ويمسح بزيت الزيتون (زيت خالص بلا بلسم ولا خمر مبارك من الأسقف في يوم الخميس المقدس) مناطق حواسه الخمس مع تلاوة نصوص خاصة ثم يمنحه غفرانًا بابويًا كاملًا لا تسمح الكنيسة لمن هم في مرتبة سفلى منح هذا السر لأحد.

٦ـ الكهنوت (أو الدرجات الكهنوتية):

هو سر به تمنح السلطة الكهنوتية - التي سلمها المسيح إلى تلاميذه - إلى البعض كي يقوموا بخدمة روحية للكنيسة، ويستمر ذلك النقل للسلطة إلى حين عودة المسيح في آخر الزمان، تتم الرسامة بوضع اليد على رأس المرسوم مع تلاوة نصوص مخصصة وشرط أن يكون هذا في حال النعمة مولودًا من كاثوليكي غير مرتبط بزواج راشدًا حائزًا على الثقافة المطلوبة ناذرًا النفس للتبتل [1] والفقر والطاعة على مدى العمر.

---

(١) تشترط الكنيسة الكاثوليكية الغربية عزوبة الكاهن وعدم زواجه مدى الحياة..............

ولقد قام القطاع الكهنوتي بدور بارز في تطور الوعي الديني والتاريخي المسيحي وفي تمرتبه المتنوع المتفاعل - باستمرار - مع الشروط الاجتماعية الاقتصادية وفي تنظيم دقيق للشعائر والأزياء ونظم كثيرة كالرهبنات والأعياد.

٧ـ الزواج:

سر يربط بين معمدين بالغين لمدى الحياة بزواج شرعي وينالان به نعمة مزاولة الواجبات العائلية ولا تقر الكنيسة الكاثوليكية بشرعية الطلاق إلا ضمن نطاق ضيق جدًّا ولا تعتبره طلاقًا بل فسخًا.

ويتم سر الزواج بحضور الخوري أو الكاهن في احتفال يسمى بالإكليل - ويخضع لبعض الشعائر ولتنظيمات أو قواعد تحكم تأسيسه وبطلانه وأوقاته المناسبة... إلخ.

طبيعة الكنيسة الكاثوليكية ووظائفها:

الكنيسة في النظرة الكاثوليكية جماعة مسيحية تهدف إلى جذب النصارى إلى الوحدة والمحافظة على العقيدة والنظام والعبادة التي أرادها المسيح.

ويعتقدون أن ذلك استمرار لعمل عيسى عليه السلام في الخلاص.

وتكمن وظائف الكنيسة في:

١- مساعدة المؤمنين (المسيحيين) على التحلي بالفضائل عن طريق الوعظ والعبادة.

٢- معرفة التعاليم المسيحية.

٣- إرشاد المسيحيين إلى الله.

يقوم رجال الدين المسيحي بقيادة المؤمنين وخدمتهم في ممارسة الطقوس

= خاصة للكهنة الذين سيرتفعون للمراتب العالية في الكهنوت خلافًا لسائر الفرق سواء الأرثوذكسية أو البروتستانتية التي لا تشترط ذلك، ويجدر بالذكر أن الكنائس الكاثوليكية الشرقية لا تتقيد بشكل ملزم بهذا الأمر بل يسمح للكهنة فيها بالزواج إن أرادوا وإن كانت العزوبية مستحبة أكثر.

والقداس والوعظ وإلقاء التعاليم الدينية.

وينقسم رجال الكنيسة إلى درجات ثلاث: المطارنة، والقس، والشمامسة، ويشارك العامة في أداء بعض وظائف الكنيسة من نشر لتعاليمها والقيام بالتدريس في مدارسها والعمل في مستشفياتها ومؤسساتها.

إدارة الكنيسة الكاثوليكية:

البابا:

يمثل قداسة البابا - ويدعى الحبر الأعظم - قمة للهيكل الإداري في الكنيسة الكاثوليكية فهو خليفة القديس بطرس الرسول الذي قال له المسيح: [وأنا أقول لك - أيضًا - أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السموات].

(متى ١٦/ ١٨ - ١٩).

فمقام البابا عند الكاثوليك مقام ديني مقدس أرسى أساسه المسيح بنفسه ولذلك تسمى الكنيسة الكاثوليكية بالكنيسة الرسولية والبطرسية أيضًا.

والبابا مسؤول عن كل ما يتعلق بالكنيسة في العالم من الناحية الإدارية والروحية.

أما الكرادلة فهم مستشارو البابا وهم جماعة يكونون مجمع الكرادلة الذي تقع عليه مسؤولية اختيار البابا الجديد وقت الضرورة.

هذا ومن الجدير بالذكر أن عصمة البابا - كما عرفها وحددها المجمع الفاتيكاني الأول عام ١٨٧٠ - إنما تكون عندما يتكلم البابا بصفته ككاهن ومعلم، ويصرح بأن التعليم الذي يقوله ملزم للكنيسة ككل، ويكون الموضوع متعلقًا بالإيمان والأخلاق التي تدخل كجزء من الوحي الإلهي المسلم من

الرسل إلى خلفائهم (التسليم الرسولي).

أما وجهات نظر البابا وآراؤه الشخصية أو الخصوصية أو التي لها علاقة بالأمور الدنيوية فلا تدخل في موضوع العصمة ولا يعتبر فيها معصومًا أبدًا.

ولا ينظر الكاثوليك إلى هذه العصمة كشيء معجز أو نوع من الكشف الروحي الخارق الخاص بل ينظرون إليها على أنها هدية إلهية، وعطية من الله وتستند إلى أساس هوتي وكتابي كما جاء في الخطبة الوداعية للسيد المسيح التي ينقلها إنجيل يوحنا والتي وعد فيها المسيح تلاميذه بتأييدهم بروح الحق الذي سيبقى معهم إلى الأبد فقال: [وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم تعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم]. (إنجيل يوحنا: ١٥/ ١٦ - ١٧).

ثم قال: [وأما متى جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم] (يوحنا ١٦/ ١٣-١٤).

الإدارة البابوية:

تتكون من أمين سر وعدد من اللجان، لجنة الكرادلة وبها فريق يطلق عليهم أمناء السر (السكرتارية) ويشرفون على المسائل الخاصة بالكنيسة لا سيما القانون والإدارية واللاهوتية.

المطارنة (الأساقفة):

وهم مسؤولون أمام البابا ويتكون مجمع المطارنة من الأساقفة بمن فيهم البابا الذي يرأس المجمع، والمجمع مسئول عن قيادة الكنيسة.

الأسقفيات أو الأبرشيات:

منطقة حدودية من الكنيسة يديرها أسقف يتولى شؤونها الإدارية والدينية

وتعتبر الأبرشيات الوحدات التنظيمية التي تتكون منها الكنيسة الكاثوليكية. والتسلسل الهرمي للإكليروس (أي لرجال الدين) في الكنيسة الكاثوليكية كالتالي:

١- الشماس المساعد ثم الشماس ثم رئيس الشمامسة.

٢- القسيس (ويسمى أيضًا القس والكاهن والأب والخوري) وكل هؤلاء لقبهم التشريفي هو المحترم، ويناديهم الأتباع باسم: أبونا.

٣- ثم الأسقف أو المطران وأحيانًا يكون المطران أعلى من الأسقف حيث يرأس عدة أساقفة ثم رئيس الأساقفة، ولقبهم التشريفي سيادة.. الجزيل الاحترام والوقار في حين يخاطبهم الأتباع باسم: سيدنا.

٤- البطريرك (أو البطريارك أو الشيخ الجليل) وهو رئيس الأساقفة ولقبه التشريفي: غبطة البطريرك.

٥- الكاردينال، ولقبه التشريفي: نيافة، ومنهم يتشكل مجمع الكرادلة.

٦- وأخيرًا البابا ويلقب بقداسة الحبر الأعظم.

نبذة عن تاريخ الكنيسة الكاثوليكية:

الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى:

تمتد القرون الوسطى من القرن الخامس إلى القرن الرابع عشر الميلادي. شهدت هذه الفترة انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية، وظهور ممالك صغيرة. وقد أدى هذا إلى ظهور الكنيسة وسلطتها البابوية مركزًا للسلطة وطريقًا لوحدة أوروبا الغربية بدلًا من الإمبراطورية الرومانية. وقوي نفوذ الكنيسة وانتشرت المسيحية في العديد من الدول الأوروبية.

كما شهدت هذه الفترة الانفصال الرسمي بين الكنيسة الغربية والكنائس الشرقية والذي بدأ منذ فترة مبكرة. وشهدت هذه الفترة - أيضًا - إنشاء محاكم التفتيش واستخدامها لقمع حركات الهرطقة (البدع) ومنع ظواهر الانشقاق

عن الكنيسة.

وظهرت في هذه الفترة الحركة العلمية المعروفة بالسكولاستية (المدرسية) والتي سعت إلى وضع أسس عقلية للعقيدة المسيحية والدفاع عنها وحل المشكلات الخلافية في اللاهوت المسيحي.

وقد انبثقت السكولاستية من المدارس التي أنشئت في عهد شارلمان في أواخر القرن الثامن للميلاد. وظلت مسيطرة على الفكر المسيحي حتى أوائل عصر النهضة.

بنيت على منطق أرسطو ومفهومه لما وراء الطبيعة. بعد أن تعرف الأوربيون إلى كتبه من طريق الفيلسوف العربي ابن رشد واستهدفت - في المقام الأول - إضفاء صفة عقلانية على اللاهوت النصراني، وإقامة الدليل على أنه لا تعارض بين العقل والدين وكان من أبرز رجالها البرتس ماجنس الألماني وروجر بيكون الإنجليزي، والقديس بونافقتورا، والقديس توما الأكويني الإيطاليان.

وبدأت خلال هذه الفترة بوادر الصراع بين الكنيسة أو البابوية، وبين الملوك والأباطرة، وحاول الباباوات إخضاع الأباطرة والملوك لسلطانهم؛ بينما حاول الآخرون التمرد على السلطة البابوية.

وصاحب هذا القرار انشقاق داخل الكنيسة، وتنافس بين رجالها حول مركز البابوية، وجدال بين الباباوات، وبين المنظمات الإدارية والدينية الكنسية.

وقد كان لهذا كله آثار سيئة أضعفت من سلطة الكنيسة وأساءت إلى مركزها الديني والأخلاقي. وبدأت حركات تدعو إلى الإصلاح الداخلي والعودة بالمؤسسة إلى مركزها الديني ولكن لم تستمر هذه الدعوات أمام مقاومة السلطة الكنسية.

فترة الانقسام البابوي:-

بدأ الانقسام البابوي عندما تم انتخاب البابا أوربان السادس URBANVI عام ١٣٧٨ وكان انتخابًا مشوبًا باختلاف وتنازع شديدين بين الكرادلة؛ وفعلًا سرعان ما ظهرت علامات عدم التقوى والسلوك المنحرف على البابا بنحو أراع وأفزع الكرادلة الذين انتخبوه فسارعوا لسحب طاعتهم له والإعلان إن انتخاب أوربان السادس باطل وملغي لأنه تم تحت ضغط وإكراه الشعب الذي حصل في روما في حينه، وأعلنوا أنهم انتخبوا بابا جديدًا هو كليمنت السابع CLEMENT VII لكن أوربان السادس تمسك ببابويتِهِ وانتقم من كليمنت السابع بإعلانه الحرم الكنسي بحقه هو وأتباعِهِ من الكرادلة وأوجد لنفسه مجموعة من الكرادلة الموالين له.

ويرى المؤرخون المسيحيون أنه من المستحيل - اليوم - القضاء أو إصدار حكم حول أحقية أحد هذين البابوين لأن كلاهما انتخب بالطريقة المعهودة المتداولة في الكنيسة الرومانية.

وعلى أي حال فإن البابا الجديد كليمنت السابع لجأ إلى مدينة أفينيون في جنوب فرنسا وحصل على دعم وولاء ملك فرنسا في حينه وهنا؛ تعمق الخلاف وأخذ صبغة سياسية وصار ولاء الملوك والحكام لهذا البابا أو لذاك يخضع لمصلحة الحاكم وأولوياته السياسية.

وقد تم عرض عدة حلول لإنهاء هذا النزاع والانقسام البابوي الذي طال حوالي نصف قرن كان منها المطالبة باستقالة كلا البابوين وانتخاب بابا جديد غيرهما، وقد انعقد لهذا الغرض مجلس للكرادلة والأساقفة في مدينة بيزا الإيطالية عام ١٤٠٩ ولكن جهودهم لم تفد إلا في إدخال بابا الثالث جديد أضيف إلى حلبة المنافسة بين الاثنين السابقين فصار البابوات ثلاثة!

واستمر الأمر هكذا حتى مجمع كونستانس (١٤١٤ - ١٤١٨) الذي تمكن من إقالة أو تنحية البابوات ثلاثة وانتخاب بابا جديد تمت الموافقة عليه من قبل الجميع فأخذ صفة الإجماع العالمي وكان هو البابا مارتين الخامس (الذي اعتلى السدة البابوية من ١٤١٧ وحتى ١٤٣١).

وقد أعطت فضيحة هذا الانقسام البابوي زخمًا للمطالبات التي كانت موجودة من قبل بإصلاح إدارة الكنيسة الرومانية وقوت دعوة المناداة بالإصلاح لكن تلك الدعوة مرت بمصاعب ومشاق حتى تُوِّجَت - في النهاية - بحصول الانشقاق البروتستانتي الكبير.

الإصلاح والحركة المضادة:

طغى على البابوية الاهتمام بالأمور الدنيوية والفساد الإداري واستحداث ما عرف بصكوك الغفران.

وقد جرت محاولات للإصلاح ولكنها باءت بالفشل ومن ثم جهر مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) عام ١٥١٧ م بأطروحاته التي هاجم فيها معتقدات الكنيسة حول الغفران والمفاسد التي تنشأ عنه.

وكان إعلانه بداية لثورة دينية أدت إلى ظهور حركة البروتستانت وأدت إلى انقسام أوروبا الغربية بين الكاثوليك والبروتستانت مع نهايات القرن السادس عشر وبدأ صراعات وحروب بين الطائفتين.

ففي إنجلترا مثلًا أعلن الملك هندي الثامن نفسه رئيسًا للكنيسة وأصدر عام ١٥٣٤م مرسوم سيادة أصبحت بموجبه إنجلترا بروتستانتية.

وتعرض الكاثوليك للاضطهاد وفقدان حقوقهم المدنية وسنت الحكومة - فيما بعد - قوانين لقمع الكاثوليك.

ورغم أن الكاثوليك استطاعوا استرداد حقوقهم الدينية والسياسية في وقت

لاحق إلا أن الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا أصبح جزءًا من الصراع من أجل القومية الأيرلندية.

ويوجد - الآن - نحو خمسة ملايين ونصف مليون كاثوليكي في بريطانيا، وأكثر من ثلاثة ملايين في جمهورية أيرلندا.

حركة الإصلاح الكاثوليكي المضادة:-

ظهرت هذه الحركة كرد فعل لحركة الإصلاح قادتها طوائف دينية أسست بين عامي ١٥٢٤ - ١٥٣٠) - كالبرنابين - والكبوشيين - والسياتيين وغيرهم من الذين حاولوا إصلاح الحياة الكاثوليكية.

ولقد أدت الجمعية اليسوعية (الجزويت) التي أنشأها أعناطيوس لويولا عام ١٥٣٤ م دورًا مهمًا في ذلك الصراع الطائفي إذ استطاعوا إيقاف تقدم البروتستانت واكتسبوا مناطق كبيرة كانت تحت سيطرة البروتستانت في بلجيكا ولوكسمبرج وهولندا وفرنسا وشرق أوروبا وسطها.

كما أسهمت قرارات مجمع ترينت (١٥٤٥ - ١٥٦٣) حول القداس وصكوك الغفران وتدريب القسس في تجديد الحياة الكاثوليكية وإحداث بعض الإصلاحات في الكنيسة.

رافق حركة الإصلاح المضادة هذه عدة حروب دينية شرسة بين الطائفتين كان من أشدها الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت الفرنسيين خلال الأعوام (١٥٦٢ - ١٥٩٨) وحروب الثلاثين عامًا (١٦١٨ - ١٦٤٨) التي شملت معظم أقطار أوروبا وانتهت باتفاق صلح ويستفاليا الذي نص على أن سكان دولة ينبغي أن يتبعوا ديانة حاكمهم.

ولربما كان أشهر نموذج لتجديد دور الكنيسة خلال القرن السابع عشر حدث في فرنسا حيث قامت مؤسسات نصرانية وجمعيات خيرية لخدمة الفقراء

ونشر الخير والتركيز على الجانب الروحي والشعور الديني المسيحي.

الحركة الغاليكانية:-

حركة نشأت في فرنسا ودعت إلى استقلال الكنيسة الإداري في البلدان الكاثوليكية عن سيطرة البابا.

ترجع جذورها إلى القرنين الثامن والتاسع للميلاد عندما كان يحصل التنازع بين بعض ملوك فرنسا والسلطان البابوي حول ممارسة السلطة وحول جمع الضرائب.

وللحركة الغاليكانية ثلاث شعب:

الأولى: الغاليكانية الإكليركية: وتقوم على مبدأ أن قرارات المجامع الكنسية المسكونية أسمى سلطة من البابا وأن البابا ليس معصومًا، وأن جميع الأساقفة منصبون بالحق الإلهي خلفاء مباشرين للرسل.

والشعبة الثانية: الغاليكانية الملكية: وتؤكد على الاستقلال المطلق لملك فرنسا عن سلطة البابا في الأمور الدنيوية ونفس الأمر بالنسبة لكل بلد أوروبي يحكمه ملك كاثوليكي.

والشعبة الثالثة: هي الغاليكانية البرلمانية: وهو موقف اتخذه البلاط الملكي في فرنسا أو البرلمان وكان موقفًا أكثر جذرية وهجومية على السلطان البابوي من الموقفين السابقين حيث أكد لزوم خضوع جميع الكنائس ضمن فرنسا لسلطة الدولة الفرنسية وأن الحكومة الفرنسية لها حق التدخل في الشؤون المالية والتنظيمية للكنائس ورجال الدين.

بلغت الحركة أوجها خلال القرن السابع عشر في النزاع بين لويس الرابع عشر والبابا إينوسينت الحادي عشر حين أعلن المجمع العام الفرنسي برئاسة الأسقف ج. ب. بوسووى البنود الغاليكانية الأربعة التي تضمنت مبادئ الغاليكانية الإكليركية والملكية المذكورة أعلاه، وبالتالي استقلال الأساقفة

الفرنسيين عن سلطة البابا (عام ١٦٩٣).

ولكن البابا سارع - فورًا - إلى رفض كل تلك المبادئ جميعًا مما اضطر الملك لويس - فيما بعد - إلى رفضها أيضًا.

ولكنها بقيت تدرس في الجماعات وتدور في الندوات والأوساط الفكرية الفرنسية حتى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م التي أنهت أي سلطة سياسية مدنية للبابا على فرنسا، ولكن الأسقفية في فرنسا تراوحت في القرن التاسع عشر بين الاستقلال والتبعية للسلطان البابوي إلى أن جاء قرار المجمع الفاتيكاني الأول سنة (١٨٦٩ - ١٨٧٠) الذي أعلن عصمة البابا من جهة، وانتصار تيار الألترامونتانية المطالب بتبعية رجال الدين الكاثوليك الفرنسيين التامة للكرسي الرسولي وقداسة الحبر الأعظم أي البابا وكان هذا يمثل انتهاء الحركة الغاليكانية.

الحركة أو النزاع الجانسيني:-

تعتبر الجانسينية - في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية - نوعًا من الحركة الإصلاحية، أو بتعبير أصح حركة مخالفة لبعض العقائد الكاثوليكية ظهرت في فرنسا وبلغت شأوًا هامًّا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.

ويعود اسم الحركة إلى اللاهوتي الفلمنكي (نسبة لشعب الفلاندر القاطن شمال بلجيكا الحالية والذي يتلكم اللغة الفليانكية القريبة من الهولاندية) وأسقف أيبر: كورنيليس جانسين الذي لخص أفكاره في رسالته المسماة أوغسطينوس.

دافع الأسقف جانسين - معتمدًا على تفسيره الضيق جدًّا لأحد جوانب الفكر الفلسفي للقديس أوغسطينوس - عن عقيدة التقدير السابق المطلق

لجميع الأفراد بنحو يكون فيه الأفراد غير قادرين على أن يفعلوا شيئًا من الخير من دون معونة النعمة والفضل الإلهي الذي يناله الإنسان لمجرد الاختيار الإلهي السابق له حيث إن الله سبق - ومنذ الأزل - اختار قلة من الناس لنيل الخلاص وآخرين (الأكثرين) للهلاك الأبدي.

وقد قللت هذه الحركة من شأن حرية الإنسان وأنكرت عقيدة أن المسيح مات من أجل البشرية جميعًا.

وكانت عقيدة جانسين - من هذه الناحية - مماثلة - تمامًا - للعقيدة الجبرية المتزمتة التي نادى بها المصلح البروتستانتي جان كالفن ولهذا السبب أتهم الأسقف جانسين هو وأتباعه بأنهم بروتستانت كنوع من النبذ بالألقاب مع أنهم كانوا يؤكدون التزامهم وتقيدهم التام بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية وإيمانهم بأنه لا خلاص ممكن خارجها.

ونادت الحركة الجانسينية - كذلك - بضرورة التزام بنوع صارم من التقوى والسلوك الأخلاقي الدقيق والمتزمت خلافًا للتيار السائد ضمن الكاثوليك وخاصة اليسوعيين الذي كانوا أكثر تسامحًا في هذا المجال ولا يمانع من الحفلات الدينية الثرية والمفخفخة.

مثل دير بورت رويال دي شامب قرب باريس الذي كان يلجأ إلى العبادة فيه عدد وافر من النبلاء والقضاة الملكيين والمثقفين المتعاطفين مع الجانسينية مركز تلك الحركة.

وقد هاجم البابا عقيدة الأسقف جانسين لما فيه من جبرية وتضييق للرحمة الإلهية. كما حار بها اليسوعيون مما أحدث تمزقًا بين الكاثوليك في فرنسا وجعل عديدًا من الجانسينيين يتضامنون مع الحركة الغاليكانية مما أدى لاستقلال الكثير من أساقفة فرنسا الكاثوليك وانشقاقهم عن روما.

وقد نال الحزب الغاليكاني - الجانسيني انتصارًا كبيرًا عندما قرَّرت الحكومة الفرنسية طرد جماعة اليسوعيين من فرنسا عام ١٧٦٠، ومن حينها بدأ شأن الجانسينيين يتضاءل، واستمرت بقية منهم في القرنين التاسع عشر والعشرين.

عصر العقل:-

يطلق على الفترة التي تمتد ما بين نهاية القرن السابع عشر ونهاية القرن الثامن عشر الميلاديين.

تميزت هذه الفترة بالهجوم على الدين عمومًا وعلى الكاثوليك على وجه الخصوص، ونادت بأن خضوع رجال الدين لروما يعد خرقًا لسيادة فرنسا.

وقد قاد هذه الحركة كبار فرنسا من أمثال دينس ديدور وجان جاك روسو وفولتير.

ثورة الملوك الكاثوليك:

تطلق على الفترة بين حرب الثلاثين عامًا ١٦٤٨م ونشوب الثورة الفرنسية (١٧٨٩ - ١٧٩٩) ثورة الملوك الكاثوليك، وقد تميزت بالصراع بين الكنيسة والدولة والنزاعات العقدية التي مزقت الكنيسة.

اضطهاد جمعية اليسوعيين:-

شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر اضطهاد اليسوعيين وقمع حركتهم في العديد من الدول مثل أسبانيا وفرنسا والبرتغال وغيرها.

ورغم أن الاضطهاد لم يقض على الحركة إلا أنه أدى إلى تدهور خطير في نشاط الكاثوليك التعليمي والتبشيري.

القومية الكنيسة:-

انتشرت في أوروبا - منذ بداية الثورة الفرنسية وحتى نهاية القرن التاسع الميلادي - الدعوة إلى الديمقراطية والقومية مصحوبة بمشاعر العداء القوية ضد الكنيسة الكاثوليكية.

وقد كان للثورة الفرنسية أثر خطير على الكنيسة إذ اختفت معظم الأديرة

الكبيرة في أوروبا واختفى معها نفوذ الطوائف الرهبانية.

وفقدت الكنيسة نصف رجال الدين فيها أثناء الثورة وأودع بعض القسس السجن وماتوا فيه وترك آخرون الكنيسة وتخلت الكنيسة عن ممتلكاتها للدولة العلمانية الجديدة.

وبنهاية القرن الثامن عشر انحصرت حدود البابوية في مدينة الفاتيكان وفقدت الكنيسة السيطرة على الحياة العامة وأصبحت معاهدها العلمية وجامعاتها خاضعة لنظام التعليم الذي تموله الدولة.

حاولت الكنيسة - رغم هذه الانتكاسات - تنشيط الحياة الدينية فأسهمت بعض الجمعيات النسائية والمنظمات الدينية كاليسوعيين في تطوير القيم المسيحية في الحياة الاجتماعية.

كما دعا البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ - ١٨٧٨) إلى عقد مجمع الفاتيكان الأول (١٨٦٩ - ١٨٧٠) وفيه أعلنت سيادة البابا على الكنيسة وعصمته وحددت فيه - بدقة - مسائل العقيدة والأخلاق، ثم جاء البابا ليو الثالث عشر وبدأ عصرًا جديدًا في تاريخ الكنيسة إذ حاول إقناع الحكومة الليبرالية بإمكانية التعايش مع الكنيسة في سلام، ولكن الحكومة الليبرالية قابلت اقتراحاته هذه بمشاعر العدائية في كل مكان من فرنسا وألمانيا وإيطاليا لدرجة أن الحكومة الفرنسية أجازت عام ١٨٨٠م قوانين مناهضة للكنيسة طردت بموجبها الطوائف الدينية من فرنسا ومنع التعليم الديني في المدارس وتكررت نفس هذه المشاعر العدائية للكنيسة في إيطاليا التي خرجت فيها المظاهرات ضد المسيحية والبابوية.

الكنيسة الكاثوليكية حول العالم:-

حققت الكنيسة الكاثوليكية نجاحًا كبيرًا في العالم الجديد في الوقت الذي تخلت فيه عن أراضيها في أوروبا للبروتستانت وقد ارتبط ذلك النجاح بموجب الاستعمار الأسباني والفرنسي والإنجليزي آنذاك.

وتبعًا لذلك انتشرت المسيحية في آسيا وأمريكا اللاتينية.

في آسيا:-

استطاع الكاثوليك نشر المسيحية في الفيليبين واليابان والهند حيث يشكل المسيحيون - الكاثوليك في معظمهم - ٨٣٪ من سكان الفيليبين البالغ عددهم - اليوم ما يربو على الثمانين مليون.

في أمريكا اللاتينية:-

ادعت أسبانيا والبرتغال ملكيتهما لتلك المناطق منذ أن اكتشفها كريستوفر كولمبوس عام ١٤٩٢م.

وصاحبت الكنيسة المكتشفين والمستعمرين فتنصر معظم سكان تلك البلاد نتيجة للضغوط الاستعمارية.

ولذلك تدهورت الكنيسة في أمريكا اللاتينية خلال القرن التاسع عشر بعد أن نالت معظم المستعمرات استقلالها عن أسبانيا والبرتغال.

وكان للكنيسة علاقات وثيقة بالقوى الاستعمارية وعارض معظم رجال الدين حركات الاستقلال.

ونتيجة لذلك أصبح معظم الأمريكيين اللاتينيين أعداء للكنيسة وفقدت الكنيسة معظم نفوذها في الحياة الأمريكية اللاتينية.

وهناك - اليوم - إحياء للكاثوليكية في أمريكا اللاتينية وذلك نتيجة لاهتمام الأساقفة بالمشكلات الاجتماعية وإسهامهم في تكوين جمعيات تسعى لسد

حاجات الناس المادية من طعام وماء وكهرباء وصرف صحي.

ولما كانت تلك الحركات الاجتماعية والإصلاحية يقودها أناس عاديون فقد اتهم القساوسة بأنهم يدعمون الثورة الاجتماعية العنيفة.

في الولايات المتحدة:-

تعود أصول الكاثوليك في المستعمرات الإنجليزية التي كانت تتسم بإتاحة الحرية الدينية في الغالب مما أعطاها فرص نجاح أكبر في الولايات المتحدة الأمريكية.

نشأت الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية خلال القرن العشرين ونسق الأساقفة الأمريكيون أنشطتهم المختلفة عن طريق تكون أنفسهم ومراجعة ذلك التكوين من خلال مؤتمرات عقدها في الأعوام (١٩١٧ - ١٩١٩ - ١٩٢٢ - ١٩٦٦).

وقد نشطت الكنيسة في التصدي للقضايا الاجتماعية والمشاركة في حلها رغم أنها لم تبدأ بمعالجة قضية التمييز العنصري ضد السود إلا في الأربعينيات من القرن العشرين.

ومما يدل على ازدياد نمو الكنيسة الكاثوليكية أن عدد الإرساليات الأمريكية إلى الدول الأخرى زاد من ١٤ إرسالية عام ١٩٠٦م - إلى ٦٠.٠٠٠ في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين كما انتشر التعليم الكاثوليكي وشمل جميع الولايات وأصبح الكاثوليك عاملًا سياسيًّا قويًّا لاسيما في المدن الكبرى.

وكان جون كيندي الكاثوليكي قد انتخب رئيسًا للولايات المتحدة عام ١٩٦٠م.

الكنيسة الكاثوليكية اليوم:-

تعد فترة تولي بيوس العاشر البابوية (١٩٠٣ - ١٩١٤م) أبرز فترة نشاط

كنسي منذ مجمع تدينت في القرن السادس عشر الميلادي إذ شملت النشاطات - التي قام بها - الطقوس الدينية والعشاء السري والتعليم في المعاهد اللاهوتية والدراسات الإنجيلية وقانون الكنيسة.

وإضافة إلى ذلك فقد عارض بيوس - بقوة - حركة الحداثة وهي الحركة المسيحية التي سعت إلى تأويل تعاليم الكنيسة وتفسيرها في ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وقد عقدت الكنيسة - خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين عدة اتفاقيات مع دول عديدة لضمان حريتها وسلطتها الروحية على الكاثوليك في تلك الدول.

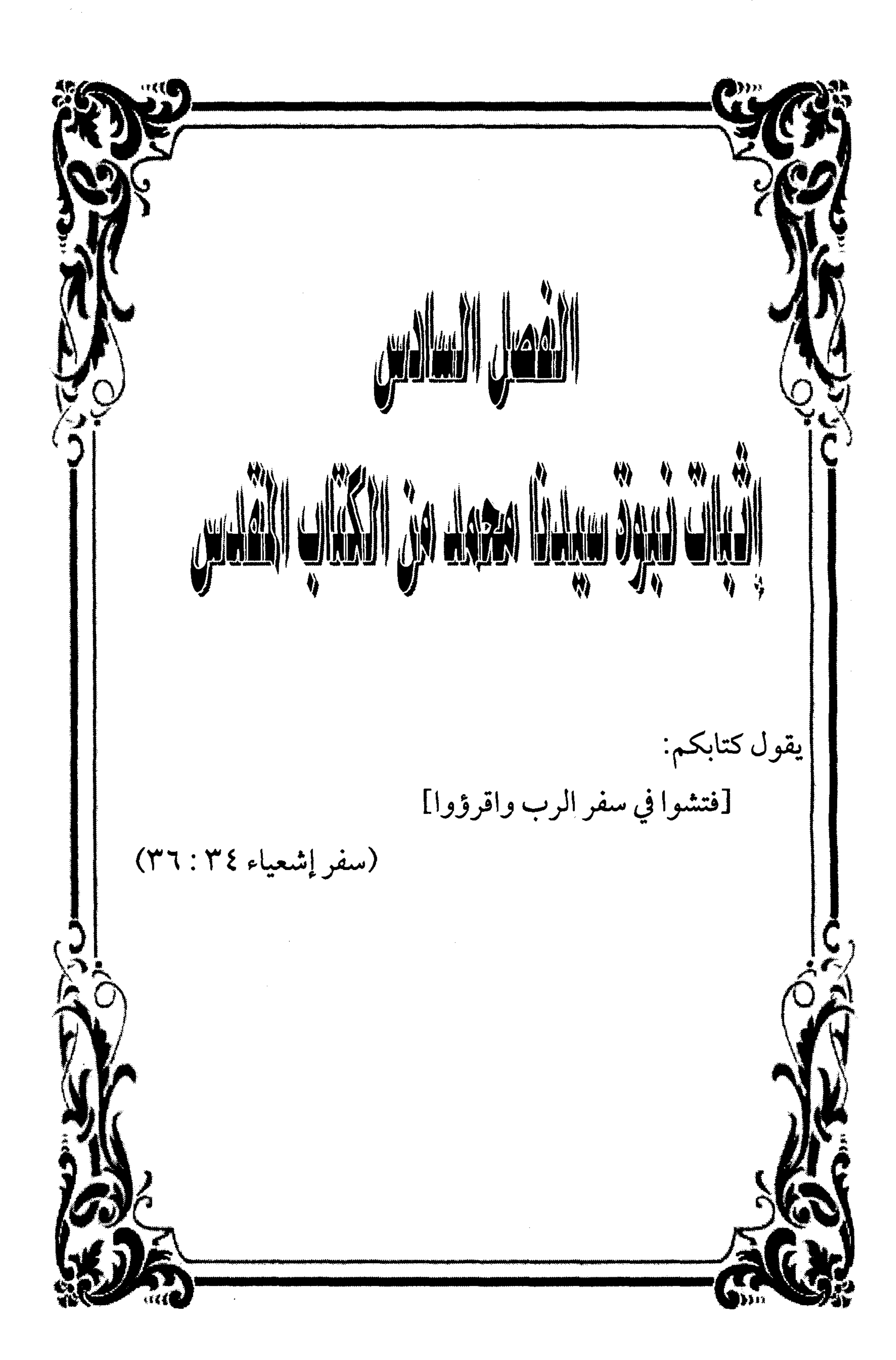
كما طورت الكنيسة من وسائل نشاط بعثاتها النصرانية الإرسالية في أنحاء العالم.

واجهت الكنيسة الحكومات الاستبدادية في ألمانيا وإيطاليا والاتحاد السوفيتي (سابقًا) ودول شرق أوروبا.

وعمل البابا بيوس الثاني عشر جاهدًا من أجل الحفاظ على الحرية الدينية للكاثوليك الذين كانوا يعيشون في ظل تلك الحكومات.

حدثت نقطة تحول كبيرة في تاريخ الكنيسة حينما دعا البابا جون الثالث والعشرون مجمع الفاتيكان الثاني للانعقاد (١٩٦٢ - ١٩٦٥) وأصدر المجمع ١٦ وثيقة اهتمت بالحركة المسكونية وتوحيد كل النصارى في العالم.

كما أصدر البابا يوحنا بولس الثاني عام ١٩٨٣م مجموعة من القوانين أظهرت الكثير من التغيرات التي بدأ بمجلس الفاتيكان الثاني ومن ذلك زيارة دور العامة في المجالس الاستشارية للأبرشيات والأسقفيات.



الفصل السادس

إثبات نبوة سيدنا محمد من الكتاب المقدس

يقول كتابكم:

[فتشوا في سفر الرب واقرؤوا]

(سفر إشعياء ٣٤ : ٣٦)

الفصل السادس

إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ من الكتاب المقدس

قبل أن أتكلم عن نبوة سيدنا محمد ﷺ التي تكلم عنها العهد الجديد [الإنجيل] وقبل أن أثبت أي شيء عنه وعن رسالته فلا بد وأن نعمل بوصية الكتاب المقدس القائلة:

١- [فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية] يوحنا (٥ : ٣٩).

٢- [طوبى للذي يقرأ ... وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب] رؤيا يوحنا (١ : ٣).

٣- [فتشوا في سفر الرب واقرؤوا] أشعياء (٣٤ : ٣٦).

٤- [العلك تفهم ما أنت تقرأ] أعمال الرسل (٨ : ٣٠).

وها نحن نفتش في الأسفار المختلفة بالكتاب المقدس في عهديهِ القديم والجديد... أي التوراة وما ألحق بها من أسفار.. والأناجيل وما ألحق بها من رسائل ونقرأ ونسمع بغية المعرفة والفهم والوصول إلى الحقيقة والحق والاهتداء إلى الطريق المستقيم.

وبعد أن فتشنا في الكتاب المقدس وصلنا إلى النتيجة المعروفة التي تكلم عنها الإسلام وهي أن **الإسلام دين الله ومحمدًا ﷺ عبد الله ورسوله**، وسأثبت لكم صحة ما نقول نحن المسلمين، ولكن أقول لكم: لماذا لا تفعلون ما نصحكم به الكتاب المقدس القائل [امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن] (تسالونيكي الأولى: ٥: ٢١).

فلماذا لا تفعلون هذه النصيحة على دين محمد ﷺ ورسالته وعلى دينكم. وتضعون دينكم وديننا في مقارنة وتتمسكون بالحسن منهما. وأظن بعدما قرأتم الجزء الأول من كتابنا اكتشاف أكبر معجزة لبراءة المسيح، وهذا الكتاب الذي

بين أيديكم تأكدتم أيها النصارى أن دينكم باطل ومن الثمار الفاسدة التي أفسدها بولس المدعو رسول وأنكم في ضلال.

ولماذا لا تفعلون ما أمركم به نبينا ونبيكم عيسى عليه السلام أو إلهكم عيسى المسيح كما تزعمون وهو تطبيق على كل من يدعي النبوة الاختبار الذي قال عنه المسيح حيث قال: [احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنبًا أو من الحسك تينًا. هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة، كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار فإذا من ثمارهم تعرفونهم] (متى ٧: ١٥- ٢٠). لماذا لا تطبقون هذا الاختبار على تعاليم محمد ﷺ؟! فهيا بنا إلى الاختبار لتعاليم محمد ﷺ لنؤكد لكم أنه نبي الله الذي كان منتظرًا، ونفعل ما أمرنا به يسوع المسيح الذي قال: [فإذا من ثمارهم تعرفونهم] (متى ٧: ٢٠).

فما هي ثمار سيدنا محمد ﷺ لنعرف هل هي فاسدة أم هي حسنة من عند الله؟

الإجابة:

ثمار سيدنا محمد هي أمرنا بالصلاة: لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. وأمرنا بالزكاة: حتى لا يوجد فقير أو محتاج. **وأمرنا بالصيام:** حتى نشعر بالفقراء والمساكين ونشعر بحرمانهم فنعطيهم مما أعطانا الله. **وأمرنا بالحج** لمن استطاع إليه سبيلًا: حتى نتذكر يوم القيامة ويوم الحشر ونتقي الله.

وفي تعاليمه أيضًا: نهانا عن الشرك بالله، وقتل النفس، والسحر، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، وإفطار يوم من رمضان بلا عذر، وترك الحج مع القدرة عليه، وعقوق الوالدين وهجر الأقارب.

ونهانا عن الزنا واللواط، وأكل الربا وأكل مال اليتيم وظلمه، والكذب والفرار من الزحف.

ونهانا عن الكبرياء والتكبر على الناس، والشهادة الزور، وشرب الخمر، ونهى الإمام من غش الرعية وظلمه لهم، ونهى عن القمار وقذف المحصنات، والغلول من الغنيمة والسرقة، وقطع الطريق، واليمين الغموس، والظلم، والمكس، وأكل الحرام، وتناولِه على أي وجه كان.

ونهانا عن تشبه النساء بالرجال، وتشبه الرجال بالنساء، ومن الكبائر التي نهانا عنها: الديوث المستحسن على أهله، والقواد الساعي بين الاثنين بالفساد، والمحلل والمحلل له.

ونهى عن عدم التنزه من البول والرياء، والتعلم للدنيا، وكتمان العلم، والخيانة، والمنان، والتكذيب بالقدر، والتسمع على الناس ما يسرون، والنمام، واللعان، والغدر وعدم الوفاء بالعهد، وتصديق الكاهن والمنجم ونشوز المرأة على زوجها.

ونهى عن التصوير في الثياب والحيطان والحجر وغيرها، واللطم والنياحة وغيرهما، والبغي والاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة، وعن أذى الجار والمسلمين وشتمهم، وأذية عباد الله والتطول عليهم، وإسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل تعززًا وفخرًا وخيلاء.

ونهى عن لبس الحرير والذهب للرجال، وإباق العبد أي عدم إعطاء العبد حريته، وعن الذبح لغير الله ﷻ، وفيمن ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم، والجدل والمراء واللدد، ومنع الماء، ونقص الكيل والزرع والميزان وما أشبه ذلك، والأمن من مكر الله، وأذية أولياء الله.

ونهى عن الإضرار في الوصية، والمكر والخديعة، ومن جس على المسلمين

ودل على عوراتهم، وسب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وعبادة القبور، والنذر لغير الله، وتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، والاعتقاد في تأثير النجوم والكواكب في الحوادث وحياة الناس، واعتقاد النفع في أشياء لم يجعلها الخالق، كذلك والرياء بالعبادات، والطيرة والحلف بغير الله تعالى، والجلوس مع المنافقين أو الفساق استئناسًا بهم أو إيناسًا لهم.

ونهى عن امتناع المرأة من فراش زوجها بغير إذن شرعي، وطلب المرأة الطلاق من زوجها لغير سبب شرعي، والظهار، ووطء الزوجة في حيضها، وعدم العدل بين الزوجات، والتزوير في انتساب الولد لأبيه، وجحد الرجل ولده، وكتم عيوب السلعة وإخفاؤها عند بيعها، وقبول الهدية بسبب الشفاعة، واستيفاء العمل من الأجير وعدم إيفائه أجره، وعدم العدل في العطية بين الأولاد.

ونهى عن سؤال الناس المال من غير حاجة، والاستدانة بدين لا يريد وفاءه، واستعمال آنية الذهب والفضة، والأكل والشرب فيها، وسماع المعازف والموسيقى.

ونهى عن شرب الخمر ولو قطرة واحدة، والغيبة والإطلاع على بيوت الناس دون إذن، وتناجي اثنين دون الثالث، ووصل الشعر بشعر مستعار لآدمي أو لغيره للرجال والنساء، وصبغ الشعر بالسواد، والكذب في المنام، والجلوس على القبر، والوطء عليه، وقضاء الحاجة في المقابر، ولعن المؤمن، ولعن من لا يستحق اللعن، وهجر المسلم فوق ثلاث أيام دون سبب شرعي.

فهل مما عرضنا عليكم من النبذات القليلة من الإسلام تظنون أنها ثمار فاسدة؟! فأظن بعد اختباركم في القليل من دين محمد ﷺ تأكدتم من مصداقيته ومصداقية رسالته.

فلماذا لا تكملون باقي الوصية وهي: [تمسكوا بالحسن]. وغير ذلك فإن كل العالم يعترف بنجاح تعاليم محمد ﷺ واستخدامها في الحياة العملية فمنهم الفيلسوف البريطاني برنارد شو حيث قال على محمد ﷺ: [إني أعتقد أن رجلًا مثل محمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه لتم له النجاح في حكمه ولقاد العالم بأسره إلى الخير وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة].

وقال الفيلسوف البريطاني برنارد شو تمجيدًا في محمد ﷺ، وفي تعاليمه [لن يأتي أول القرن الـ ٢١ حتى تدخل أوروبا كلها في دين محمد].

وقال الفيلسوف الأيرلندي: [بحثت في الوجود فلم أجد شيئًا يمنع الزنا إلا آية جاء بها محمد].

وفي كلمات اللورد هيدلي: [إذ يقول (الإسلام والمسيحية كما علم بها يسوع ذاته ديانتان شقيقتان صنوان. تباغدنا المبادئ والعقائد التقنية التي يبرأ منها يسوع والتي يرجع الاستغناء عنها لتصبحا ديانتين شقيقتين متوازنتين من الله)].

وصرح ويليام موير قائلًا: [إنه من المرجح لا يوجد كتاب ظل باقيًا اثنى عشر قرنًا بنقاءه وأصليته مثل القرآن].

ويقول القس إبراهيم خليل فيلبس: [إن الإسلام دين الحق بلا أساطير، وتعاليمه بسيطة ومعقولة. إن استغاثته بالعقل الإنساني والوجدان. وإن حقيقة التوحيد في العقيدة الإسلامية وإحسان الله وإن الله يقنعنا بالتدبر والتفكير في الكون حيث نجد العناية الكلية وحدة واحدة من وراء الظواهر المتنوعة ومن تعاليم جميع الأنبياء السابقين وبخيرات أولياء الله في كل الشعوب وجميع الأديان].

وتقول المستشرقة الإيطالية المشهورة دكتور لورا بخصوص عقلانية وعالمية الإسلام في كتابها (شرح الإسلام): [إن النبي العربي في إفصاح يوحى إليه وهو مستغرق في مناجاة مع خالقه دعا بالتوحيد الخالص بين عابدي التمائم وأتباع اليهودية والمسيحية المحرفة. وضع نفسه في صراع سافر مع أولئك الذين يجنحون للنكوص والارتداد من بني البشر الذين يقودون لصلة مخلوقات أخرى بالخالق.

ومن أجل ترشيد أناس للإيمان بالله الواحد الأحد فلم يخدعهم أو يغريهم بأحداث انحرفت عن مسارها الطبيعي في الخلق تلك التي يطلق عليها المعجزات وأجبرهم أن يظلوا في هدوء باستخدام وعيد سماوي التي وحدها تقوض قدرات الإنسان على التفكير بل بالأحرى فإنه بكل بساطة دعاهم دون أن يطلب منهم أن يتخلوا عن دائرتهم وواقعهم للتبصر والتفكر في الكون ونواميس الطبيعة. وإذ يصبح متيقنًا من هذه المحصلة الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لا غنى عنه إنه بكل بساطة يجعل الناس تقرأ كتاب الحياة.

إن الإمام محمد عبده والأمير على كلاهما أقررا: بأن محمد ﷺ كان مقتنعًا لاستئناف الدعوة مناشدًا إخلاص ضمير الإنسان وصدق حدسه بالحساب.

وبعد اقتباس بعض النصوص القرآنية المناسبة للمقام فإن الكاتبة تستطرد قائلة: [شكرًا للإسلام بأنه قهر الوثنية بأشكالها المتنوعة؛ وبكل ضراوتها إن مفهوم الكون والشعائر الدينية والعرف الاجتماعي كل هذه قد تحررت من كافة البشاعة التي جردت الإنسان والعقول البشرية من مقامه فتحررت العقول البشرية من التحيز، وأدرك أخيرًا الإنسان كرامته، فتواضع أمام خالقه رب العالمين.

وتحررت نفس الإنسان من التحزب وتحررت إرادته من الروابط التي تقيده

بالآخرين وبإرادتهم أو تربطهُ بما يطلق عليه القوى الخفية والكهنة الكذبة حماة الأسرار والطلاسم وسطاء الخلاص، كل هؤلاء المدعين بأنهم وسطاء بين الإنسان وبين الله. وتبعًا لذلك يعتقدون بأن لهم السلطان على إرادة الناس فقد سقطوا من على كراسيهم. وأصبح الإنسان عبد الله وحده، ومن جهة الناس الآخرين فإنه ملتزم فقط بأنه إنسان فرد حر الإرادة بين الناس الآخرين بينما كان فيما سلف قد عانى عذاب الظلم في المجتمعات المختلفة.

إن الإسلام أعلن المساواة بين الجنس البشري. إن كل مسلم يتميز عن المسلمين الآخرين ليس بعلة مولده أو أي عامل آخر لا يرتبط بشخصيته ولكن بمدى خشيته بالله وأعماله الصالحة وبأخلاقياته ومواهبه وتفكيره السديد.

إن الإسلام رسالة عالمية، وحدة واحدة، وحدانية الله، وحدانية الدين كل الأديان السابقة دين واحد، وحدانية الأنبياء من كل الشعوب جميعهم أنبياء الله الواحد الأحد. ووحدانية الجنس البشري].

ويقول سير أرنولد [إن ميخائيل الأكبر اليعقوبي كان يرى في فتح العرب المسلمين لمصر وفي انتصاراتهم المتلاحقة يد العدالة الإلهية التي بعثت لتثأر لما نال الكنيسة المصرية من تعذيب واضطهاد، ولقد أسرع المصريون إلى اعتناق الإسلام حبًا وكرامة لتعاليمه الصافية، وإيمانًا منهم بأن المبادئ السامية التي يطبقها العرب المسلمون في سلوكهم معهم جديرة بأن تكون جزءًا من حياتهم الاجتماعية].

ليس أدل على إنصاف المسلمين وبيان حقيقة الغرض من أقوال قادة الحرب المقهورين، فهذا هو الإمبراطور هرقل يسخط على الحاكم الروماني ويندد بانكساره أمام جيوش المسلمين فيقول الحاكم مدافعًا عن نفسه: [إنهم أقل منا عددًا و لكن عربيًا واحدًا يعادل مائة من رجالنا، ذلك أنهم لا يطمعون في شيء

من لذات الدنيا ويكتفون بالقليل من الكساء والغذاء في الوقت الذي يرغبون فيه في الاستشهاد لأنه أفضل طريق يوصلهم إلى الجنة على حين نتعلق بأهداب الحياة ونخشى الموت يا سيدي الإمبراطور].

ويقول بيكر: [يؤكد أن النظرة التي ما زال بعض المثقفين في أوروبا حتى اليوم يعتقدون صحتها، أن الإسلام انتشر بحد السيف. بعيدة عن الواقع لأن الوثائق المعاصرة كلها تثبت أن العرب لم يفرضوا دينهم على أهالي البلاد المفتوحة بل فرضوا سيطرتهم السياسية لا غير.

فسيطرة العرب السياسية هي التي انتشرت بقوة السلاح، أما الديانة الإسلامية نفسها فقد وجدت سبيلها إلى قلوب عدد كبير من أهالي البلاد المفتوحة بدليل ما اجتمعت عليه الوثائق من تسامح العرب المطلق مع المسيحيين واليهود على السواء. وهو تسامح لم يخطر على بال إنسان ولم يحظ به المسيحيون واليهود في ظل حكامهم السابقين].

وفي موسوعة كامبردج: أوروبا العصور الوسطى المجلد الثاني صحيفة ٩٢، ٩٣: [لا شك أن روح التسامي والتسامح التي عرف بها العرب والتي لا يوجد لها نظير في الشرق أو الغرب في العصور الوسطى كان لها أكبر الأثر في تفهمهم للحضارات الأخرى السابقة تفهمًا صحيحًا واضحًا، وفي تفهم الأوروبيين والإفريقيين لحضاراتهم تفهمًا مفيدًا].

ولقد دافع ألفونس اتيين دينيه في كتابه [محمد رسول الله] وفي رسالته [أشعة خاصة بنور الإسلام] عن مبدأ تعدد الزوجات دفاعًا مجيدًا فيقول في مسايرة الطبيعة: [لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التي لا تغلب وإنما هو يساير قوانينها ويزاول أزماتها بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة ومثل ذلك الفرض الذي تفرضه على أبنائها الذين

يتخذون الرهبنة فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون غرباء].

وتقول دائرة المعارف البريطانية: [قليلون هم الرجال الذين أحدثوا في البشرية الأثر العميق الدائم الذي أحدثه محمد لقد أحدث أثرًا عميقًا منذ دعا إليه حتى الآن هو الإيمان الحي والشريعة المتبعة لأكثر من سبع سكان العالم على أن أثره التاريخي يبدر بأكثر عندما نذكر أنه في أقل من عشرين سنة من بدء دعوته قوض دعائم إمبراطوريتين عقيدتين البيزنطية والفارسية مؤسسًا على أنقاضهما حضارة جديدة، ولقد أرسى منذ جاء بدعوته التي هي عقيدة وشريعة قواعد بناء المجتمع الاجتماعية والسياسية، وقد أعقب موته أن سجل خلفاؤه الأحاديث التي رويت عنه وأدق التصرفات والأفعال انتي قام بها فاتخذ المؤمنون من الأحاديث نبراسًا ومثلًا أعلى يحتذون به في حياتهم اليومية جيلًا بعد جيل].

ويقول هـ.ج. ويلز المؤرخ والفيلسوف الإنجليزي في كتابه (مختصر تاريخ الإنسانية) [كان يمكن لأي متنبي تاريخي يستعرض حياة البشر في مستهل القرن السابع الميلادي أن يتوقع بحق أنه لن تمضي بضعة قرون حتى تقع كل أوروبا وآسيا تحت سيادة المغول والتتار، فلم يكن في أوروبا الغربية أي أشارة تدل على إمكان قيام النظام فضلًا عن الوحدة، والإمبراطوريتان: البيزنطية والفارسية كانتا في طريقهما نحو الانحلال والدمار، ولكن هذا المتنبئ كان سيخطئ في تقديره فقد اشتعلت دنيا الصحراء والبدو بمائة عام من المجد عندما بسط العرب سلطانهم ومدوا حكمهم ولغتهم من أسبانيا إلى حدود الصين مقدمين للعالم ثقافة جديدة ومنشئين دينًا لا يزال حتى اليوم أحد القوى الحيوية في العالم، وكان محمد بن عبد الله هو الذي أشعل الجزيرة العربية ودفعها لتحقيق ذلك كله].

ويقول ول ديورانت العالم الأمريكي مؤلف الموسوعة (تاريخ الحضارة الإنسانية) بعد أن يستعرض تاريخ سيدنا محمد ﷺ [إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس فإن محمدًا يكون من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يدانيه فيه أي مصلح آخر في التاريخ، كله وقل أن نجد إنسانًا غيره حقق كل ما كان يحلم به واستطاع في جيل واحد أن ينشئ دولة عظيمة وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم].

ويقول لامارتين شاعر فرنسا العظيم: [إن حياة مثل حياة محمد وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده وثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وشدة بأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان وإيمانه بالنصر وإعلاء كلمته ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية إن كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعًا أو يعيش على باطل، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ومشرع وهادي الإنسان إلى العقل، وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب، ومؤسس دين لا فرية فيه، فأي رجل أدرك من العظمة الإنسانية ما أدرك وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثلما بلغ؟!].

ويقول جيبون وهو واحد من أعظم علماء التاريخ والباحثين: [الشريعة الإسلامية عامة في أحكامها يخضع لها أعظم ملك وأقل صعلوك فهي شريعة حيكت بأحكم منوال شرعي وليس لها مثيل في العالم].

ويقول ليودورش: [إن الإسلام دين طبيعي إنساني اقتصادي أدبي ولم أذكر شيئًا من القوانين الوضعية إلا وجدته مقننًا فيه، ولقد وجدت فيه حل المسألتين اللتين تشغلان العالم طرا: **الأولى** قوله في القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[الحُجُرات:١٠] فهذه أجمل المبادئ الاشتراكية. والثانية: فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبًا إذا امتنع الأغنياء عن دفعها طوعًا وهذا هو دواء الفوضوية].

ويقول المستشرق (كارادي فو) في كتابه المحمدية: [إن محمدًا كان هو النبي والملهم والمؤسس ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العليا التي كان عليها ومع ذلك فإنه لم ينظر إلى نفسه كرجل من عنصر آخر أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين. إن شعور المساواة والإخاء الذي أسسه بين أعضاء الجماعة الإسلامية كان يطبق عمليًا حتى على النبي نفسه].

ويتحدث (تولستوي) الأديب الروسي الكبير عن النبي محمد بقوله: [ومما لا ريب فيه أن محمدًا كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخرًا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام وتأثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرقي والمدنية وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص يكون نبي وليس أي نبي. ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام].

وسجل (السير وليم ميور) المستشرق الإنجليزي في كتابه حياة محمد: [امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد].

ويقول المستشرق الأسترالي (على أسير الدين) عن النبي الكريم: [صريح ذلك الراعي قوي العزم، نقي القلب، طاهر النفس، دعاه قومه بالأمين، أحبه جده وأوصى بذلك الصبي الجميل خيرًا، فهو خير ثمرة لخير شجرة نبتت بين ربوع قريش، وقريش هذه من أعظم قبائل العرب في ذلك الحين].

ويذكر المستشرق (يزريه بلانشيه): [أن النبي محمدًا يعد من أبرز وأشهر رجال التاريخ فقد قام بثلاثة أعمال عظيمة دفعة واحدة وهي أنه أحيا شعبًا، وأنشأ إمبراطورية، وأسس دينًا].

ويقول الكونت هنري دي كاستري في كتابه الإسلام تأثرات ومباحث: [لقد شعرت بأن قلبي ينكسر بين أضلعي وارتعشت مني العظام وصرت كالنشوان وذلك لما غمرني من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة من القرآن].

ونورد كلامًا لفاضل من علماء القساوسة هو القس (لوزان) الذي يقول: [ليس في الاكتشافات العلمية الحديثة، ولا في المسائل التي انتهى حلها، أو التي هي تحت الحل والاختبار، ما يغاير الحقائق التي جاءت في الشريعة الإسلامية: السهلة المأخذ، البعيدة الهدف. وإن كنا نحن مع التوفيق والتأليف بين الحقائق ذلك الأمر الذي نبذل كل جهدنا فيه نحن معاشر الأوروبيين أراه موجودًا على صحته وسابقًا لعصرنا في الديانة الإسلامية].

ويقول الأستاذ الأوروبي (دراوي) أحد وزراء معارف فرنسا السابقين ووصفه الأمة العربية في إبان مجدها ومطلع عزها قال: [وبعد أن ظهر النبي محمد الذي جمع قبائل العرب المتفرقة المشتتة في أمة واحدة تقصد قصدًا واحدًا وعقيدة واحدة وقلبًا واحدًا وهمة متوحدة فظهرت بعد ذلك للعيان كلمة عظيمة مدت جناح ملكها من نهر التاج في أسبانيا إلى نهر الكنج في الهند، ورفعت منار الإسلام وأعلام الرقي والتجديد في أكثر أقطار الأرض أيام كانت أوروبا مظلمة بجهالات أهلها في القرون الوسطى].

ويقول توما كارليك الإنجليزي ردًّا على بعض السفهاء من قومه واصفًا محمدًا: [هل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلًا كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا

عجيبًا؟! والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطين، فهو إن لم يكن عليمًا بخصائص الجير والتراب فما الذي بناه ببيت، وإنما هو تل من الأنقاض، وما الرسالة التي أداها محمد إلا الحق الصريح، وما كلمته إلا الصوت الصادر من العالم المجهول].

والذين أقروا بنجاح تعاليم محمد وأنها من الثمار الحسنة فمنهم:

١- القمص مرقس عزيز خليل كاهن الكنيسة المعلقة قال في مقال لجريدة صوت الأمة الصادرة بتاريخ ٥/ ٥/ ٢٠٠٣: [فإذا ما ظهرت بدعة في وقت من الأوقات من أشخاص وثنيين كانوا يعبدون الزهرة وحاولوا عند دخولهم المسيحية التقريب بين معتقداتهم القديمة (الوثنية) والدين الجديد الذي سيدخلونه فحاول استبدال الزهرة بالسيدة العذراء فتصدت لهم المسيحية وحاربتهم وحرمتهم وأعلنت أنهم ليسوا مسيحيين ووقفت مع الإسلام في محاربة هذا الفكر المنحرف أو فلنقل إن الإسلام وقف مع المسيحية في محاربة هذا الفكر المنحرف] فلو أن الإسلام ليس من عند الله فسيكون من عند الشيطان، والشيطان لا يحارب الفكر المنحرف بل يوثق عليه.

٢- مكرم عبيد والرجل الذي صاغ شعار: [أنا مسلم بالوطن قبطي الديانة] لم يتعامل طوال حياته على أنه قبطي كان مصريًا وطنيًّا يحفظ القرآن ويرتله بصوت رخيم ويستشهد بآياته في مرافعاته البليغة أمام المحاكم.

٣- البابا شنودة: [بناء على طلب الكنيسة وموافقة الأقباط حلول الشريعة الإسلامية لمشكلات العائلات المسيحية وأبرز المشكلات الخلع وسن الحضانة والزوج المفقود والمواريث لعدم وجود نص خاص بها في الإنجيل] وهذا الإقرار في مجلة روز اليوسف العدد (٣٨٥٠) الموافق ٩- ١٥ المحرم ١٤٢٣هـ/ ٢٣-٢٩ فبراير ٢٠٠٢م فهنا لو كانت تعاليم محمد ﷺ من الثمار الفاسدة لما

استخدمها البابا شنودة بناء على طلب الكنيسة وموافقة الأقباط، وهذا يؤكد أنه النبي المنتظر لأن المسيح قال الفرق بين النبي الصادق والنبي الكاذب المدعي النبوة: [فإذا من ثمارهم تعرفونهم].

فبعد كل هذا وبعد أن شهد العالم وأعظم العظماء لتعاليم محمد ﷺ حتى رجال الدين واللاهوت شهدوا أن تعاليم محمد من الثمار الحسنة لأنهم يستخدمونها في حياتهم.

فهل بعد كل هذا تظنون ولو للحظات أن محمدًا ﷺ مدعي للنبوة أو نبي كاذب. ومع ذلك سأثبت لكم أن محمدًا ﷺ مدون في الإنجيل عندكم فهيا بنا نسبح في كتابكم لنخرج هذه النبوة ونثبت صحة ما نقول نحن المسلمين.

إثبات بشارة ونبوة لنبي الإسلام من الإنجيل:

يقول الإنجيل: [إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.... الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني بهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.

سلامًا أترك لكم سلامي أعطيكم لبس كما يعطي العالم أعطيكم أنا لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب سمعتم أني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الأب لأن أبي أعظم مني وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون لا أتكلم أيضًا معكم كثيرًا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء ولكن ليفهم العالم أني أحب الأب وكما أوصاني الأب هكذا أفعل] (يوحنا ١٤: ١٥-٣١).

[ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء] (يوحنا ١٥ : ٢٦-٢٧).

[قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا سيخرجوكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفوني لكني قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلت لكم، ولم أقل لكم من البداية لأني كنت معكم وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا تروننى أيضًا، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين.

إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني] يوحنا (١٦ : ١-١٤).

الشرح والتفسير والبيان:

أولًا:

قبل الشرح والتحليل لا بد وأن نعرف معنى كلمة معزى فمعناها [الشفيع - المحامي - نصير].

وفي الأصل اليوناني [يعظ أو ينصح] والكلمة التي كانت تأتي بعدها روح

الحق أو روح القدس فهما من أسماء الرسول محمد ﷺ وهذه الأسماء مكتوبة في مسجد رسول الله ﷺ من الباب إلى المحراب وأسماء النبي [مائتان وواحد] وهي هذه: اللهم صلي وسلم وبارك على أشرف أسمائه (محمد) - أحمد - حامد - محمود - أحيد - وحيد - ماح - حاشر - عاقب - طه - يس - طاهر - مطهر - طيب - سيد - رسول - نبي - رسول الرحمة - قيم - جامع - مقتف - مقفى - رسول الملاحم - رسول الراحة - كامل - إكليل - مدثر - مزمل - عبد الله - حبيب الله - صفي الله - نجي الله - كليم الله - خاتم الأنبياء - خاتم الرسل - محيي - منج - مذكر - ناصر - منصور - نبي الرحمة - نبي التوبة حريص عليكم - معلوم - شهير - شاهد - شهيد - مشهود - بشير - مبشر - نذير - منذر - نور - سراج - مصباح - هدى - مهدي - منير - داع - مدعو - مجيب - مجاب - حفي - عفو - ولي - حق - قوي - أمين - مأمون - كريم - مكرم - مكين - متين - مبين - مؤمل - وصول - ذو قوة - ذو حرمة - ذو مكانة - ذو عز - ذو فضل - مطاع - مطيع - قدم صدق - رحمة - بشرى - غوث - غيث - غياث - نعمة الله - هدية الله - عروة وثقى - صراط الله - صراط مستقيم - ذكر الله - سيف الله - حزب الله - النجم - الثاقب - مصطفى - مجتبي - منتقي - أمي - مختار - أجير - جبار - أبو قاسم - أبو الطاهر - أبو الطيب - أبو إبراهيم - مشفع - شفيع - صالح - مصلح - مهيمن - صادق - مصدق - صدق - سيد المرسلين - إمام المتقين - قائد المحجلين - خليل الرحمن - بر - مبر - وجيه - نصيح - ناصح - وكيل - متوكل - كفيل - شفيق - مقيم السنة - مقدس - روح القدس - روح الحق - روح القسط - كاف - مكتف - بالغ - مبلغ - شاف - واصل - موصل - سابق - سائق - هاد - مهد - مقدم - عزيز - فاضل - مفضل - فاتح -

مفتاح - مفتاح الرحمة - مفتاح الجنة - علم الإيمان - علم اليقين - دليل الخيرات - مصحح الحسنات - مقيل العثرات - صفوح عن الزلات - صاحب الشفاعة - صاحب المقام - صاحب القدم - مخصوص بالعز - مخصوص بالمجد - مخصوص بالشرف - صاحب الوسيلة - صاحب السيف - صاحب الفضيلة - صاحب الدرجة الرفيعة - صاحب التاج - صاحب المغفر - صاحب اللواء - صاحب المعراج - صاحب البراق - صاحب الخاتم - صاحب العلامة - صاحب البرهان - صاحب البيان - فصيح اللسان - مطهر الجنان - رءوف رحيم - أذن خير - صحيح الإسلام - سيد الكونين - عين النعيم - عين العز - سعد الله - سعد الخلق - خطيب الأمم - علم الهدى - كاشف الكرب - رافع الرتب - عز العرب - صاحب الفرج.

ثانيًا: الشرح والتحليل:

إن المسيح يقول للتلاميذ: إنه سيطلب من الله سبحانه وتعالى شفيع آخر أو محام آخر أو نبيًّا من بعده ليعزي بني إسرائيل على فقدهم لعهد النبوة والكتاب والملك، وهذا النبي ستظل شريعته إلى الأبد ولا يأتي من بعده نبي ولا شريعة ولا كتاب لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو روح الحق وهذا اسم من أسمائه الشريفة وسيستمد قوته من الله، وإذا جاء ذلك النبي ستعرفونه لأني قد بينت لكم أوصافه وعلامات مجيئه.

والذين لا يعرفون الكتاب ويدرسونه والذين لم يعترفوا بالله والرسالات السماوية لن يستطيعوا معرفته ولكن أهل الكتاب والرسالات السماوية يعرفونه إذا جاء.

ولست أتكلم عن مجيء ذلك النبي وأوصافه وعلامات ظهوره من تلقاء نفسي، بل الله هو الذي أمرني أن أتكلم عنه وعن مجيئه وأوصافه وعلامات

مجيئه، والله هو الذي أخبرني أن النبي الذي سيأتي من بعد صعودي إلى الله سيعلمكم كل شيء، ولن يترك صغيرة إلا علمها لكم ولا كبيرة إلا شرحها لكم، ويذكركم بكل ما قلته لكم لأنكم ستنسون رسالتي وتحرفونها فهو سيأتي ويذكركم بما قلته.

وقال المسيح لهم: إني سأترككم في سلام وأمان إذا حافظتم على رسالتي كما هي، أما إذا تم تحريفها وسيتم تحريفها ستكونون في عثرة فلا تخافون ولا تجزع قلوبكم، سمعت أنكم حزنتم عندما عرفتم أني سأصعد إلى الله لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لي لأن الله أعظم مني وسأكون في الفردوس ونعيمها، وقلت لكم كل هذه الأمور حتى عندما تحدث تؤمنون لا أتكلم معكم كثيرًا لأني سأصعد قريبًا وسيأتي ريس هذا العالم وهو النبي الآتي إلى العالم والذي خلق الله الدنيا من أجله، وليس له حق العقاب والصواب ولكن ليس له إلا النصيحة وإن يرشدكم إلى الطريق المستقيم وليفهمكم صحة ما حرفتم في الكتب وما تسترتم به وراء إنجيلي وسيقول لكم إني رسول الله وعبده وإني أحب الله ولم أخالف الله، ولم أقل إني ابنه أو آله ولكن أنتم الذين زعمتم ذلك علي وإني برئ منكم ومن مزاعمكم.

وعندما يأتي الرسول روح الحق الذي سيرسله الأب سيشهد لي ويقول الحق الذي قلته وستشهدون أنتم له لأني قلت لكم عنه قبل أن يأتي فتؤمنون به.

إن الناس اضطهدوني وأنكروا نبوتي وسوف يضطهدونكم كما اضطهدوني وسيشكون في كلامكم كما شكوا في كلامي، ولكن متى جاء النبي الآتي إلى العالم سيثبت نبوتي ويؤكد للعالم أني نبي الله ويبرئ أمي من مزاعم اليهود.

ولكن اتركوني أنطلق ولا تحزنوا لصعودي لأنهُ خيرٌ لكم أن أصعد حتى يأتيكم النبي المنتظر لأنه رحمة للعالمين، وعندما يأتي سيبكت العالم على الخطيئة

لأنكم ستزعمون أني الله أو ابن الله فسيبكتكم على هذه الخطيئة وعلى بر لأنكم تتركون طريق الله والصواب والخير وتفعلون الشر وسيعرفكم كل شيء في الدنيا والآخرة حتى لا تقعوا في فخ الشيطان.

إن لي تعاليم كثيرة أعرفها ولكن لو علمتها لكم لا تستطيعون حمايتها من الشيطان والمساس بها من التحريف، ولن تتحملوها أو تستوعبوها ولكن متى جاء الرسول والنبي الآتي روح الحق سيرشدكم إلى جميع الحق ويعلمكم كل شيء لأنهُ لا يتكلم بهذه التعاليم من تلقاء نفسه، ولكن كل ما يتكلم به من عند الله عن طريق الوحي الذي يسمع منه ويكلمكم بما يسمع وسيخبركم بأمور غيبية آتية وسيمجدني ويعظمني ويبرأني من المزاعم التي ستقولونها عني.

وحتى يشرح لهم المسيح عيسى ابن مريم أنه عبد الله وأن رسالته انتهت بالتبشير بالرسول الذي سيأتي من بعده قال: [قد كلمتكم بهذا بأمثال ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم أيضًا بأمثال بل أخبركم عن الأب علانية... هو ذا تأتي ساعة وقد أتت] (يوحنا ١٦: ٢٥ - ٣٢).

فهنا قال المسيح لهم قبل أن يصعد إلى السماء ليفهمهم حقيقة الله وحقيقته دون أمثال وليوضح لهم حقيقة الأب هل بنوة حقيقية أم مجازية فقال لهم لينهي رسالته ويوضحها قبل الصعود حتى لا يضل فيها أحد ويكون بريئًا منكم ومن مزاعمكم: [وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته] (يوحنا: ١٧ : ١).

ثالثا: الأوصاف التي قالها المسيح عن النبي:

١- إن النبي اسمه روح الحق وستمكث شريعته إلى الأبد.

٢- واسمهُ روح القدس وإنه سيعلمكم كل شيء وسيكون في شريعته كل شيء حتى النصوص الناقصة في الإنجيل ويذكركم بصحة رسالتي.

٣- سيكون رئيس هذا العالم لأنه خاتم الأنبياء أجمعين وخاتم الرسالات السماوية، وسيفهم العالم أن المسيح يحب الله ويتكلم في بنوتِهِ مجازًا وليست حرفية ولكن من حب المسيح في الله سيلقبه بالأب لنقصهِ النفسي وشعوره بالحرمان من الأب الحقيقي البشري.

٤- إن هذا النبي سيشهد للمسيح ويعترف به.

٥- إنه رحمة للعالمين وخير للعالم فإن لم يصعد المسيح لم يأتِ ذلك النبي.

٦- سيأتي النبي ليخزي العالم ويبكتهم على: الخطايا والبر والدينونة وسيتكلم ويعلم الناس بما يسمع من الوحي السماوي (جبريل) ورسالته لن تحرف.

٧- وسيتكلم عن أمور آتية أي أمور غيبية.

٨- سيمجد المسيح ويعظمه.

فهيا بنا نسبح هل تنطبق هذه الأوصاف على نبي الإسلام أم على غيره وهل هذه الأوصاف نفس أوصاف نبوءة التوراة [تثنية ١٨ / ١٨] أم لا.

نحن نقول إن كل هذه الأوصاف لنبي الإسلام وسنثبت صحة ما نقول نحن المسلمين:

١- الوصف الأول:

ينطبق على الرسول ﷺ لأن كما ذكر سالفًا أن كلمة روح الحق اسم من أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام. وأما بالنسبة للشريعة التي ستظل إلى الأبد فإن النبي محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وآخر الشرائع والكتب السماوية وتظل شريعته إلى يوم القيامة كما هي. فلو كان سيدنا محمد ﷺ مجرد بطل من الأبطال الذين يسعون وراء المجد والسلطان لقنع بما وصل إليه مما لم يتحقق لعربي من قبله ولكنهُ كان صاحب رسالة ومبشرًا بدين سماوي، ومن

هنا فقد رأيناه يبعث برسله وسفرائه إلى ملوك الأرض وأباطرتها يدعوهم إلى الدين الجديد دين التوحيد والسلام، فأرسل إلى إمبراطور الروم، وإلى كسرى الفرس، وإلى نجاشي الحبشة، ومقوقس مصر، وكانوا هم أعظم الملوك. وكان إرسال هذه الرسائل يعني تحدي هذه القوى، ولكن سيدنا محمد ﷺ لم يكن رجل سياسة أو ملك وإنما كان رجل دعوة ورسالة. فلما تألبت عليه هذه القوى العالمية لم يحجم عن مواجهتها بل أسرع لمقابلة جيوش الروم وهكذا رسم الطريق لخلفائه من بعده الذين ساروا فيه فإن هي إلا نحو عشرين سنة حتى كانت كتائب الإيمان تقوض سلطان إمبراطوريتي الفرس والروم لتقوم على أنقاضهما الدولة الإسلامية العالمية، التي لم يشهد لها التاريخ مثيلًا من قبل أو من بعد، والتي أبدعت الحضارة الإسلامية في رقيها وتقدمها، واقتلع الدين الإسلامي الأديان السابقة عليه في هذه الرقعة من العالم، وحل الإسلام محل عبادة النار وعبادة الأوثان وشتى صنوف المعتقدات والعبادات.

ونحن المسلمين لا نقف مذهولين أو حيارى أمام الذي حققه سيدنا محمد ﷺ وشريعته الخالدة فما دام أنه رسول من رب العالمين ومادام يفعل الذي يفعله بقوة الوحي الإلهي وتوجيهه فأي غرابة وأي عجب في أن ينتصر هذا الانتصار الساحق، وإنما العجب هو ألا يحقق هذا الذي حققه فما دام الله معه فأيُّ شيء ينقصه؟! قد يراود بعض العقول أن يعتبروا سيدنا محمدًا ﷺ بطلًا من أبطال البشرية وأعلامها من أمثال أرسطو وأفلاطون وسقراط هذا النفر الذي زود البشرية بتراث من المعرفة والنظر في أمر الوجود، كما رسم طريقًا لسلوك الأفراد والجماعات وما تكون عليه الأخلاق، فلماذا لا نعد سيدنا محمدًا ﷺ عظيمًا مثل هؤلاء العظماء؟! والحق أننا لو أردنا أن نعده من بين هذه الطائفة من البشر فمن الواجب أن نضعه على رأسهم بإجماع الآراء، فهؤلاء قد اندرسوا واندرست تعاليمهم أما سيدنا محمد ﷺ وتعاليمه باقية خالدة يمارسها الناس

ويعيشون على أساسها، وهي تعاليم تضع الحدود وتخطط المعالم فلو قرأتم تعاليم محمد ﷺ بالتفصيل لعرفتم أن محمدًا رسول الله وأعظم مؤسس لأنه أحيا شعبًا وأنشأ إمبراطورية وأسس دينًا، وإنه أعظم نبي ورسول ولم تعرف البشرية مصلحًا أو زعيمًا أو قائدًا جاء يدعو لمذهب جديد ودين جديد وسلوك جديد ثم ترك الناس أحرارًا في اتباع ما يدعو إليه عن طواعية ورضا لا عن إكراه وضغط.

وحرية الإنسان في اختيار أفعاله، فلم تكن الدعوة إلى الإسلام نظرية بل هي دعوة تطبيقية عملية، ولذلك فقد عايش الإسلام النصرانية واليهودية والزرادشتية في فارس ويصل هذا التعايش ذروته عندما ترى الإسلام يبيح للمسلم أن يتزوج بكتابية، فإذا علمنا أن الدين في القديم كان هو كل حياة البشر أدركنا مدى ما وصل إليه الإسلام من احترام حرية الإنسان ومعتقداته.

وإذا وضعنا التشريع المحمدي بين بعض أفراد باعتبارهم عظماء البشر من الناحية التشريعية مثل حمورابي في بابل، وصولون في اليونان، وواضع الألواح الإثني عشر في روما وجامعو مدونه جستنيان فإن سيدنا محمدًا ﷺ وما جاء به من التشريع يجب أن يوضع على رأس هؤلاء جميعًا، فقد ذهبوا وذهبت قوانينهم ولم يعد يذكرهم إلا العلماء والمتخصصون، أما محمد وشريعته فباقية سائدة وهذا مدى نصاعتها وإنسانيتها وكمالها ويكون سيدنا محمد ﷺ أعظم المشرعين بعد كونه أعظم الحكماء والفلاسفة والمصلحين.

ويقول كارليل في كتابه الأبطال: [لقد أصبح من العار على أي فرد متمدين من أبناء العصر أن يصغى إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب وأن محمدًا خداع مزور، وقد آن لنا أن نحارب ما شاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أداها الرسول ما زالت السراج المنير لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الذي خلقنا أفيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي

عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء كذبة وخدعة؟!
أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصدقان مثل هذا التصديق والقبول فما الناس إلا بُلْه ومجانين، وما الحياة إلا سَخَفٌ وعبث وأُضلولة كان الأولى بها ألا تخلق].

وكارليل عندما قال هذا الذي قال كان منطقيًا مع نفسه كإنسان متدين يؤمن بالله وبأنه يبعث الرسل، ولو قيل إنه لم يبعث سيدنا محمدًا ولم يرسله وينكر رسالته ومحاولة هدمها هو إنكار للرسالات كلها فلو صح أن سيدنا محمدًا قد كذب في دعواه أنه تلقى وحيًا من رب العالمين ومع ذلك فقد صدقه الناس وتأثروا به هذا التأثر فما هو الدليل الذي يبقى بعد ذلك على صحة دعوى أي نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل.

وكثيرًا ما حاول الدارسون أن يكتشفوا السر الذي مكن المسلمين في نحو قرن واحد أن ينتقلوا من قلة متبدية مستضعفة إلى كثرة متحضرة مرهوبة فقوضوا ملك الفرس والروم وانتشروا في بقاع الأرض هداة ومعلمين ودعاة إلى الحق والخير والحرية، ولكن هذه القوة التي حاروا في الكشف عنها ليست سرًا محجبًا ولا خفيًا ولا محتاجًا إلى فروض لأنها وليدة العقيدة وما تحمله العقيدة من تقوى وأخلاق، فقد كان المسلمون شجعانًا أسخياء بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله وفي نصرة الحق وفي حماية العقيدة وفي فداء الوطن ولأن ما جاء به محمد دين الله الحق.

ويقول برناردشو: [إن أوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد وبدأت تعشق دينه كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما اتهمتها بها من أراجيف أوروبا في العصور الوسطى، وسيكون دين محمد هو النظام الذي تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة، ويستند على فلسفته في حل المعضلات وفك المشكلات

وحل العقد].

ويقول المستشرق (المستر ويلز) أكبر مؤرخي الإنجليز وأكثرهم شهرة بين قومه فقد كتب مقالًا عن الإسلام ومبادئه الحكيمة أعلن فيه بصراحة نادرة إعجابه ببطولة محمد ﷺ وبتعاليم القرآن النبيلة، وإلى القراء مختصر ما جاء في هذا المقال الصريح: [إن كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به لأن الدين الذي لا يسير مع المدنية جنبًا إلى جنب إنما هو شر مستطير يجر أصحابه إلى الهلاك، وأن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدينة كيفما سارت واتجهت في نظري هو الدين الإسلامي، ومن أراد أن يحقق ذلك بنفسه فليتصفح القرآن وما فيه من نظريات علمية وقوانين تشريعية ومدنية وأنظمة لترابط المجتمع الإنساني فهو والحق يقال كتاب ديني علمي اجتماعي تهذيبي خلقي تاريخي وأكثر نظمه وقوانينه نستعملها نحن الآن في وقتنا الحاضر وسيستعملها غيرنا ممن هم بعدنا حتى فناء الدنيا، ولو طلب مني أحد القراء تحديد تعريف للإسلام في عبارة واحدة أحدده له في العبارة الآتية: (الإسلام هو المدنية المرتقبة)].

ويقول العالم الأوروبي برناردشو: [إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكيره مثل محمد هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال لأنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، وإنه خالد خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي العلماء قد دخلوا هذا الدين على بينة من أمرهم ومستقبلًا سيجد هذا الدين مجاله الفسيح في سائر القارة].

والعالم يرى فيها كل ما يحتاجه وليس للعالم حوجه لنبي آخر يأتي بشرع أو رسالة لأن رسالة محمد لا صغيرة ولا كبيرة إلا مدونه فيها فبهذا أخاطب العالم أن محمد هو نبي الله للعالم والذي كان ينتظره الجميع.

فبآراء الجميع وبالأدلة والبراهين أثبتنا أن الوصف الأول ينطبق على النبي محمد ﷺ، وستظل شريعة محمد إلى الأبد وستكون ملائمة ومتماشية لكل العصور والشعوب إلى يوم القيامة ولن يأتي رسول من بعده ولا شريعة لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

٢ـ الوصف الثاني:

اسمه روح القدس وسيعلمنا كل شيء ولا شيء يكون ناقص في شريعته وهذا الوصف ينطبق على محمد ﷺ فمن أسمائه روح القدس، وشريعته فيها كل شيء فلم يحتاج الإنسان شيئًا من الدنيا أو الآخرة إلا وجده في الشريعة المحمدية، وهذه بشهادة اليهود والنصارى عندما قالوا: محمدًا لم ينسَ شيء من الدنيا إلا كان ملمّا به وأمر به أمته، ولم تفعل أمته شيئًا إلا بذكر الله حتى دخول الحمام والخروج منه] فسيدنا محمد لم يترك شيئًا إلا علمه لأمته وأي شيء ناقص عند أهل الكتاب يكون مدون في دين محمد وهذا ما أقر به البابا شنودة في مجلة روز اليوسف بناء على طلب الكنيسة وموافقة الأقباط العدد ٣٨٥٠ تاريخ ٢٣ /٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢م الموافق ٩-١٥ المحرم ١٤٢٣هـ. حيث ينص هذا الإقرار على [بناء على طلب الكنيسة وموافقة الأقباط حلول الشريعة الإسلامية لمشكلات العائلات المسيحية:

خطاب من البابا شنودة إلى المحكمة الدستورية من أجل تطبيق قواعد الإسلام في أبرز المشكلات: [الخلع وسن الحضانة والزوج المفقود والمواريث] على الأقباط لعدم وجود نص خاص بها في الإنجيل فهنا ما لا يوجد في الإنجيل والشريعة الإلهية يوجد في دين محمد، فلو محمد لم يكن نبي إذن هو كاذب كما تزعمون فشريعته ستكون من عند الشيطان فهل يصح أن يكون الشيطان له شريعة فيها كل شيء وحلول كل الأزمات الدنيوية والحلول التي لم تكن لها نصوص في الشريعة الإلهية؟!

فهنا لو كانت تعاليم محمد ﷺ من الثمار الفاسدة لما استخدمها البابا شنودة بناء على طلب الكنيسة والأقباط، فهذا يؤكد أن النبي الآتي إلى العالم الذي يعلمكم كل شيء ففي شريعة الإسلام كل شيء، ولم يترك نقطة لم تدون فيه. فالذي لا يوجد في كتابكم يوجد عندنا وفي تعاليم محمد لأنها من الله والله لا يترك نقطة يحتاجها الإنسان إلا علم بها.

وهذا ما أقر به العالم جميعًا فمنهم قول جيبون وهو واحد من أعظم علماء التاريخ والباحثين: [الشريعة الإسلامية عامة في أحكامها يخضع لها أعظم ملك وأقل صعلوك فهي شريعة حبكت بأحكم منوال شرعي وليس لها مثيل في العالم].

ويقول ليودورش: [إن الإسلام دين طبيعي إنساني اقتصادي أدبي ولم أذكر شيئًا من القوانين الوضعية إلا وجدته مقننًا فيه ولقد وجدتُ فيه حل المسألتين اللتين تشغلان العالم: **الأولى** في قول القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] فهذه أجمل المبادئ الاشتراكية. **والثانية** فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبًا إذا امتنع الأغنياء عن دفعها طوعًا وهذا هو دواء الفوضوية].

وقال الفيلسوف الأيرلندي: [بحثت في الوجود فلم أجد شيئًا يمنع الزنا إلا آية جاء بها محمد].

ويقول القس لوزان: [ليس في الاكتشافات العلمية الحديثة ولا في المسائل التي انتهى حلها أو التي تحت الحل والاختبار ما يغاير الحقائق التي جاءت في الشريعة الإسلامية السهلة بعيدة الهدف، وإن كنا نحن مع التوفيق والتأليف بين الحقائق ذلك الأمر الذي نبذل كل جهدنا فيه نحن معاشر الأوربيين أراه موجودًا على صحته وسابقًا لعصرنا في الديانة الإسلامية].

ويقول الكونت دوزي العالم وأحد وزراء فرنسا السابقين: [بينما نحن أهل أوروبا تائهون في بيداء الجهالة لا نرى الضوء إلا من سم الخياط إذ سطع نور قوي مما جاءت به الأمة الإسلامية تراث فيه علوم وآداب وفلسفة وصناعات وأعمال يدوية وذلك وقت ما كانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف العامة ومنها ينتشر النور فيما حولها وما بعد عنها من أمم وكان يغترف منه أهل أوروبا في القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنون عدة مما أقاموا عليه أساس حضارتنا الحاضرة التي أصلها اقتباس من شرائع الإسلام وحضارة المسلمين].

وأما عن إقرار الكتاب المقدس عن الوصف الثاني وهو إن الذي يعلمنا كل شيء هو النبي الآتي إلى العالم وسيكون رسول وليس إله حيث يقول كتابكم:

١- [أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر] متى (١١: ٢-٣) فهنا كان يوحنا ينتظر شيء معلوم أنه سيأتي.

٢- [وإذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح] لوقا (٣: ١٥) فهنا كان الشعب والجميع يظنون أن يوحنا هو الآتي إلى العالم.

٣- (فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل إلى يسوع قائلًا أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟! فلما جاء إليه الرجلان قالا يوحنا المعمدان قد أرسلنا إليك قائلًا: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر) لوقا (٧: ١٨ - ٢٠).

٤- [كان إندراوس أخو سمعان بطرس واحدًا من الاثنين اللذين سمعا

يوحنا وتبعاه هذا وجد أولًا أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيا] يوحنا (١: ٤٠-٤١) ومعنى مسيا هي كلمة أرمية معناها رسول.

٥- [قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء] يوحنا (٤: ٢٥).

إذن المسيا الذي يأتي فهو عندما يأتي يعلمنا ويخبرنا بكل شيء فمن هو المسيا نبي أم إله؟!

٦- [فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم] يوحنا (٦: ١٤).

إذن كان بني إسرائيل ينتظرون نبيًّا يأتي إلى العالم ليخبرهم ويعلمهم كل شيء ولم ينتظروا إلهًا.

إذن كل هذا ينطبق على الرسول محمد ﷺ ولم ينطبق على المسيح لأن المسيح إله على حد علمكم ومحمد ﷺ نبي.

وينطبق أيضًا على محمد لأن محمدًا علمنا كل شيء والنصوص الناقصة في الإنجيل والتوراة تنص عندنا في الشريعة المحمدية كما أقر البابا شنودة والعلماء وكما أقر المسيح أنه له أشياء كثيرة يعرفها ولكن لو قلناها لا تحتملوها ولا تستوعبوها وقال إن الذي يعلمها لكم النبي روح الحق فهو يعلمنا كل شيء.

ولو كان المسيح هو الذي يعلمنا كل شيء ما كان يكون شيء ناقص وما كان قال إن الذي يأتي بعدي يعلمكم كل شيء حيث قال: [إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح للحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق] يوحنا (٦: ١٢-١٣).

والدليل على أن الذي يعلمنا كل شيء يخبرنا بأمور آتية أنه نبي إلى العالم وليس إلهًا ما يقوله الكتاب المقدس: [لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة

هو النبي، آخرون قالوا هذا هو المسيح، وآخرون قالوا العل المسيح من الجليل يأتي ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود منها يأتي المسيح] (يوحنا ٧: ٤٠-٤٢).

فهنا المسيح غير النبي حيث إن المسيح من نسل بني إسرائيل أما النبي ليس من نسل بني إسرائيل والنبي هو الذي يعلمنا كل شيء كما ذكرنا سالفًا، وليس المسيح ويقول الكتاب على النبي: [إنه لم يقم نبي من الجليل فمضى كل واحد إلى بيته] (يوحنا ٧: ٥٢-٥٣).

٧- [فاعترف ولم ينكر (يوحنا) وأقر أني لست أنا المسيح فسألوه إذًا ماذا إيليا أنت فقال لست أنا النبي أنت فأجاب لا] (يوحنا ١: ٢٠-٢١).

فهنا اليهود ينتظرون المسيح وجاء وهو عيسى ابن مريم وهو آخر نبي من بني إسرائيل.

وينتظرون إيليا لأنه سيأتي قبل مجيء الرب أي قبل يوم القيامة.

وينتظرون نبيًّا وهو الذي يعلمهم كل شيء وهو الذي سيأتي إلى العالم وليس إلى شعب كما قال المسيح إلى أمم لا تمضوا وإلى أرض سامرية لا تعلموا وقال إني جئت إلى خراف بني إسرائيل الضالة وليس للعالم أجمع إذن الذي تكلم عنه المسيح هو محمد ﷺ وهو الذي يعلمنا ويخبرنا بكل شيء. وبأمور آتية وكل هذا الوصف لا يصح أن يكون في قلب تلاميذ بل لابد أن يأتي في شيء ملموس معروف محدد، ويتكلم ويرشد ويعلم ويخبر بكل ما يسمع.

٣ـ الوصف الثالث:

فإن محمدًا ﷺ رئيس هذا العالم لأنه النبي الآتي إلى العالم ليعلمنا ويخبرنا عن أمور آتية وهو الذي أرشدنا إلى جميع الحق وهو الذي فهمنا وفهم العالم كله أن المسيح رسول الله وكان يحب الله ولم يحرف رسالته ولكن هم بني إسرائيل

الذين حرفوا هذه الرسالة والمسيح بريء منهم يوم القيامة وهذا ما جاء في القرآن الكريم عن لسان المسيح حيث يقول الله للمسيح يوم القيامة: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦]. فيجيب عليه المسيح ويقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٧-١٨٨].

وبشهادة المستشرقين والفلاسفة والزعماء والعظماء والباحثين أن سيدنا محمدًا ﷺ من أعظم الزعماء والقواد والمشرعين والهادين في العالم. ومن أجله خلق الله الدنيا.

٤ـ الوصف الرابع:

لابد أن يشهد هذا النبي بالمسيح ويشهد له وهذا الوصف ينطبق على محمد ﷺ لأن الرسول محمد اعترف بنبوة المسيح وأنه كلمة من الله وروح منه وعظّمه وعظّم أمه من التهم وبهت بني إسرائيل على أمه أنها زانية واعترف أنه لم يقتل وعظمه من البصق والضرب والصفح ورفع عنه كل هذه الشبهات وشهد له أنه رفع إلى السماء واعترف بآياته ومعجزاته أنه فعلها ولكن ليس لأنه إله بل لأنه نبي الله وعبده ورسوله.

وهذا ما قاله القرآن الكريم:

١ - ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾ [المؤمنون:٥٠].

٢ - ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران:٤٩].

٣- ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[آل عمران:٥٣].

٤- ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران:٥٤- ٥٥].

٥- ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥].

٦- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦].

٧- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران:٤٥-٤٧].

٨- ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم:٢٧ -٣٣].

وهذه هي جزء من شهادة سيد الخلق والمرسلين محمد ﷺ وهذا المسيح عليه السلام في القرآن الكريم والمصادر الإسلامية ويذكر القرآن الكريم حقيقة عيسى عليه السلام وأمه مريم وحقيقة دعوته بما يتفق مع ما تذكره الأناجيل في بعض نقاطها كما أبطل أيضًا بكل وضوح وقوة ما ورد فيها من الأمور التي لا تصح نسبها لعيسى عليه السلام.

٥ـ الوصف الخامس:

لا بد وأن يصعد المسيح حتى ينزل ذلك النبي لأنهُ لا يأتي نبيان في وقت واحد وعلى قوم واحد فمثلًا يوحنا كان يكرز بالرسالة وعندما سجن كرز بالرسالة المسيح ولا يصح أن يكرز يوحنا والمسيح في وقت واحد وعلى قوم واحد وهذا ما يقوله كتابكم حيث يقول: [سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف إلى الجليل وترك الناصرة وأتى فسكن في كفر ناحوم التي عند البحر من تخوم زبولون ونغتالي... ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات] متى (٤: ١٢-١٧).

فهذا الملكوت هو مجيء سيدنا محمد ﷺ ولذلك قال المسيح للتلاميذ يجب أن أذهب حتى يأتي المسيح لأن المسيح إذا لم يصعد لم يأتي محمد.

فلا بد أن تفرحون إني سأصعد لأن أبي أعظم مني ومحمد الذي يأتي سيكون خيرًا لكم ورحمة للعالمين ويؤكد ذلك القول القرآن الكريم القائل:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧-١٠٨].

وهذا ينطبق وقول المسيح: [لكني أقول لكم إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى... فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به] (يوحنا ١٦: ٧-١٣).

لقد كانت بعثة محمد ﷺ رحمة عامة لأنها أهدت إلى البشر جملة الحقائق التي يفتقرون إلى معرفتها واستصحابها فوفرت عليهم عناء التيه في دروب من الباطل لا حصر لها... ألم تجعل الحق في متناول اليد؟ والنفع المنشود ميسورًا في العاجلة مضمونًا في الآجلة؟.

والحقائق التي تضمنتها الرسالة الإسلامية تمتاز بالشمول والوعي فهي لم تدع ثغرة لباطل يفسد على الناس عقائدهم وأعمالهم سواء في المجال النفسي أو

الاجتماعي أو السياسي.

ثم إن محمدًا ﷺ جاء في أعقاب نبوات أعطب الشيطان ثمارها وكانت بعثته كلمة السماء الأخيرة فلا جرم أنها تمتلئ بالضمانات التي تمنع العوج وتقي الانحراف وتستفيد من تجار بالماضي لتصون مستقبل الإنسانية الطويل. ولقد جاء في الكتاب الكريم: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل:٦٣-٦٤] نعم هناك ديانات مفتعلة ومعتقدات نسبت إلى الله ما لا يليق وقولته ما لم يقل. وبلغ من رسوخ هذه وتلك أنا قاومت الحق لما جاءها أشد مقاومة فماذا كسب العالم من هذه المذاهب الجائرة وماذا كسب أصحابها؟ لا شيء إلا الشقاء. لذلك قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزُّمَر:٣٢-٣٤].

إن بعثة محمد ﷺ كانت ميلادًا للحق في أبهى صوره وأزهى أشعته وكان شروق هذا الحق إيذانًا بزوال الحيرة السائدة والشقاء المخيم، كانت هذه البعثة رحمة عامة.

ونظرة سريعة على ما قدمه الإسلام للعالم ترينا أبعاد هذه الرحمة والمدى الواسع الذي تعمل فيه.

كان الناس – ولا يزالون – بين كافر ينكر الألوهية بتة أو مؤمن معتل الفكر في تصوره للألوهية وفي علاقته بالله الكبير، وما أغرب الطرفين المتناقضين. هذا مادي لا يعترف بأثارة من روحانية في الأرض ولا في السماء وهذا يوغل فيما وراء المادة حتى ليضفي القداسة على الأوهام فيرى الألوهية حالة في نوع من

الدواب أو في لقم من الخبز.

وقد جاء الإسلام يعلن عن إله واحد خلق كل شيء وتنزه عن مشابهة شيء: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى:١١-١٢]. والتوحيد المطلق هو الحق الذي نادى به الإسلام وبسط آياته في كل أفق. والعلاقة الوحيدة الصحيحة بين الناس ورب الناس هي إسلام الوجه له وإحسان الاستمداد منه والاعتماد عليه واعتبار الدنيا مهادًا للآخرة وجهادًا لكسبها.

٦ـ الوصف السادس:

وهو أن النبي ﷺ الآتي لابد وأن يبكت العالم ويضع لهم حدًّا في الأخطاء ويعلم الناس الأمور الدنيوية ويرشدهم إلى البر وهذا الوصف ينطبق على محمد ﷺ لأنه هو الذي وضع حدًّا وعقوبات دنيوية مثال: (من يزني وهو متزوج يرجم وإن كان غير متزوج يجلد مائة جلدة وإن سرق أحد تقطع يدهُ) ووضع أيضًا تشريعات وهو الذي أرشد الناس إلى البر والخير وعلمهم كل شيء وهو الذي علمنا الأمور الخاصة بالدنيا والآخرة.

وهذا الوصف ينطبق لقول القرآن الكريم لفظًا وحرفًا فالمسيح حدد أن النبي ﷺ روح الحق سيقول للعالم إنهم على خطيئة لأنهم لا يؤمنون بالمسيح النبي بل يؤمنون بيهوذا المصلوب وبرسالتي التي سيتم تحريفها ولكن رسالة هذا الرسول لن تحرف وهذا ما يقر به القرآن الكريم حيث يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:١-٧].

فهذه الآيات الكريمة من سورة الكهف تنطق لفظًا وحرفًا وتفسيرًا لما قاله المسيح في إنجيل يوحنا حيث قال: [ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم دين] يوحنا (١٦: ٨-١١).

وأما بالنسبة أن كتابهُ ليس محرفًا ولن يحرف فلا بد وأن نتطرَّق إلى موضع استحالة تحريف كتاب الله القرآن الكريم:

أولا: لا يمكن أن يكون القرآن من تأليف محمد:

قال الأستاذ مصطفى محمود في كتابه حوار مع صديقي الملحد: لا يمكن أن يكون القرآن من تأليف محمد لأن القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغي ودقة لغوية هو مما لا يدخل في قدرة بشر أن يؤلفه.. فإذا أضفنا إلى ذلك أن محمدًا ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم في مدرسة ولم يختلط بحضارة ولم يبرح شبه الجزيرة العربية فإن احتمال الشك واحتمال إلقاء هذا السؤال يغدو مستحيلًا.. والله يتحدى المنكرين والطاعنين أن القرآن مؤلف بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس:٣٨] استعينوا بالجن والملائكة وعباقرة الإنس وأتوا بسورة من مثله.

وما زال التحدي قائمًا ولم يأت أحد بشيء. وإذا نظرنا إلى القرآن في حياد وموضوعية فسوف نستبعد تمامًا أن يكون محمد ﷺ هو مؤلفه.. أولًا.. لأنه لو كان مؤلفه لبث فيه همومه وأشجانه ونحن نراه في عام واحد يفقد زوجته خديجة رضي الله عنها وعمه أبا طالب ولا سند له في الحياة غيرهما وفجيعته فيهما لا تقدر ومع ذلك لا يأتي لهما ذكر في القرآن ولا كلمة، وكذلك يموت ابنه إبراهيم ويبكيه ولا يأتي لذلك خبر في القرآن.. القرآن معزول تمامًا عن الذات

المحمدية. بل إن الآية لتأتي مناقضة لما يفعله محمد وما يفكر فيه وأحيانًا تنزل الآية معاتبة له كما حدث بصدد الأعمى الذي انصرف عنه النبي ﷺ إلى أشراف قريش: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ [عبس:١-٤].

وأحيانًا تنزل الآية فتنقض عملًا من أعمال النبي ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧﴾ [الأنفال:٦٧].

وأحيانًا يأمر القرآن محمدًا ﷺ بأن يقول لأتباعه ما لا يمكن أن يقوله لو أنه كان يؤلف الكلام تأليفًا: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف:٩]. لا يوجد نبي يتطوع من تلقاء نفسه ليقول لأتباعه لا أدري ما يفعل بي ولا بكم.. لا أملك لنفسي ضرًّا ولا نفعًا.. ولا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا. فإن هذا يؤدي إلى أن ينفض عنه أتباعه وهذا ما حدث فقد اتخذ اليهود هذه الآية عذرًا ليقولوا ما نفع هذا النبي الذي لا يدري ماذا يفعل به ولا بنا.. هذا رجل لا جدوى فيه. فمثل هذه الآيات ما كان يمكن أن يؤلفها النبي لو كان يضع القرآن من عند نفسه.

لو نظرنا بعد ذلك في العبارة القرآنية لوجدنا أنها جديدة منفردة في رصفها وبنائها ومعمارها ليس لها شبيه فيما سبق من أدب العرب ولا شبيه فيما أتى لاحقًا بعد ذلك.. حتى لتكاد اللغة تنقسم إلى شعر ونثر وقرآن.. فنحن أمام كلام هو نسيج وحده لا هو بالنثر ولا بالشعر. فموسيقى الشعر تأتي من الوزن ومن القافية فنسمع الشاعر ابن الأبرص الأسدي ينشد:

أقفر من أهله بعيد فليس بيدي ولا يعيد

هنا الموسيقى تخرج من التشطير ومن التَّقفية على الدال الممدودة فهي

موسيقى خارجية، أما موسيقى القرآن فهي موسيقى داخلية: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضُّحى:١-٤] لا تشطير ولا تفقيه في هذه العبارة البسيطة، ولكن الموسيقى تقطر منها... من أين؟! إنها موسيقى داخلية، اسمع هذه الآيات: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾﴾ [مريم:٤] و ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾﴾ [طه:١-٤].

فإذا تناولت الآيات تهديدًا تحول بناء العبارة ونحتها إلى جلاميد صخر وأصبح للإيقاع صلصلة نحاسية تصخ السمع: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾﴾ [القمر:١٩-٢٠] كلمات مثل ﴿صَرۡصَرٗا﴾ و ﴿مُّنقَعِرٖ﴾.. كل كلمة كأنها جلمود صخر.

فإذا جاءت الآية لتروي خبرًا حاسمًا كما في نهاية الطوفان تقاصرت العبارات وكأنها إشارات موريس التلغرافية وأصبحت الآية كلها كأنها تلغراف مقتضب له وقع هائل: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود:٤٤] هذا التلون في نحت الألفاظ وفي بناء العبارة وفي إيقاع الكلمات مع المعاني والمشاعر.. يبلغ في القرآن ذروة.. ويأتي دائمًا منسابًا لا تكلف فيه ولا تعمل.

إذا مضينا في التحليل أكثر فإنا سنكتشف الدقة البالغة والأحكام المذهلة.. كل حرف في مكانه لا تقديم ولا تأخير.. لا تستطيع أن تضع كلمة مكان كلمة ولا حرفًا مكان حرف كل لفظة تم اختيارها من مليون لفظة بميزان دقيق وسنرى أن هذه الدقة البالغة لا مثيل لها في التأليف انظر إلى هذه الكلمة ﴿لَوَٰقِحَ﴾ في الآية: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[الحجر:٢٢] وكانوا يفسرونها في الماضي على المعنى المجازي بمعنى أن

الرياح تثير السحب فتسقط المطر فيلقح الأرض بمعنى (يخصبها) ثم عرفنا اليوم أن الرياح تسوق السحب إيجابية التكهرب وتلقي بها في أحضان السحب سالبة التكهرب فيحدث البرق والرعد والمطر.. وهي بهذا سالية المعنى (لواقح). أيضًا ونعرف الآن أيضًا أن الرياح تنقل حبوب اللقاح من زهرة إلى زهرة فتلقحها بالمعنى الحرفي.

فها نحن أمام كلمة صادقة حرفيًّا ومجازيًّا وعلميًّا. ثم هي بعد ذلك جميلة فنيًّا وأدبيًّا وذات إيقاع حلو. وهنا نرى منتهى الدقة في انتقاء الألفاظ ونحتها وفي آية أخرى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة:١٨٨] كلمة ﴿وَتُدْلُواْ﴾ مع أن الحاكم الذي تلقى إليه الأموال في الأعلى وليس في الأسفل.. لا .. إن القرآن يصحح الوضع.. فاليد التي تأخذ الرشوة هي اليد السفلى ولو كانت يد الحاكم، ومن هنا جاءت كلمة ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ لتعبر في بلاغة لا مثيل لها عن دناءة المرتشي وسفُلهِ.

وفي آية الجهاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة:٣٨] القرآن يستعمل كلمة ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ بدلًا من تثاقلتم فهنا يدمج الحروف إدماجًا ويلصقها إلصاقًا ليعبر عن جبن الجبناء الذين يلتصقون بالأرض (ويتربسون) فيها من الخوف إذا دعوا إلى القتال فجاءت حروف الكلمة بالمثل (متربسة) وفي آية قتل الأولاد من الفقر نراها جاءت على صورتين: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١] و ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا

كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء:٣١] والفرق بين الآيتين لم يأت اعتباطًا وإنما جاء لأسباب محسوبة.. فحينما يكون القتل من إملاق فإن معناه أن الأهل فقراء في الحاضر فيقول: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. فهو يقدم الأهل على الأبناء. وحينما يكون قتل الأولاد خشية إملاق فإن معناه أن الفقر هو احتمال في المستقبل ولهذا تقدم الآية الأبناء فتقول: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

مثل هذه الفروق لا يمكن أن تخطر على بال مؤلف. في حالات التقديم والتأخير نجد دائمًا أنه لحكمة. نجد أن السارق مقدم على السارقة في آية السرقة بينما الزانية مقدمة على الزاني في آية الزنا.. وذلك لسبب واضح أن الرجل أكثر إيجابية في السرقة أما في الزنا فالمرأة هي التي تأخذ المبادرة من لحظة وقوفها أمام المرآة لتضع البارفان ولمسات التواليت وتختار الفستان أعلى الركبة فإنها تنصب الفخاخ للرجل الموعود ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور:٢] و ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة:٣٨].

وبالمثل تقديم السمع على البصر في أكثر من ١٦ مكانًا ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨] و ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف:٢٦] و ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [مريم:٣٨] و ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت:٢٢] و ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] دائمًا السمع أولًا ولا شك أن السمع أكثر إرهافًا وكمالًا من البصر. إننا نسمع الجن ولا نراه. والأنبياء سمعوا الله وكلموه ولم يره أحد وقد تلقى

محمد ﷺ القرآن سمعًا.. والأم تميز بكاء ابنها في الزحام ولا تستطيع أن تميز وجهه.. والسمع يصاحب الإنسان أثناء النوم فيظل صاحبًا. بينما تنام عيناه ومن حاول تشريح جهاز السمع يعلم أنه أعظم دقة وإرهافًا من جهاز البصر.

وبالمثل تقديم المال على الولد: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء:٨٨] و ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران:١١٦] و ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [المؤمنون:٥٥] و ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة:٥٥] و ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد:٢٠].

والأمثلة على هذا التقديم كثيرة والسر أن المال عند أكثر الناس أعز من الولد.

ثم الدقة والخفاء والللطف في الإعراب؛ انظر إلى هذه الآية: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحُجُرات:٩] مرة عوملت الطائفتان على أنهما جمع ﴿اقْتَتَلُوا﴾ ومرة على أنهما مثنى ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ والسر لطيف.. فالطائفتان في القتال تلتحمان وتصبحان (جمعًا) من الأذرع المتضاربة بينما في الصلح تنفصلان إلى (اثنين) وترسل كل واحدة عنها مندوبًا ومن هنا قال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحُجُرات:٩].

حتى حروف الجر والوصل والعطف تأتي وتمتنع في القرآن لأسباب عميقة وبحساب دقيق محكم مثلًا تأتي كلمة ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في أماكن عديدة من القرآن: ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن

نَفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة:٢١٩] و ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥] و ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة:١٨٩] دائمًا الجواب بكلمة ﴿قُلْ﴾ ولكنها حين تأتي عن الجبال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه:١٠٥] هنا لأول مرة جاءت ﴿فَقُلْ﴾ [طه:١٠٥] بدلًا من ﴿قُلْ﴾. والسبب أن كل الأسئلة السابقة كانت قد سئلت بالفعل أما سؤال الجبال فلم يكن قد سئل بعد لأنه من أسرار القيامة وكأنما يقول الله ﷻ فإذا سألوك عن الجبال ﴿فَقُلْ﴾ فجاءت الفاء زائدة لسبب محسوب.

أما في الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦] هنا لا ترد كلمة ﴿قُلْ﴾ لأن السؤال عن ذات الله.. والله أولى بالإجابة عن نفسه.

كذلك الضمير ﴿إِنَّا﴾ و ﴿نَحْنُ﴾.. يتكلم الله بضمير الجمع حيثما كان التعبير عن (فعل) إلهي تشترك فيه مجموع الصفات الإلهية كالخلق وإنزال القرآن وحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩] و ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر:١] و ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة:٥٩] و ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإنسان:٢٨].

و ﴿نَّحْنُ﴾ هنا تعبر عن جمعية الصفات الإلهية وهي تعمل في إبداع عظيم مثل عملية الخلق. أما إذا جاءت الآية في مقام مخاطب بين الله وعبده كما في موقف المكالمة مع موسى.. تأتي الآية بضمير المفرد.. ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ [طه:١٤] الله يقول: ﴿أَنَا﴾ لأن الحضرة هنا حضرة ذات وتنبيهًا منه سبحانه على مسألة التوحيد والوحدانية في العبادة.

ونجد مثل هذه الدقة الشديدة في آيتين متشابهتين عن الصبر تفترق الواحدة عن الأخرى في حرف اللام.

يقول لقمان لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان:١٧] وفي آية أخرى عن الصبر نقرأ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى:٤٣] الصبر في الأولى من عزم الأمور، وفي الثانية لمن عزم الأمور، وسر التوكيد باللام في الثانية إنه صبر مضاعف لأنه صبر على عدوان بشري لك فيه غريم وأنت مطالب فيه بالصبر والمغفرة وهو أمر أشد على النفس من الصبر على القضاء الإلهي الذي لا حيلة فيه.

ونفس هذه الملاحظة عن (اللام) نجدها مرة أخرى في آيتين عن إنزال المطر وإنبات الزرع: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥﴾ [الواقعة:٦٥] وفي آية ثانية: ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ٧٠﴾ [الواقعة:٧٠] .

في الآية الثانية ﴿جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا﴾، وفي الآية الأولى ﴿لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا﴾ واللام جاءت في الثانية لضرورة التوكيد لأن هناك من سوف يدعي بأنه يستطيع أن يتلف الزرع كما يتلفه الخالق ويجعله حطامًا بينما لن يستطيع أحد من البشر أن يدعي أن في إمكانه أن ينزل من سحب السماء مطرًا مالحًا فلا حاجة إلى توكيد باللام.

ونفس هذه الدقة نجدها في وصف إبراهيم لربه في القرآن بأنه: ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١﴾ [الشعراء:٨١] و ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩﴾ [الشعراء:٧٩] فجاء بكلمة ﴿هُوَ﴾ حينما تكلم عن (الإطعام) ليؤكد الفعل الإلهي لأن أي إنسان قد يدعي أنهُ يطعمهُ ويسقيه، سوف يدعي الكل أنهم يطعمونه ويسقونه بينما لن يدعي أحد بأنه يميته ويحييه كما يميته الله ويحييه.

ونجد هذه الدقة أيضًا حينما يخاطب القرآن المسلمين قائلًا: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة:١٥٢] ويخاطب اليهود قائلًا: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ

نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة:٤٠] فاليهود ماديون لا يذكرون الله إلا في النعمة والفائدة والمصلحة ولهذا جاء التعبير ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾ [البقرة:٤٠] ولم يقل: اذكروني. والمسلمون أكثر شفافية ويفهمون معنى أن يذكر الله لذاته لا لمصلحة.

وبنفس المعنى يقول الله للخاصة من أولي الألباب: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧] ويقول للعوام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦] لأن العوام لا يردعهم إلا النار ولهذا قال: فاتقوا النار، أما الخاصة فهم يعلمون أن الله أقوى من كل نار وأنه يستطيع أن يجعل النار بردًا وسلامًا إن شاء.

ونجد مثل هذه الدقة البالغة في اختيار اللفظ في كلام إبليس حينما أقسم على ربه قائلًا: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص:٨٢] أقسم إبليس بالعزة الإلهية ولم يقسم بغيرها فأثبت بذلك علمه وذكاءه لأن هذه العزة الإلهية هي التي اقتضت استغناء الله عن خلقه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولن يضروا الله شيئًا فهو العزيز عن خلقه الغني عن العالمين، ويقول الله في حديثه القدسي: (هؤلاء في النار ولا أبالي وهؤلاء في الجنة ولا أبالي) وهذا مقتضى العزة الإلهية وهي الثغرة الوحيدة التي يدخل منها إبليس فهو بها يستطيع أن يضل ويوسوس لأن الله لن يقهر أحدًا اختار الكفر على الإيمان ولهذا قال: ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص:٨٢]: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف:١٧] ذكر الجهات الأربع ولم يذكر من فوقهم ولا من تحتهم لأن (فوق) الربوبية و (تحت) تواضع العبودية ومن لزم مكانه الأدنى من ربه الأعلى لم يستطع الشيطان أن يدخل عليه.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف:١٦] ثم ذكر إبليس أن مقعده المفضل للإغواء سوف يكون الصراط المستقيم.. على طريق الخير وعلى سجادة الصلاة لأن تارك الصلاة والسكير والعربيد ليس في حاجة إلى إبليس ليضله فقد تكفلت نفسه بإضلاله.. إنه إنسان خرب وإبليس لص ذكي لا يحب أن يضيع وقته بأن يحوم حول البيوت الخربة.

مثل آخر من أمثلة الدقة القرآنية نجده في سبق المغفرة على العذاب، والرحمة على الغضب في القرآن فالله في الفاتحة هو الرحمن الرحيم قبل أن يكون مالك يوم الدين، وهو دائمًا يوصف بأنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. تأتي المغفرة أولًا قبل العذاب عدا في مكانين: في آية قطع اليد: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة:٤٠] لأن العقوبة بقطع اليد عذاب دنيوي تليه مغفرة أخروية وفي كلام عيسى يوم القيامة عن المشركين الذين عبدوه من دون الله فيقول لربه: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨] فلا يقول فإنك أنت الغفور الرحيم تأدبًا.. ويذكر لهم العذاب قبل المغفرة لعظم الإثم الذي وقعوا فيه.

ونجد هذه الدقة القرآنية مرة أخرى في تناول القرآن للزمن فالمستقبل يأتي ذكره على لسان الخالق على أنه ماض فأحداث يوم القيامة ترد كلها على أنها ماض: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف:٩٩] و ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة:١٦] و ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء:٩١] و ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف:٤٨] والسر في ذلك أن كل الأحداث حاضرها ومستقبلها قد حدثت في علم الله وليس عند الله زمن يحجب عنه المستقبل فهو سبحانه فوق الزمان والمكان، ولهذا نقرأ العبارة القرآنية أحيانًا فنجد أنها تتحدث عن زمانين مختلفين

وتبدو في ظاهرها متناقضة مثل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ [النحل:١] الأمر قد أتى وحدث في الماضي. لكن الله يخاطب الناس بأن لا يستعجلوه كما لو كان مستقبلًا لم يحدث بعد.. والسر كما شرحنا أنه حدث في علم الله لكنه لم يحدث بعد في علم الناس، فهو بالنسبة لهم مستقبل؛ لأن الزمن يجري عليهم، ولكن لا يجري على الخالق عز وجل. فكل ما سوف يحدث لنا في علم الله قد حدث، ولا تناقض وإنما دقة وإحكام وخفاء واستسرار وصدق في المعاني العميقة. هذه بعض الأمثلة للدقة البالغة والنحت المحكم في بناء العبارة القرآنية وفي اختيار الألفاظ واستخدام الحروف لا زيادة ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير إلا بحساب وميزان ولا نعرف لذلك مثيلًا في تأليف أو كتاب مؤلف ولا نجد هذا إلا في القرآن.

رابعًا:- أما لمحات العلم في القرآن وعجائب الآيات الكونية التي أتت بالأسرار والخفايا التي لم تكتشف إلا في عصرنا والتي لم يعرفها محمد ﷺ ولا عصره.. فما كان الفلك الحديث ولا علوم الذرة ولا علوم البيولوجيا والتشريح معروفة حينما نزلت الآيات الكونية في القرآن منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة لتتكلم عن السماوات والأرض والنجوم والكواكب وخلق الجنين وتكوين الإنسان بما يتفق مع أحدث العلوم التي جاء بها عصرنا. ولم يتعرض القرآن لهذه الموضوعات بتفصيل الكتاب العلمي المتخصص لأنه جاء في المقام الأول كتاب عقيدة ومنهج وتشريع ولو أنه تعرض لتلك الموضوعات بتفصيل ووضوح لصدم العرب بما لا يفهمونه ولهذا لجأ إلى أسلوب الإشارة واللمحة والومضة لتفسرها علوم المستقبل وكشوفه بعد ذلك بمئات السنين وتظهر للناس جيلًا بعد جيل كآيات ومعجزات على صدق نزول القرآن من الله الحق: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فُصِّلَت:٥٣] لأنهم لم يكتفوا بشهادة الله على كتابه..

فأصبح من الضروري أن نريهم ذلك بالآيات الكاشفة. هكذا يقول الله في كتابه. وما زال القرآن يكشف لنا يومًا بعد يوم مزيدًا من تلك الآيات العجيبة.

- حول كروية الأرض جاءت هذه الآيات الصريحة التي تستخدم لفظ التكوير لتصف انزلاق الليل والنهار كنصفي كرة: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾ [الزُّمَر:٥] ثم الآية التي تصف دحو الأرض: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات:٣٠] ودحا هي الكلمة الوحيدة في القاموس التي تعني البسط والتكوير معًا، والأرض كما هو معلوم مبسوطة في الظاهر ومكورة في الحقيقة بل هي أشبه بالدحية (البيضة) في تكويرها.

ثم نقرأ إشارة أخرى صريحة عن أن الجبال تسبح في الفضاء وبالتالي فالأرض كلها تسبح بجبالها حيث هي والجبال كتلة واحدة: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل:٨٨] فالجبال التي تبدو جامدة ساكنة هي في الواقع سابحة في الفضاء.. وتشبيه الجبال بالسحب فيه لمحة أخرى عن التكوين الهش للمادة والتي نعرف الآن أنها مؤلفة من ذرات كما أن السحب مؤلفة من قطيرات.

- ثم الكلام عن تواقت الليل والنهار دون أن يسبق أحدهما الآخر من مبدأ الخلق إلى نهايته: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس:٤٠] إشارة أخرى إلى كروية الأرض حيث بدأ الليل والنهار معًا في وقت واحد منذ بدء الخليقة كنصفي كرة ولو كانت الأرض مسطحة لتعاقب النهار والليل الواحد بعد الآخر بالضرورة.

ثم تأتي القيامة والأرض في ليل ونهار في وقت واحد كما كانت يوم البدء: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا

فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس:٢٤]
وفي قوله: ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ تأكيد لهذا التواقت الذي لا تفسير له إلا أن نصف الأرض محجوب عن الشمس ومظلم، والآخر مواجه للشمس ومضيء بحكم كونها كروية ولو كانت مسطحة لكان لها في كل وقت وجه واحد ولما صح أن نقول: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس:٤٠] ثم تعدد المشارق والمغارب في القرآن فالله يوصف بأنه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [المعارج:٤٠] و ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن:١٧] ولو كانت الأرض مسطحة لكان هناك مشرق واحد ومغرب واحد.

يقول الإنسان لشيطانه يوم القيامة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٣٨] ولا تكون المسافة على الأرض أبعد ما تكون بين مشرقين إلا إذا كانت الأرض كروية ثم الكلام عن السماء بأن فيها مسارات ومجالات وطرق ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾[الذاريات:٧] **والحبك هي:** المسارات، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ [الطارق:١١] أي أنها ترجع كل ما يرتفع فيها إلى الأرض.. ترجع بَخار الماء مطرًا وترجع الأجسام بالجاذبية، الأرضية وترجع الأمواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الأيون وسفير كما ترجع الأشعة الحرارية تحت الحمراء معكوسة إلى الأرض بنفس الطريقة فتدفئها في الليل.

وكما تعكس السماء ما يقذف إليها من الأرض كذلك تمتص وتعكس وتشتت ما يقذف إليها من العالم الخارجي وبذلك تحمي الأرض من قذائف الأشعة الكونية المميتة والأشعة فوق البنفسجية القاتلة فهي تتصرف كأنها سقف: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء:٣٢] و ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات:٤٧] وهو ما يعرف الآن باسم تمدد الكون المطرد، وكان مثقال الذرة يعرف في تلك الأيام بأنه أصغر مثقال وكانت الذرة توصف بأنها جوهر فرد لا ينقسم فجاء القرآن ليقول بمثاقيل أصغر

تنقسم إليها الذرة، وكان أول كتاب يذكر شيئًا أصغر من الذرة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ:٣] كل هذه لمحات كاشفة قاطعة عن حقائق مذهلة مثل كروية الأرض وطبيعة السماء والذرة وهي حقائق لم تكن تخطر على بال عاقل أو مجنون في هذا العصر البائد الذي نزل فيه القرآن.

ثم يصيره القرآن في تكوين الإنسان وكلامه عن النطفة المنوية أو إنفرادها بتحديد جنس المولود: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم:٤٥] وهي حقيقة بيولوجية لم تعرف إلا هذا الزمان ونحن نقول الآن: إن رأس الحيوان المنوي الخاص بالرجل هو وحده الذي يحتوي على عوامل تحديد الجنس، وتسوية البنان بما فيه من رسوم البصمات التي أوردها الله في مجال التحدي عن البعث والتجسيد:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة:٣] بل سوف نجسد حتى ذلك البنان ونسويه كما كان، وفي ذلك لفتة إلى الإعجاز الملحوظ في تسوية البنان بحيث لا يتشابه فيه اثنان.

وأوهن البيوت في القرآن هو بيت العنكبوت لم يقل الله خيط العنكبوت بل قال بيت العنكبوت لأن خيوط العنكبوت كما هو معلوم أقوى من مثيله من الصلب أربع مرات إنما الوهن في البيت لا في الخيط حيث يكون البيت أسوا ملجأ لمن يحتمي فيه فهو مصيدة لمن يقع فيه من الزوار الغرباء.. وهو مقتل حتى لأهله فالعنكبوت الأنثى تأكل زوجها بعد التلقيح وتأكل أولادها عند الفقس والأولاد يأكل بعضهم بعضًا. إن بيت العنكبوت هو أبلغ مثال يضرب عن سوء الملجأ وسوء المصير وهكذا حال من يلجأ لغير الله وهنا بلاغة الآية:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ

ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت:٤١] وجاءت خاتمة الآية عبارة ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ إشارة إلى إنه علم لن يظهر إلا متأخرًا ومعلوم أن هذه الأسرار البيولوجية لم تظهر إلا متأخرة.

كذلك نجد في سورة الكهف: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف:٢٥] ونعرف الآن أن ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي تساوي ثلاثمائة وتسعًا بالتقويم القمري باليوم والدقيقة والثانية.

وفي سورة (مريم) يحكي الله تبارك وتعالى عن (مريم) وكيف جاءها المخاض فآوت إلى جذع النخلة وهي تتمنى الموت فناداها المنادي أن تهز بجذع النخلة وتأكل ما يتساقط من رطب جني: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم:٢٣-٢٥] ولماذا الرطب؟ إن أحدث بحث علمي عن الرطب يقول إن فيه مادة قابضة للرحم تساعد على الولادة وتساعد على منع النزيف بعد الولادة مثل (Oxytocin) وإن فيه مادة ملينة.. ومعلوم طبيًّا أن الملينات النباتية تفيد في تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للقولون وإن الحكمة العلمية لوصف الرطب وتوقيت تناول الرطب مع مخاض الولادة فيه دقة علمية واضحة.

هذه الأمثلة من الصدق العلمي والصدق المجازي والصدق الحرفي هو ما أشار إليه الله سبحانه واصفًا القرآن بأنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت:٤٢] و ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢] اختلافًا بين الآيات وبين بعضها بمعنى تناقضها، واختلافًا عن الحقائق الثابتة التي سوف تكشفها العلوم وكلا الاختلافين نجده دائمًا في الكتب المؤلفة ولهذا يحرص المؤلف على أن يضيف أو يحذف أو يعدل كلما أصدر طبعة جديدة من كتبه، ونرى النظريات تتلو بعضها البعض مكذبة

بعضها البعض ونرى المؤلف مهما راعى الدقة يقع في التناقض، وهي عيوب لا نجدها في القرآن.

وهو بعد ذلك معجزة لأنه يخبرك عن ماض لم يؤرخ، ويتنبأ بمستقبل لم يأت. وقد صدقت نبوءات القرآن المتعددة.

تنبؤ القرآن الكريم بالمستقبل:-

عن انتصار الروم بعد هزيمتهم: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الروم:٢-٤] و (بضع) في اللغة أي ما بين ثلاث وتسع وقد جاء انتصار الروم بعد سبع سنين. وعن انتصار بدر: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر:٤٥] وعن رؤيا دخول مكة: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح:٢٧] وقد كان وما زالت في القرآن نبوءات نراها تتحقق أمام أعيننا..

فهذا إبراهيم يدعو ربه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم:٣٧] لقد دعا بالرزق لهذا الوادي الحديث، ثم جاء وعد الله لأهل مكة بالرخاء والغنى حينما أمرهم بمنع المشركين من زيارة البيت؛ فخافوا البوار الاقتصادي والكساد، وكان أهل مكة يعتمدون في رواجهم على حج البيت فقال ليطمئنهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة:٢٨] وهو وعد نراه الآن يتحقق أمامنا في البترول الذي يتدفق من الصحراء بلا حساب وترتفع أسعاره في جنون يومًا بعد يوم ثم في كنوز اليورانيوم التي تخفيها تلك الصحاري بما يضمن لها الرخاء إلى نهاية الزمان.

ثم نرى القرآن يحدثنا عن الغيب المطلسم من أسرار الجن والملائكة مما لم يكشف إلا لقلة من المخصوصين من أهل التصوف فإذا رأى هؤلاء فهم لا يرون إلا ما يوافق كلمة القرآن وإذا طالعوا لا يطالعون إلا ما يطابق أسراره.

ثم يقدم لنا الكلمة الأخيرة في السياسة والأخلاق ونظم الحكم والحرب والسلم والاقتصاد والمجتمع والزواج والمعاشرة ويشرع لنا من محكم الشرائع ما يسبق به ميثاق حقوق الإنسان كل ذلك في أسلوب متفرد وعبارة شامخة وبنيان جمالي وبلاغي هو نسيج وحده في تاريخ اللغة.

سألوا ابن عربي عن سر إعجاز القرآن فأجاب بكلمة واحدة هي: (الصدق المطلق) فكلمات القرآن صادقة صدقًا مطلقًا بينما أقصى ما يستطيعه مؤلف هو أن يصل إلى صدق نسبي، وأقصى ما يطمع فيه كاتب هو أن يكون صادقًا حسب رؤيته، ومساحة الرؤية دائمًا محدودة ومتغيرة من عصر إلى ،عصر وكل واحد منا يحيط بجانب من الحقيقة وتفوته جوانب، ينظر من زاوية وتفوته زوايا، وما يصل إليه من صدق دائمًا صدق نسبي، أما صاحب العلم المحيط والبصر الشامل فهو الله وحده وهو وحده القادر على الصدق المطلق ولهذا نقول على القرآن إنه من عند الله لأنه أصاب الصدق المطلق في كل شيء.

الحروف المقطعة في سورة القرآن الكريم:

دعونا نسبح في الحروف المقطعة التي في أوائل السور التي في القرآن مثل سورة (ق) ونجري على هذه السورة ونعد ما فيها من قافات وسنجد أن فيها (٥٧) قافًا، ثم نأخذ السورة التالية وهي سورة (الشورى) وهي ضعفها في الطول وفي فواتحها حرف (ق) أيضًا ومع ذلك نجد أن فيها هي الأخرى (٥٧) هل هي صدفة فلنجمع ٥٧ + ٥٧ =١١٤ وهذا الرقم (١١٤) عدد سور القرآن هل نذكر كيف تبدأ سورة (ق) وكيف تختتم ففي بدايتها: ﴿قٓ وَالْقُرْءَانِ

ﭐلۡمَجِيدِ ﴿١﴾﴾[ق:١] وفي ختامها ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾[ق:٤٥] وكأنما هي إشارات بأن (ق) ترمز للقرآن (ومجموع القافات ١١٤ وهي مجموع سور القرآن).

هيا بنا نضع سور القرآن في العقل الإلكتروني ونسأله أن يقدم لنا إحصائية بمعدلات توارد حرف القاف في جميع السور فكانت النتيجة في العقل الإلكتروني أن أعلى المتوسطات والمعدلات موجودة في سورة (ق) وإن هذه السورة قد تفوقت حسابيًّا على كل المصحف في هذا الحرف هل هي صدفة أخرى.

وسورة (الرعد) تبدأ بالحرف (ا ل م ر) قدم لنا العقل الإلكتروني إحصائية بتوارد هذه الحروف في داخل السور كالآتي:

(أ) ترد ٦٢٥ مرة. (ل) ترد ٤٧٩ مرة.

(م) ترد ٢٦٠ مرة. (ر) ترد ١٣٧ مرة.

هكذا وفي ترتيب تنازلي أ ثم ل ثم م ثم ر بنفس الترتيب الذي كتبت به ا ل م ر تنازليًّا ثم قام العقل الإلكتروني بإحصاء معدلات توارد هذه الحروف في المصحف كله وألقى إلينا بالقنبلة الثانية وهي أن أعلى المعدلات والمتوسطات لهذه الحروف هي في سورة (الرعد) وإن هذه السورة تفوقت حسابيًّا في هذه الحروف على جميع المصحف.

ونفس الحكاية في أ ل م سورة (البقرة):

(أ) وردت ٤٥٩٢ مرة. (ل) وردت ٣٢٠٤ مرة.

(م) وردت ٢١٩٥ مرة.

بنفس الترتيب التنازلي (أ ل م) ثم يقول لنا العقل الإلكتروني إن هذه الحروف الثلاثة لها تفوق حسابي على باقي الحروف في داخل سورة (البقرة).

ولذلك قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:١-٢] فالذي لا يدرس أو يفهم الدراسة الحسابية للكلمات المقطعة التي تبدأ في بعض سور القرآن يسأل ويقول ما هذه الحروف (أ ل م) التي جعلت كتاب القرآن لا كذب فيه وأظن بعد ذلك الحسابات والإحصائيات تأكدنا أن الكتاب لا ريب فيه أي لا كذب فيه.

ونفس الحكاية في (أ ل م) سورة (آل عمران):

(أ) وردت ٢٥٧٨ مرة. (ل) وردت ١٨٨٥ مرة.

(م) وردت ١٢٥١ مرة.

بنفس الترتيب التنازلي (أ ل م) وهي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

ونفس الحكاية (أ ل م) سورة (العنكبوت):

(أ) وردت ٧٨٤ مرة. (ل) وردت ٥٥٤ مرة.

(م) وردت ٣٤٤ مرة.

بنفس الترتيب التنازلي (أ ل م) وهي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

ونفس الحكاية (أ ل م) سورة (الروم):

(أ) وردت ٥٤٧ مرة. (ل) وردت ٣٩٦ مرة.

(م) وردت ٣١٨ مرة.

بنفس الترتيب التنازلي (أ ل م) ثم هي تتوارد في السورة بمعدلات أعلى من باقي الحروف.

ومن جميع السور التي ابتدأت بالحروف (أ ل م) نجد أن السورة المكية تتفوق حسابيًّا في معدلاتها على باقي السور المكية والمدنية تتفوق حسابيًّا في

معدلاتها من هذه الحروف على باقي السور المدنية وبالمثل في (أ ل م ص) سورة (الأعراف) يقول العقل الإلكتروني إن معدلات هذه الحروف هي أعلى ما تكون في سورة (الأعراف) وإنها تتفوق حسابيًّا على كل السور المكية في المصحف.

وفي سورة طه نجد أن الحرف (ط) والحرف (هـ) يتواردان فيها بمعدلات تتفوق على كل السور المكية وكذلك في (كهيعص) سورة (مريم) ترتفع معدلات هذه الحروف على كل السور المكية في المصحف.

كما نجد أن جميع السور التي افتتحت بالحروف (حم) إذا ضمت إلى بعضها فإن معدلات توارد الحرف (ح) والحرف (م) تتفوق على كل السور المكية في المصحف وبالمثل السورتان اللتان افتتحتا بحرف (ص) وهما سورة (ص) و(الأعراف) (أ ل م ص) ويلاحظ أنهما نزلتا متتابعتين في الوحي وإذا ضمتا معًا تفوقتا حسابيًّا في هذه الحروف على باقي المصحف، وكذلك السور التي افتتحت بالحروف (أ ل ر) وهي سورة (إبراهيم - ويونس- وهود - ويوسف - والحجر) وأربع منها جاءت متتابعة في تواريخ الوحي فإذا ضمت لبعضها أعطانا العقل الإلكتروني أعلى معدلات في نسبة توارد حروفها (أ ل ر) على كل السور المكية في المصحف.

أما في سورة (يس) فإننا نلاحظ أن الدلالة موجودة ولكنها انعكست لأن ترتيب الحروف انعكس فالياء في الأول (يس) بعكس الترتيب الأبجدي ولهذا نرى أن توارد الحرف (ى) والحرف (س) في السورة هو أقل من تواره في جميع المصحف مدنيًّا ومكيًّا. فالدلالة الإحصائية هنا موجودة ولكنها انعكست، أنا لا أقول هذا الكلام من عند نفسي وإنما عن دراسة، فلم تعد المسألة صدفة وإنما نحن أمام قوانين محكمة وحروف محسوبة كل حرف وضع بميزان: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ

أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى:١٧] وأي ميزان فنحن هنا أمام ميزان دقيق يزن الشعرة والحرف فأظن أن فكرة النبي الذي يؤلف القرآن ويقول لنفسه سوف أؤلف سورة (الرعد) من حروف (أ ل م ر) وأورد بها أعلى معدلات من هذه الحروف على باقي الكتاب فهذا الظن لم يعد جائزًا وأين هذا الذي يحصي له هذه المعدلات وهي مهمة لا يستطيع أن يقوم بها أحد وأن يحسب هذا الحساب وبهذه الدقة فنحن هنا أمام استحالة.

فإذا عرفنا أن القرآن نزل مفرقًا ومقطعًا على ٢٣ سنة فإنا سوف نعرف أن وضع معدلات إحصائية مسبقة بحروفه هي استحالة أخرى وأمر لا يمكن أن يعرفه إلا العليم الذي يعلم كل شيء قبل حدوثه، والذي يحصي بأسرع وأدق من كل العقول الإلكترونية فالله الذي أحاط بكل شيء علمًا، وما هذه الحروف المقطعة في فواتح السور إلا رموز علمه بها في تضاعيف كتابه لنكتشفها نحن على مدى الزمان: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٥] ولا أقول إن هذه كل أسرار الحروف بل هي مجرد بداية لا أحد يدري إلى أي آفاق سوف توصلنا، وهذه الحروف بهذه الدلالة الجديدة تنفي نفيًا باتًا شبهة التأليف.

ثم هي تضعنا أمام موازين دقيقة ودلالات عميقة لكل حرف فلا يجرؤ أحد أن يقول إنه أمام كلام مؤلف، ولكن يقول إنه أمام كلام إلهي، فهل يصح أن يكون القرآن من تأليف محمد ﷺ كما تزعمون، ويكون القرآن من (٣٠) جزء و (١١٤) سورة، وعدد آياته (٦٠٠٠) تقريبًا، وعدد صفحاته ستمائة صفحة تقريبًا ونزل على ٢٣ عامًا ومع ذلك يكون في هذا العدد الهائل من الآيات إعجاز عددي يعجز الكمبيوتر أن يفعل مثل هذا الإعجاز، فمثالًا على ذلك بعض الكلمات الآتية:

كلمة (الدنيا) تكررت (١١٥) في القرآن كله. وكلمة (الآخرة) تكررت (١١٥) في القرآن كله. فهنا الكلمة ونقيضها جاءت بنفس العدد لا زيادة ولا نقص فما هذا الإعجاز العددي الذي يذكر كلمة واحدة في كتاب يتكون من ٣٠ جزء و١١٤ سورة وعدد من الآيات يتكون من ٦٠٠٠ آية وعدد هائل من الكلمات ومع ذلك تتكرر هذه الكلمة في كل هذا الكم الهائل بنفس العدد تكرار كلمة ونقضيها؟! ومن أمثلة ذلك:

الكلمة	العدد	الكلمة	العدد
الملائكة	٨٨	الرجل	٢٤
الشياطين	٨٨	المرأة	٢٤
الجهر	١٦	الرغبة	٨
العلانية	١٦	الرهبة	٨
الحياة	١٤٥	النفع	٥٠
الموت	١٤٥	الفساد	٥٠
إبليس	١١	المصيبة	٧٥
الاستعاذة منه	١١	الشكر	٧٥

والصلاة تكررت (خمس مرات بعدد الصلوات المفروضة على كل مسلم في اليوم. وتكررت كلمة الشهر (١٢) مرة بعدد أشهر السنة.

وتكررت كلمة اليوم بعدد أيام السنة (٣٦٥) مرة هل كل هذه التكرارات المحسوبة بهذه الدقة وليدة الصدفة هي الأخرى؟!

ويوجد الكثير من هذه الإعجاز.

وذكرت كلمة البحار (أي المياه) في القرآن الكريم ٣٢ مرة وذكرت كلمة البر (أي اليابسة) في القرآن الكريم ١٣ مرة فإذا جمعنا عدد كلمات البحار المذكورة في القرآن الكريم وعدد كلمات البر (٣٢+١٣) فسنحصل على

المجموع ٤٥، وإذا قمنا بصنع معادلة بسيطة كالآتي: مجموع كلمات البحر تقسم على مجموع كلمات البر والبحر وضرب ١٠٠٪ هكذا (٣٢ ÷ ٤٥ × ١٠٠ = ٧١.١١١١١١١١١١٪.

ومجموع كلمات البر تقسم على مجموع كلمات البر والبحر وضرب ١٠٠٪ هكذا (١٣ ÷ ٤٥ × ١٠٠٪ = ٢٨.٨٨٨٨٨٨٨٨٨٩٪.

وهكذا بعد هذه المعادلة البسيطة نحصل على هذا الناتج المعجز الذي توصل له القرآن من ١٤ قرنًا فالعلم الحديث توصل إلى أن: نسبة المياه على الكرة الأرضية = ٧١.١١١١١١١١١١٪. ونسبة اليابسة على الكرة الأرضية = ٢٨.٨٨٨٨٨٨٨٨٨٩٪. وإذا جمعنا العدد الأول مع العدد الثاني فإننا نحصل على الناتج ١٠٠٪ وهو مجموع نسبة الكرة الأرضية بالفعل فما قولك بهذا الإعجاز هل هذه صدفة أم هي من علم الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ولكن صدق القرآن الكريم وصدقة نبوءة المسيح عن النبي الآتي بأنه [لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به] فهذا يدل على أنه يسمع من الوحي ويقول للناس وهذا ما أقر به القرآن الكريم بصورة واضحة وجلية حيث يقول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم:٣-٥] فاسجد لله رب العالمين، واشكر له أنك من المسلمين من حملة ذلك الكتاب العظيم.

وأنا أقول: هذا بعض الإعجاز العددي في القرآن الكريم وليس الإعجاز كله فهناك مجلدات وكتب تتكلم عن الإعجاز العددي والفلكي والكوني والعلمي والجيولوجي والهندسي والعقلي والطبي.. إلخ.

ثانيا: ثبوت صحة القرآن الكريم:

يقول الشيخ إبراهيم خليل في كتابه الإسلام والمسيحية: ومن الجهة الأخرى فلا يوجد أدنى شك حول القرآن الكريم إنه لا يحتوي إلا على الوحي الذي نزل على محمد ﷺ لقد تنزل الوحي عليه من وقت لآخر، وفي لحظات تنزيل

الوحي عليه فسرعان ما يبلغه لصحابته ولا يكلفهم بأن يحفظوه عن ظهر قلب فحسب بل أن يكتبوه وفي كل مرة وكل مناسبة يعين موضع التنزيل في مكانه المناسب وهكذا فالقرآن بتمامه عهد بكتابته وحفظه في الصدور إلى صحابة رسول الله ﷺ الذين بلغوا المئات في عهده.

جمع المصحف الأول في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

وعلى إثر وفاة النبي ﷺ عهد أبو بكر الخليفة الأول إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه مهمة تجميع القرآن في مصحف موثوق به. وإن صحابة رسول الله ﷺ قد دونوا الوحي الذي تنزل على النبي ﷺ على رقاق أو قطع من الجلد، فجمع زيد بن ثابت رضي الله عنه كل هذه، وبعد مقابلتها ومراجعتها مع ما حفظه الصحابة في صدورهم قام بتنسيقها وجمعها في مصحف (أوراق مجلدة) ولا ارتياب إطلاقًا حول صحته وأصليته.

جمع المصحف في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه الخليفة الثالث بتدوين سبع نسخ من المصحف وتم التثبيت منها بما حفظه القرآن الكريم وأصبحت على أهبة التوزيع على الأمصار المختلفة في أرجاء العالم الإسلامي وما زال وجود إحدى النسخ السبع في طشقند وقامت الحكومة الروسية القيصرية بنشرها في نسخ طبق الأصل ومماثلة للنسخة الأصلية تمامًا.

ونحن نجد مطابقة تامة بين هذه النسخ والنص الأصلي وإلا ما كانت تستخدم في جميع أرجاء الوطن الإسلامي، وإن نفس الشيء ينطبق على النسخ الخطية من القرآن الكريم سواء أكان القرآن بتمامه أم أجزاء منه في القرن الأول للعصر الإسلامي.

ومن عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا لا زال المسلمون يمارسون تحفيظ

القرآن عن ظهر قلب في تواصل دائم بين الصغار والكبار على السواء وفقًا لأصول علم القراءات ويبلغ أعداد حفظة القرآن الكريم في أرجاء العالم الإسلامي بمئات الآلاف الذين يجودون قراءة القرآن وتلاوته. والله حتى المسيحيين واليهود والملل المختلفة ملمة بالقرآن وتحفظ منه بعض الآيات.

والنتيجة لما تقدم أنك لن تجد عالمًا من المشرق أو من المغرب مسلم أو غير مسلم يلقى أدنى ريبة في نقاء النص القرآني حتى أولئك الخصوم كما صرح ويليام مويز: [إنه من المرجح لا يوجد كتاب ظل باقيًا اثنى عشر قرنًا بنقائه وأصليته مثل القرآن].

٧ـ الوصف السابع: ـ

إن النبي الآتي يتكلم عن أمور آتية ويتحدث أي يتكلم عن الغيب وهذا ينطبق على النبي محمد ﷺ لأنه يتكلم عن الغيب، وتكلم عن علوم كثيرة ولم يتأكد منها العلم إلا الآن وهذه الأشياء كثيرة منها: - يقول الشعراوي في كتاب الغيب: - الله تبارك وتعالى جعل في القرآن الكريم إعجازًا لا ينتهي إلى يوم القيامة ففي كل جيل للقرآن الكريم عطاء، ويمضي الزمن وتتغير الدنيا ويظل القرآن الكريم معجزة وإعجازًا فإن القرآن قد نزل معجزة لغوية للعرب لأن العرب نبغوا في البلاغة وفن الكلام ولذلك جاء القرآن الكريم يتحداهم فيما نبغوا فيه.

والمعجزة من الله لا بد أن تتحدى البشر فيما نبغوا فيه لأنها لو تحدتهم فيما لا يعرفون أو لا يتقنون لقالوا لو أننا تعلمنا أو أتقناه لاستطعنا أن نفعل أكثر مما جاءت به المعجزة، ولكن الله سبحانه يأتيهم بما عرفوه وأتقنوه ووصلوا فيه إلى قمة الحضارة في وقتهم ثم يتحداهم فيه بمعجزة لا يقدرون عليها ليظهر عجزهم وضعفهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى علهم يؤمنون.

فإن قوم فرعون اشتهروا بالسحر وأتقنوا فنونه فجاءتهم المعجزة فيما أتقنوه وقوم عيسى نبغوا في الطب فجاءت معجزة عيسى من نفس نوع نبوغهم، والعرب كانوا قوم بلاغة وفصاحة وكانوا يتبارون بالشعر ويتفاخرون بالشعراء ويقيمون الأسواق التي يجتمع فيها الناس ليتبارى الشعراء بأشعارهم ولذلك جاء القرآن يتحداهم فيما نبغوا فيه وتصاعد التحدي أن يأتوا بمثل القرآن ثم أن يأتوا بعشر آيات أو أن يأتوا بآية ولكن عجزوا وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾ [يونس:٣٨] لكن لو كان القرآن الكريم إعجازًا لغويًا فقط لجمد وذلك لأن رسالة محمد ﷺ هي خاتم الرسالات وهي للدنيا كلها [للعالم أجمع] وليست للعرب وحدهم والمعجزة اللغوية تكون تحديًا للعرب لأنه نزل بلغتهم، أما بالنسبة للمسلمين من غير العرب فإن هذا التحدي يكون غير موجود لو أن القرآن اقتصر فقط على الأعجاز اللغوي إذن: كان لا بد أن يكون التحدي ليس للعرب وحدهم ولكن للدنيا كلها ومن هنا جاء القرآن الكريم ليمزق حجاب الغيب إلى يوم القيامة ليعطي لكل جيل معجزة، ومزق القرآن حجاب الزمن الماضي ومزق حجاب الزمن المستقبل ومزق حجاب المكان وهكذا مزق القرآن الكريم كل حجب الغيب ليعطينا معجزات لا زالت باقية حتى الآن وستبقى إلى يوم القيامة.

فروى لنا القرآن الكريم كيف مزق حجاب المستقبل حيث أخبر أن هناك من سيأتون ليقولوا: إن الإنسان قرد وإن أصل الحياة كذا وكذا وأنهم سيأتون بنظريات كاذبة فلا تستمعوا إليهم لأن هؤلاء مضلون ويريدون لكم الضلال وفي هذا يقول الحق تبارك تعالى: ﴿۞ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١)﴾ [الكهف:٥١].

وتحققت نبؤة المستقبل وجاء من يضل ويقول إن أصل الخلق كذا ويفترون على الله الكذب ونقول إن هؤلاء جميعًا جاءوا ليثبتوا صدق القرآن الكريم لأنهم لو لم يأتوا بنظرياتهم المضلة لقلنا إن القرآن الكريم قد أخبرنا أن مضلين سيأتون وأنهم سيجادلون في خلق السموات والأرض وخلق الإنسان ولكنهم لم يأتوا ولم يقل أحد شيئًا عن خلق الإنسان وخلق السموات والأرض فأين هم هؤلاء المضلون الذين أخبرنا عنهم القرآن الكريم؟

لكنهم جاءوا وكونهم قالوا ما قالوه جعلنا نقول سبحان ربنا العظيم أخبرنا بالمضلين فجاؤا وقال لنا إنهم سيجادلون في خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان فجادلوا فيهما، وهكذا استخدام الله سبحانه وتعالى الكفار والمضلين في خدمة قضية الإيمان وإثبات صدق القرآن الكريم.

ثم مزّق القرآن الكريم حجب المكان لرسول الله حيث يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه:٦].

وكان لابد أن يلتفت الناس إلى قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ لأننا عرفنا الآن أن في باطن الأرض ثروات أكثر من تلك التي فوق سطحها.

وهكذا أنبأ الله تبارك وتعالى رسوله في القرآن الكريم الذي لا يتبدل ولا يتغير إلى يوم القيامة عما في باطن الأرض وكان هذا غيبًا عن الدنيا كلها [غيب المكان] فلم يكن أحد وقت نزول القرآن يعرف أو حتى يتخيل أن في باطن الأرض ثروات هائلة فجاء القرآن الكريم ومزق غيب المكان وأخبرنا عما في باطن الأرض.

وأعطى الله سبحانه وتعالى غيبًا آخر من غيب المكان لرسوله في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الروم:١-٣] وقت نزول القرآن الكريم فسرت أدنى على أنها قريبة من أرض العرب ثم

جاءت الخرائط الجيولوجيا التي صورت أخيرًا بالأقمار الصناعية لتثبت أن المنطقة التي جرت فيها المعركة الفاصلة قرب بين المقدس هي أكثر الأماكن انخفاضًا على سطح الأرض، وكلمة أدنى تعني المكان المنخفض هكذا كشف القرآن الكريم غيب المكان مرة أخرى بأن ذكر أن المنطقة التي جرت فيها المعركة بين الروم والفرس هي أكثر الأماكن انخفاضًا على سطح الأرض وهذا لم نعرفه إلا في السنوات الأخيرة.

والله سبحانه وتعالى مزق حجب غيب المستقبل بالنسبة للجسد البشري فالقرآن الكريم ذكر لنا تطور الجنين في بطن أمه بدقة هائلة عجز عنها العلم الحديث فقد كان الطب الحديث يصور مراحل الخلق على أنها ثلاثة مراحل إلا إن (كيث مور) أثبت أنها خمس مراحل حسب الوصف القرآني حيث قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

فلقد حدد القرآن تفصيلًا قضية الخلق فذكر أولًا أنه خلق الإنسان من طين ومعنى ذلك أنه حدد المادة التي خلق منها الإنسان وهي: الطين، والطين موجود في كل مكان في الأرض والعلماء أخذوه وحللوه فوجدوا أنه يتكون من ثمانية عشر عنصرًا منها: الحديد والبوتاسيوم والمغنسيوم والصوديوم والكالسيوم وغير ذلك من المواد، ووجدوا أن جسم الإنسان من نفس العناصر التي يتكون منها الطين ثم راقبوا وصوروا بعد اكتشاف الأجهزة العلمية الحديثة التي تستطيع أن تصور ما في رحم الأم فوجدوا أن تطور الجنين مطابق تمامًا وبمنتهى الدقة للأطوار التي ذكرت في القرآن الكريم.

إن الله سبحانه وتعالى كشف لنا غيبًا في مراحل الخلق داخل رحم الأم لم يكن أحد يعرفه ولا يستطيع أن يصل إليه وقت نزول القرآن الكريم لأن هذا

يحتاج إلى أجهزة علمية مكبرة ودقيقة لم يكن العالم يعرفها منذ أربعة عشر قرنًا.

كذلك من معجزات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى حين أخبرنا عن أهل الكهف ورقادهم الطويل في الكهف قال ﷻ: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف:١٨].

ثم جاء الطب الحديث ليثبت أن المريض إذا أصب بمرض أفقده قدرة الحركة وألزمه الفراش لفترة طويلة فإنه لابد أن يقلب يمينًا ويسارًا حتى لا يصاب جسده بقروح تسمى تقرحات الفراش وتسبب له مشاكل صحية خطيرة والله سبحانه وتعالى أنبأنا أيضًا عن غيب الجسد البشري أن الأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة وأنه إذا احترق جلد الإنسان فإنه لا يحس بالألم فقال عز وجل عن أهل النار وهم يعذبون فيها:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء:٥٦].

ولقد توصل العلم إلى دراسات دقيقة عن الأعصاب وأثبت أن أطراف الإحساس موجودة تحت الجلد مباشرة فإذا احترق الجلد لا يحس الإنسان بالألم.

لقد سأل اليهود رسول الله عن الروح وعن ذي القرنين وكان جوابُهُ عليه الصلاة والسلام مطابقًا لما عندهم في التوراة إلا في نقطة واحدة هي قصة أهل الكهف في قوله تعالى:

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف:٢٥].

فقال اليهود نحن نعرف الثلاثة مائة سنين ولكن التسع الزيادة لا نعرف عنها شيئًا.

ثم جاء العلم الحديث ليكشف لنا ما هي التسع الزيادة وهي أن الله تبارك وتعالى يؤرخ لكونه بالحساب القمري وهو أدق الحسابات وأن الله سبحانه قد شاء للحساب القمري أن يولد ويكون هو حساب أمة محمد عليه الصلاة والسلام، والسنة القمرية تقل عن السنة الشمسية بأحد عشر يومًا وثلث يوم، والثلاث مائة سنة شمسية تساوي مائة وتسع سنوات قمرية فسبحان الذي أنزل الكتاب بهذه الدقة والحساب.

وهناك استفاضات تشريحية كثيرة في أحاديث الرسول الكريم فمنها حديث يوضح [أن الإنسان يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون مثل ذلك علقة ثم يكون مثل ذلك مضغة ثم يرسل إليه الملك الموكل بالأرحام فينفخ فيه الروح ويكتب يوم مولده ويوم وفاته ورزقه وشقي هو أم سعيد] ويقصد بالشقاء والسعادة هل سيكون هذا الشخص من الموحدين أم من الكافرين؟! فالشقاء أو السعادة لا تكتب على أحد ولكن علم الله القديم في خلقه سبق كل فعل.

ولقد وجد العلماء أن مراحل الخلق هذه قد تتداخل بسبب سرعة التطور خصوصًا في الأطفال الذين يولدون أبناء سبعة أشهر وتوقف عالم الأجنة الكندي (كيت مور) كان الجنين حيًّا قبل الـ (١٢٠) يومًا الأولى ولكنه كان يعتمد في حياته على روح أمه ثم تجئ إليه الروح فيدرك، وأول ما يعيه صوت أمهِ فيبكي لبكائها ويفرح لفرحها.

وإن الحديث القدسي يقول: [يا ابن آدم جعلت لك قرارًا في بطن أمك وغشيت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام وجعلت متكئًا عن يمينك ومتكئًا عن شمالك. فأما الذي عن يمينك فالكبد، وأما الذي عن شمالك فالطحال، وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك فهل يقدر على ذلك

أحد غيري؟ فلما تمت مدة حملك أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها وانبعث لك عرقان رقيقان في صدر أمك يجريان لبنًا خالصًا حارًّا في الشتاء وباردًا في الصيف، وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوي ظهرك واشتد أزرك بارزتني بالمعاصي واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد عليّ وتسترت ممن يراك وبارزتني بالمعاصي في خلوتك ولم تستح مني، ومع كل هذا إن دعوتني أجبتك وإن سألتني أعطيتك وإن تبت إليّ قبلتك] ولم تكن هذه المعلومات معروفة في أي أمة من الأمم الموجودة على عهد الرسول ﷺ ولا جالينوس أو غيره ولو كان البعض قد عرفها أو توصل إليها قبل ذلك التطور في تاريخ الطب كله في العالم.

لكن هذه المعلومات الطبية والتشريحية التي ذكرتها السنة النبوية لم يتوصل إليها العلم إلا حديثًا وحتى عام ١٩٩٦ كان الطب يؤكد أن المفاصل ٣٤٠ مفصلًا ولكن حديثًا تم اكتشاف أنه يوجد ٣٦٠ مفصلًا وهذا ما قاله رسول الله ﷺ في حديثه الشريف، وكان الطب قديمًا يعتمد على الفلسفة أكثر في حين كان القرآن يؤكد ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾[الطارق:٧].

وصلب الرجل هو: عظام ظهره، **والترائب هي:** عظام صدر المرأة، **والدافق:** أي ماء فيه حركة، وقد أكد الطب الحديث أن الشريان (الأبهر) يأخذ من الـ (٣١) فقرة ويذهب بها إلى الخصيتين اللتين تقومان بإنتاج الحيوانات المنوية من هذا التكوين القادم من عظام ظهر الرجل فأين كان أطباء اليونان وغيرهم من هذا الإعجاز القرآني والنبوي؟ أما عن ترائب المرأة فهي عظام صدرها فقد أثبت العالم (كيث مور) أن هذه العظام تصل للمبيض الذي تنتج

فيه البويضات وهنا خر العالم الكندي ساجدًا لله الذي خاطب البشر في الموضوعات منذ أكثر من ١٤٢٠ سنة لتكون معجزات شاهدة على مصداقية ونبوة رسولنا الكريم ﷺ، ويقول عبد الرازق نوفل في كتابه: صدق الله العظيم: قد يسأل الإنسان أيمكن أن يتحول الإنسان أي إنسان إلى قرد أو إلى خنزير فيمسي الإنسان إنسانًا ليصبح قردًا أو خنزيرًا أو يصبح الإنسان إنسانًا ويُمسي غير ذلك أو يتحول فجأة وهو يأكل ويشرب وهو يعمل أو يلعب إلى قرد أو خنزير؟! إن الإجابة التي لا خلاف عليها ولا شك فيها لا وألف لا.

أما إذا قال القرآن الكريم بذلك وقد قاله فإن الإجابة التي لا تردد فيها ولا شبهة عليها هي نعم وألف نعم، إن الإنسان يتحول إلى قرد أو إلى خنزير بأمر الله فلقد قال الله سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾[البقرة:٦٥-٦٦].

واللفظ قاطع والمعنى واضح أن من اعتدوا بعصيان أمر الله قد تحولوا تحولًا كاملًا وتامًّا وشاملًا وعامًّا إلى قردة فقد قال الله سبحانه وتعالى لهم: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[البقرة:٦٥] فكانوها لا شك في ذلك ولا خلاف عليه ولا جدال عنه فهو أمر الله الذي لا بد أن يتم بقوله كن فيكون سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

كما يقرر النص الشريف بكل صراحة ووضوح أن هذا التحول إنما هو آية ظاهرة جلية بينة شاهدتها الأمم والشعوب في زمانها وستكون شاهدة كذلك للأمم والشعوب بعد أوانها أي لكل من سيأتون بعد جيلها مما يقطع بأنه ستظهر للناس في أجيالها المتعاقبة لتدل عليها وتشير إليها وتؤكد سبق حدوثها وتقطع بوقوعها وكما منعت الناس من العصيان وقتها فإنها موعظة لأهل

الإيمان بعدها، ويعود قرآن ربنا الكريم ليؤكد ما وقع بتحول من عصوا إلى قردة بالنص العظيم:

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف:١٦٦].

كما قد تحول البعض منهم إلى خنازير وذلك بقول الله ربنا سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة:٦٠].

هكذا قال الله وصدق الله، ومما يقطع بأن هذه الآية قد شاهدها القوم في زمانها وعايشوها في حينها وتأكد خبرها وتواتر أمرها بعد جيلها، أما من نزل القرآن الكريم في عهدهم واستمعوا إلى ما تقرره وما تعلنه من اليهود ومن هم بعدهم لم يسألوا عنها يختلفوا فيها رغم أن اليهود ومن هم بعدهم لم يسألوا عنها ولم يختلفوا فيها رغم أن اليهود كانوا يسألون ويكررون السؤال كل ما يمكن وكل ما لا يمكن للبحث والتقصي والتأكيد والتصدي.

فسألوا سيدنا محمدًا ﷺ عن الروح وعن ذي القرنين وعن كل ما خطر بباهم وطلبوا كثيرًا وألحوا طويلًا فهذا هو حاهم وشأنهم فقد سألوا موسى أي طلبوا منه ما هو أكثر وفي ذلك يقول قرآن ربنا الكريم في نصه العظيم:

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء:١٥٣].

أما إنهم ولم يسألوا عن هذه الآية التي تقرر أن منهم من تحولوا إلى قردة وإلى خنازير تحولًا حقيقيًا فإن الأمر يؤكد صدق ما قال به القرآن الكريم حيث رأوا وشاهدوا ما تقرره الآيات ثم تواتر بعد ذلك خبرها وشاع أمرها فكانت صدقًا رأوه وحقًّا شاهدوه.

وكما يقرر النص الشريف فإن الأجيال التالية بما فيها جيلنا سيشاهدون الدليل على هذه الآية والتأكيد على أنها وقعت والبرهان على أنها كانت.

لا شك أن تحول الإنسان إلى قرد أو خنزير أسهل وأيسر وأسرع من خلق الإنسان أصلًا من تراب مع رجاء ملاحظة أنه ليس عند الله ما هو أسرع أو أيسر أو أسهل فالوجود كل الوجود بكل ما فيه وما يحتويه إنما هو استجابة فورية كاملة ومطلقة لما كان من أمره سبحانه وتعالى بل بما كان بين الكاف والنون، وبذلك فإن الرجال الذين تحولوا إلى قردة أو إلى خنازير في وقت ما وجيل ما كانت فيهم بأمر الله وتقديره ومشيئته وتدبيره هذه الصفات التي تجعلهم كذلك وظهرت بعصيانهم أمر الله لما قضى به وقرره وفرضه وقدره ولا شك أن هذه الصفات تتناقل من جيل إلى آخر ومن عصر إلى عصر مما قد يحدث أن تظهر بعضها في حالة إذ بعد أن تكون هذه الصفة قد تنحت فإنها عادت لتكون آية ودليلًا وبرهانًا على صدق ما قال به القرآن الكريم.

لذلك فإن القوم الذين تحولوا إلى قردة وإلى خنازير في وقت ما وفي جيل ما كانت فيهم بأمر الله هذه الصفات التي تجعلهم كذلك وظهرت فيهم وعليهم بأمر الله بعصيانهم أمره لما قضى به. ولا شك أن هذه الصفات تتناقل من جيل إلى جيل مما قد يحدث أن تظهر بعضها في حالة أو حالات. ولا شك أن البعض منا قد رأى مرة وأكثر إنسانًا أقرب إلى القرد شكلًا من الإنسان إلا في القليل الذي يجعل الإنسان يقطع بأن هذا الإنسان لا شك ينحدر من أجداد فيهم من هو من القردة بيقين، وقد عثر في عام ١٩٦٠ وفي نهاية منطقة المصيف برأس البر وفي الخلاء على طفل لا يزيد عمره على العاشرة جبهته ضيقة تكاد تكون معدومة حيث يبدأ رأسه وهي قريب الشكل بالمثلث المسطح وفتحات أنفه مستديرة واسعة وبلا بروز، وفمه واسع وأنيابه أطول من أسنانه وذراعه أطول

من المعتاد حيث يصل إلى أبعد من منتصف ساقه وتنتهي بأصابع طويلة نوعًا وهو لا يتكلم إلا بهمهمة غير واضحة ولا مفهومة ولا يعي أو يدرك ويجلس دائمًا جلسة القرد فإذا ما أقامه الأطفال بأيديهم وقام ممسكًا بأيديهم سار مقوس الظهر فإذا ما تركوا يديه سار على أربع ولا يختلف عن القرد إلا في مظاهر قليلة أوضحها أن لونه لون الإنسان العادي وكذلك لا يكسو الشعر جسمه وقبل أن يوضع في موضع البحث العلمي والدراسة المعملية مات بعد أن شاع أمره وذاع خبره.

ألا يشير ذلك على أن الصفات الإنسانية الظاهرة عليه لو اختفت لكان قردًا تمامًا، إنه لا بد ينحدر من سلاسة تحول أحدها في زمن سيدنا موسى عليه السلام إلى قرد حقيقي وبعد عدة أجيال ظهرت بعض صفاته فيما يعرض علينا.

أما تحول نفر من الناس إلى خنازير كذلك بدلًا من القردة فإن بعض الصفات الشكلية قد ظهرت في حالات أثبتتها الجهات العلمية ونشرتها صحف ومجلات العالم فقد نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٨٤ تحت عنوان [ذيل الطفل ماليزي] ما نصه: وضعت امرأة ماليزية في السابع والعشرين من ديسمبر الماضي مولودًا له ذيل يبلغ طوله ثلاث بوصات، وجدير بالذكر أن فم الطفل من الداخل يتحول إلى اللون الأسود كل يوم أربعاء.

كما نشرت مجلة أكتوبر في عددها الصادر بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٨٤ ما نصه: في ماليزيا بالعاصمة كوالالمبور ولد زولوكارني في ٢٧ ديسمبر ١٩٨٣ بذيل طوله ٣ بوصات، وأما الشيء الغريب وغير العادي في هذا المولود أن سقف فمه يتحول إلى لون أزرق على أسود الأربعاء من كل أسبوع.

ونشرت الشرق الأوسط وأيضًا أكتوبر صورًا مكبرة وواضحة وقريبة

للطفل بذيله الطويل الواضح ولا شك أن هذا الذيل الذي يبلغ حوالي نصف طول المولود إن لم يزد هو ذيل بكل القياسات والمعاني والاحتمالات فهو ليس ببروز فقرى أو نتوء عظمي أو امتداد عصعصي، وهو يختلف تمامًا في شكله عن ذيل الحصان أو القط أو الكلب وإنما هو ذيل خنزير، كما أن تغير لون فم الطفل إلى أزرق مسود ولو أنه ليوم واحد كل أسبوع ويوم محدد فهي كذلك صفة تضاف إلى الذيل لتشير إلى أنه قد ورث بعض هذه الصفات من جد سابق له كان يحمل صفات أكثر ومواصفات أكبر تؤكد أن تحول يومًا من إنسان إلى خنزير.. أمر الله وقدرته ولا شك أنه كما شاهدناه، هذه الآيات في جيلنا المعاصر فإن الأجيال القادمة سترى كذلك أدلة أخرى لا نعلمها الآن ولا ندري بها حاليًا إذ أن الله سبحانه وتعالى قد قرر أنه سيجعلها آية لكل الناس في زمانهم وبعد أجيالهم لتكون دليلًا من ملايين الأدلة على مصداقية الرسول والقرآن الكريم.

فهيا بنا نعطيكم ما تقدمه الدراسات والأبحاث من أدلة مادية وشواهد عملية على صدق الرسول والقرآن الكريم في كل ما جاء به وورد فيه.

إن القصة هي عن فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى منه وإليه فلما اشتد الكفر في قومهم والبطش والعصيان من ملكهم فروا بدينهم إلى كهف حيث أنامهم الله سبحانه وتعالى مئات السنين ثم أقامهم فشاهدوا جيلًا مختلفًا، ورأى الناس فيهم ومنهم أمرًا عجبًا وشيئًا غريبًا وكانت آيات من الله عز وجل في نومهم ثم قيامهم ثم ما كان من أمرهم في كهفهم في حياتهم وبعد موتهم فإن قصتهم كاملة مدونة في سورة الكهف واسم هذه السورة على هذه القصة وهي من آية [٢٦ : ٩] وأول القصة في السورة يقول:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف:٩].

ولقد كان المتداول بيننا والشائع فينا والثابت في كتبنا وحتى الآن أن الرقيم هو اللوح أو الصحيفة التي رقمت فيها أسماء أهل الكهف ونسبهم ويكون أصحاب الكهف والرقيم أي أصحاب الكهف وأصحاب الصحيفة أو اللوح أو القائمة التي سجلت عليها أسماؤهم، وهذا بلا شك يتعارض مع نص القرآن الكريم من أن عددهم غير معروف إلا القليل، وقد اختلف في هذا العدد فيما بين ثلاثة وسبعة وذلك بالنص الكريم:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف:٢٢].

مما يقطع تمامًا ويقينًا أنه لا يوجد لوحة أو قائمة أو صحيفة على الكهف بأسمائهم وإلا لعرف عددهم وتبين رقمهم، وأن الرقيم لا تخص بذلك لوحة أو صحيفة أو كتاب أو قائمة، وكما اختلفت الآراء في عددهم كذلك اختلفت في مكان كهفهم وتاريخ وجودهم ونومهم ثم قيامهم فقيل: إن الكهف في الأناضول في تركيا بل وفي بلدة تدعى أفسوس بالقرب من البحر الأبيض المتوسط وقيل بل إنها في الشام، وإنها بالقرب من عمان، وقيل عن تاريخهم أنهم كانوا في عهد الملك السلوقى انتيوخوس الرابع حوالي ١٧٦ - ١٨٤ قبل الميلاد وقيل: بل في عهد الإمبراطور الروماني هادريانوس حوالي ١١٧- ١٣٨ ميلادية وقيل: بل في زمن دقيانوس حوالي ٢٤٩ - ٢٥١ ميلادي.

إلى أن أراد الله سبحانه وتعالى وشاء أن يكشف لهذا الجيل المعاصر والأجيال التالية عن شواهد مادية جديدة وأدلة إيجابية أكيدة على صدق قرآن ربنا العظيم في كل ما أورده أو جاء أو قص عنه أو أشار إليه.

فلقد تواترت الأنباء بوجود كهوف في شرق الأردن بالقرب من عمان

أقدمها وأكثرها إثارة الذي يوجد في جبل صغير أو تل كبير يسمى بالرجيب وسميت القرية التي يقع فيها باسمه أي الرجيب وقد لفت النظر أن عرب القرية ذكروا في أحاديثهم طرق الجوافل يقصدون طريق القوافل والباعز أي الماعز فهم ينطقون القاف جيمًا والميم باء.

فهل تكون الرجيب بلغتهم الشائعة هي الرقيم باللغة العربية ويكون جبل الرجيب هو جبل الرقيم؟! وبدأ الأستاذ محمد تيسير ظبيان رئيس رابطة العلوم الإسلامية بالأردن البحث مستعينًا بالأجهزة المعملية والإدارية والفنية فتبين أنه في كتب التاريخ والجغرافيا قد ذكرت هذه القرية باسم الرقيم وذلك من عدة قرون، فالعالم ياقوت الحموي يقول في كتابه [معجم البلدان] الذي وضعه في القرن السادس الهجري ما نصه: عمان بلد في أطراف الشام وكانت قصبة أرض البلقاء وبالقرب منها الكهف والرقيم. ويقول في موضع آخر: بفرق البلقاء من أطراف الشام مدخل يقال له الرقيم. والمقدسي وهو أيضًا من كبار علماء الجغرافيا في زمانه في كتابه [أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم] ما نصه: إن الرقيم بلد في شرق الأردن بالقرب من عمان، وفي كتب أخرى من كتب العلوم التاريخية والجغرافيا تذكر قرية الرقيم وجبل الرقيم أو تل الرقيم.

مذ بدأ البحث في أصل اسم هذه القرية في وقتنا الحاضر أصبحت الرقيم موضع الزيارة من علماء من مختلف أنحاء العالم من مسلمين ومن غيرهم ممن يريدون البحث والتقصي، وتوالت الكتابات وكلها تؤيد ما سبق أن قرره قدمًا الباحثون والعلماء من تحديد مكان واسم وصفة الرقيم، فيقول العالم الشيخ أبو الأعلى المودودي وهو من كبار علماء الإسلام في باكستان في كتابه [سفر نامه أرض القرآن] عن رحلته التي قام بها إلى بعض الدول الإسلامية وجاء فيه في ١٠ يناير ١٩٦٠ زرنا هذا الغار [الكهف الرقيم] ويعتقد السكان المجاورون

لهذا الموقع أن أصحاب الكهف الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم موجودون في هذا الغار الذي يبعد نحو سبعة أميال عن عمان وعلى مقربة منه توجد قرية صغيرة اسمها القديم: الرقيم، ولدى دخولنا الكهف لم نتمكن من رؤية أي شيء في داخله لأن الظلام كان مخيمًا عليه على الرغم من سطوع الشمس وقد لاحظنا أنه توجد فوق هذا الغار وفي أمكنة قريبة آثار حجرية منحوتة في الصخر، يرجع تاريخها إلى زمن قديم، كما لاحظنا أن الشمس تزاور عن الكهف عند بزوغها وتمل عنه لدى غروبها.

وعندما تأكد أن قرية الرجيب هي أصلًا الرقيم وربما ثبت من المصادر العلمية القديمة التي ترجع إلى عدة قرون كثيرة سابقة من ذكرها باسمها الرقيم فقد أصدر مجلس الوزراء الأردني البلاغ الرسمي رقم ٤٧٨ في ٦ فبراير ١٩٧٧ بتغيير اسم الرجيب وإعادة اسمها القديم: الرقيم إليها، إذن فلقد تم الكشف عن كهف الرقيم كما قال القرآن وعلى ذلك فقد قامت دائرة الآثار الأردنية بأعمال الحفر والتنقيب في هذا الموقع الذي ذكرت التقارير الرسمية في بداية البحث أن الموقع يقع على السفح الجنوبي لجبل قليل الارتفاع هو جبل الرقيم يشرف على مناظر خلابة وسهول واسعة يمتد البصر عبرها إلى مدى واسع كما يبعث النظر فيها إلى التأمل والعبادة وأن الموقع منزوي عن المارة بعيد عن الطريق المعبدة وعن طريق عمان مأربا - الكرك - العقبة مسافة ثلاث كيلو مترات، والكهف لا يمكن أن يراه المار من الطريق ولا أن ينتبه إليه إلا إذا قرب منه ووصله، وأنه يتجه إلى الناحية القبلية ويرصد الشمس طوال اليوم وعلى مدى كل فصول السنة ولعدة أعوام متتالية، فلقد اتضح أن الشمس عندما تشرق فإن بعض أشعتها تدخل إلى مدخل باب الكهف دون أن تنفذ إلى داخله ورويدًا رويدًا تنسحب هذه الأشعة حتى إذا كان الغروب دخلت أشعتها من الجهة الشرقية بقدر قليل وإلى مكان محدود لا تتجاوزه إلى أن تغرب تمامًا.

وهكذا تدخل الشمس عند الشروق من المدخل ولا تتعداه إلى فجوته التي تتوسطه وكذلك تدخل أشعة الغروب ولكن بعيدًا أيضًا عن الفجوة وهذه الأشعة الصباحية المبكرة عن الشروق والمتأخرة عند الغروب كافية لأداء مهمتها الصحية في الكهف دون أن تصل إلى الفجوة التي تضم أهل الكهف من آيات الله الحكيم ويقول الله الكريم:

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف:١٧].

وقد عثر بالبحث والتنقيب داخل الكهف على غرفتين واحدة عن يمين الداخل والأخرى عن يساره، وفي كل منهما صندوقان من الحجر أي أنها عبارة عن أربعة قبور في الجهة الشرقية وأربعة في الجهة الغربية فهل لكل واحد من أهل الكهف صندوقه الذي دفن فيه أم له صندوق وآخر للتمويه كما كان متبعًا من قبل في الدفن؟ وأن أحد هذه الصناديق قد أعد للكلب قبل أن يستقر الرأي على دفنه عند الباب؟! حيث وجد بالقرب من الباب صندوق الكلب إذ رسم على حائط الباب فوقه رسم كلب وتحته رموز بالخط اليوناني القديم بوضوح أن الرسم صورة كلب.

بذلك اختلف في عدد أصحاب الكهف حتى بما ظهر من قبورهم هل ثلاثة ورابعهم كلبهم، أو خمسة وسادسهم كلبهم، أو سبعه وثامنهم كلبهم إذ يقول قرآن ربنا الكريم: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف:٢٢].

وحقًا وصدقًا فقد قالوا وصدق الله العظيم.

وقد عثر علماء الآثار على أعمال التنقيب على نقود أهل الكهف ووجدوا أنها مما كان يتعامل بها الناس في عهد الإمبراطور تراجان الذي فتح شرق الأردن عام ١٠٦ ميلادية وكان ظالمًا كافرًا يعبد الأصنام والأوثان، وقد أصدر عام ١١٢م أمرًا يقضي بإدانة كل من لا يقدم القرابين للأوثان ولا يتقرب للأصنام ففر هؤلاء النفر من الصالحين بدينهم إلى الكهف حيث ضرب الله عليهم النوم حتى قاموا في عهد الإمبراطور الصالح ثيودوسيوس الذي حكم من عام ٤٠٨ إلى ٤٥٠ ميلادية إذ وجد بالكهف حلي ونقود من عهد هذا الإمبراطور.

وبذلك تكون مدة نومهم هي ثلاثمائة سنة ميلادية وهي التي تقابل تمامًا وتحديدًا ثلاثمائة وتسعة من السنوات القمرية وسبحان القائل في قرآنه الكريم: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف:٢٥].

وكشف الحفر في وسط الكهف عن أربعة أعمدة مستديرة مرتكزة على قواعد مقطوعة من الصخر، وأن هناك صومعة بنيت فوق المكان بالبناء البيزنطي وأن المسلمين حولوا هذه الصومعة بدون تغيير أو زيادة عليها أو نقص منها إلى مسجد وجد به فوهة بئر على جانبه وحولها أباريق للوضوء وغرفة مسقوفة كان يستخدم سطحها لأداء الأذان، كما وُجد محراب داخل المسجد، وقد جدد هذا المسجد أكثر من مرة في عهود مختلفة وقد قام بناء المسجد لأول مرة في زمن عبد الملك بن مروان ثم ابنه هشام أي في سنة ١١٧ هجرية وهذا ما قال به القرآن الكريم بنصه الحكيم:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف:٢١].

هذه هي قصة أهل الكهف التي يرجع تاريخها إلى ما يقرب من ستة قرون

قبل رسالة محمد ونزول القرآن أوردها بكل حقائقها وكافة جوانبها ومختلف أبعادها كما أورد ما سوف يحدث بعد أكثر من قرن بعد قوله من بناء المسجد فوق ما بني عليهم فجاء بالنبأ والنبوءة وكان صادقًا ما يقوله في النص الحكيم:

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف:١٣].

ويتكلم محمد ﷺ عن الغيب من الأنباء التي لا يعلمها هو ولا قومه حيث يقول في القرآن الكريم:

﴿ ۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس:٩٠-٩٢].

وهكذا يضيف القرآن الكريم تأكيدًا جديدًا على أن فرعون الذي خرج يطارد موسى وقومه لا يمكن أن يكون الفرعون الأول الذي تربى موسى عنده لأن عدد السنوات التي مرت في عرض موسى لآياته لابد أن تكون في حدود عشر سنوات لا تقل. وقد تصل إلى عشرين لأن واحدة منها استمرت عدة سنوات وهي آية الجدب وقلة الإنتاج مما يجعل عمر الفرعون الأول قد تجاوز المائة أو المائة وعشر سنين ولا يعقل أن يقوم من هو في هذه السن بقيادة جيش ويخرج به من أرضه ويجتاز به البحر، ولكن من يفعل ذلك هو فرعون آخر في سن مناسبة للقتال والحرب فيكون الفرعون الأول قد مات موتة طبيعية أثناء وجود موسى خارج مصر أي يكون عمر فرعون ما يقرب من الثمانين لا يقل أو التسعين لا يزيد إذا زاد إلا قليلًا.

وكذلك يؤكد بلفظ واضح وصريح أن فرعون الثاني - وهو ابن فرعون الأول- قد غرق في البحر كما غرق الجنود وأن بدنه لم تأكله أسماك البحر ولا حيواناته ولم يصبه الغرق من تلف وتهتك وفساد بل حفظ الله بدنه وسيراه

الناس بعده لتكون آية من آيات الله، وبعد ما يزيد على ثلاثة عشر قرنًا من الزمان من قول القرآن الكريم يتقدم العلم وتتسع وسائل البحث والكشف ويهتدي إلى مفتاح اللغة الهيروغليفية ويترجم ما هو مسطر على الآثار وما هو منقوش على الأحجار منذ آلاف السنين فيقرأ العلم التاريخ الثابت فيجد أن خروج بني إسرائيل من مصر كان في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عهد أحد فراعنة الأسرة التاسعة عشر وهو منبتاح بن رمسيس الثاني، ورمسيس الثاني هو الذي سخر بني إسرائيل في بناء مدينة برتوم أي بيت الآلة توم، وقد اكتشف فعلًا بواسطة العالم الفرنسي نافيل عام ١٨٨٣ وأيضًا بناء مدينة له لتكون عاصمة ملكه باسم (بر رمسيس) وقد اكتشفت عام ١٩٢٨م في الوجه البحري بواسطة العالم المصري محمود حمزة ومنذ مائة سنة فقط عثر الباحثون في الصحراء وفي أحد كهوف الجبال على نحو أربعين مومياء لفراعنة مصر أظهرهم وأكثرهم هو رمسيس الثاني إذ وجدت المومياء سليمة إلى درجة أثارت الدهشة كل الدهشة، فلقد نقلت من حيث دفنت إلى هذا الكهف في الجبل ولا يعرف تحديدًا بعد كم قرن من الزمان تم هذا النقل ولا سببه وقد يكون النقل تم إلى مكان قبل هذا الكهف ثم إليه وبالرغم من ذلك فلقد كانت كما ذكرت التقارير سليمة حافظة لكيانها وكأنها لشخص أوى إلى مضجعه لينام منذ لحظات ولم يمت بعد، ثم نقلت إلى المتحف المصري واستقرت فيه حتى ٢٦ سبتمبر عام ١٩٧٦ حيث خرجت إلى باريس لفحصها علميًّا ومعمليًّا من علماء فرنسيين ومصريين على أعلى مستوى في العالم.

واستمرت الدراسة حتى عودة المومياء في ١٠ مايو عام ١٩٧٧م وقد استخدمت في دراسة المومياء الأشعة العادية وأشعة الزيروجرافي التي تبين دقائق العظم والعضلات وأشعة ثالثة بالألوان تسمى يوليتوجرافي وهي نوع جديد من الأشعة لا يعرفها سوى معمل باريس الذي تم الفحص فيه وآخر في

أمريكا وهي توضح كل تفاصيل الجسد بأنسجته وعضلاته وعظامه ويحكي تاريخ الجسم تفصيلًا، وقد أوضح التقرير العلمي الذي قدمه لفيف من كبار أطباء باريس ومصر أن مومياء رمسيس الثاني تتميز بالصلابة وأن عاش عمرًا يبلغ التسعين عامًا وأنه كان يسير في آخر أيامه محني الظهر بعض الشيء، وأن رقبته فيها عوج خفيف كما اتضح أنه كان يعاني من أسنانه والتهاباتها بل كان عنده خراج في فكه وأنه مات ميتة طبيعية.

وفي عام ١٨٩٨ تحديدًا اكتشف العالم الأثري لوريت مومياء منبتاح ابن رمسيس مع غيرها من الجثث في قبر أمنحتب الثاني ويقول في تقرير اكتشافه: إنه ظهر من آثار القبر أنه لم يكن مهيأ كما يجب لدفن ملك مثله لأن موته لم يكن منتظرًا فلم يهيأ له قبر خاص، ونقلت المومياء من وادي الملوك بطيبة حيث عثر عليها إلى المتحف المصري بالقاهرة حيث تم رفع الأربطة عنها لدراستها في ٨ يوليو ١٩٠٧ واستمرت الدراسة إلى أن استخدمت وسائل الفحص والبحث الحديثة.

ويقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه [دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة] عن هذه المومياء ما نصه: وفي أثناء فحص هذه المومياء في يونيو ١٩٧٥م بدأت بمبادرتي دراسات خاصة فقد قام الطبيبان المليجى ورمسيس بدراسة طبية بالأشعة السينية على حين قام الدكتور / مصطفى المنيلاوي بفضل ثغرة في جدار القفص الصدري بدراسة جوف القفص الصدري والبطن وقد حقق بذلك أول دراسة بالمنظار الداخلي على مومياء وقد سمح هذا برؤية وتصوير بعض التفاصيل الهامة جدًّا داخل الجسم نفسه ولكن ما يمكن استنتاجه من هذه الدراسة هو ملاحظة آفات عظيمة عديدة مع ثغرة في مادة الجسم ربما كان بعضًا منها قاتلًا دون أن يكون ممكنًا الآن القول بها إذا كان بعض منها قد حدث قبل أو بعد موت فرعون، فهذا الفرعون قد مات إما

غريقًا وإما بسبب رضوض عنيفة جدًّا سبقت غرقهِ أو ربما للسببين معًا.

كما عثر العلامة الأثرى (فلندرس بترى) على حجر من الجرانيت القاتم في كوم الحيتان بطيبة الأقصر وهو عبارة عن لوحة كبيرة ارتفاعها يزيد على ثلاثة أمتار ومسجل على أحد وجهيها ما قام به الملك امنحتب الثالث من الأسرة ١٨ لمعبد آمون أما الوجه الآخر فقد سجل عليه أم منفتاح بن رمسيس الثاني من الأسرة ١٩ وقد انتصر على بني إسرائيل بال بالنص: [لقد سحق بنو إسرائيل ولم يبق لهم بذر].

وتقارير الدراسة تشير إلى أن هذا الحجر لم يكتب في عهد منفتاح وإلا كتبت على حجر خاص به لا على الوجه الثاني لحجر لغيره، أما أنه سحق بني إسرائيل ولم يبق لهم أثر؛ فلأنهم خرجوا وعبروا البحر وقد أراد الكهنة التابعون لمنفتاح أن يسجلوا انتصارًا وهميًّا لمنفتاح حتى لا يشك الشعب المصري في ملوكهم ويعتقدون أن موسى قد انتصر عليهم.

وهذا الحجر لا يزال موجودًا في المتحف المصري تحت رقم ٥٩٩ وهكذا يقدم العلم بعد ألف وأربعمائة سنة الأدلة والتسجيلات الكتابية والشواهد التاريخية على صدق القرآن الكريم، في ذلك ما جاء به نصًّا وتفصيلًا وإشارة وقولًا جليلًا فها هي ذا الآثار تحكي وتروي كما قال القرآن بالحق كل الحق، والصدق كل الصدق وها هو ذا بدن فرعون الغريق بين أيدينا وتحت أبصارنا وقد حفظه الله لآلاف السنين آية لنا ولمن هم بعدنا على وجود الله ووحدانيته وعظم قدرته وبالغ حكمته وآية على صدق القرآن الكريم في كل ما جاء به أو أشار إليه نعم صدق الله العظيم وبهذا يكون الوصف السابع ينطق تمامًا على الرسول ﷺ فهو كان يعلم الغيب الذي أراد الله أن يعطيه لمحمد ليثبت مصداقيته، وأعطاه القرآن المعجزة الخالدة الذي يظهر مصداقيته ومصداقية

الرسول جيلًا بعد جيل، وسيظل هكذا إلى يوم القيامة ويوجد الكثير من العلوم والمعارف والأسرار القرآنية، وسأصدر العدد القادم إن شاء الله كتاب الإعجاز العلمي يشمل الأسرار والمعارف والعلوم والإعجاز العددي لتكون شاهدة على مصداقية الرسول والقرآن.

الوصف الثامن:

في هذا الوصف أن الروح القدس أو الروح الحق الذي سيأتي سيمجد المسيح فهذا الوصف ينطبق على رسول الله ﷺ فهو الذي مجد المسيح وعظمه في كثير من النقاط فالقرآن الكريم يذكر حقيقة المسيح وعظمته.

فالرسول هو الذي مجد مريم العذراء وعظمها وجعلها عظيمة الشأن أمام العالم وأنه مصطفى من الله وقال عنها: إنها أعظم نساء العالمين وأن ابنها المسيح كلمة الله وروح منه وبرأها من تهمة الزنا ووضعهم في موضعهما الصحيح أنهم آية من الله للعالمين وأن المسيح رسول الله الكريم وأنه كان بارًّا وأشار إلى كثير من معجزات المسيح واعترف بها ومسجل في القرآن معجزات لم تذكر في الأناجيل .

ورفع عنه إهانة البصق والصفح واللطم والصلب وأشد أنواع العذاب والهوان فهل هذا ليس تمجيد.

وبراءة المسيح من تهمة التحريف والتضليل والبنوة الإلهية، واعترف به وبقدراته بأنها دليل على نبوة من الله وآية لتبرهن على قدرات الله سبحانه وتعالى فالقرآن الكريم يقول في شأن المسيح:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)﴾ [المؤمنون: ٥٠].

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)﴾ [آل عمران: ٤٢].

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا

وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران:٤٥-٤٧].

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم:٣٢].

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران:٤٩].

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران:٥٤-٥٥].

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء:١٥٥-١٥٨].

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥].

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩].

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم:٣٥].

وأخيرًا بعد كل هذه الأوصاف الثمانية التي وصفها المسيح في الأناجيل وتنطبق على نبي الإسلام انطباق واضح وبهذا صدق الله الذي قال في كتابه العزيز على لسان المسيح عيسى ابن مريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦].

ويقول أحمد حجازي السقا في كتابه البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل تعليقًا فيما سبق على الأوصاف الثمانية التي تنطبق على نبي الإسلام والمدونة في إنجيل يوحنا [١٤-١٥: ٣١] و [١٥: ٢٦-٢٧] و [١٦: ١-١٤] ما نصه: مما يقول عيسى عليه السلام لتلاميذه: إنني سأطلب من الله عز وجل أن يمنحكم نبيًّا من بعدي عوضًا عني ليعزي بني إسرائيل في فقدهم الملك والنبوة وهذا النبي ستظل شريعته إلى الأبد وسيستمد قوته من الله الحق وأنتم وغيركم ستعرفونه إذا جاء إذا كنتم تفقهون العلامات التي بينتها لكم عنه.

والذين لم يدرسوا الكتب والذين لم يعترفوا برسالات الله لن يستطيعوا معرفته بسهولة أما أنتم يا أهل الكتاب فتعرفونه ولست أتكلم عن هذا النبي من تلقاء نفسي بل الله الذي أرسلني هو الذي أمرني أن أخبركم بمجيئه وأخبرني أن أعرفكم أن المعزى إذا جاء سيعلمكم كل شيء، ويذكركم ما قلته لكم، ولا بد أن تؤمنوا به إذا جاء وتنصروه وتعزروه وتوقروه.

إن الناس قد اضطهدوني وأنكروا نبوتي وسوف يضطهدكم الناس كما اضطهدني وسيشكون في كلامهم كما شكوا في كلامي إذا جاء النبي الآتي إلى العالم فسوف يشهد بنبوتي وتشهدون أنتم أيضًا بناء على ما عندكم من علم في

الإنجيل سوف تضطهدون من الناس كما اضطهدت أؤكد لكم سوف تضطهدون وسوف تطردون من مراكزكم الدينية وإذا ما حصل الاضطهاد والطرد من المراكز الدينية لا تشكون في وجود الله ويقين الخبر وقد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا.

سوف يأتي النبي الآتي إلى العالم ليخزي العالم ويبكتهم على:

١ - الخطايا ٢ - والبر ٣- والدينونة.

وسوف يرشدكم إلى جميع الحق ويخبركم بأمور آتية في المستقبل.

المباحث في النص:

المبحث الأول: الروح القدس:

الكلمة العبرانية (رواه) تدل في معناه الحقيقي على الريح كما يقول اليهود ثم تدل مجازًا على معان كثيرة منها:

١ - (القدرة) يقول أيوب في سفره [ولكن في الناس روحًا ونسمة القدير تعلقهم] (أيوب٣٢: ٨) أي أن لدى الناس قدرة قد تجمع بهم إلى الهلاك ولكن الله يمنعهم.

٢- (الرأي) في سفر الأمثال: [الحكمة تنادي في الخارج قائلة إلى متى أيها الجهال تحبون الجهل، والمستهزئون يسرون بالاستهزاء والحمقى يبغضون العلم، ارجعوا عند توبيخي هاأنذا أفيض لكم وروحي أعلمكم كلماتي] (أمثال: ١: ٢٠-٢١).

[أفيض لكم روحى] أي أعطيكم فكرى ورأيي.

٣- (نفس الإنسان) في سفر الجامعة: [فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها] (جامعة١٢ : ٧)؟

(ترجع الروح) أي نفس الإنسان بعد الموت إلى الله.

٤ - (الإلهام) في سفر حزقيال: [حل عليّ روح الرب وقال لي: قال هكذا قال

الرب] (حزقيال ١١: ٥) (روح الرب) أي الإلهام من الله.

٥- (قوة الله) يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية [إن كان الروح الذي أقام يسوع من الأموات ساكنًا فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجساكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم] (رومية٨: ١١) إنه يقول: إن الله وحده هو الذي أحيا المسيح وهو وحده الذي سحييكم كما أحيا المسيح.

٦- (الخلق والإحياء) يقول أيوب (روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتنى) (أيوب ٣٣: ٤) أي أن الله خلقني بروحهِ وأحياني.

٧- (منزل الوحي على رسل الله) يقول بطرس [لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس] (بطرس الثانية ٢: ٢١) أي أن الروح القدس حرك الأنبياء والرسل.

وفي نظرة اليهود أن كل شيء يتعلق بالله يسمى إلهيًا لأنه مثلًا:

(أ) يتعلق بطبيعة الله، تقول قدرة الله وإرادة الله.

(ب) يكون في قدرة الله أو يخضع لإرادته وبهذا المعنى تسمى السموات في الكتب المقدسة (سموات الله).

(جـ) يوهب لله مثل معبد الله - قربان الله - خبز الله.

(د) يعبر عن أعلى الدرجات مثل جبال الله أي الجبال الشاهقة.

(هـ) ينقله الأنبياء إلى الناس مثل شريعة الله.

والله عز وجل له أسماء كثيرة حسنة منها: - الرحمن - الرحيم - الملك - السلام - الحق.. إلخ فإذا ما قلنا: روح الله، أو روح الرحمن، أو روح القدس أو روح الحق فإن المعنى واحد وهو شيء مستمد من الله وله تعلق به وغرض شريف، على العكس من ذلك إذا قلنا: روح الشيطان، أو روح إبليس، أو روح الشر فإن المعنى واحد وهو شيء مستمد من الشيطان وله تعلق وبه غرض

خبيث وبناء على ما تقدم: فإننا إذا قلنا: إن عيسى عليه السلام روح الله فإن ذلك لا يعني أكثر من نسبة عيسي إلى الله نسبة فيها تشريف وتكريم كما يقال بيت الله وشريعة الله وجبال الله وناقة الله، وبهذا المعنى عبر عيسي عن نبي الإسلام بلغة بني إسرائيل كما قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم:٤].

عبر بقوله: (بيريكليث الروح القدس) أي (أحمد) روح الله أي نبي الله المصطفى من الله والآتي بأمره والمنسوب إليه والمتعلق به. لا أنه آت من تلقاء نفسه أو آت للإضلال من قبل الشيطان. ويحمل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣ ﴾ [البقرة:٢٥٣] فإن الله تعالى أيد المسيح عليه السلام بمحمد ﷺ على الرغم من أن الناس قد شكوا في أمره فأظهر الله الحق على يديه.

ويقول سبينوز الفيلسوف: [هذه العبارات:

١ - كان روح الله في النبي.

٢ - أنزل الله روحه في البشر.

٣ - البشر مليء بروح الله أو بالروح القدس.

هذه العبارات لا تعني سوى أنه كانت للأنبياء فضيلة خاصة فوق المعتاد وأنهم كانوا يثابون على التقوى دومًا وكانوا بالإضافة إلى ذلك قادرين على إدراك فكر الله أو حكمه].

المبحث الثاني ـ المعزى: ـ

١ - يقول متى هنرى في تفسيره: إن أحد الآباء الأقدمين بين أن معنى المعزى هو (النائب عن المسيح) ويقول في تفسيره: إن بعض العلماء يظن أن

أحسن ترجمة لكلمة المعزى هي (نصير) يقول ما نصه: [عمل الروح القدس أن يكون نائبًا عن المسيح وشفيعًا لهم ولغيرهم للدفاع عن قضيتِهِ والدفاع عن مصالحة على الأرض أن يكون نائب المسيح كما دعاه أحد الآباء الأقدمين وأن يكون مدافعًا عنهم أمام مقاوميهم.. يظن أحدهم أن أحسن ترجمة للكلمة هي (نصير) ليعلمهم ويحميهم] ص ٣٠٨ - ٣٠٩ تفسير يوحنا - متى هنرى ويقوي متى هنري في نفس المرجع: [أن نفس كلمة (المعزى) في الأصل اليوناني تعني: يعظ أو يفصح].

٢- ويقول يوسيفوس: إن (مناحيم بن حزقيا) ادعى أنه (المسيا) في السنة السادسة من بعد الميلاد وكان يقول إنني مناهيم أي المواسى والمعزى. وقد لقب يوسيفوس أباه (حزقيا) بلقب (نقيب السراق) لأنه ادعى أيضًا أنه هو (المسيا) الذي تنبأ عن مجيئه موسى في الصحاح الثامن عشر من سفر التثنية.

٣- وقد ورد في كتب النصارى أن اليهود كانوا يطلقون لفظ المعزى أيضًا على المسيا الذي وعد بمجيئه موسى عليه السلام (تث ١٨ : ١٥) والذي أوضحنا من قبل أنه النبي ﷺ يقول متى هنرى : [كان أحد أسماء المسيابين اليهود (مناهيم) أي (المعزى) كان اليهود يسمون يوم المسيا سنوات التعزية] تفسير إنجيل يوحنا جـ ٣ ص ٣٠٨.

٤- والكلمة اليونانية التي وضع بدلها لفظ (المعزى) كما يقول الأب متى المسكين [كلمة يونانية قديمة مكونة من مقطعين الأول (بارا) يعنى أن المعزى ملازم، والثاني (كليتوس) ويفيد الدعوة للمعونة وهذا يعنى أن المعزى ملازم للدعوة ونبي الإسلام ملازم للدعوة إلى يوم القيامة. يقول تعالى في خطاب النبي ﷺ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥].

ويقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٦].

٥- وفي هامش كتاب إنجيل برنابا تعليقات عربية في النسخة الإيطالية على اسم (محمد) الذي بشر به عيسى صريحًا. وهذه التعليقات هي: [في لسان عرب: أحمد في لسان عمران: مسيى في لسان الاتن (اللاتينى) كنسلاتر. في لسان روم: ياركل تس] يعنى أن اللفظ المعزى: في اللغة العربية بدل أحمد وفي اللغة العبرية: المسيا وفي اللغة اللاتينية كنسولاتور وفي اللغة اليونانية باركلي توماس ومما لا شك فيه أن كاتبها من أهل العلم.

٦- ويقول الأنبا أثناسيوس أسقف بني سويف في تفسير يوحنا ص ١١٩: [إن لفظ بارقليط إذا حرف نطقه قليلًا يصير بيريكليث ومعناه: الحمد أو الشكر. وهو قريب من لفظ أحمد].

٧- ويقول الشيخ رحمةُ الله الهندي في كتابه إظهار الحق : [وصلت إلى رسالة صغيرة في لسان أردو من رسائل القسيسين في سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة وكانت هذه الرسالة قد طبعت في كلكته وكانت في تحقيق لفظ فار قليط وادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين إلى سبب وقوعهم في الغلط من لفظ فار قليط. وكان ملخص كلامه. أن هذا اللفظ معرب من لفظ يوناني وإن قلنا: (إن هذا اللفظ اليوناني الأصل (بيركلوطوس) بمعنى المعزى والمعين والوكيل وإن قلنا إن اللفظ الأصلي (بيركلوطوس) يكون قريبًا من معنى محمد وأحمد فمن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصلى بيركلوطوس. ومعناه : قريب من معنى محمد وأحمد فادعى أن عيسي عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد لكن الصحيح أنه باراكلي طوس].

وأقول: إن الخلاف بسيط للغاية بين (بارا) وبين (بير) فعلى الأول اسم من

أسماء المسيا صفة ولقبًا، وهو المعزى، وعلى الثاني اسم من أسماء المسيا دلالة وهو أحمد، وكلاهما منطبق على نبي الإسلام ويدل عليه.

والمتأمل في تراجم التوراة والإنجيل يجد اختلافات كثيرة كهذه أو أشد مما نعفى من المؤاخذة لو قلنا إنه بيركلوطوس وحرف عمدًا إلى باركلى طوس لئلا يدل صراحة على الاسم المبارك. خاصة ولهم مواقف واضحة في لبس الحق بالباطل. يقول الأب يوسف قوشاقجى في مقدمة كتابه (تعريب الإنجيل وأعمال الرسل) [عرب الإنجيل وطبع مدارًا منذ أن وجدت الطباعة وقد طالعنا تسع طبعات آية آية فوجدنا في كل منها القليل أو الكثير من العبارات الجيدة فحفظناها ولكننا وجدنا أيضًا أن الذين قاموا بها لم يحسنوا فهم المعنى أكثر من مرة وخالفوا كثيرًا من قواعد التعريب] ثم يقول في نفس الكتاب [أجمع الأدباء من مختلف اللغات في كل مكان وزمان على أن الترجمة فن صعب والذين يجيدونها قلة من كثرة وذهب بعضهم إلى القول أن كل مترجم خائن فليس من ترجمة مطابقة للأصل مطابقة تامة ذلك بأن المعاني سميت بحق بنات فكر الإنسان فهي كالإنسان روح وجسد يولد روحها وجسدها معًا كما يولد روح الإنسان وجسده معًا ويحاول المترجم أن يستل الروح من جسد اللغة ليجعلها في جسد آخر، وكلا الأمرين عسير، فاللغات يشبه بعضها بعضًا على قدر ما يختلف بعضها عن بعض كما تشبه الأمم والأشخاص بعضها بعضًا في أمور وتختلف في غيرها، ومقياس نجاح المترجم في عمله أن تكون ترجمة أمينة على الجوهر وعلى أقل ما يكون من الخيانة للغرض].

ويتكلم عن لغة عيسي التي تحدث بها في نفس الكتاب فيقول: [السيد المسيح كلم الناس بالآرامية أي العبرية الشائعة بين العامة، وقد تناقل المسيحيون الأوائل أقواله ورواية أعماله بتلك اللغة ثم دونوا كثيرًا منها بتلك

اللغة نفسها وترجمت بعدئذ على اليونانية وضاع الأصل الآرامي].

ويشير إلى حيرة المترجم بين الآراء المتعارضة في نفس الكتاب السابق فيقول: [إن كانت الصعوبة في ترجمة أكثر الكتب القديمة هي قلة ما يسهل للمترجم تفهم المعنى فالصعوبة الكبرى في ترجمة الإنجيل هي كثرة الأبحاث وتشعب آراء أهل الاختصاص فالمترجم يرى نفسه تجاه آراء مختلفة من أناس متصفين جميعًا بالعلم الغزير هذا يؤيد رأيه بالحجج والبراهين وذلك يؤيد رأيه بما لا يقل قدرة عن ذلك الرأى؛ فأنى للمترجم وهو أقل عملًا من الاثنين لأن يرجح رأيًا على رأي؟ فهو يضطر أحيانًا إلى إثبات الرأيين أولهما في المتن والآخر في ذيل الصفحة هذا ما شاهدناه في الترجمة الفرنسية للكتب المقدسة التى قام بنشرها الآباء الدومينكان في القدس، والغريب أن المترجم الواحد يبدل رأيه فيختار ترجمة يثبتها في الطبعة الأولى ويتركها في الطبعة الثانية].

وكلام الأب يوسف قوشاقجي في أن الآرامية لغة عيسي عليه السلام. وبهذه اللغة كتبت في الأناجيل معلومات وضاع الأصل الآرامي وبسبب ضياعه اختلفت معاني نذكر دليلًا عليه من كلام (ابن هشام) في السيرة النبوية وهو أن الاسم الذي فاه به عيسي عليه السلام هو (المنحمنا) بضم الميم وفتح الحاء والميم وتشديد النون مفتوحة باللغة السريانية ويترجم في اللغة اليونانية (البرقليطس) و أورد عبارات قبل ذكر الاسم وهي مذكورة في التراجم الموجودة حاليًا. قال ابن إسحاق في سيرة ابن هشام طبعة مصر ١٩٣٧ ص ٢٥١ جـ١ والنص في يوحنا [١٥ : ١٨، ١٦ : ١١] [وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسي ابن مريم فيما جاء من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة الرسول ﷺ مما أثبت بجنس الحوار (يوحنا) لهم حين نسخ لهم الإنجيل من عهد عيسي ابن مريم عليه السلام في رسول الله لهم أنه قال: [من أبغضها فقد أغضب الرب ولولا أنى صنعت

بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزونني (يغلبونني) وأيضًا للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجانًا، أي باطلًا: فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليّ وأنتم أيضًا لأنكم قديمًا كنتم معي في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا] والمنحمنا بالسريانية محمد. وهو بالرومية البرقليطس عليه الصلاة والسلام].

ولم يختلف النصارى في ترجمة اسم قدر اختلافهم في ترجمة (المنحمنا) سواء في التراجم العربية أو غيرها. وهذه نماذج من التراجم العربية وغيرها لهذا الاسم:

أولًا: يقول الأب يوسف قوشاقجي: [حار المعربون في كلمة يونانية لقب السيد المسيح بها الروح القدس يوحنا ١٤: ١٦ و ٢٦ - ١٥: ٢٦ - ١٦: ١٦: ١٧ فمنهم من ذكرها كما هي باليونانية مع بعض التحريف ومنهم من عربها:

١- بار قليط.. ٢- فار قليط (طبعة رومية ١٥٩١ وطبعة البر وباغندا ١٦٧١ وطبعة دير يوحنا الصايغ ١٧٧٦) ٣- المعزى وردت في ميمر (مقال) لتادوروس أسقف حران المعروف بأبى قرة. عنوان (في وجود الخالق والدين القويم). نشر في المشرق ١٩١٢ - ٤ - المحامى. ولا تعجب من ذلك فقد اختلفت الترجمات الأجنبية أيضًا في تلك الكلمة. قالت الترجمة الإنجليزية القديمة:

[Advccate] N.E.B.Comforter

أما الترجمة الفرنسية فإليك ما جاء فيها:

١- حفظت بعضها الكلمة اليونانية فقالت:

Paracle B.J.، Bouyer: le iveme evangile, le

٢- جاء في الكتاب المقدس:

Le defenseur: pirot

٣- جاء في الترجمة الفرنسية المعروفة باسم:

Le Consolateur : crarnpon

٤- وقال الأب Le Defndeur ثم قال في ذيل الصفحة:

Ou birn defeneseur Instercesseut, consolateur

٥- قال الأب L'assitant: Agape spivq

وذلك بأن هذه الكلمة تفيد جميع هذه المعاني وبعض هذه المعاني أصلح في بعض الآيات منه في الأخرى.

ثانيًا: ويقول المفسر متى هنرى: [إن نفس كلمة (يعزى) في الأصل اليوناني تعني يعظ أو ينصح] ثم يقول [لم تستخدم كلمة (بار قليط) إلا في أحاديث المسيح هنا وفي (١ يو ٢: ١) حيث ترجمت بكلمة شفيع بعض الكنائس الاحتفاظ بالأصل اليوناني بارقليط] ويعلق في الهامش على كلمة (شفيع) فيقول: محامى Advocate حسب الترجمة الإنجليزية] ص ٣٠٦ - ٣٠٧ تفسير يوحنا.

ثالثًا: ويقول الدكتور القس أ.ب سمبسون (الاسم المعزى: ليست الترجمة مدققة جدًا).

وإلى هنا نكتفي في ترجمة الاسم ونقول: إن لفظ المعزى أو الباراكليت يدل دلالة واضحة على شخص بشري قد نبه على مجيئه عسي من بعده والدليل على ذلك فوق ما تقدم:

يقول الأب متى المسكين في كتاب الباراكليت الروح القدس في حياة الناس ص ١٢ - ١٣ [حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها كما وردت في النصوص التفسيرية نجد المعنى ينحصر في الصفة القضائية للشخص الذي

يمكنه القانون من الدفاع والمحاماة والشفاعة عن آخر] وقد وردت في اصطلاحات الربيين اليهود بهذا المعنى وبالذات في كتابات العلامة فيلو اليهودي وإنما كانت تنطق باللغة العبرية هكذا (البيرافليطا) وهذا النطق عينه هو الذي اشتق منه نطق الكلمة العربية (البيراقليط) لأن اللغة العربية تميل إلى الأخذ من اللغة العبرية القديمة أكثر من اللغة اليونانية ووردت أيضًا بهذا المعنى في كتابات الآباء الرسوليين وبالذات في رسالة برناباس (برنابا) وتوجد وثيقة في كنيسة فينا لبوسابيوس القيصرى وردت فيها كلمة الباراكليت كصفة أطلقت على شخص تبنى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المتهمين بمسيحيتهم وهى مقالة ممتعة فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص واسمه (فينوس ايب أجاتوس) بالبراكليتى لأنه حامى عنهم وتشفع لهم جهارًا معرضًا حياته للهلاك.. وهذه الوثيقة تصور كلمة الباراكليت تصويرًا واقعيًّا حيًّا إنما على مستوى بشرى).

٢- ومما يدل أيضًا على أن لفظ المعزى أو باركلى طوس أو فار قليط أو باراكليت يعنى شخصًا بشريًّا: ما ورد في كتب النصارى في القرون المسيحية الأولى وهو أن كثيرًا من مدعى النبوة ظهروا والتفت حولهم أتباع ومنهم من سمى نفسه بالباراكليت الذى وعد به عيسى عليه السلام ونكتفى بالحديث عن اثنين منهم هما: مونتانوس ومانى يقول القديس الفرنسوس ماريا دي لبكورى في كتابه (تاريخ الأرطقات مع دحضها المعنون انتصار الديانة) وهو أروسي (مجلد ٢ ك ٤ عدد ١٧) في أردابا وهى قرية صغيرة من مسيا ولتظاهره بأفعال خارجة قد شاع سيطه بالقداسة ولما كان هايما إلى الولاية سلم ذاته إلى الشيطان فتشيطن وطفق بهذه كغايب عن حسه بكلمات مهملة ويتنبأ ضد تقليدات الكنيسة فمن كانوا يسمعونه متكلمًا على هذا النحو بعضهم كان يعتبره معتريًا من روح

ضلالة وبعضهم يخاله نبيًّا فتركوا ذواتهم على هذا النحو ينخدعون محرضيه ليتكلم حتى لم يعد يكبح نفسه عن شيء.

ثم اتفق مع امرأتين نجستين اسم الواحدة برسيكا أو بريثيلا واسم الأخرى مكسيميلا وكان مستوليًا عليهن روح الضلالة نفسه وكانت تتكلمان كمونتانوس بهذيان وأنواه غير معتادة وكان مونتانوس يقول إنه وبنتيه قد أخذوا من روح الله الذي كان مع الآخرين بنوع غير كامل معكسًا ما كتبه الرسول إلى فورنتيه [يقصد بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣ : ٨ ولاحظ الفرق بين قورنته المترجمة حاليًا لدى البروتستانت كورنثوس لنرى تحاملهم على لفظ باراكلي طوس ولفظ بيركليتوس] (أننا نعلم قليلًا من كثير ونتنبأ قليلًا من كثير) ولذا كانوا يفضلون أنفسهم على الرسل قائلين: إنهم قبلوا بالتمام الباقليط الذى وعد به يسوع المسيح).

وقال عن رجل آخر اسمه مانى: (مانى كان أبا المانيين ودعي كذلك لأنه نسب إلى ذاته لقب البار قليط كما فعل مونتانسو لكي يخفى دناءة حاله إذ كان أسيرًا في بلاد فارس، ولما أعتق من هناك تبنى لعجوز فأرسلته يتهذب بالعلم حيث لم يستفد شيئًا أو استفاد قليلًا ولما كانت قحته أكثر من علمه طفق يبدع بدعة جديدة واستطاع ذلك بارونيس في تاريخ سنة ٢٧٧ عدد اوتطاليس اسكندر مجلد ٧ رأس ٨ جزء ٩ فصل ١٠).

وصاحب تاريخ الأقباط يؤيد هذا غير أن يختلف معه في السنة التي ظهر فيها مانى فيقول: (ولد مانى سنة ٣٣٩ ميلادية وكان: مجوسيًّا ثم اعتنق المسيحية فأراد أن يجمع بين معتقدات المجوس ومعتقدات المسيحية وأشاع بين الناس سنة ٢٦٨ ميلادية أن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصًا وأنه هو الذي سيتمه لأنه هو (الباراقليط) وتشبه بالمسيح فاتخذ لنفسه اثنى عشر تلميذًا واثنين

وسبعين أسقفًا وأرسلهم إلى بلاد الشرق حتى الهند والصين ليذيعوا تعاليمه فانخدع بأقواله وتبعه من الناس عدد عظيم).

٣- ومما يدل على أن لفظ المعزى أو (الباراكليت) أو (المعزى) يعنى شخصًا بشري الأوصاف التي وردت في النص وسنشرحها فيما بعد.

وبعد ما وضح لنا أن (الباراكليت) أو (المعزى) يعني شخصًا بشريًّا وكان اللائق أن ينطقوه (بيركليت أو (بيركليتوس) هل لما أن نقول أنه اسم: أحمد نبي الإسلام أم نكتفي بقولنا: إنه يعنى لقبًا لنبي الإسلام كما يعنى لفظ المسيا لقيا؟ الحق: أنه اسم أحمد الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦] ومن قال ذلك من علماء المسلمين:

١- الإمام فخر الدين الرازي في تفسير ما صورة الصف.

٢- أن فريقًا من النصارى الأوائل أشاروا إلى أن لفظ (الباراكليت يعنى: الحماد أو الحامد، ولما نقل ذلك عنهم (أبو الفضل المالكى السعودى) قال ما نصه: (انظر- أرشدك الله - إلى هذه الجمل وما فيها من (الفار قليط) الذى هو روح الحق وتارة روح القدس المعلم فيها من (الفارقليط) الذي هو روح الحق، وتارة روح القدس المعلم كل شيء هو محمد رسول الله لأن النصارى اختلفوا في تفسيرها على أقوال فقيل: إن الحماد وقيل الحامد وقيل المخلص فإن فرعنا عليه فهو مخلص الأمم من العذاب ومن الكفر والمعاصى) ص ١٤٦ - ١٣٧ المنتخب الجليل من تخجل من حرف الإنجيل.

والكاثوليك في تعليقهم على لفظ (الباراكليت) ينكرون على من قال من النصارى بمعنى الحمد فيقولون (ليس في المتن الأصلى شيء من معنى الحمد) حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك المجلد الثالث ص ٤٨٢.

ونرد عليهم بما يلي: -

أولًا: في عبارات يوحنا عن الروح القدس هذه العبارة (روح الحق الذى من عند الأب ينبثق) (يوحنا ١٥: ٢٦) وأنتم تقولون: لا نحترم النص؛ لأنه منبثق - عندكم - من الأب والابن فلماذا مع أن النص واضح في انبثاقه من الأب وحده كما يرى منه؟ وإذا كنتم تخالفون في نص ظاهر كهذا أفيستبعد عليكم التمويه والتشويش؟! إنهم حينما يقولون (باركليتوس) لا (بير كليتوس) والحروف متقاربة كما ترى. يدل اللفظ الذى استبعدوه على إدانة لهم.

ثانيًا: أسماء الأعلام نادرا ما تتفق التراجم فيه على لفظ واحد. مثال ذلك في إنجيل يوحنا نفسه اسم (بارباس) في النسخة البروتستانتية وفي النسخة الكاثوليكية (بارأبا) (يوحنا ١٨: ٤٠) والاسم (المسيا) في البروتستانية، وفي نسخة الكاثوليك (ماشيح) (يوحنا ٤: ٢٦) وفي التوراة الاسم (شيلون) وفي البروتستانتية (إلى فيملون كتبت من رومية) لا يوجد في ترجمة الكاثوليك (فيملون) - (كريسكيس) بروتستانت (كرسكاس) - كاثوليك (٢ تيمو ٤: ١٠) - (كلافدية) بروتستانت - (كلودية) كاثوليك (بولس الثانية إلى ثيموثاوس ٤: ٢١) - (فيليتس) بروتستانت - (فيلاتس) كاثوليك (بولس الثانية على ثيمو ثاوس ٢: ١٧) (ينيس) (يناس) - (يمبريس) - (يبمراس) - (نيكوبولي) (نيكويلس) وفي نسخة البروتستانت (خادم للملك) وفي القبطية (إنسان ملكى) وفي الإنجليزية (رجل نبيل) - وفي البروتستانت (وأيضًا: أقول لكم لأن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة) و (من الآن) تترجم في اليونانية (بعد وقت قصير) و (أيضًا) تترجم في الإنجليزية (بالرغم من هذا) (متى ٢٦: ٦٤).

ثالثًا: اللفظ العبري الذي نطق به عيسى عليه السلام هو كما ذكر الأب متى

المسكين: (البيراقليط) وهو الذي يهمنا بيانه وهو باعترافه مكسور الباء وبعده باء فلو ترجم إلى اليونانية ستكون الترجمة (بيركليتوس) وليست (باركليتوس) وعليه فإن (بير) هي اللفظ الذي عليه الإشكال في الترجمة.

رابعًا: إن اللغة اليونانية تزيد حرف السين آخر كل اسم وتزيد حرفًا يناسب هذا الحرف في النطق لتحسينه. مثال ذلك: (بومبى) يقولون (بومبيوس) و (يوسف) المؤرخ اليهودي الشهير يقولون (يوسيفوس) فقد زادوا باء قبل الفاء. ومع أن النصارى يقولون إن المسيح نطق باراكليتوس لئلّا يعترفوا باسم (أحمد) تجد تراجمهم اليونانية إلى الآن تترجم بزيادة السين على الكلمة وهذا يدل على أن الكلمة في الأصل: اسم. ولو كانت صفة ما زادوا السين على الكلمة.

ومن التراجم الإنجليزية عن اليونانية التي ذكرت باراكليتوس: بالسين ترجمة الكسندر المشار إليها في المصادر والمراجع.

٣- [ويروي الشيخ عبد الوهاب النجار أنه سأل المستشرقين التلياني (كارلويثنو) الحاصل على الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة: (ما معنى بيريكلتوس) أجابه أن القسس يقولون: إن هذه الكلمة معناها المعزي: قال له إني أسأل الدكتور كارلونلينو ولا أسأل قسيسًا. قال إن معناها الذي له حمد كثير. فقال: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد؟ قال: نعم] ص ٣٩٧ - ٣٩٨ قصص الأنبياء.

٤- وقد ذكر أستاذنا الدكتور محمد أبو شهبة هذه المحاورة التي جرت بين الشيخ وكارلونلينو وعلق عليها في: [كتاب السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة] بقوله: وصدق الله حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾

[الصف:٦] وذكر كلام يوحنا وعلق عليه بقوله: (هي بشارات تكاد تكون نصًّا في الإخبار بنبوة خاتم الأنبياء. ومع وضوح هذه البشارات فقد أرهق اللاهوتين النصارى أنفسهم وما يزالون ابتغاء العدول بها عن قصدها).

المبحث الثالث: وجهة نظر النصارى في المعزى:

يقول الكاثوليك: إن الروح القدس - وهو المعزى الذي هو باراكليت - إله من آلهة ثلاثة منفصلة هي: الآب والابن والروح القدس [ويقول الكاثوليك في شرح يوحنا ١ : ١ (والكلمة كان عند الله يعني أن الكلمة متميزة عمن ولده؛ فالأب غير الابن، والابن غير الأب، ومع ذلك فهما شيء واحد في الطبيعة والذات والحكمة) ص ٤٧٩ المجلد الثالث حواش على الكتاب المقدس للكاثوليك] وإن لفظ المعزى أو الباراكليت لفظ أطلق على الروح القدس الذي هو الإله الثالث بمعنى : أن عيسى الإله الابن لما أراد أن يصعد إلى السماء ليجلس بجوار الله الآب وعد بإرسال الإله الثالث ليمكث في الأرض.

ويقول الأرثوذكس: إن الروح القدس هو (الباراكليت) وهو المعزى هو الله نفسه. ذلك أن تصوير مذهبهم في العقيدة هكذا : الله ﷻ قد نزل من السماء ودخل بطن مريم العذراء وظل في بطنها تسعة أشهر ثم خرج من المخرج الطبيعي للأنثى ولدًا. اسمه عيسى. فعيسى هو الله ﷻ في صورة بشرية ثم قتل وصلب وصعد إلى السماء وصار اسمه الروح القدس كما كان قبل إنشاء العالم [استنادًا على نصوص من كلام بولس (عبرانيين ١ : ٣ أفسس ٣: ٩ الأولى إلى تيموتاوس ٣: ١٦) الله ظهر في الجسد)] وإلى مذهب الكاثوليك يشير القرآن الكريم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة:٧٣] وإلى مذهب الأرثوذكس يشير القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ

ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة:٧٢].

وإذا سألنا الجميع: متى نزل الروح القدس الإله الذي يدعون أنه الباراكليت؟ وفي أي مكان؟ وماذا حدث منه في نزوله؟ لأجابوا بما يلي:

(أ) ظل عيسى في القبر ثلاثة أيام ثم قام من الأموات. وصعد إلى السماوات ثم نزل منها وظهر للتلاميذ وتحدث معهم عن ملكوت الله مدة أربعين يومًا وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الأب (أعمال الرسل ١ : ٤) ثم صعد وإلى الآن لم ينزل.

(ب) وبعد عشرة أيام من الصعود الأخير أي بعد خمسين يومًا من قيام عيسى الأول من الموت وحينما كان يجتمع نحو مئة وعشرين شخصًا من النصارى في منزل واحد في أورشليم ومعهم مريم العذراء ﵍ يذكرون الله ويسبحونه يقول لوقا: [لما حضر يوم الخميس كان الجميع معًا بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقون] أعمال الرسل (٢: ١ – ٤).

(جـ) هذا الصوت الفظيع مثل العاصفة الشديدة الذي جعل لهم ألسنة غير ألسنتهم ولغة غير لغتهم. هذا الصوت كان من تأثير الروح القدس الإله الثالث حال نزوله. وقد امتلأ الجميع من الروح القدس. وأصبحوا ينطقون بجميع لغات العالم. وهذا الروح القدس الإله هو الباراكليت الذي وعد به عيسى ﵇ ويعبرون عنه بـ (موعد الأب).

يقول الأنباء أثناسيوس: (البارقليط هو روح الله القدس نفسه المعزى. البارقليط = المعزى (الروح القدس الذي يرسله الأب باسمي) (يوحنا ١٤:

٢٦) وهو الذي نزل عليهم يوم الخمسين (أعمال الرسل ٢: ١ - ٤) فامتلأوا به وخرجوا للتبشير وهو مع الكنيسة وفي المؤمنين وهبة ملازمة للإيمان والعماد (ص ١٢٠ تفسير يوحنا - الأنبا أثناسيوس)).

المبحث الرابع: الرد عليهم:

أولًا: ليس في الأناجيل الأربعة إشارة إلى أن الروح القدس الإله ينزل ويبلبل السنة التلاميذ والذي فيها عن الروح القدس هو الإلهام والتأييد. يقول عيسى لتلاميذه: (وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف؟ أو بما تتكلمون؟ لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمون بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم) (متى ١٠: ١٨ - ٢٠).

هذا الروح هو إلهام الله وتأييده لأن هذه العبارات أوردها لوقا هكذا : [وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي فيؤول ذلك لكم شهادة فضعوا في قلوبكم : أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا لأني أنا أعطيكم فمًا وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها] (لوقا ٢١: ١٢ - ١٥).

يقول كثيرٌ من المفسرين في شرح سفر أعمال الرسل ص ٣٧ [إن التضليل في حقيقة الروح القدس لم يكتب إلا في سفر أعمال وهو كتاب تاريخي لا تعليمي عقائدي] يقول الدكتور [لورانس بزاون] وكثير من المفسرين: وإذا أمعنا النظر في هذا السفر نجد أنه كتب لأغراض بولس العدائية لدين عيسى الصحيح. ودليلنا على ذلك:

١ - أن أقدم نسخة خطية اعتمدت لهذا السفر قد كتبت في القرن الرابع الميلادي. يقول الدكتور لوران براون: [وفيما يختص بسفر الأعمال يتبين لنا من مجموعات المخطوطات التي بأيدينا: أنه كان في القرن الثاني بعد الميلاد

نموذجان من النصوص تناوبتهما الأيدي ومن الطبيعي: أن الأدلة المأخوذة من المخطوطات ذاتها لا تمدنا بأية معلومات إلى ما قبل القرن الرابع، وهو التاريخ الذي كتبت فيه أقدم تلك المخطوطات] نفس المرجع السابق ص ٢٠.

٢- يقول متى هنري في تفسير إنجيل لوقا جـ ١ ص ٥ [إن لوقا الذي يقولون إنه كاتب سفر الأعمال ما كان يهوديًّا مقيمًا في أورشليم (هو الوحيد بين كتبة الكتاب المقدس الذي لم يكن من نسل إسرائيل بل كان يهوديًّا دخيلًا وحسب رأي البعض اعتنق المسيحية على يد بولس في أنطاكية وبعد مجيئه إلى مقدونية (أعمال الرسل ١٦: ١٠) صار رفيقه الملازم له، وقد درس الطب ومارسه. ولهذا قال عنه الرسول بولس: لوقا الطبيب الحبيب)] كورنثوس (٤: ١٤).

٣- لما كان صديقًا لبولس ولم يكن من أورشليم نفسها ولا مشاهد الحادثة كتب هذا بالتأكيد إن كان هو الكاتب بإملاء من بولس ويؤكد هذا: أن بولس لما سجن وكتب رسائله وهو في السجن قال في إحدى الرسائل: (لوقا وحده معي) تيموتاوس الثانية (٤: ١١) وإذا عملنا أن بولس هذا ألغى دين موسى وعيسى بجرة فلم لا يكون لدينا شك في هذا الإملاء للتضليل في فهم حقيقة (البيركليت) يقول بولس: (فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب، ومن جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة) كورنثوس (٢: ١٦ - ١٧) إنه يقول كل ما تشاء واشرب ما لذ وطاب. ولا تهتم بالأعياد اليهودية ولا تقدس يوم السبت في حين أن عيسى يقول: (ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء) متى ٥: ١٧.

٤- إن سفر الأعمال لم يهتم بإبراز نشاط التلاميذ الأحد عشر ولم يشر إلى شيء من أعمالهم إلا عن بطرس فقط كتب عنه بإفاضة مما يدل على أن السفر موضوع لخدمة الكنائس الغربية؛ لأنهم يعظمون بطرس وفي أحضانها أقرت

العقائد النصرانية ولم يشر هذا السفر إلى نشاط المسيحيين الأوائل في منطقة الجليل التي يدعون أن فيها كانت موعظة الجبل أول موعظة لعيسى فيما روى (متى ٥: ٦ - ٧) وفيها أشبع الألوف من الجياع.

والمتأمل في سفر الأعمال يجد من الإصحاح السادس إلى الأخير وهو الثامن والعشرين حديثًا مركزًا عن نشاط بولس في أسفاره ورحلاته التبشيرية حتى إنه ليخيل إلى القارئ وإلى السامع أن هذا السفر قد كتب من أجله.

ثانيًا: المتأمل في نشاط النصارى الأولين يجد كثيرًا من الناس قد قاوموا بدعة ألوهية عيسي ﷺ ونكروها إنكارًا تامًّا حتى إنه قد عقد مجمع (نيقية) لهذا الغرض في سنة ٣٢٥م ووضع فيه جزء من قانون الإيمان وقاوموا أيضًا بدعة ألوهية المعزى الروح القدس وأنكروها إنكارًا تامًّا. حتى إنه قد عقد مجمع (القسطنطينية) لهذا الغرض في سنة ٣٧٣م ووضع فيه جزء من قانون الإيمان وفي هذا دليل على أن هاتين البدعتين لا أساس لهما من الصحة.

يقول القس إلياس مقار [والروح القدس هو ذات الله وشخصه، والتاريخ الكنيسي يؤكد أن اعتقاد الكنيسة في لاهوت الروح لم يتزعزع قط على الإطلاق، وإن كان قد وجدت تلك القلة الضئيلة التي زعمت مع آريوس أنه دون الله أو ماكيدونيوس سنة ٣٦١م القائل بأنه قوة الله وليس شخص الله ذاته أو تلك التي لم تنكر لاهوته وإن كانت قد أنكرت أقنوميته فقي ذات الله كسباليوس وأشياعه وأذنابه من الموحدين ممن ينكرون فكرة وعقيدة الثالوث عند المسيحيين ولكن الرأي الثابت والدائم في الكنيسة المسيحية على مختلف العصور هو أن الروح القدس ذات الله وهو الأقنوم الثالث في شخص اللاهوت العظيم] ص ١٨١ إيمانى.

يقول حبيب جرجس: [حدث في سنة ٣٧٣م أن مكيدونيوس بطريرك

القسطنطينية ألحد وهرطق ضد الروح القدس واعتقد أن الابن ليس مساويًا للأب في الجوهر. بل يشبهه في كل شيء وأن الروح القدس مخلوق خادم للابن فأمر الملك تاودوسيوس الكبير باجتماع مجمع لادحاض هذه البدعة] ص ٩٩ - ١٠١ خلاصة الأصول الإيمانية.

ثالثًا: لننظر في الأوصاف التي ذكرها عيسي عليه السلام عن بريكليت ونرى هل ينطبق على شخص بشري أم على روح سماوي؟ هل تنطبق على نبي الإسلام أم على الروح القدس الإله؟ وقبل أن نبدأ كلامنا عن هذا الأمر نشير إلى أمر مهم وهو أن المخاطبين من التلاميذ ليس لهم الخطاب وحدهم بل الخطاب لهم ولكل أتباع عيسى ممن يؤمن به وبإنجيله في كل زمان ومكان بدليل: أنه قال عن تلاميذه مخاطبًا الله عز وجل [كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضًا من أجل الذين يؤمنون بكلامهم ليكون الجميع واحدًا] (يوحنا ١٧ : ١٨-٢١).

ثم نقول:

لقد مهد عيسى لهذا الوعد بأنه يجب عليهم حفظ وصاياه والعمل بها ويجب أن يبوحوا بتعاليمه بأمان وبإخلاص فقال: (إن كنت تحبونني فاحفظوا وصاياي) وفي هذا إشارة إلى أن (بيركليت) سيكون آتينًا للوعظ والنصح والإرشاد مثلهم وهم يمهدون الطريق ليقبل الناس على دعوته وقد رأينا سابقًا أن من معنى (المعزى) النصح والإرشاد والمحاماة والتأييد فكان النبي الآتي مؤيد لدعوة عيسى الحقيقية ومثبتًا لها وناصحًا ومرشدًا ومدافعًا عن حق الناس في معرفة الله معرفة صحيحة، وفي هذا إشارة بظهر الغيب على أن النصارى ربما يحملهم المال والجاه على أن ينكروا هذا النبي لمالهم ولجاههم.

٢- إنهم يقولون إن الروح القدس الإله مساويًا للأب والابن في اللاهوت.

فإذا صعد عيسى ونزل الروح القدس يلزم أن يكون الروح القدس هو عيسى للاتحاد في اللاهوت وبناء عليه: لا ينصرف لفظ (آخر) إلى الروح القدس بل ينصرف إلى نبي الإسلام؛ لأنه شخص آخر غير شخص عيسى عليه السلام ولأن عمله يشبه عمل عيسى في الدعوة إلى الله وقد كان مزمعًا أن يغادرهم فقد وعدهم بمن سيقوم بنفس المهمة ليعلمهم ويحميهم.

٣- (ليمكث معكم إلى الأبد) أي تظل شريعته إلى يوم القيامة وهذا الوصف متحقق في نبي الإسلام لأنه أعلن أنه خاتم النبيين وإلى الآن لم يظهر ما يكذب هذا الإعلان ولا ينطبق على الروح الإله لأن عيسى عندهم هو الإله وهو الروح القدس فكيف يصعد وينزل ليمكث معهم وما الداعي لأن يصعد وينزل باسم آخر؟ وهل تخلى الله عن البشرية من يوم أن خلقها؟! أليس هو مع الناس بعلمه في كل زمان ومكان قبل خلق عيسى ومن بعده؟

٤- (روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه) هذا النبي الآتي سيأتي برسالة حقيقية من الحق جل جلاله وسوف ينير أذهانكم بمعرفة الحق الذي انحرف اليهود عنه، وبانحرافهم ضل العالم ولجئوا إلى معتقدات بشرية وكل يدعي أنه على حق ولكن الحق الحقيقي مع هذا النبي (والعالم لن يقبله) لأن العالم يموج من الشر والفساد والناس يسعون على الدنيا وشهواتها غير مبالين برسالات السماء ولكنكم أيها التلاميذ ستعرفونه بكلامي هذا وبما قلت لكم عنه سابقًا.

وهذا الوصف لا ينطبق على الروح القدس الإله لأن أهل العالم واليهود من أهل العالم ـ يعرفونه الله أكثر من معرفتهم لنبي الإسلام وكان الصواب أن يقول : (وأما أنتم فترونه وتعرفونه) ولأنه قد حذف الرؤية يكون مقصود بالمعرفة المعرفة الحقيقية لأتباعه الموجودين في زمن ظهور النبي ﷺ لا الرؤيا

البصرية وهذا معناه أن النبي إذا جاء لن يعرفه أهل العالم معرفة حقيقية وأتباعه سيعرفونه معرفة حقيقية لأن عندهم خبر عنه من الإنجيل.

وقد ورد في الإنجيل لفظ الرؤيا مرادًا به المعرفة، ولفظ المعرفة مرادًا به الرؤيا، فقد روى يوحنا أن عيسى قال للتلاميذ: [لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا ومن الآن رأيتموه. قال له فيلبس: يا سيد أرنا الأب وكفانا. قال له يسوع: أنا معكم زمانًا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس الذي رآني فقد رأى الأب] (يوحنا: ١٤- ٧) فقوله: (لو كنتم قد عرفتموني) معناه لو عرفتموني معرفة حقيقية؛ لأن الناس رأوه وعرفوه. واليهود كانوا يريدون قتله.

وقوله: (ومن الآن تعرفونه) معناه: أنهم يعرفونه حقيقة. وقوله: (قد رأيتموه) معناه: عرفتموه من قبل لأن رؤية الله مستحيلة؛ لقوله: (الله لم يره أحد قط) (يوحنا ١: ١٨) ولأنه في التوراة يقول الله لموسى (لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش) (خروج ٣٣: ٢٠).

وقوله: (الذي رآني فقد رأى الأب) معناه: الذي عرفني معرفة حقيقية يعرف الله معرفة حقيقية لأنه أرسلني.

٥- وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم قوله: (ماكث معكم) معناه: يمكث معكم بشريعته وهذا لا ينطبق على الروح الإله لأن الروح الإله - على زعمهم - لو كان هو ما كنا فلماذا يعدهم بنزوله عليهم؟؟

ومن شأن الإله أن يكون من قبل المخلوقات ماكثًا ويكون معهم ماكثًا إلى الأبد ليعلم سرهم ونجواهم، وهذا القول من أقوى الإشارات على بطلان قولهم بنزول الإله، والمعنى الصحيح لهذا القول تفسره الجملة التالية وهي: (ويكون فيكم) أي يكون فيكم مستقبلًا أيضًا على معنى أنه يمكث معكم بشريعته، وعبر عيسى عليه السلام بصيغة الحال ولم يعبر بصيغة المستقبل ليدل على أن

ذلك آت لا ريب فيه. ونظير ذلك قوله: (أنه تأتي ساعة وهي الآن حيث يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون) (يوحنا ٥: ٢٥) فقد دل بـ الآن على اقتران مجيئها.

٦- (الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني) هذا تأكيد على أن نبي الإسلام آت لأن الله هو الذي قال ذلك له، ولو كان ذلك للروح الإله ما كان من داع لهذا التأكيد، والأب كلمة عبرية بمد الهمزة تعني الأب في اللغة العربية، وليس هذا اعتراف من المسيح عيسي عليه السلام بأن الله أبوه على الحقيقة. بل اعتراف بالبنوة المجازية. كما هي عادة بني إسرائيل في النطق التعبير فلقد كتبوا في توراة موسى عليه السلام أن الله خاطبهم بقوله: (أنتم أولاد الرب إلهكم) (تثنية ١٤: ١١).

٧- (بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم) وهنا نجد أن رسالة عيسي عليه السلام تنتهي عند مجئ المعزى؛ لأنه يشجعهم بأن ينتظروا معلمًا آخر ويخبرهم بأن هذا النبي الآخر سيرسل من قبل الله بناء على طلب من عيسى نفسه وذلك أدعى لاحترامه متى جاء لأنه دعوة الله من سيدهم ومعلمهم.

ويعرفهم بأن هذا النبي سيعلمهم كل شيء ويذكرهم بكل ما قاله عيسى لهم ومجئ نبي الإسلام من الله باسم عيسي يلزم أتباع عيسى بشريعة هذا النبي والدخول معه في دينه لأنه لم يأت من تلقاء نفسه، ولأنه عظم عيسي ودعوته الحقيقية وأشار إلى نزاهته وبراءته هو وأمه من العيوب التي اختلقها اليهود زورًا وإثمًا وقوله عن الأمر الأول (يعلمهم كل شيء) يلزمهم هذا القول بترك القديم الذي يعلمونه به ويكتفون بكل شيء جاء به هذا النبي أي يتركون الشريعة القديمة ويتمسكون بالشريعة الجديدة، والأمر الثاني وهو (يذكرهم

بكل ما قاله لهم) فإنه يفيد أنهم سينسون شيئًا مما قاله عيسى ﵇، ولقد نسوا أشياء كثيرة كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة:١٤] ولما جاء نبي الإسلام كان معلمًا ومذكرًا. وهذا الوصف بالتعليم والتذكير لا ينطبق على الروح الإله في يوم الخمسين لأنه لم يعلم ولم يذكر بل بلبل ألسنة التلاميذ وانصرف ولم يفه بكلمة واحدة.

٨- (وقلت لكم الآن قبل أن يكن حتى متى كان تؤمنون) هذه العبارة تفيد التعظيم للنبي الآتي لأنهم لو عرفوا لماذا يأتي وما في دعوته من اليسر لفرحوا فرحًا عظيمًا. وهذه العبارة تمهيدًا لما سيقوله بعد من وجوب إيمان أتباعه به واعتناق مبادئه. أتباعه الذين يكونون حال ظهور هذا النبي العظيم، ولا ينطبق هذا القول على الإيمان بالروح الإله؛ لأن الروح الإله هو نفسه عيسى وهم كانوا مؤمنين به كما في اعتقادهم وإنما هو ينطبق على صاحب شريعة يلزمهم عيسى باعتناقها ويؤكد هذا قوله بعد: (كما أوصاني الأب هكذا أفعل).

٩- (ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي عند الأب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء) هذا الكلام لا يصح انطباقه على الروح الإله لأن الإله لا يرسل إلهًا مثله.

والمعنى: أن هذا (البيريكليت) سيأتي من عند الأب وحده وعيسى ﵇ سيطلب من الله إرساله ليفيد تلاميذه أنه يجب عليهم احترامه وتوقيره أنه تسبب في إرساله إليهم من الله. وهذا كما يطلب الطالب من ولي الأمر أن يرسل رسولًا أو يولي نائبًا أو يعطي أحدًا.

فيقول: أنا أرسلت هذا ووليته وأعطيته يعني أنه كان سببًا في ذلك والله

سبحانه إذا قضى أن يكون شيئًا ما فإنه يهيىء له أسبابًا يكون بها ومن تلك الأسباب: دعاء بعض عباده بأن يفعل ذلك فيكون. ومن أمثلة ذلك أن الله تعالى وعد نبي الإسلام بالنصر في غزوة بدر الكبرى ومع ذلك كان النبي يدعو ويقول: «اللهم فنصرك الذي وعدتني».

وهذا (البيريكليت) عبر عنه عيسى بأنه روح الحق وأنه سيظهر من قبل الله وحده وسيستمد شريعته ودعوته من الله وحده. وهذا البيريكليت سوف يشهد لعيسى بالنبوة وأنه عبد الله ورسوله وهذه علامة نطق بها عيسى عليه السلام ليعرف بها صدق نبي الإسلام على معنى: إن شهد بفضل عيسى ونبوته كان صادقًا وأن جاء ولم يشهد بنبوة عيسى ولم يعترف بفضله يكون كاذبًا. وأنتم أيها التلاميذ ومن يأتي من بعدكم تشهدون معه بنبوتي وأني كنت بشرًا كسائر البشر لأني أخبرتكم حين كنتم معي أول الأمر.

وهذه الشهادة لم تحدث من الروح الإله حين نزوله لأنه لم يزد عن بلبلة الألسنة شيئًا والتلاميذ في ذلك الوقت كانوا يعرفون عيسى ولا حاجة لهم في معرفته بشهادة الروح الإله.

والنص اليوناني هكذا: (يشهد لي وتشهدون أنتم أيضًا) يقول متى هنرى في تفسير يوحنا ص ٦ جـ٤ [وهذا يعني أن النصارى يضطرهم الناس إلى هذه الشهادة هل نبي الإسلام صادق أم لا؟ وحسب هذا النص فإن الروح الإله لما نزل يوم الخمسين لم يطلب منهم الشهادة ولم يضطرهم إليها ولم يطالبه من الحاضرين أحد بها].

١٠- (لكني أقول لكم الحق: أنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسله إليكم) كان انطلاق عيسى عليه السلام هو لكي يأتي المعزى ولماذا الانطلاق للمجيء لأن هذا الأمر استقر هكذا في إرادة الله عز

وجل ولا تبديل لكلمات الله وهذا لا ينطبق على الروح الإله لأن عيسى هو الإله في نظرهم فما فائدة صعوده ليأتي في ثوب جديد؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا حزنت التلاميذ لفقده إذا كان هو هو؟ ولماذا عبر بالخيرية إذا كان الروح نفسه عيسى وكيف يكون في مجيئه الثاني أفضل منه في مجيئه الأول وهذا الوصف متحقق في نبي الإسلام لأن رسالته سهلة وميسرة وباقية إلى يوم القيامة ومصونة عن التحريف، والتوراة كانت شريعة محرفة ولم يكن مع عيسى شريعة غيرها لقوله: (ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء) (متى ٥: ١٧).

١١- (سيخرجونكم من المجامع) المراد بالمجامع: أماكن العبادة لاجتماع الناس ويعني أن اليهود سيضطهدون التلاميذ ويحرمونهم من الوظائف الدينية الرسمية.

١٢- (ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر ودينونة) (يفحم) حسب ترجمة اب جورد فاخوري البولسي بلبنان بدل يبكت يقال سيكون من شأنه توبيخ العالم بحيث يفحمهم عن الرد عليه ولا يستطيعون مع هذا التوبيخ مناقضة كلامه وما المراد بالعالم؟ يقول النصارى: [العالم اليهود والأمم] ص ١٧ جـ٤ تفسير يوحنا لمتى هنري] ونقول نحن أيضًا: اليهود والأمم. فهل لما نزل الروح الإله وبخ اليهود والأمم؟ بالتأكيد لا؛ لأنه لم يفتح فاه بكلمة واحدة.

ولما جاء نبي الإسلام وبخ العالم أجمع ووبخ اليهود على تحريفهم لكتاب الله ونبذه وراءهم ظهريًا ووبخ النصارى على مثل ذلك ووبخ الكفار لعبادتهم الأصنام من دون الله وسوف يكون توبيخه على جهة الخصوص في مسائل ثلاثة وضحها عيسى بقوله: (على خطيئة) و (على بر) و(على دينونة).

١٣- (أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي) وهذا لا ينطبق على الروح الإله

لأن التلاميذ ساعة نزول على حد قولهم كانوا مؤمنين بعيسى نبيًّا ورسولًا وإنما ينطبق على نبي الإسلام لأنه وبخ اليهود لعدم إيمانهم برسالة عيسى عليه السلام.

١٤- (وعلى بر) قال دانيال النبي في سفره عن نبي الإسلام أن جبرائيل قال له (سبعون أسبوعًا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكمل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتي بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسيين) (دانيال ٩: ٢٤).

ويريد المسيح عيسى أن يقول إنه إذا جاء نبي الإسلام (نبي البر) فسوف يوبخ اليهود على رفضهم إياه لأنه هو البر الأبدي الذي كانوا ينتظرونه وأشارت إليه الكتب ولئلا يتوهم متوهم أن عيسى هو المقصود من عبارات دانيال صريح بقوله (إني أهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا) أي أن المقصود بعبارات دانيال عن البر الأبدي شخص غيره.

١٥- (وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين) رئيس هذا العالم فسره النصارى: بالشيطان الرجيم.

يقول متى هنري في تفسير يوحنا ص ٢١ - جـ٤ [إن إبليس رئيس هذا العالم قد يدن. وقد تبين لنا بأنه مضلل عظيم ومدمر عظيم ولذلك دين وبدأ تنفيذ الدينونة جزئيًّا لقد طرد من العالم الوثنى عندما أسكنت تعاليمه وهجرت مذابحه].

والمعنى: أن نبي الإسلام سيوبخ العالم على عدم إيمانهم به في الوقت الذي فضحت دعوته أساليب الوثنية وأوامر الشيطان، وإذا كان هو قد أدان الشيطان وأخزاه فهو بالحري يدين الناس ويخزيهم، وهذا الوصف أيضًا لا ينطبق على الروح الإله لأنه لم يوبخ العالم على دينونة، وإذا كان الشيطان لم يستطع صرف الناس عنه فكذلك لن يستطيع الحاقدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم.

ومما يلاحظ في هذه العبارة: أن العالم كله حال نزول الروح الإله لم يسمع ولم ير الآن الذين حضروا كانوا مائة وعشرين من النصارى فأين هؤلاء من العالم وعلى ذلك فانطباق توبيخ العالم على لسان نبي الإسلام أحق وأولى من انطباق على الروح الإله.

١٦- يقول عيسى عليه السلام: (إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن) هذا عطف كبير منه على تلاميذه وهذا العطف؛ لأن اليهود سيؤذونهم والعالم سيبغضهم وهذه الأمور الكثيرة ربما هي توضيحات أكثر عن ملكوت السموات أو أوصاف أخرى عن هذا النبي وهذه الأمور الكثيرة حينما نزل الروح الإله لم يظهر منها أمر هذا النبي، وهذه الأمور الكثيرة حينما نزل الروح الإله لم يظهر منها أمر واحد فدل ذلك على أنه غير المقصود بحديث عيسى عليه السلام.

١٧- (وأما متى جاء ذاك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به) إذا جاء نبي الإسلام فهو يرشدكم إلى جميع الحق، الحق الذي عرفتكم به وأنا معكم والحق الذي ستنسوه سيذكركم به وحق سيأتي به من عند الله هذا كله سيخبركم به لأن الله هو الذي سيوحي إليه ولن يتكلم بشيء من تلقاء نفسه والروح الإله لما نزل يوم الخمسين لم يتكلم بحق أو بباطل.

١٨- (ويخبركم بأمور آتية) الروح الإله لما نزل يوم الخمسين لمن يخبر بحق ولا بباطل فدل هذا على أن الآتي نبي لا إله.

١٩- وفي النهاية يشهد عيسى عليه السلام شهادة قيمة لنبي الإسلام وهي: (ذاك يمجدني) أنه يعظم رسالتي ويعترف بفضلي وعلى ذلك فلا تحتقروا رسالته ولا تنكروا فضله بل اتبعوه وعظموه ومجدوه كما يمجدني.

٢٠- وهذا التمجيد منه لي لأنه (يأخذ مما لي ويخبركم) أنه يأخذ من الله مما هو معد في علم الله من نفس العلم الذي أخذت منه ونسب لي لأني أنا الذي أتكلم معكم. فكلانا في الهدف سواء. ومن مصدر واحد استقينا معلوماتنا. ومن هذا المصدر الذي أخذت منه سوف يأخذ منه ويخبركم.

ويلاحظ هنا: أن عيسى عليه السلام يقول: (يأخذ مما هو لي) وهذا معناه أن النبي الآتي يشبه عيسى في صفة الحدوث والخلق وهما يأخذان من علم الله القديم الأزلي ولو كان هذا الأخذ الجديد هو الروح الإله لكان حادثًا وهم يقولون بقدم الروح الإله فيلتزم التناقض والاضطراب في التأويل.

رابعًا: لننظر بعد ذلك في القرآن الكريم لنرى هل هذه الأوصاف التي ذكرها عيسى عليه السلام منطبقة على نبي الإسلام أم القرآن لم يشر إليها؟

١- بدء سورة آل عمران يفيد أن الله واحد لا شريك له، وأنه نزل القرآن بالحق: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران:٣] وبعد ذلك بقليل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران:١٩] يقول اليهودي (هين) [إن لم أكن مخطئًا فالنبي محمد ﷺ هو الذي أطلق على اليهود اسم أهل الكتاب (ص ٦٧ في الفكر اليهودي)].

ثم توجيه من الله لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى مصدر بكلمة (قل) وهي تفيد الأمر للنبي ﷺ بتبليغ الأقوال ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران:٢٠] وبعد هذين القولين يشير الله إلى أن اليهود كفروا بآياته - ولم يفكروا به - وقتلوا الأنبياء بغير حق ولذلك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ونزع منهم الملك وأخذ منهم الشريعة ويلم الملك والشريعة إلى

قوم آخرين ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران:٢٦] ثم يبين الله عز وجل أن قرب اليهود والنصارى منه بعد ظهور الإسلام لا يكون إلا باعتناقهم للإسلام ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران:٣١] و ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:٣٢] وهذا يشير بالمعنى والشبه إلى قول عيسى للتلاميذ: [إن كنتم تحبون عيسى لتصلوا بمحبته إلى الله فعليكم بمحبتي فإنها توصلكم إلى الله لأنه نبه عليّ وكما أن محبتكم لعيسى هي حفظ وصاياه والعمل بها فكذلك محبتكم لن تكون إلا حفظكم لوصاياي وبالعمل بها].

٢- أشار القرآن إشارات كثيرة على أن رسالة الإسلام لليهود والنصارى ولجميع أمم الأرض وأنها باقية إلى يوم القيامة ومن ذلك قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وهذا يتمشى شبهًا مع عبارة الإنجيل [ليمكث معكم إلى الأبد].

٣- إشارة القرآن إلى أن اليهود والنصارى معًا يعرفون نبي الإسلام كما يعرفون أبناءهم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة:١٤٦] وهذا يتمشى مع قول الإنجيل (وأما أنتم فتعرفونه).

٤- وضح القرآن الكريم أن عيسى رسول من الله في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ [النساء:١٧١] وفي الإنجيل: [الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني].

٥- ويندرج تحت المعاني المستفادة من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧] يندرج تحته هذه العبارات: [يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم وقلت لكم قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون].

٦- وعن الشهادة يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١] ونظيرها في هذا النص: [وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الابتداء].

٧- وعن توبيخ العالم وإفحامهم نجد القرآن الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢١-٢٤] و ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٨] هل بعد هذا توبيخ وتبكيت وإقناع وإفحام، إنه ما ترك كلمة لمحتج ولا وجهة نظر لمعترض، وبعد ذلك بقليل في نفس السورة نجد توبيخًا صريحًا لبني إسرائيل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٠-٤٤].

وفي القرآن الكريم توبيخ صريح في شأن عيسى عليه السلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم

ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء:١٧٠-١٧٣].

٨- وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس:١٥-١٧] وهذا من معناه أن النبي صادق في نبوته كما قال عنه عيسى عليه السلام [لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به].

٩- وأما عن وصف عيسى لنبي الإسلام بقول: [سيخبركم بأمور آتية] فهذا تشير إليه آيات كريمات منها: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم:٧]

وأيضا: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح:٢٧-٢٨].

١٠- وقول عيسى عليه السلام: (ذلك يمجدني) يشير إليه قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ

ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥] وهذا تمجيد لعيسى عليه السلام.

١١- وقول عيسى عليه السلام (يأخذ مما لي ويخبركم) يشير قوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى:١٣] فالجميع يستقون معلوماتهم من مصدر واحد.

١٢- وعن الاسم المبارك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦] ويقول عيسى عليه السلام: [أنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا] والمعزى ترجمة باراكليت وبيركليت هو اسم أحمد صلى الله عليه وسلم.

يقول الشيخ إبراهيم خليل أحمد في كتابه محاضرات في مقارنة الأديان عن تنبؤات المسيح عيسى ابن مريم عن محمد رسول الله وخاتم النبيين ما نصه: قال الله سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦].

أولا: من هو يسوع المسيح حسب الكتب:

١ـ هل يسوع المسيح إنسان أم إله؟

نادى يسوع المسيح قائلًا: [فتشو الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي ولا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة.

مجدًا من الناس لست أقبل ولكني قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله في أنفسكم أنا قد أتيت باسم أبي، ولستم تقبلونني إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض، والمجد من الإله الواحد لستم تطلبونه. لا تظنوا أني أشكوكم إلى الأب يوجد الذي

يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي] (يوحنا ٥ : ٣٩-٤٧).

أ- إنه رسول الله:

[فقال لهم يسوع ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته] (مرقس ٦ : ٤].

[فقال لهم (يسوع) امضوا وقولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين وأشفي اليوم وغدًا وفي اليوم الثالث أكمل بل ينبغي أن أسير اليوم وغدًا وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجًا عن أورشليم يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين) (لوقا ١٣: ٣٢ - ٣٤).

ب- إنه إنسان:

[وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صالح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحًا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا] (متى١٩: ١٦-١٧) (نفى عن نفسه الألوهية) ولقد علم بنور النبوة سرائر اليهود ففضحهم قائلًا: [ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله). (يوحنا ٨: ٤٠).

فهذا إقرار بإنسانيته وأنه رسول الله يسمع ما يوحى إليه ويتكلم بما يوحى إليه من الله.

جـ- إنه إنسان لا يعلم

[وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب] (مرقس ١٣: ٣٢).

[وفي الصبح إذ كان راجعًا إلى المدينة جاع فنظر شجرة تين على الطريق

وجاء إليها فلم يجد فيها شيئًا إلا ورقًا فقط فقال لها: لا يكن منك ثمر إلى الأبد فيبست التينة في الحال] (متى ٢١: ١٨ - ١٩) (وهل تستحق الشجرة اللعنة).

د- إنه إنسان ينعس وينام

[ولما دخل السقيفة تبعه تلاميذ وإذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائمًا فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين: يا سيد نجنا فإننا نهلك] (متى٨: ٢٣ - ٢٥) (وهل الله ينعس أو ينام) وتقول الكتب: (لا ينعس حافظك إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل الرب حافظك) (مزمور ١٢١: ٣-٤).

وجاء في القرآن الكريم قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- هل نادى يسوع المسيح بالتوحيد أم بالتثليث؟

- إن رسالة يسوع - وهي الامتداد الطبيعي لرسالة موسى - هي رسالة التوحيد الخالص:

[وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته] (يوحنا ١٧ :٣).

- [فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم؟ أجابهم يسوع وقال: تعليمي ليس لي بل الذي أرسلني إن شاء أحد أن يعمل مشيئة يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي، من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم] (يوحنا ٧: ١٥ - ١٨).

وكان القرآن الكريم مصدقًا لإقرار يسوع المسيح لقوله سبحانه:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران:٤٦]، ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران:٤٨].

ومن إجاباته على أحد الكتبة - أي فقهاء الشريعة - أنه قال [فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنًا سأله: أية وصية هي أول الكل فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد] (مرقس ١٢: ٢٨-٢٩).

إنه نطق بما سبق به موسى من قبل:

- [اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك] (التثنية ٦: ٤).

- ظهر يسوع رسولًا نبيًّا إلى بني إسرائيل على شريعة موسى وملتزمًا بها فصرح قائلًا: [لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل] (متى ٥: ١٧).

- وملتزمًا بها: [ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلًا: يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني فمد يسوع يده ولمسه قائلًا: أريد فاطهر وللوقت طهر برصه فقال له يسوع: انظر أن لا تقول لأحد بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم] (متى ٨: ١-٤).

وقال يسوع عن ذات الله وكيفية عبادته [الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا] (يوحنا ٤: ٢٤).

وقال كذلك عن ذات الروح القدس: [وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له، ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون لأن

الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقوله] (لوقا ١٢: ١٠-١٢).

والتوراة تفسر وتشرح المراد بالروح القدس فتقول:

[ها أنا مرسل ملاكًا أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته، احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه] (الخروج ٢٣: ٢٠-٢١).

- عن يوحنا بن زكريا [ومن بطن أن يمتلئ من الروح القدس] (لوقا ١ : ١٥).

- عن يسوع ابن مريم [الروح القدس قد يحل عليك] (لوقا ١ : ٣٥).

- عن اليصابات امرأة زكريا [وامتلأت اليصابات من الروح القدس] (لوقا١ :٤١).

- وعن زكريا [وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلًا] (لوقا ١ : ٦٧).

- وبعد معمودية يسوع: [أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئًا من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح في البرية] (لوقا ٤ : ١).

وإليك قرينة من العهد القديم - إرميا النبي:

[فكانت كلمة الرب إلي قائلًا: قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيًّا للشعوب] (إرميا ١: ٤- ٥).

حلول روح الرب على داود بعد مسحه بالدهن ومن ثمّ يطلق عليه مسيح الرب: [فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدًا] (صموئيل الأول ١٦: ١٣).

والقرآن الكريم وهو الحق حيث يقول الله سبحانه: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ

بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ [البقرة:٢٥٣].

٣ـ ما موقف الشعب اليهودي من يسوع المسيح؟

صرح يسوع بأنه رسول إلى بني إسرائيل قائلًا: [لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة] (متى ١٥ : ٢٤٩).

إن يسوع استخدم المنهج البديع والبيان في خطابه وفي أمثاله فاستخدم التشبيه والاستعارة والمجاز والتورية وهو ما يجده الباحث المدقق، من تعبيراته من ذلك قوله: [طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون] (متى ٥ : ٩) فهنا مجاز.

وقول يوحنا المعمدان [هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم] (يوحنا ١ : ١٣).

فهنا استعارة (حمل الله) للتدليل على التواضع والوداعة إن يسوع المسيح برئ من شبهة البنوة الحقيقية لله، وقد جاءت في مواضع كثيرة على سبيل المجاز لا الحقيقية من ذلك:

- [إسرائيل ابني البكر] (الخروج ٤ : ٢٤).
- [أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا] (صموئيل الثاني ٧ : ١٤).
- [وهو يكون لي ابنًا وأنه له أبًا] (أخبار الأيام الأول ٢٢ : ١٠).
- [من مضر دعوت ابني] (هوشع ١١ : ١).
- [وكان صوت من السماء قائلًا: أنت ابني الحبيب بك سررت] (لوقا ٣ : ٤١).
- [آدم ابن الله] (لوقا ٣ : ٣٨).
- [وصارت صوت من السحابة قائلًا: هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا] (لوقا: ٣: ٤١).

إن يسوع بريئ من شبهة البنوة الحقيقية لله وكذلك الأناجيل، أما مصدر هذه الشبهة الوحيدة فرسائل بولس فقط. فبولس الذي ادعى أنه رسول يوسع المسيح شاء المواءمة بين الفكر الروماني والفكر اليهودي فكانت شبهة البنوة وهي من صميم العقيدة الرومانية [ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال: حقًّا كان هذا الإنسان ابن الله] (مرقس ١٥ : ٣٩).

ومن أقوال بولس مختلق شبهة البنوة الحقيقية:

- [فالله إذا أرسل ابنه في شبه جسد الخطية] (رومية ٨ : ٣).
- [الذي لم يشفق على ابنه بل بذله] (رومية ٨ : ٣٢).
- [أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة] (غلاطية ٤ : ٤).
- [إذا كان في صور الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله لكنه أخلى نفسه أخذًا صورة عبد صائر في شبه الناس] (فيلبى ٢ : ٦-٧).
- [الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة] (كولوسي ١ : ١٥).
- [وبالإجمال عظيم هو سر الله ظهر في الجسد] (تيموثاوس الأولى ٣ : ١٦).

[الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه] (العبرانيون ١ : ١ -٤).

أيد الله يسوع المسيح بالمعجزات لكي يؤمن به بنو قومه اليهود كما سبق وأيد موسى وإيليا من قبل وغيرهم فهذا موسى بعد انتصاره على فرعون [فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر إسرائيل المصريين أمواتًا على شاطئ البحر ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى] (الخروج ١٤ : ٣٠ - ٣١).

وذلك إيليا بعد أن أحيا ابن الأرملة بإذن الله قالت المرأة: [فأخذ إيليا الولد

ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه وقال إيليا انظري ابنك حي؟ فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك الحق] (الملوك الأول ١٧ : ٢٣ - ٢٤).

وعلى نهج السلف الصالح خر يسوع على وجهه يصلي: [ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا أنك أسلتني ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجًا فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع: حلوه ودعوه يذهب فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم نظروا ما فعل يسوع آمنوا به] (يوحنا ١١ : ٤١ - ٤٥).

فإحياؤه للعازر ليس لأنه هو إله متجسد كما تزعم الكنيسة وإنما برهان وحجة على أنه نبي الله مثل موسى وإيليا، هذا وفي موضع آخر أقام ابن الأرملة بإذن الله فانبهر الجميع ومجدوا الله [فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها: لا تبكي ثم تقدم ولمس النعش فوق الحاملون فقال: أيها الشاب لك أقول: قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه فأخذ خوف ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه وخرج هذا الخبر عنه في كل اليهودية وفي جميع الكورة المحيطة] (لوقا: ١٢ - ١٧).

وفي مقابل انبهار الشعب اليهودي بيسوع حسده رؤساء الكهنة.

٤ـ ما موقف رؤساء الكهنة منه؟

شهد عليهم الوالي الروماني بيلاطس النبطي قائلًا: [لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدًا] (مرقس ١٥ : ١٠).

اجتماع أحبار اليهود في أورشليم للتآمر على حياة يسوع على إثر إحيائه لعازر بإذن الله [فجمع رؤساء الكهنة الفريسيون مجمعًا وقالوا: ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيسًا للكهنة في تلك السنة أنتم لستم تعرفون شيئًا ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشعب ولا تهلك الأمة كلها] (يوحنا ١١ : ٤٧) [وكان أيضًا رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمرًا أنه إن قد عرف أحد أين هو فليدل عليه لكي يمسكوه] (يوحنا ١١: ٥٧).

[فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه فلم يكن يسوع أيضًا يمشي بين اليهود علانية] (يوحنا ١١ : ٥٣ - ٥٤).

[فقال الفريسيون بعضهم لبعض: انظروا إنكم لا تنفعون شيئًا هو ذا العالم قد ذهب وراءه] (يوحنا ١٢ : ١٩).

كان يسوع يتكلم بأمثال وقد ضرب لهم مثل الكرمة والكرامين وعبيد السيد صاحب الكرمة وأنبأهم بانتزاع النبوة والكتاب والملك منهم ليعطى لخير أمة، وأنبأهم بانتزاع النبوة والكتاب والملك منهم ليعطى لخير أمة أخرجت للناس [ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله وعرفوا أنه تكلم عليهم وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي] (متى ٢١ : ٤٥-٤٦).

فتربصوا به وترصدوا له [وفيما هو يكلمهم بهذا ابتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون جدًّا ويصادرونه على أمور كثيرة وهم يراقبونه طالبين أن يصطادوا شيئًا من فمه لكي يشتكوا عليه] (لوقا ١١ : ٥٣ - ٥٤).

واحتالوا عليه لكي يمسكوه بتهمة ويدفعون به إلى حكم الوالي الروماني

[فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه فسألوه قائلين: يا معلم نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتعلم لا تقبل الوجوه بل بالحق تعلم طريق الله أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر أم لا فشعر بمكرهم وقال لهم: لماذا تجربوني أروني دينارًا لمن الصورة والكتابة فأجابوا وقالوا: لقيصر فقال لهم أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب وتعجبوا من جوابه وسكتوا] (لوقا ٢٠ : ٢٠ - ٢٦).

٥ـ ما موقف الرومان منه؟

الرومان: نساء ورجالًا يشهدون أنه بار وأنهم أسلموه حسدًا:

أ- امرأة بيلاطس تشهد بأنه بار: [وإذ كان جالسًا على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة: إياك وذاك البار لأني تألمت اليوم كثيرًا في حلم من أجله] (متى ١٧ : ١٩).

ب- بيلاطس بعد محاكمته ليسوع علم أنهم أسلموه حسدًا: [لأنه علم أنهم أسلموه حسدًا] (متى ٢٧ : ١٨٩).

جـ- بيلاطس يتبرأ من دم هذا البار: [فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا بل بالجري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلًا إني بريئ من دم هذا البار أبصروا أنتم] (متى ٢٣ : ٤٧).

د- قائد المئة الروماني يشهد بأنه بار [فلما رأى قائد المئة ما كان مجد لله قائلًا: بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا] لوقا ٢٣ : ٤٧).

اللعنة حلت على بني إسرائيل:

- [فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلى أولادنا حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب] (متى ٢٧ : ٢٥ - ٢٦) أما يسوع المسيح رفعه الله إليه وصلب عوضًا عنه يهوذا الأسخريوطي جزاء لخيانته

وهذا ما نقيم الحجة عليه في الكلمة التالي:

٦ـ هل قتل يسوع على الصليب أم رفعه الله إليه وشبه لهم أنهم قتلوه؟!

نجد يسوع المسيح في مواضع ثلاثة هي:

أ- [ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا] (يوحنا ٧ : ٣٤).

ب- [قال لهم يسوع أيضًا: أن أمضي وستطلبونني وتموتون في خطيتكم حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا] (يوحنا ٨ : ٢١).

جـ- [يا أولادي أنا معكم زمانًا قليلًا بعد ستطلبونني وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا] (يوحنا ١٣ : ٣٣).

يسوع مطمئن إلى رعاية الله وحفظه إياه فيقول:

- [والذي أرسلني هو معي ولم يتركني الأب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه] (يوحنا ٨ : ٢٩).

- [هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي وأنا لست وحدي لأن الأب معي] (يوحنا ١٦: ٣٢) وكتاب العهد القديم مليء بالشواهد وأن الله لن يتخلى عن الصديقين، فممن رفعه الله إليه:

أ- **أخنوخ**: [وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه] (التكوين ٥ : ٢٤).

ب - **إيليا**: [وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من ناروخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء] (الملوك الثاني ٢ : ١١).

وممن نجوا من النار ومن الأسود الجائعة:

أ- **الفتية الثلاثة**: [حينئذ تحير نبوخذ نصر الملك وقام مسرعًا فأجاب وقال لمشيريه ألم نلق ثلاثة رجال موثقين في وسط النار فأجابوا وقالوا للملك:

صحيح أيها الملك أجاب وقال: ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وما بهم من ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الإله ورأوا هؤلاء الرجال الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من رؤوسهم لم تحترق] (دانيال ٣: ٢٤ - ٢٧).

ب- دانيال في جب الأسود:

[إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرني لأني وجدت بريئًا قدامه وقدامك أيضًا أيها الملك لم أفعل ذنبًا] (دانيال ٦ : ٢٢).

والغريب في هذه القصة أنه شبيه لقصة المسيح في أن الكهنة أسلموا دانيال حسدًا لأنه محبوب لدى الملك كما أسلم الفريسيين والكتبة المسيح حسدًا لأنه محبوبًا لدى الناس ويلتفون حوله والغريب في نهاية قصة دانيال الذين أسلموه هم الذين حدث فيهم ما كانوا يدبرونه لدانيال أي أنهم وقعوا في الفخ الذي أعدوا للآخرين.

فلماذا لا يكون حدث في يهوذا مسلم المسيح كما حدث في الذين سلموا دانيال؟!

ويذكر القرآن الكريم قصة المؤامرة على إبراهيم وقذفه في النار فيقول الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٢].

هذه القرائن للتدليل على عناية الله ورعايته للأنبياء والصديقين وهي برهان حي قائم لئلا يكون لأهل الكتاب من النصارى على الله حجة بعد هذه القرائن من التوراة والقرآن الكريم.

والآن نأتي إلى حقيقة رفع يسوع دون أن يقتل أو يصلب فنقول بادئ ذي بدء يقرر (لوقا) كيفية تدوين الإنجيل فيقول:

[إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفليس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به] (لوقا ١ ١ - ٤).

لعلك تستنبط من هذا الإقرار أن الأناجيل بوضعها الراهن هي قصة من تصنيف مؤلفيها [كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة] ومن ثم فإن المؤلفين لم يكونوا شهود عيان ليسوع المسيح هذا فضلًا أن الإنسان عرضة للسهو والنسيان مما يتسبب عنه إسقاط عبارات.

This job requires more memory than ia available in this printer.

and then print ،Try one or more of the following again:

choose optimize for ،For the output format portability.

make sure the available ،In the Device settings page postscript Memory is accurate.

Reduce the number of fonts in the document.

Print the document in parts.



تعريف بالمؤلف

اسم المؤلف: محمد حسني يوسف حسن.

حاصل على ليسانس آداب قسم فلسفة.

ساهم بالمقالات والأبحاث في الجرائد المصرية من إبريل ٢٠٠٢م.

صدر للمؤلف:-

١- اكتشاف أكبر معجزة لبراءة المسيح.

٢- خرافات التوراة والإنجيل.

٣- الصفحة السوداء للكتاب المقدس.

٤- القرآن يتكلم والإنجيل يثبت ما يقوله دين الحق.

٥- الإعجاز العلمي للقرآن والسنة النبوية (٩ أجزاء).

٦- مخطوطات سانت كاترين ومكتشفات قمران.

٧- ظلمات التوراة وأحقاد العهد القديم.

٨- الفرق والمذاهب النصرانية من البادية حتى الآن.

٩- شفرات ونبؤات رؤيا يوحنا اللاهوتي.

١٠- تناقضات التوراة والإنجيل.

١١- الموسوعة الكبرى للإعجاز العلمي.

تحت الطبع:

١- لغز يسوع المسيح.

٢- فضائح الكتاب المقدس.

٣- عفوًا سيدي المسيح.

٤- كتاب صنعة الشيطان.

٥- الأخطاء العلمية في التوراة والإنجيل وشهادة العلم للقرآن الكريم.

٦- الإعجاز العلمي المقارن للقرآن والإنجيل والتوراة (٣ أجزاء).

فهرس